

إختيار علوم الدين

تأليف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الفزالي

المتوفى سنة ٥٥٥ هـ

ومعه كتاب

المنقى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار
لحافظ الإسلام زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي
المتوفى سنة ٨٠٦ هـ

وبالهامش ثلاثة كتب

- (الأول) تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للأستاذ العلامة الشيخ عبد القادر
ابن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوى
(الثاني) الاملاء عن إشكالات الإحياء تصنيف الامام الفزالي رد به اعتراضات
أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء
(الثالث) عوارف للعارف بالله تعالى الامام السهروردي

الجزء الأول

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٣٥٨ / ١٩٣٩ / ٢٩٠



ترجمة

الامام الغزالي رحمه الله

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الامام الجليل أبو حامد الطوسي الغزالي حجة الاسلام ، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام ، جامع أشتات العلوم ، والمبرز في النقل منها والفهم ، جرت الأئمة قبله لشأوا ما قنع منه بالفاية ، ولا وقف عند مطلب بل لم يبرح في دأب لا يقضى له بنهاية ، حق أحمل من الأقران كل خصم بلغ مبلغ السها ، وأخذ من نيران البدع كل ما لا تستطيع أيدي المجالدين مسها . كان رضي الله عنه ضرغاما إلا أن الأسود تتضاءل لديه وتتوارى ، وبدرأ تماما إلا أن هداه يشرق نهارا ، وبشرا من الخلق إلا أنه الطود العظيم ، وبعض الناس ولكن مثل ما بعض الجملاد الدرّ التنظيم ، جاء والناس إلى ردّ فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصاييح السما ، وأفقر من الجملاد إلى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفي بجملاد مقاله ، ويحمي حوزة الدين ولا يبلطخ بدم المعتدين حدّ نصاله ، حق أصبح الدين وثيق العرى ، وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلا حديثا مفترى .

هذا مع ورع طوى عليه ضميره ، وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة مبيره ، ترك الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة يعامل الله في سره وجهره .

مولده

ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة ، وكان والده يفتل الصوف ويبيعه في دكان بطوس ولما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له : إن لي ثاسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهى استدراك ما فاتني في ولديّ هذين فعلمهما ولا عليك أن ينقد في ذلك جميع ما أخلفه لهما فلمامات أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن فني ذلك النذر اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهم فقال لهما اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من أهل الفقر والتجريد ليس لي مال فأواسيكما به وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ إلى مدرسة كأناكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك ، وكان هو السبب في سعادتهما وعلوّ درجتهم . وكان الغزالي يحكي هذا ويقول طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله .

صفة والده

ويحكي أن أباه كان فقيرا صالحا لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غزل الصوف ويطوف على التفقه ويجالسهم ويتوفر على خدمتهم ويجتهد في الاحسان إليهم والنفقة بما يمكنه عليهم ، وأنه كان إذا سمع كلامهم بكى وتضرّع وسأل الله أن يرزقه ولدا ويجعله فقيها ويحضر مجالس الوعظ ، فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه ولدا واعظا فاستجاب الله دعوتيه .

أما أبو حامد فكان أفقه أقرانه ، وإمام أهل زمانه ، وفارس ميدانه ، كلمة شهد بها الموافق والمخالف ، وأقر بحقيقتها المعادى والمخالف .

وأما أحمد فكان واعظا تنفلق الصم عند استماع تحذيره وترعد فرائص الحاضرين في مجالس تذكيره .

تلقيه العلوم

قرأ النزالي في صباه طرفاً من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني ثم سافر إلى جرجان إلى الامام أبي نصر الاسماعيلي وعلق عنه التعليقة ثم رجع إلى طوس . قال الامام أسعد الميهني فسمعتة يقول قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع مامي ومضوا فتبعتهم فالتفت إلى مقدمهم وقال ارجع ويحك وإلا هلكت فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد عليّ تعليقتي فقط فإني شيء تنفعون به ، فقال لي وما هي تعليلتكم ؟ فقلت كتب في تلك الحفلة هاجرت لسابعها وكتابها ومعرفة علمها فضحك وقال كيف تدعى أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلى الحفلة .

قال النزالي : فقلت هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ماعلقته وصرت بحيث لو قطع عليّ الطريق لم أتعجز من علمي ، وقد روى هذه الحكاية عن النزالي أيضا الوزير نظام الملك كما هو مذکور في ترجمة نظام الملك من ذيل ابن السمان .

قدومه نيسابور وملازمته لإمام الحرمين

ثم إن النزالي قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجدّ واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والأصول والجدل والنطق وقرأ الحسكة والفلسفة وأحكم كل ذلك ، وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويهم وصنف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها وأجاد وضعها وترصيفها وكان رضى الله عنه شديد الدكاء عجيب الفطرة مفرط الادراك بعيد النور غواصاً على المعاني الدقيقة جبل علم مناظراً محجاجاً ، وكان إمام الحرمين يصف تلامذته فيقول : النزالي بحر مفرق ، والكنيا : أسد محرق ، والخوافي : نار تحرق ، ويقال إن الامام كان بالآخرة يتمتع منه في الباطن وإن كان يظهر التبجح به في الظاهر .

زيارته للوزير نظام الملك

ثم لما مات إمام الحرمين خرج النزالي إلى المسكر قاصداً للوزير نظام الملك وناظر الأئمة والعلماء في مجلسه وقهر الخصوم وظهر كلامه على الجميع واعترفوا بفضله وتلقاه صاحب بالتعظيم والتبجيل وولاه تدريس مدرسته ببغداد وأمره بالتوجه إليها ، فقدم بغداد في سنة أربع وثمانين وأربع مائة ودرس بالنظامية ، وأعجب الخلق حسن كلامه وكال فضله وفصاحته لسانه ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة وأحبوه وأحياه محل العين بل أعلى ، وقالوا أهلاً بمن أصبح لأجل الناصب أهلاً .

إقامته على التدريس

وأقام على التدريس وتعليم العلم مدة عظيم الجاه زائد الحشمة على الرتبة مشهور الاسم تضرب به الأمثال وتشد إليه الرجال إلى أن شرفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض ما فيها من التقتّم والجاه وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام فحج وتوجه إلى الشام في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واستناب أخاه في التدريس وجاور بيت المقدس ثم عاد إلى دمشق واعتكف في زاويته بالجامع الأموي المعروفة اليوم بالنزالية نسبة إليه

زهده وورعه

ولبس الثياب الحشنة وقلل طعامه وشرا به وأخذ في التصنيف للاحياء وصار يطوف المشاهد ،

وزور القرب والساجد ، وأوى القفار ، وروّض نفسه وبجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، إلى أن صار قطب الوجود ، والبركة العامة لكل موجود ، والطريق الموصل إلى رضا الرحمن .

تكملة على لسان أهل الحقيقة

ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وتكلم على لسان أهل الحقيقة وحث بكتاب الأحياء . قال ابن النجار : ولم يكن له أستاذ ولا طلب شيئا من الحديث ، لم أره إلا حديثا واحدا سيأتي ذكره في هذا الكتاب يعني تاريخه ، قلت ولم أره ذكر هذا الحديث بعد . وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بحديث من حديثه أوردناه في الطبقات الكبرى .

ماشهد له به العلماء العاملون

قال الامام محمد بن يحيى : الغزالي هو الشافعي الثاني ، وقال أسعد الليثي لا يصل إلى معرفة علم الغزالي فضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ السكّال في عقله . وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد النعم العبدري : رأيت بالأسكندرية فيأبى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها فعبر ذلك بعض المعبرين ببدة تحدث فيهم فوصلت بعد أيام المركب بإحراق كتب الغزالي بالمرية .

توزيع أعماله على الأوقات

ثم إن الغزالي عاد إلى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة ثم رجع إلى طوس واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات إلى أن انتقل إلى رحمة الله ورضوانه طيب الثناء ، أعلى منزلة من نجوم السماء ، وأهدى للأمة من البدر في الظلماء لا يبيضه إلا حاسد أو زنديق .

ماحصل لمبغضيه من البلاء

ولقد كان في ثغر الأسكندرية من مدة قريبة أدركها أشياخنا شخص يبغض الغزالي ويغتابه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى جانبه ، وكان الغزالي واقف بين يديه وهو يقول : يا رسول الله هذا يعني الرائي يتكلم في ويؤذي قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هاتوا الشياطين وأمر به فضرب بين يديه لأجل الغزالي ، وقام هذا الرجل من النوم وأثر الشياطين على ظهره .

مصنفاته رضي الله عنه

ومن تصانيف الغزالي : البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، والمستقصى . والنخول ، وتحصين الأدلة ، وشفاء الغليل ، والأسماء الحسنى ، والرد على الباطنية ، ومنهاج العابدین ، وإحياء علوم الدين ، وغير ذلك من التصانيف .

وفاته رحمه الله تعالى

توفي بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ، ولو أردنا استيعاب ترجمته لطال الشرح وفيما أوردناه مقنع وبلاغ .

ترجمة الامام العراقي رحمه الله

منقولة من حسن المحاضرة للامام السيوطي
قال : في باب ذكر من كان بمصر من حفاظ الحديث وثقاده

(العراقي) الحافظ الامام الكبير زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن حافظ العصر ، ولد بمنشأة المهراني بين مصر والقاهرة في جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبع مائة ، وعنى بالفن وتقدم فيه بحيث كان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه بالمعرفة كالسبكي والعلائي وابن كثير وغيرهم . ونقل عنه الأسنوي في المهمات ووصفه بحافظ العصر ، وكذلك وصفه في الترجمة ابن سيد الناس

وله مؤلفات في الفن بديعة كالألفية التي اشتهرت في الآفاق وشرحها ، ونظم الاقتراح ، وتخريج أحاديث الاحياء ، وتكملة شرح الترمذي لابن سيد الناس .

وشرع في إملاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيا الله تعالى به سنة الاملاء بعد أن كانت دائرة فأملأ أكثر من أربع مائة مجلس ، وكان صالحا متواضعا ضيق العيشة مات في ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة وورثاه تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلاني بقصيدة غراء فانظرها هناك .

ترجمة الامام السهروردي رحمه الله

هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه ، واسمه عبد الله البكري الملقب شهاب الدين بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن النضر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

كان فقيها شافعي المذهب تخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلاوة ومحبة عمه أبا النجيب والشيخ أبا محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي . وكان شيخ الشيوخ ببغداد ، وله تأليف حسنة منها : كتاب عوارف المعارف ، وله أشعار كثيرة في كلام القوم .

مؤلفه بسهرورد في أواخر رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . وتوفي في المحرم سنة ٦٣٣ ببغداد كذا في ابن خلكان «وسهرورد» بضم السين وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية وفي آخره دال مهملة وهي بلدة عند زنجان من عراق العجم اه .

إفهام حقيقة

لأبني أن إحياء علوم الدين للامام الغزالي من أجل كتب الدين ، وقد سبق طبعه مهرلمانا
للكتاب من الأهمية عند الأمة ، وعند مآرات إدارة :

مكتبة مكتبة ومطبعة مطبعة في البابي الحلبي والادب

إعادة طبعه حسن لديها أن تقرن بين الاحياء وبين تخريج الحافظ العراقي المسمى

المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار

خدمة لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتعريفا للواقف على الاحياء درجة الأحاديث
للمنقولة فيه ، واستحضرت المكتبة أصح النسخ للتصحيح ، ولكن عند مداخلنا في عباب
المغنى وجدناه يخرج بعض أحاديث ليست في النسخ التي بأيدينا من الاحياء فراجعنا الشارح ،
فوجدنا تلك الأحاديث بنسخته ، فأثبتناها تبعاً لنسخة الشارح ووجدناه يسقط تخريج أحاديث
في النسخ التي بأيدينا وهي ليست بنسخة الشارح ، فأثبتناها ونهنا على كل ذلك بتعليقات ،
ووجدنا أن أغلب الأحاديث التي يخرجها فيها ألفاظ كثيرة لاتوافق ألفاظ أحاديث الاحياء
وإن طابقتها معنى ، فعلمنا أن المقصود أن يكون لهذه الأحاديث أصل في المغنى كما أشار إلى
ذلك العراقي في الخطبة .

وقد يشير في التخريج إلى من ينسب إليهم الحديث من المخرجين بطريق الرمز بالحروف ،
فيشير إلى البخاري بلفظ خ ، وإلى مسلم م ، وإلى الترمذي ت ، وإلى النسائي ن ، وإلى
ابن ماجه ه ، وإلى أبي داود (د) ، وإلى مارواه البخاري ومسلم بمتفق عليه ، وإلى الدارقطني قط ،
وإلى الطبراني في الأوسط طس ، وفي الأصغر طص ، وإلى البيهقي هق ، وإلى ابن حبان حب ،
وإلى العقيلي عق ، وإلى الحاكم ك ، فنهنا على ذلك ليكون الواقف فيه على بصيرة ، وقد سبب
اقتران العراقي بالاحياء أن حازت الاحياء فيه درجة من الصحة لم تحزه في طبعة من الطباعات كما يظهر
للوائق . ونسأله تعالى حسن التمام والنفع لسائر الأنام .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ
(ترجمہ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله أولاً ، حمداً كثيراً متوالياً ، وإن كان يتضائل دون حق جلالة حمد الحامدين ، وأصلى وأسلم على رسوله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين ، وأستخيرهُ تعالى ثالثاً فيما أنبئت له عزى من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين ، وأتدب لقطع تعجبك رابحاً أيها العاقل المتفاني في العذل من بين زمرة الجاحدين ، المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ، فلقد حلّ عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهد الكلام وقلادة النطق ما أنت مشاير عليه من العمى عن جليلة الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشبيب على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعاً في نيل ما تعبد الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركاً لبعض ما فرط من إضاعة العمر بأساً من تمام التلافي والجبر وإحياءاً عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهم الملحد من دركها فرجعت بكلامها ، أحمدته وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأفقالها ، وأعبده وأستعين به لعصام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول المراتب وظلالها ، واقية من حاول البركات وأهوالها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الإيمان من ظلمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الأذان وجلا به رين القلوب بصقالها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لا كمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين في سنة إحدى وخمسين نعتنر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبليغه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما هرب عن علمه ثم شرعت في تبليغه في مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ في إكمله غير متعرض لتركة وإمهاله إلى أن ظفرت بأكثر مما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة في إكمله فأجبت وبادرت إليه ولكني اختصرته في غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار فاقصرت فيه على ذكر طرف الحديث ومجايه ومخرجه وبيان محته أوحسنه أضعف مخرجه فإن ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مستول .

فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه وإلا عزوته إلى من خرجه من بقية السنة وحيث كان في أحد السنة لم أعزه إلى غيرها إلا لفرض صحيح بأن يكون في كتاب

كتاب تعريف الأحياء
بفضائل الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي وفق

لنفس المحاسن وطبها
في أحسن محتاب

وجعل ذلك قرّة لأعين
الأخباب وذخيرة ليوم

المآب والصلاة والسلام
على سيدنا محمد الذي

أحيا بإحياء شريعته
وطريقته قلوب ذوي

الألباب وعلى آله
الطيبين الطاهرين

وجميع الأصحاب
ما أشرقت شمس الأحياء

للقلوب وتوجهت همه
روحانية مصنفه الولي

الموهوب إلى إسعاف
ملازمي مطالعته

ومحبته بالمطلوب .
وبعد : فإن الكتاب

العظيم الشأن المسمى
بإحياء علوم الدين

المشهور بالجمع والبركة
والنفع بين العلماء

العاملين وأهل طريق
الله السالكين المشايخ

العارفين المنسوب إلى
الامام الغزالي رضي

الله عنه عالم العلماء
وارث الأنبياء حجة

« أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه (١) » ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الماء الذي همّ الحميم التغير بل شغل الجماهير من التصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الأمر إذ والخطيب جدّ والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والازداد طفيف والخطر عظيم والطريق سدّ وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصيرة وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الفوائل من غير دليل ولارقيق متعب ومكدّ فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغل منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطفانيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغولاً فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً حتى ظلّ علم الدين مندرساً ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ولقد خيّلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطعام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإلغام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقها وحكمة وعلماً وضياءً ونوراً وهداية ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطويّاً وصار نسياً منسياً . ولما كان هذا ثلماً في الدين ولما وخطباً مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء لعالم الدين وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحاً لما نهى العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين . وقد أسسته على أربعة أرباع وهي : ربيع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع النجيات . وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لا كشف أولاً عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم (٢) » وأميز فيه العلم النافع من الضارّ إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع (٣) » وأحقق ميل أهل العصر عن شائكة الصواب ، وانخداعهم بلامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

الترجم عرّجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه في الإحياء . وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فإن كان في باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وبما ذكرته فيه ثانياً وثالثاً لغرض أولدهول عن كونه تقدم وإن كرره في باب آخر ذكرته ونهيت على أنه قد تقدم وربما لم أنبه على تقدمه لدهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرج من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما يغني عنه غالباً وربما لم أذكره . ومميته :

المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

جعل الله خالصاً لوجه الكريم ووسيلة إلى النعيم المقيم .
أحاديث الخطبة

(١) حديث : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٢) حديث : طلب العلم فريضة على كل مسلم . ابن ماجة . من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقي وغيرها (٣) حديث : نعوذ بالله من علم لا ينفع . ابن ماجة من حديث جابر بإسناد حسن .

الاسلام حسنة السهور
والأعوام تاج المجتهدين
سراج التبهجدين
مقتدى الأئمة مبين
الحل والحكمة زين الملة
والدين الذي ياهي به
سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم وعلى جميع
الأنبياء ورضي عن
الغزالي وعن سائر
العلماء المجتهدين لما
كان عظيم الوقع كثير
النفع جليل المقدر
ليس له نظير في بابيه ولم
ينسج على منواله ولا
سمحت قريحته بمثاله
مشتملاً على الشريعة
والطريقة والحقيقة
كاشفاً عن الغوامض
الحفية مبيناً للأمرار
الدقيقة رأيت أن أضع
رسالة تكون كالعنوان
والدلالة على صبابة
صبابة من فضله وشرفه
ورشحة من فضل
جامعه ومصنعه
(ورتبته على مقدمة .
ومقصد . وخاتمة)
فالمقدمة هي عنوان
الكتاب . والمقصد
في فضائله وبعض
المدائح والثناء من

ويشتمل ربيع العبادات على عشرة كتب

كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات .

وأما ربيع العادات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام الكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة .

وأما ربيع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب شرح عجائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشهوات وشهوة البطن وشهوة الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغرور .

وأما ربيع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكير وكتاب ذكر الموت . فأما ربيع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فرق الفقهيات . وأما ربيع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي ما لا يستغنى عنها متدين . وأما ربيع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإمطته وتركه النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حذره وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ، ثم العلامات التي بها تتعرف ، ثم طرق المعالجة التي بها ينخلص . كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار . وأما ربيع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقرئين والصدقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وتغرثها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفصيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتباً ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور : الأول : حل ما عقده وكشف ما أجلاه . الثاني : ترتيب ما بدوه ونظم ما فرقوه . الثالث : إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه . الرابع : حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه . الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتصمت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرّد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أولاً يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إirاده في الكتب أولاً يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً بالجامع هذه العلوم . وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما هو الباعث الأصلي : أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهم كالضرورة لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع

الأسرار عليه والجواب

عما استشكل منه وطمع بسببه فيه والخاتمة في ترجمة المصنف رضي الله عنه وسبب رجوعه إلى هذه الطريقة .

(المقدمة في عنوان

الكتاب)

اعلم أن علوم المعاملة التي يتقرب بها إلى الله تعالى تنقسم إلى ظاهرة وباطنة وقسمان معاملة بين العبد وبين الله تعالى ومعاملة بين العبد وبين الخلق . والباطنة أيضاً قسمان ما يجب تركه القلب عنه من الصفات المذمومة وما يجب تحلية القلب به من الصفات الحمودة وقد بنى الإمام الغزالي رحمه الله كتابه إحياء علوم الدين على هذه الأربعة الأقسام فقال في خطبته . ولقد أسست على أربعة أرباع ربيع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات فأما ربيع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب

الكشف العمل به وللقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكشفة التي لا رخصة في إبداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والارشاد إليه . وأما علم المكشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والايحاء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فمالهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء . ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما إعادة وإمعاودة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشرط الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشرط الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام . الباعث الثاني : أتى رأيت الرغبة من طلبية العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المناقشات وهو مرتب على أربعة أرباع والمترجي بزى المحبوب محبوب فلم أبعث أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تطلقا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسبهم بذلك الجنس جاذبا لهم إلى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فتمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبدا لا يبادفان منه الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للارشاد والهدى إنه كريم جواد .

كتاب العلم وفيه سبعة أبواب

الباب الأول : في فضل العلم والتعليم والتعلم . الباب الثاني : في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه . والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا . الباب الثالث : فيما تعدّه العاتية من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره . الباب الرابع : في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . الباب الخامس : في آداب المعلم والمتعلم . الباب السادس : في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . الباب السابع : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهد من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهد من القرآن قوله عز وجل - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط - فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلاث بأهل العلم وتاهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - قال ابن عباس رضي الله عنهما للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمئة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمئة عام وقال عز وجل - قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وقال تعالى - قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - وقال تعالى - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به - تنبها على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا - بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى - وتلك الأمثال

السلم كتاب قواعد العقائد كتاب أسرار الطهارة كتاب أسرار الصلاة كتاب أسرار الزكاة كتاب أسرار الصيام كتاب أسرار الحج كتاب تلاوة القرآن كتاب الأذكار والدعوات كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات . وأما ربيع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب آداب الأكل كتاب آداب النكاح كتاب آداب الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب آداب الصحة كتاب العزلة كتاب آداب السفر كتاب آداب السماع والوجد كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كتاب أخلاق النبوة . وأما ربيع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح معاني القلب كتاب رياضة النفس كتاب آفة الشهوة بين البطن والفرج كتاب آفة اللسان كتاب آفة

نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال تعالى - ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الدين يستنبطونه منهم - ردحكمه في الواقع إلى استنباطهم وألحق رتبهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله . وقيل في قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - يعني العلم - وريشا - يعني اليقين - ولباس التقوى - يعني الحياء وقال عز وجل - ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم - وقال تعالى - فلنقصن عليهم بعلم - وقال عز وجل - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - وقال تعالى - خلق الإنسان علمه البيان - وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان . وأما الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «العلماء ورثة الأنبياء» (٢) . ومعالم أنه لارتبة فوق النبوة ولاشرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم «يستغفر للعالم ما في السموات والأرض» (٣) . وأى منصب يزيد على منصب من تشغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم «إن الحكمة تزيد الشرف شرفا وترفع الملوكة حتى يدرك مدارك الملوكة» (٤) . وقد بهذا على عمراته في الدنيا ونبه معلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان لا يكونان في منافق حسن سمعت وفقه في الدين» (٥) . ولاتشكك في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فإنه ما أراد به الفقه الذي ظنفته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه يرى بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتجج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه» (٦) . وقال صلى الله عليه وسلم «الایمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وعمرته العلم» (٧) . وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل» (٨) . وقال صلى الله عليه وسلم «لموت قبيلة أسير من موت عالم» (٩) . وقال عليه الصلاة والسلام «الناس معادن كعادن الذهب والفضة يخارم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا» (١٠) . وقال صلى الله عليه وسلم «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء» (١١) .

كتاب العلم . الباب الأول

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء . أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما في السموات والأرض هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشرف شرفا الحديث أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في بيان العلم وعبد الفتي الأزدي في آداب الحديث من حديث أنس بإسناد ضعيف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في منافق الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب (٦) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على أبي الدرداء بإسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث الإيمان عريان الحديث الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف (٨) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٩) حديث لموت قبيلة أسير من موت عالم الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء وأصل الحديث عند أبي الدرداء (١٠) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (١١) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف

وقال

الغضب والحقد والحسد
كتاب دم الدنيا
كتاب ذم المال والبخل
كتاب ذم الجاه والرياء
كتاب الكبر والعجب
كتاب التورر . وأما
ربع المنجيات فيشتمل
على عشرة كتب
كتاب التوبة كتاب
الصبر والشكر كتاب
الخوف والرجاء كتاب
الفقر والزهد كتاب
التوحيد والتوكل
كتاب المحبة والشوق
والرضا كتاب النية
والصدق والاخلاص
كتاب المراقبة والمحاسبة
كتاب التفكير كتاب
ذكر الموت . ثم قال
رحمه الله فأما ربع
العبادات فأذكر فيه
من خفيا آدابها
ودقائق سنتها وأسرار
معانيها ما يضطر العالم
العامل إليها بل لا يكون
من علماء الآخرة من لم
يطلع عليها أو كثر ذلك
مما أهمل في التفهيم .
وأما ربع العادات
فأذكر فيه أسرار
المعاملات الجارية بين
الخلق ودقائق سنتها

وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمي أر بعين حديثنا من السنة حتى يؤذيها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمي أر بعين حديثنا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أممه ورزقه من حيث لا يحتسب ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه في الأرض ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتى على يوم لأزداد فيه علما يقرّني إلى الله عز وجل فلا يورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي ^(٨) » فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حظّ رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يتجاوز عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ^(١٠) » فأعظم بمرتبة هي نال النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه ^(١١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه ^(١٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة ^(١٣) » وقال

وخفايا الورع في جاريها
وهي عملا يستغنى للتدين
عنها . وأما ربيع
المهلكات فأذكر فيه
كل خلق مذموم ورد
القرآن باماطته وتركه
النفس عنه وتطهير
القلب منه وأذكر في كل
واحد من هذه الأخلاق
حدّه وحقيقته ثم سببه
الذي منه يتولد ثم
الآفات التي عليها يترتب
ثم العلامات التي بها
يتعرف ثم طرق
المعالجة التي منها يتخلص
كل ذلك مقرونا بشواهد
من الآيات والأخبار
والآثار . وأما ربيع
المنجيات فأذكر فيه
كل خلق محمود وخصلة
مرغوب فيها من خصال
المقربين والصديقين
التي يتقرب بها العبد
من رب العالمين
وأذكر في كل خصلة
حدها وحقيقتها وسببها
الذي به تتجلب وتثمرها
التي منها تستفاد
وعلامتها التي بها تعرف
وفضيلتها التي لأجلها
فيها يرغب مع ما ورد
فيها من شواهد الشرع

(١) حديث من حفظ على أمي أر بعين حديثنا من السنة حتى يؤذيها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٢) حديث من حمل من أمي أر بعين حديثنا لقي الله يوم القيامة فقيها عالما ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٣) حديث من تفقه في دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب في التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي بأسناد ضعيف (٤) حديث أوحى الله إلى إبراهيم يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم أظفر له بأسناد (٥) حديث العالم أمين الله في الأرض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث صنفان من أمي إذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٧) حديث إذا أتى على يوم لأزداد فيه علما يقرّني إلى الله عز وجل قاله الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة بأسناد ضعيف (٨) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح (٩) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم (١٠) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بأسناد ضعيف (١١) حديث ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين الحديث الطبراني في الأوسط وأبو بكر الآجري في كتاب فضل العلم وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف فقه أشد على الشيطان من ألف عابد (١٢) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشرط الأول عند أحمد من حديث مجن بن الأدرع بأسناد جيد والشرط الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١٣) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة

صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحت في زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خبر من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خبر من العمل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد الضمر سبعين سنة (٢) » وقيل يارسول الله « أى الأعمال أفضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل أى العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم العلم بالله سبحانه فقيل له نسأل عن العمل وتجب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إنى لم أضع علمى فيكم إلا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لأعداء بكم اذهبوا فقد غفرت لكم (٤) » نسأل الله حسن الخاتمة . وأما الآثار فقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكتيل يا كتيل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق . وقال على أيضا رضى الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذامات العالم تلم في الاسلام ثلثة لا يستها إلا خلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نظما :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففر بعلم تعش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شئ أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملوك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه ، وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنامنه ولا ليجامع فان أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى » وقال فتح الموصلى رحمه الله أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا فإذا حط

ابن عدى من حديث أبى هريرة بأسناد ضعيف ولأبى يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف (١) حديث إنكم أصبحت في زمان كثير فقهاؤه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف (٢) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبى هريرة (٣) حديث قيل له يارسول الله أى الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبراني من حديث أبى موسى بسند ضعيف

والمقل

(المقصد في فضل

الكتاب المشار إليه

وبعض المدائح والثناء

من الأكابر عليه

والجواب عما استشكل

منه وطعن بسببه فيه)

اعلم أن فضائل الأحياء

لا تنحصر بل كل فضيلة

له باعتبار حيثياتها

لا تستقصى جمع الناس

منافسه فقصوروا

وماتصروا وغاب عنهم

أكثر مما أبصروا

وعز من أفردتها فيها

علت بتأليف وهي

جديرة بالتصنيف

خاص مؤلفه رضى الله

عنه في بحار الحقائق

واستخرج جواهر

المعاني ثم لم يرض

إلا بكبارها وجلال في

بساتين العلوم فاجتنى

ثمارها بعد أن اقتطف

من أزهارها وسما إلى

سماء المعاني فلم يصطف

من كواكبها إلا السيارة

وجليت غلبه عرائس

أمرار المعاني فلم ترق

في عينه منهن إلا بادية

النضلة جمع رضى الله

عنه فأوحى وسى في

إحياء علوم الدين

الموت عنه أعظم الدنيا أحسن بهلاكه وتحسّر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الأمن من خوفه واليقين من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف فتعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ويرفعه موت رواته فولدني نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يعظمهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى من إحيائها وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن في قوله تعالى - ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - إن الحسن في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتضي قال الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل أراد بفرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجما اتخذها الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار. وقال الشافعي رحمه الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن الله سبحانه رداء فمن طلب بابا من العلم رداء الله عز وجل بردائه فإن أذنبت ذنبا استغفرت ثلاث مرات ثلاثا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالج ذل مصيره وقال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاى بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي شيء أحترفت فاحترفت بالعلم فأتيت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائرا فلم أذن له وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلى أبي بالعراق عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا. وحكي ذلك في وصايا القمان لابنه قال يابن جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله سبحانه يحبي القلوب بنور الحكمة كما يحبي الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره. وقال الزهري رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال.

فضيلة التعلم

أما الآيات فقوله تعالى - فاولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين - وقوله عز وجل - فاسألوا أهل الدين إن كنتم لا تعلمون - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «باب من العلم يتعلمه الرجل خيره من الدنيا وما فيها» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «اطلبوا العلم ولو بالصين» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «طلب العلم فريضة على كل مسلم»

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تغدو فتتعلم بابا من الخير خير من أن تصلي مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذلك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خيره من الدنيا ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصري ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خيره من مائة ركعة رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث أبي ذر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالصين ابن عدي والبيهقي في المدخل والشعب من حديث أنس وقال البيهقي متنه مشهور وأسانيده ضعيفة.

فشكر الله له ذلك

المسي فلله دره من عالم
محقق مجيد وإمام جامع
لشئنا الفضائل محرز
فريد لقد أبدع فيها
أودع كتابه من
الفوائد الشوارد وقد
أعرب فيها أعرب فيه
من الأمثلة والشواهد
وقد أجاد فيها أجاد فيه
وأملى يبدأنه في العلوم
صاحب القدر المعلى
إذ كان رضي الله عنه
من أسرار العلوم بمحل
لا يدرك وأين مثله
وأصله وأصله فضله فضله:
هيئات لا يأتى الزمان

بمثله

إن الزمان بمثله لشحيح
وما عسيت أن أقول
فيمن جمع أطراف
الحاسن ونظم أشنات
الفضائل وأخذ برقاب
الحامد واستولى على
غايات المناقب فشجرت
في فوارى العلم والعمل
والعلا والفهم والدكاء
أصلها ثابت وفرعها
في السماء مع كونه
رضي الله عنه ذا الصدر
الرحيب والقرينة
الثابتة والدرية الصائبة

وقال عليه الصلاة والسلام « العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والسميع والمجيب » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه » (٢) وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة » فعيل يارسول الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن إلا بالعلم (٣) . وقال عليه الصلاة والسلام « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فينته وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة » (٤) . وأما الآثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك طالبا فعززت مطوبا وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثلاً من عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعو نفسه إلى مكرمة . وقال بعض الحكماء إنني لأرحم رجلا كرحمتي لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهمه ورجل يفهم العلم ولا يطلبه . وقال أبو البرداء رضي الله عنه لأن أعلم مسألة أحب إليّ من قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع قهلك . وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال يا هذا ما الذي قت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو البرداء رضي الله عنه من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهد فقد نقص في رأيه وعقله .

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل - ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه - وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى - وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون - وهو تحريم للاكتفاء كما قال تعالى في الشهادة - ومن يكتمها فإنه آثم قلبه - وقال صلى الله عليه وسلم « ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه » (٥) وقال تعالى - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا - وقال تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - وقال تعالى - ويعلمهم الكتاب والحكمة - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « لما بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » (٦)

- (١) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا بإسناد ضعيف
- (٢) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف
- (٣) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر
- (٤) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمي وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن فقيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون مرسل
- (٥) حديث ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلفيات نحوه من حديث أبي هريرة
- (٦) حديث قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم

وقال

والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله عليه أن الفقيه العلامة قطب الدين اسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليافعي عن تصانيف الغزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الغزالي - بيد المصنفين وذكر اليافعي أيضا أن الشيخ الامام الكبير أبا الحسن علي بن حزم الفقيه المشهور المغربي كان بالغ في الانكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الأحياء وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فاذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والامام الغزالي قائم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا » (١) وقال عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وحمل وعلم فذلك يدمى عظميا في ملكوت السموات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا واجاهدوا فيقول الله عز وجل أأنتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » (٢) وهذا إنما يكون العلم المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذى لا يتعدى . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بجماعه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن سئلوا أفنوا بغير علم فيضلون ويضلون » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من علم علما فكتمه ألجأه الله يوم القيامة بلجام من نار » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما وآله أو معلما أو متعلما » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه قبله » (٨) وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة » (٩) « وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما ثم عدل إليهم وجلس معهم » (١٠)

أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعلى (١) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله ابن عمرو (٤) حديث من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم ومصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن (٥) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها الحديث الطبراني من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف (٦) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حسن غريب (٧) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح (٨) حديث ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسل نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيد هدى أو تزده عن ردى (٩) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسل نحوه وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة (١٠) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف .

فلما أقبل ابن حزم قال الغزالي هذا خصمى يا رسول الله فإن كان الأمر كما زعمت بيت إلى الله وإن كان شيئا حصل لي من بركتك واتباع سنتك نغذى حتى من خصمى ثم ناول النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الإحياء فتصفحه النبي صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال والله إن هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضى الله عنه فنظر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذى بعثك بالحق إنه لشيء حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضى الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه على ابن حزم عن القميص وأن يضرب ويحد حد المفترى فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضى الله عنه وقال يا رسول الله لعله ظن خلاف سنتك

الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوعد وبه يوحد وبه يجمع وبه يتوحد وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

في الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ومالم تفهم الفضيلة في نفس ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الحصول فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداً حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة فإذا شارك شيئان في أمر واختص أحدهما بما يزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسبعة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليست من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لعنايه وصفاته لجسمه فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الإطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعاً فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدرامم والدنانير فانهما حيران لا منفعة لهما ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات لهما لكانا والحصياء بمثابة واحدة والذي يطالب لذاته بالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكس سلامة البدن فان سلامة الرجل مثلاً مطلوب به من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للشيء بها والتوصل إلى السأرب والحاجات وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذياً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف عمرته وقد عرفت أن ثمره العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملائكة الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعلم والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حق إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتميز الإنسان بكمال مجاوز لمرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقاً ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتفاوت لفاعلة فضائلها وتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا متردعة للآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلاً لمن يتخذها مستقراً ووطننا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام: أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للطعم والحياكة وهي لللبس والبناء

البشاذي عن شيخه
الشيخ الكبير العارف
بالله ياقوت الشاذلي عن
شيخه الشيخ الكبير
العارف بالله أبي العباس
المرسي عن شيخه الشيخ
الكبير شيخ الشيوخ
أبي الحسن الشاذلي
قدس الله أرواحهم
وكان معاصراً لابن
حرزم قال وقال الشيخ
أبو الحسن الشاذلي
ولقد مات الشيخ
أبو الحسن بن حرزم
رحمه الله يوم مات وأثر
السياط ظاهر على ظهره
وقال الحافظ ابن عساكر
رحمه الله وكان أدرك
الإمام الغزالي واجتمع
به قال سمعت الإمام
الفتية الصوفي سعد بن
علي بن أبي هريرة
الاسفرايني يقول سمعت
الشيخ الإمام الأوحى
زين القراء جمال
الحرم أبا الفتح الشاوي
بمكة المشرفة يقول
دخلت المسجد الحرام
يوماً فطراً على حال
وأخذني عن نفسي
فلم أقدر أن أقف
ولا أجلس لشدة ما بي

وهو للسكن والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها . الثاني ما هي مهينة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحداثة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلابة والنزل فانها تخدم الحياة باعداد عملها . الثالث ما هي متممة للأصول ومزينة كالطحن والحيز للزراعة وكالقنطرة والحياطة للحياة وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملة فانها ثلاثة أضرب إما أصول كالقلب والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناعات والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجى في الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهي العلية السياسية الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهريهم وباطنيهم . والثانية الخلفاء والملوك والسلطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهريهم لا على باطنيهم . والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالانزاع والمنع والشرع . والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق الحمودة السعيدة وهو المراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور : إما بالاتفات إلى الفريضة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ عمل أحدهما الذهب وعمل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكامل العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كجسائتي بيانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستتراب فيه فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جسس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والعلم مشغول بتكليه وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله تعالى وهو من أجل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته فهو كالحازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الانفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تفريرهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

الباب الثاني : في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة بيان العلم الذي هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «اطلبوا العلم ولو بالصين» واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم ففرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله

سبحانه

فوقعت على جنبي الأيمن
تجاه الكعبة العظيمة
وأنا على منارة وكنت
أطرد عن نفسي
النوم فأخذتني سنة
بين النوم واليقظة
فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم في أكل
صورة وأحسن زى
من القميص والعمامة
ورأيت الأئمة الشافى
ومالكا وأبا حنيفة
وأحمد رحمهم الله
يمرضون عليه مفاهيمهم
واحدا بعد واحد
وهو صلى الله عليه
وسلم يقرهم عليهم جاء
شخص من رؤساء
المتدعة ليدخل الحلقة
فأمر النبي صلى الله
عليه وسلم بطرده
وإهاتته فتفقت أنا
وقلت يا رسول الله
هكذا الكتاب أعفى
إحياء علوم الدين
معتقدي ومعتقد أهل
السنة والجماعة فلو
أذنت لي حتى أقرأه
عليك فأذن لي
نقرات عليه من
كتاب قواعد العقائد
بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحلّ وعسوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة ، وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز الملة الملك من ملة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومهم . وقال أبو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله (١) » إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب . والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنده وهو أن العلم كافةً منه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السنّ ضحوة نهار مثلاً فأول واجب عليه تعلم كلتي الشهادة وفهم معناها وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفي أن يصدق به ويعتقده جزاً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسمع من غير بحث ولا برهان « إذا اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل (٢) » فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم السكمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له ولم يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد . أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت واشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والامساك عن الأكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتمدد إلى رؤية الهلال أو شاهدين فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فإن لم يملك إلا الأبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الأبل وكذلك في سائر الأصناف فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور . ولكن ينبغي لعلماء الاسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضاً نفل فلا يكون تعلمه فرض عين

الباب الثاني

(١) حديث بنى الاسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل، مشهور في كتب السير والحديث فعند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

كتاب قواعد العقائد
وفيه أربعة فصول
الفصل الأول في ترجمة
عقيدة أهل السنة
حتى انتهت إلى قول
الغزالي وأنه تعالى
بعث النبي الأئمة
القرشي محمد صلى
الله عليه وسلم إلى
كافة العرب والعجم
والجن والإنس فأرأيت
البشارة في وجهه
صلى الله عليه وسلم
ثم التفت وقال أين
الغزالي وإذا بالغزالي
واقف بين يديه فقال
ها أنا ذا يا رسول الله
وتقدم وسلم فردّ عليه
السلام عليه الصلاة
والسلام وناولته يده
الكريمة فأكبّ
عليها الغزالي يقبلها
ويتبرك بها وما رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم
أشدّ سروراً بقراءة
أحد عليه مثل ما كان
بقراءة في عليه الأحياء
ثم انتهت والسمع يجري
من عيني من أثر تلك
الأحوال والكرامات
وكان تقريره صلى الله
عليه وسلم لهذا

وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدرج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأمي تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كالموكلان عند الإسلام لا بسا للحرير أو جالساً في النصب أو ناظراً إلى غير ذي محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابساً له ولكنه يصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه . وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كالتنبيه فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعاً ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصاب في أول بلوغه عنها بتلقين الحق فإنه لو ألقى إليه الباطل لوجب إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولاة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربح المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه . وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سذكركه من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وأكثر ما ذكرناه في ربح المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني . وبما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تمة كفاية الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولاً ينبئ أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار فإذا انتهت لهذا التدرج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجارى أحواله في يومه وليلته لا يتخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرف بالآلف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدرج ووقت وجوبه والله أعلم .

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف .

السنة واستبشاره بعقيدة النزيلى وقرير هانعة من الله عظيمة ومنه جسيمة فسأل الله تعالى أن يحينا على سنته ويتوفانا على ملته آمين (فصل) أننى على الأحياء عالم من علماء الإسلام وغير واحد من عارفى الأنام بل جمع أقطاب وأفراد قال فيه الحافظ الإمام الفقيه أبو الفضل العراقي في تحريجه إنه من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام جمع فيه بين ظواهر الأحكام ونزع إلى سرائر دقت عن الأفهام لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل ولم يتبحر في اللجة بحيث يتعذر الرجوع إلى الساحل بل مزج فيه علمى الظاهر والباطن ومزج معانيها في أحسن المواطن وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه وسلك فيه من النمط أوسطه مقتدياً بقول على كرم الله وجهه

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفرضية . أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد ممن يقوم بها خرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالزراعة والحياكة والسياسة بل الحجامة والحياطة فإنه لو خلا البلد من الحجامة تسارع المهلك إليهم وخرجوا بتعرضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بأهله . وأما ما بعد فضيلة لأخرى فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في التندر المحتاج إليه وأما المذموم منه فعمل السحر والطلسمات وعلم الشعبة والتليسات . وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا تسخف فيها وتوارى في الأخبار وما يجري مجراه . وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان : فهي محدودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتتنقسم إلى المحمودة والمذمومة . أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومنتهيات وهي أربعة أضرب : الضرب الأول الأصول : وهي أربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة والاجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثالثة وكذا الأثر فإنه أيضا يدل على السنة لأن الصحابة رضی الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانهم وربما لاحظوا العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق ببيان هذا الفرق . الضرب الثاني الفروع : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فانتفع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام «لا يقضى القاضي وهو غضبان» (١) أنه لا يقضى إذا كان حاقنا أو جاثعا أو متألما بمرض وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . والضرب الثالث المقدمات : وهي التي تجرى منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا

(١) حديث لا يقضى القاضي وهو غضبان متفق عليه من حديث أبي بكر .

خير هذه الأمة الخط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم العالي إلى آخر ما ذكره مما الأولى بنا في هذا المجال طيه ثم الانتقال إلى نشر محاسن الأحياء ليظهر للعب والبغض رشده وغيه . وقال عبد الغافر الفارسي في مثال الأحياء إنه من تصانيفه المشهورة التي لم يسبق إليها . وقال فيه النووي كاد الأحياء أن يكون قرآنا . وقال الشيخ أبو محمد الكازروني لو بحث جميع العلوم لاستخرجت من الأحياء . وقال بعض علماء المالكية الناس في فضل علوم الغزالي أي والأحياء جماعها كما سيأتي أنه البحر المحيط . وكان السيد الجليل كبير الشأن تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه نقلا وروى عنه أنه قال مكثت سنين أطالع

«إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً^(١)» ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار يحكم العجز في الغالب ضرورياً. الضرب الرابع للتممات: وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كال تفسير فإن اعتاده أيضاً على النقل إذ اللغة بمجرد تداولها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة النسخ والنسوخ والعلم والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضاً. وأما التتمات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم لتمييز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم لتمييز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محودة بل كلها من فروض الكفايات. فإن قلت لم ألحق الفقه بعلم الدنيا وألحق الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للعاد ليتناول منها ما يصلح للترؤد فلو تناولوها بالعدل لا تقطعت الحوصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الحوصومات فحست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا ولعمري إنه متعلق أيضاً بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا من رعية الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وملاصله فهجوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكأن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على مالا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم إلا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى مسندنا «لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف^(٢)» فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرها وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حق كأن يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سألوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال. فإن قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الحوصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً: أي لا يحسن الكتابة ابن مردويه في التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة وابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي وصححه من حديث بن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وللبخاري من حديث البراء وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب (٢) حديث لا يفتي الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس وإسناده حسن.

كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعادوه وآدبره فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفاهيم غزيرة غير التي قبلها ولم يسبقه أحد ولم يلحقه أحد أننى على كتاب الاحياء بما أتى عليه ودعا الناس بقوله وفعله إليه وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه ومن كلامه رضى الله عنه: عليكم بالإخواني بتأبسة الكتاب والسنة أعنى الشريعة المشروحة في الكتب الغزالية خصوصاً كتاب ذكر الموت وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس ومن كلامه: عليكم بالكتاب والسنة أولاً وآخرها وظاهرها وباطنها وفكرها واعتبارها واعتقادها وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله ونفعنا به ومن كلامه وبعد فليس لنا طريق ومنهاج

سوى الكتاب والسنة
وقد شرح ذلك كله
سيد المصنفين وبقية
المجتهدين حجة الاسلام
الغزالي في كتابه العظيم
الشان الملقب أعجوبة
الزمان إحياء علوم
الدين الذى هو عبارة
عن شرح الكتاب
والسنة والطريقة
ومن كلامه عليكم
بملازمة كتاب إحياء
علوم الدين فهو موضع
نظر الله وموضع رضا
الله فمن أحبه وطالعه
وعمل بما فيه فقد
استوجب محبة الله
ومحبة رسول الله ومحبة
ملائكة الله وأتبيائه
وأوليائه وجمع بين
الشريعة والطريقة
والحقيقة فى الدنيا
والآخرة وصار عالما
فى الملك والملكوت .
ومن كلامه الوجيز
العزير لوبعث الله الموتى
لما أوصوا الأحياء .
إلا بما فى الإحياء .
ومن كلامه أعلموا أن
مطالعة الأحياء تحضر
القلب الغافل فى لحظة
كحضور سواد الحبر
بوقوع الزنج فى
العصف والماء وتأثير

فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر . أما
الاسلام فيتكلم الفقيه بما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب
فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال «هلا
شقت عن قلبه» (١) للذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم
الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه
غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله
وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادام له رقية ومال وذلك فى الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم» (٢) جعل أثر
ذلك فى الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك
من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كالوخاض فى الكلام والطب وكان خارجا عن فنه . وأما الصلاة
فالفقيه يفتى بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلا فى جميع صلاته من أولها إلى
آخرها مشغولا بالتفكير فى حساب معاملاته فى السوق لإلغائه التكبير وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كما
أن القول باللسان فى الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة أى أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر
واقطع به عنه القتل والتعزير إذا ما خشع وإحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر
لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه . وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة
السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان تهرأ حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف
القاضى كان يهب ماله لزوجه آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطا للزكاة فحكى ذلك لأبى حنيفة رحمه
الله فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرت فى الآخرة أعظم من كل جناية
ومثل هذا هو العلم الضار . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع
مراتب : الأولى الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة وهو الذى يخرج بتركه الانسان عن أهلية
الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع الصالحين وهو التوقى من
الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» (٣) وقال صلى
الله عليه وسلم «الائم حراز القلوب» (٤) . الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه
أداؤه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم «لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة بمابه
بأس» (٥) وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورع عن
أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى إلى مقارفة المحظورات . الرابعة ورع
الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة
قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن
نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاء وما يقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الاثم فى
(١) حديث هلا شقت عن قلبه مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وعمر بن عمر (٣) حديث دع
ما يريبك إلى ما لا يريبك الترمذى وصححه والنسائى وابن حبان من حديث الحسن بن على (٤) حديث
الائم حراز القلوب البيهقى فى شعب الإيمان من حديث ابن مسعود ورواه العدنى فى مسنده موقوفا
عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث الترمذى وحسنه
وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدى .

الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابسة «استفت قلبك وإن أتوك وإن أتوك» (١) والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذن جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكادخل الحكمة في النحو والشعر. وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظاهر واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو عجنون وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال . فإن قلت لم سويت (٢) بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صفة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين . فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : أحدها أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع . والثاني أنه لا يستغنى عنه أحد من سالكي طريق الآخرة ألينة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون . والثالث : أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق الحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس ينجي اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فمنشؤها صفاء في المزاج والأخلاق وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة . فإن قلت فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجعه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه قسبان : علم مكاشفة وعلم معاملة . فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأذى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة أكبر . وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يدوق منه شيئا وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والمقرّبين أعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتركيبته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجمة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والني ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشیاطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشیاطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - ومعنى قوله تعالى - وإن الدار الآخرة لحي الحيوان

(١) حديث استفت قلبك وإن أتوك أحمد من حديث وابسة .

(٢) هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل باقى كلامه فتأمل اه مصححه .

كتب الغزالي واضح ظاهر مجرب عند كل مؤمن ومن كلامه أجمع العلماء العارفون بالله على أنه لا شيء أنفع للقلب وأقرب إلى رضا الرب من متابعة حجة الاسلام الغزالي ومحبة كتبه فإن كتب الامام الغزالي لباب الكتاب والسنة ولباب المعقول والمنقول والله وكيل على ما أقول . ومن كلامه أنا أشهد سرا وعلانية أن من طالع كتاب إحياء علوم الدين فهو من المهتدين . ومن كلامه من أراد طريق الله وطريق العارفين بالله وطريق العلماء بالله أهل الظاهر والباطن فعليه بمطالعة كتب الغزالي خصوصا إحياء علوم الدين فهو البحر المحيط . ومن كلامه اشهدوا على أن من وقع على كتب الغزالي فقد وقع على عين الشريعة والطريقة والحقيقة . ومن كلامه من أراد طريق الله ورسوله ورضاها فعليه

بمطالعة كتب الغزالي
وخصوصا البحر المحيط
إحياءه أعجوبة الزمان
ومن كلامه نطق
معاني معنوى القرآن
ولسان حال قلب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقلوب
الرسول والأنبياء وجميع
العلماء بالله وجميع
العلماء بأمر الله الأتقياء
بل جميع أرواح
الملائكة بل جميع فرق
الصوفية مثل العارفين
والملازمة بل جميع
سرحقائق الكائنات
والمعقولات وما يناسب
رضا الذات والصفات
أجمع هؤلاء المذكورون
أن لا شيء أرفع وأنفع
وأبهى وأبهج وأبقى
وأقرب إلى رضا الرب
كاتبه الغزالي ومحبته
كتبه وكتب الغزالي
قلب الكتاب والسنة
بل قلب العقول
والمقول وأنفع يوم
ينفخ إسرافيل في
الصور وفي يوم نقر
الناقور والله وحكي
على ما أقول وما الحياة
الدنيا إلا متاع الغرور
ومن كلامه كتب
إحياء علوم الدين فيه

لو كانوا يعلمون - ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملا الأعلى ومقارنة الملائكة والنبين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كإبرى الكوكب الدرى في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى أمورا عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعنى بعلم المكشوفة أن يرتفع العطاء حتى تتضح له جليلة الحق في هذه الأمور اتضاحا يجرى مجرى البيان الذى لا يشك فيه وهذا يمكن في جوهر الانسان لولا أن امرأة القلب قد تراكم صدوها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصفيل هذه المرأة عن هذه الحباث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإعماص صفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلأأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها والعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار وهذا العلم الخفى الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يجبهه إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا علما أتاه الله تعالى علما منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ أتاه إياه (١)». وأما القسم الثانى : وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب . أما ما يحمدها منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهو والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنه لله تعالى في جميع الأحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ، فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة . وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلق وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرياسة والبذخ والأشر والبطور وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداينة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الحشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الدل وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر والأمن من مكر الله سبحانه في سلب ما أعطى والانكسار على الطاعة والمكر والحيلة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالخلق والمخلوطين والوحشة لفراقهم والحفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة . وأضدادها وهي الأخلاق المحمودة منبع (١) حديث إن من العلم كهيئة المكنون الحديث أبو عبد الرحمن السامى في الأر بعين له في التصوف من حديث أبى هريرة بأسناد ضعيف .

الطاعات والقربات فالعلم محدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها ونماذجها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة فالعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة ولو لم يفتيهم عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في إهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتيج لم تخل البلد عنهم يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا وفي حفظه ودرسه ويفعل عما هو مهم نفسه في الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ولبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفتن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكأن من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا ترى أحدا يشتغل به ويتهاون على علم الفقه لاسيما الخلافات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء هيئات هيئات قد اندرس علم الدين بتلبس العلماء السوء بالله تعالى المستعان وإليه الملاذ في أن يعيدنا من هذا الغرور الذي يسهط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب . كان الامام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول إن هذا وفق لما أغفلناه . وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلة ما كانا يسألانه وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما قيل له كيف تفعل إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه شوري بينهم (١) » ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت . وقال الجنيد رحمه الله قال لي السري شيعي يوما إذا قلت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على المتكلمين ثم لما ولّيت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوّف أفلح ومن تصوّف قبل العلم خاطر بنفسه . فإن قلت فلم لم يورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان . فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه عام الكلام من الأدلة التي ينتفع بها القرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذكومة وهي من البدع كاسيأتي بيانه وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدرى بها الطبائع وتبجها الأسماع وبعضها خوض فيها لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلمة من البدع ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبتت جماعة لفقوا لها شبرا ورتبوا فيها

(١) حديث قيل له كيف تفعل إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب ولا سنة رسول الحديث الطبراني من حديث ابن عباس فيه عبدالله بن كيسان ضعفه الجمهور .

جميع الأسرار وكتاب بداية المهداية فيه التقوى وكتاب الأربيعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق إلى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه النور . ومن كلامه السرّ كله في اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين المسمى أعجوبة الزمان . ومن كلامه بخ بخ لمن طالع إحياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه ، وكلامه رضي الله عنه في تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الإمام الغزالي وكتبه والحث على العمل بها خصوصا إحياء علوم الدين ، وقد كان سيدي ووالدي الشيخ العارف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله العبدروس رضي الله عنه يقول إن أهل الزمان جمعت كلام الشيخ

عبد الله في الغزالي
وسميته [الجوهري
التلالي] خصوصاً من
كلام الشيخ عبد الله
في الغزالي فلم يتيسر
له وأرجو أن يوفقني
الله لذلك تحقيقاً لرغائه
ورجاء أن يتناولني
دعاء الشيخ عبد الله
رضي الله عنه فإنه قال
غفر الله لمن يكتب
كلامي في الغزالي
وناهيك بشارفة هذه
العبارة السقي برزت
من ولي عارف وقطب
مكاشف لا يحازف في
مقال ولا ينطق إلا عن
حال وفي هذا من
الشرف للغزالي وكتبته
ما لا يحتاج معه إلى
مزيد - إن في ذلك
لذكرى لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو
شاهد - فإن العظيم
لا يعظم في عينه
إلا عظيم ولا يعرف
الفضل لأهل الفضل
إلا أهل الفضل وإذا
تصدى العبدروس
لتعريفه فقد أغنى
تعريفه عن كل
تعريف ووصف
والشهادة منه خير
من شهادة ألف ألف

كلما مؤلفاً فصار ذلك المذخور بحكم الضرورة مأذوناً فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر
الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي
هذا إن شاء الله تعالى . وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء : أحدها الهندسة
والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يجمع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة
فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضعيف عنهما لئلا ينعينهما كما يصان الصبي
عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار
خوفاً عليه مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم . الثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه
ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام . والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه
وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضاً والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنحط آخر من العلم بل انفردوا
بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين
وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة . والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف
للشرع والدين الحق فهو جهل وليس يعلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام
وخواصها وكيفية استحداثها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الانسان
على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرّك
ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها فاذن الكلام صار
من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخبيلات المبتدعة ولئلا يحدث ذلك
بحدوث البدع كما حدثت حاجة الانسان إلى استئجار البذرقة في طريق الحج بمحدث ظلم العرب وقطعهم
الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج لذلك لو ترك
المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم فليعلم المتكلم حدّه
من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فإذا تجرّد الحارس للحراسة لم يكن من جملة
الحاج والمتكلم إذا تجرّد للنظر والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه
لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام
وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان ولئلا يميز عن العوام بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله
تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون
الكلام حجاباً عليه وما نأمنه عنه ولئلا الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية
حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين - فإن قلت فقد رددت
حدّ المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما أن حد البذرقة حراسة أقنشة الحجيج
عن نهب العرب ورددت حدّ الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شرّ بعض أهل
العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة المشهورون بالفضل
هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة
بالإضافة إلى علم الدين ، فأعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فأعرف الحق
تعرف لعله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات
الفضل بين الناس فلا تنفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الدين عرضت بذكرهم على تقدّمهم
وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشقّ غبارهم ولم يكن تقدّمهم بالكلام والفقّه بل يعلم الآخرة
وسلوك طريقها ، وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا تقوى

ولا كلام ولكن بشئ* وقر في صدره^(١) كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر* فهو الجوهر النفيس والدرر المكنون ودع عنك ما نطابق أ كثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعها في عنقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفيما جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بجوت عمر تسعة أعشاره وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب صيفا بالدرة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شئ وما ينال به الشهرة عند الناس شئ آخر فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذى وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الحياء والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولا رادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فإن كل علم عمل فإنه فعل مكتسب وليس كل عمل علماً والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثاباً على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضياً عند الله سبحانه ومثاباً لامن حيث إنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه . وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلاً وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعاً فانظر إلى نفسك أنك تكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو في حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل :
خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الدين اتحلوا مذاهبهم ظاهروهم وأنهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فأنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهده من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه في باب علامات علماء الآخرة فأنهم ما كانوا متجربين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولا حاجة إلى

(١) حديث : ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث : الترمذى الحكيم في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزنى ولم أجده مرفوعاً

وحصل من الأحياء في زمانه بسببه نسخ عديدة حتى إن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ علياً قراءته فقرأ عليه مدة حياته خمساً وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريفين إن الشيخ علياً ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فحتمه عليه أيضاً خمساً وعشرين مرة وكان ولده سيدى الشيخ أبو بكر العيدروس صاحب عدن ألزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شئ* منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لا أترك تحصيل الأحياء أبداً ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ . قلت وكذلك كان سيدى الشيخ الوالد شيخ ابن عبد الله ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضى الله

ذكرها . ونحن الآن نذكر من أقوال فقهاء الاسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعنى الذين أكثر أتباعهم في المذاهب خمسة : الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا عالما بعالم بالآخره وفقها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقته وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جعلتها على خصلة واحدة وهي التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه لأن الحاصل الأربع لاتصلح إلا للآخره وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخره قل صلاحها للدنيا ثمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الحاصل الأربع فإن معرفتهم بآل فقه ظاهرة . أما الامام الشافعي رحمه الله تعالى فبذل على أنه كان عابدا ماروى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم . قال الربيع كان الشافعي رحمه الله يتختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة . وكان البويطي أحد أصحابه يتختم القرآن في رمضان في كل يوم مرة . وقال الحسن الكرايسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فأرأته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فأنه آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع السامعين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأعاجيل الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصره على خمسين آية على تبحره في أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شيعت منذ ست عشرة سنة لأن الشيع يشغل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويحجب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشيع ثم في جدته في العبادة إذ طرح الشيع لأجلها ورأس التعب وتقليل الطعام . وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لأصادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمة وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بحلال الله سبحانه وسئل الشافعي رضى الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حق أدري الفضل في سكوتي أوفى جوابي فانظر في مراقبته لسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفنه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا وقال تزهوا أسماكم عن استماع الحنا كما تزهون ألسنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل وإن السفينه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولوردت كلمة السفينه لسعد رادها كما شقي بها قائلها . وقال الشافعي رضى الله عنه كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقي في الظلمة يوم يسمى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب . وقال الحميدى خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضر به خباء في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه فابرح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامي مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان إليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاوة لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخره

منه مدمن على مطالعته وحصل منه نسخا عديدة نحو السبع وأمر بقراءته عليه غير مرة وكان يعمل في ختمه ضيافة عامة فلأزمته ميراث عيديروسي وتوفيق قدوسي فمن وفقه الله لأمثاله والعمل بما فيه واستعماله بلغ الرتبة العليا وحاز شرف الآخره والدنيا وقال السيد الكبير العارف بالله الشهير على بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقا ف لو قلب أوراق الاحياء كافر لأسلم فقيه مر خفي يجذب القلوب شبه المغناطيس قلت وهو صحيح فاني مع خسيس قصدي وقساوة قلبي أجد عند مطالعتي له من انبعاث الهمة وعزوف النفس عن الدنيا ما لا مزيد عليه ثم يفتر برجوعي إلى ما أنا فيه ومخالطة أهل الكشافات ولا أجد ذلك عند مطالعة غيره من كتب الوعظ والرائق وما ذاك إلا لشدة أودعه الله فيه

ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثاً في الرقائق فثنى على الشافعي فقبل له قد مات فقال إن مات فقد مات أفضل زمانه وماروى عبد الله بن محمد البلوى قال كنت أنا وحمير بن نباتة جلوساً تذاكر العباد والزهاد فقال لى عمر ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن اهريس الشافعي رضى الله عنه خرجت أنا وهو والحارث بن لبید إلى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المرى فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الآية عليه - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فأرأيت الشافعي رحمه الله وقد تغير لونه واقتصر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين . اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين إلهى هب لى جودك وجلالى بسترى واعف عن تقصيرى بكرم وجهك قال ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أنوضاً للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة فالتفت فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره فالتفت إلى فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى عما علمك الله شيئاً فقال لى اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من أمر بالمعروف وأمر عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى ألا يزيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهداً وفى الآخرة راغباً وأصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعي فأنظر إلى سقوطه مغشياً عليه ثم إلى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل - فانه - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلو والابجاء وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما . وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه . روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدتها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها ببؤس اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعي رحمه الله تعالى إذا أنت خفت على عملك العجب فأنظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عافية تشكر وأى بلاء تذكر فانك إذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك فأنظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعي رضى الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه . وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال مامن أحد إلا له عب ومبغض فاذا كان كذلك فكأن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً ورعاً وكان يسأل الشافعي رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال للشافعي يوماً أيا أفضل الصبر أو الحنة أو التمسكين فقال الشافعي رحمه الله التمسكين درجة الأنبياء ولا يكون التمسكين إلا بعد الحنة فاذا امتحن صبر وإذا صبرمكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنته وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنته وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنته وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنته وآتاه ملكاً والتمسكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض - وأيوب عليه السلام بعد الحنة العظيمة مكّن قال الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم - الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون الرجل عالماً قال إذا تحقق فى علم فعله وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالماً فانه قيل

ومر نفس مصنفه وحسن قصده والمراد بالكافرها هنا فيما يظهر الجاهل بعيوب النفس المحجوب عن إدراك الحق أى فيمجرد مطالعته للصكتاب المذكور يشرح الله صدره وينور قلبه وذلك لأن الوعظ إذا صدر عن قلب متعظ كان حرياً أن يتعظ به سامعه وكأن الله تعالى جعل لعباده الدين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون رتبة فوق غيرهم كذلك جعل لما يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره لأن ألسنتهم كريمة وأنوار قلوبهم عظيمة ومهمهم عليه وإشاراتهم سنية حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم وللأحاديث بهجة وجلالة زائدة إذا أخذت عنهم وللمواعظ منهم تأثير فى القلوب ظاهر ولعلومهم وفقهم أنوار ونفع متظاهر حتى تجد الرجل له العلم القليل وبعد ذلك ينتفع به كثير لحسن نيته ووجود بركته

وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه في منزلته ومن تأمل ذلك وجدده أمرا ظاهرا معهودا وشيئا مجربا موجودا فانظر إلى نفع الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى والتنبيه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والجلل العربية والإرشاد في علم الكلام وانتشارها مع أن مباحث من العلم في فنونها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أجام هذه الكتب أضعاف ما فيها مع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعاني وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهي أظهر وأشهر لأن العلم بمزيد التقوى وقوة سرايايمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يضعه الله في القلب. قلت وما أنشده الشيخ عني بن أبي بكر رضي الله عنه لنفسه فيه قوله :

لجالينوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمععة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حذته لأن الأفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلى شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزله القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعي رضي الله عنه مناظرت أحدا قط فأجبت أن يخطئ . وقال ما كملت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كملت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه . وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الحصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو نؤير رحمه الله ما رأيت ولا رأي الرايون مثل الشافعي رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعوه وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعوه كل هذا الدعاء فقال أحمد يابني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهديين من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول مامس أحد بيده بحبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووقفه للسداد فيه ولتقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين . وأما الامام مالك رضي الله عنه فانه كان أيضا متحليا بهذه الحصال الخمس فانه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمشي فالزمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان إذا أراد أن يحدث تواضعا وجلس على صدر فراشه وسرجه لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقليل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدل في الدين ليس بشيء . ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله إني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمع نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد آمن علي من مالك . وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المسكوك ثم دس عليه من يسأله فروى على ملا من الناس ليس على مستكره طلاق فضر به بالسياط ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا في حديثه ولا يكذب إلا تمتع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم يشفقها فلما أراد الرشيد الشخص قال لمالك رحمه الله

ينبغي أن تخرج معنا فاني عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فسد كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم «اختلاف أمتي رحمة» (١) وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المدينة خيرهم لو كانوا يعلمون» (٢) وقال عليه الصلاة والسلام «المدينة تنفي خبيثها كائني السكير خبث الحديد» (٣) وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعني أنك إنما تنكفي مفارقة المدينة لما اصطنعتك إلى فلا تؤثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لا تنتشر علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقداً للمال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت للمالك رحمه الله ما أحسنه فقال هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله فقلت دع نفسك منها دابة تركها فقال إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فأنظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة. ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاقه للدنيا ما روى أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج فإن أتم عززتموه عز وإن أذلتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت أخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس . وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحيى الليل كله . وروى أنه كان يحيى نصف الليل فمر يوما في طريق فأشار إليه إنسان وهو عشي فقال لآخر هذا هو الذي يحيى الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله وقال أنا أستحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الربيع ابن عاصم قال أرسلني يز يد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراد أن يكون حاكما على بيت المال فأني فضربه عشرين سوطا فأنظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب . قال الحكم بن هشام الثقي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراد السلطان على أن يتولى مفتاح خزائنه أو يضرب ظهره فأختار عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بخذا فيرها ففتر منها . وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم قال فما رضى أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تعشى بثوبه فلم يتسكأ فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زواية البيت (١) حديث اختلاف أمتي رحمة ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده في المدخل من حديث ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمة وإسناده ضعيف (٢) حديث المدينة خيرهم لو كانوا يعلمون متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير (٣) حديث المدينة تنفي خبيثها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

أخي انقبه والزم ساوك
الطرائق
وسارع إلى الولي بجدة
وسابق
أياطالبا شرح الكتاب
وسنة
وقانون قلب القلب بحر
الرفائق
وإيضاح منهج للحقيقة
مشرق
وشرب حميا صفورا ح
الحقائق
وإجلال أذكار المعاني
ضواحا
ببهاج حسن جاذب
للخلائق
عليك بإحياء العاوم
ولها
وأمرها كم قدحوى
من دقائق
وكم من لطيفات لدى
اللب منهل
وكم من مليحات سبت
لب حاذق
كتاب جليل لم يصنف
قبله
ولا بعده مثل له في
الطرائق
فكم من بديع اللفظ
يجلي عرائسا
وكم من شمس في حماء
شوارق
معانيه أصحت كالبدور
سواطعا

على در لفظ المعاني
مطابق
وكم من عز زات زهت
في قبائها
محجة عن غير كف
مسابق
وكم من لطيف مع بديع
وتحفه
حلاوتها كالشهد تحلو
لذائق
بساين عرفان وروض
لطائف
وجنة أنواع العلوم
الفوائق
رعى الله صبارا تعافى
جنانها
يروح ويفدو بين
تلك الحقائق
ويقطف من ذا كي
جناها فوا كها
بساحل بحر الجواهر
دافق
خضم طمى حتى علا
فوق من علا
بشامخ مجد مشرق
بالحقائق
فان لم بهذا القول
تؤمن فخر بن
وأقبل على تلك المعاني
وعانق
وراجع طرفا في بديع
جمالها
ولطف في حماها منشدا
كل سابق

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لا يذم إذا مات ودفنتموني فخذ هذه البذرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمه الله على أيك فلقد كان شحيحا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصلح لهذا فقيل له لم فقال إن كنت صادقا فما أصلح لها وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفة بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيك هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة . وأما الامام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اشتهارها بالورع والزهد أظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه وانظر إلى الدين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا .

الباب الثالث : فيما يعدّه العامة من العلوم المحموده وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها (بيان علة ذم العلم المذموم) لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة الأول : أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين وقد سحر (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه علما مذموما بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حرير إذ أسأل الظالم عن عمله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذ كرموضه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر . الثاني : أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لدائمه إذ هو قسمان : قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل - الشمس والقمر بحسبان - وقال عز وجل - والقمر قدرناه منازل حتى

الباب الثالث

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة .

عاد كالرجون القديم - . والثاني الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ماسيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع . قال صلى الله عليه وسلم «إذا ذكر القادر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا» (١) . وقال صلى الله عليه وسلم «أخاف على أمتي بعدى ثلاثا حيف الأئمة والايان بالنجوم والتكذيب بالقدر» (٢) . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا وإعمازجرعنه من ثلاثة أوجه أحدها : أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سبوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقي القلب ملتفتا إليها ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها وينحى ذكر الله سبحانه عن القلب فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال الخلة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترق في نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر المريد ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم . وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق أحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجعل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لامن حيث إنه علم فلقد كان ذلك معجزة لأدريس عليه السلام فبأيا يحكى وقد أندرسانمحي ذلك العلم وانمحق وما يتفق من إصابة النجم على تدور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة وإن لم يقدر خطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك ور بما يحكى النهار بالشمس وبذهب الغيم ور بما يكون بخلافه وبجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة في الرياح وتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ . ولهذا العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا . وثالثها أنه لا فائدة فيه فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو أنفوس بضاعة الانسان في غير فائدة وذلك غاية الخسران «فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر» (٣) . وقال صلى الله عليه وسلم «إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة» فأذن الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزءاً من مائة إليه وإذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (١) حديث أخاف على أمتي بعدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي محجن (٢) حديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه وفي آخر الحديث : إنما العلم آية محكمة . إلى آخره وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو .

النبوة

ترى في بدور الحى
فما قد بدت
بعالى جمال مدهش
لب عاشق
فكم أنهلت صبا وكم
قشعت عصى
وكم قد سمت في غربها
والمشارق
فيضحي براح الحب
سكران مغرما
أصم عن العذال غير
موافق
ويعسى يناديه طربحا
ببابها
منم عيش في الربوع
تغفوا دق
صلاة على سر الوجود
شقيعنا
محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل السكارم
والعلا
وعترته ووراث عسلم
الحقائق
[فصل] وأما ما أنكر
عليه فيه من مواضع
مشكلة الظاهر وفي
التحقيق لا إشكال أو
أخبار وآثار تكلم
في سندها فأما من
جهة تلك المواضع
فلمن أجاب عنها
المصنف نفسه في كتابه
للسوى (بالأجوبة)
وأسوق لك نبذة من

ذلك هنا قال رحمه الله سألت يسر الله لمراتب العلم تصعد مراقبها وقرب لك مقامات الأولياء محل معاليها عن بعض ما وقع في الاملاء للملقب بالاحياء عما أشكل على من حجب وقصر فهمه ولم يفز بشيء من الحظوظ للملكية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الطعام وأمثال الأنعام واتباع العوام وسفهاء الأحلام وعار أهل الإسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعة وأفتوا بالهوى مجردا على غير بصيرة باطراحه ومناذته ونسبوا عليه إلى ضلال وإضلال ورموا قراءه ومنتحليه بزئج عن الشريعة واختلال إلى أن قال ستكتب شهادتهم ويسألون ويسعلم الدين ظلموا أي منقلب ينقلبون . ثم ذكر آيات أخرى في المعنى ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر المعترضين

النبوة ولا خطر فيه . السبب الثالث : الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كعلم دقيق العلوم قبل جليها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كفة الناس عن البحث عنها وردهم إلى مناطق به الشرع في ذلك مقنع للوقوف فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولولم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فحس الطبيب نبضها . وقال لاحاجة لك إلى دواء الولادة فانك ستموتين إلى أر بعين يوما وقد دلّ النض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنفس عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وقيت لآثا كل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها إلى الطبيب . وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك . قال رأيته سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينهك على استئثار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع (١) » فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بخائعا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابه رضي الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك أي أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه فأى ضرر في التفكير في العلم فإن ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعد ما لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سنتهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضى عقله أن يطلبه حتى ينزله الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انعشاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما أن في خواص الأحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقاها وطهارتها وتركيتها وإصلاحها للترقي إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرفة إليها وإنما كانت التجربة تنطرق إليها لو رجع إلينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلي وعن الأعمال البعده عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم لإلابة والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ نعوذوا وقد تقدم

« إن من العلم جهلا وإن من القول عيا (١) » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم (٢) » وقال عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بثمر وما أكثر النمر وليس كلها بطيب وما أكثر العالوم وليس كلها بنافع .

بيان ما بدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أرادها السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والتصنفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم . اللفظ الأول : الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لابلنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغربية في الفتاوى والوقوف على دقائق علما واستكثر الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدل ذلك عليه قوله عز وجل - ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفرعات الطلاق والعنق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الحشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها - وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى ولعمري إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى - لأتم أشد رهبة في صدورهم من الله الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر أن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء حكماء فقهاء (٣) » الذين وفدوا عليه ، وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمه الله أي أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله تعالى فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه (٤) » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب (٥) » قال فالتفت إلى زيد الرقاشي وزيد

بما يرجع حاصلها إلى الحسد وإلى الجهل وقلة الدين بل أفصح بذلك في الآخر حيث قال حجبوا عن الحقيقة بأربعة : الجهل والاصرار ومحبة الدنيا وإظهار الدعوى ثم بين ماورثوه عن الأربعة المذكورة قال فالجهل أورثهم السخف إلى آخر ما ذكره وأما ما اعترض به من تضمينه أخبارا أو آثارا موضوعة أضعيفة واكثره من الأخبار والآثار والام كثار يتحاشى منه المتورع مثلا يقع في الموضوع . وحاصل ما أجيب به عن الغزالي ومن الجيبين الحافظ العراقي أن أكثر ما ذكره الغزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الأكثر وهو في غاية القلة رواه عن غيره أو تبع فيه غيره متبرئا منه بنحو صيغة روى وأما الاعتراض عليه أن فيما ذكره الضعيف بكثرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر أنه يعمل به في الفضائل

(١) حديث إن من العلم جهلا الحديث أبو داود من حديث بريدة وفي اسناده من يجهل (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجده أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء . وقال العقل بدل العلم ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث علماء حكماء فقهاء أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث بإسناد ضعيف (٤) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث علي . وقال ابن عبد البر أكثرهم يوقفونه عن علي (٥) حديث أنس لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث أبو داود بإسناد حسن

الغيرى وقال لم تكن مجالس الله كمثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان وتدبر القرآن وتنقحه في الدين ونعد نعم الله علينا فنقدها فسمى تدبر القرآن وعدنا نعم تفقها قال صلى الله عليه وسلم «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة» (١) وروى أيضا موقوفا على أنى الدراء رضى الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقنا وقد سأل فرقد السبخى الحسن عن الشيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله تكلمت أمك فرقد وهل رأيت فقيها بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكفاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقبل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستنباع فكان إطلاقهم على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبس بعث الناس على التجرد له والأعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود في الشرع. اللفظ الثانى: العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عبادته وخلقه حتى أنه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالآلف واللام ثم فسره العلم بالله سبحانه وتعالى وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهره في الأكثر عن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشئ سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من غول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم. اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشتيق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الازمات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شئ في العصر الأول بل كان يشتد منهم التكبر على من كان يفتح بابا من الجدل والمارة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم يتصرفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشكر كله إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتى بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك المشكايه الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت إحدى ثمراته قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له في مرضه أن طلب لك طبيبيا فقال الطبيب أمرضى وقول آخر لما مرض ف قيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لى لى فى فعال لما أريد

(١) حديث لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله الحديث ابن عبد البر من حديث شدد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا .

وسياتي في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخص الناس الاسم بالقشر وبصناعة الحراسة للقشر وأهلوا اللب بالكلية فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيداً مناقضاً للتثليث الذي صرح به النصاري ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره . والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة . والثالث وهو الباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبد عبادة يفرد بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وقال صلى الله عليه وسلم «أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى»^(١) وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهواء ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والاتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر تقع منه وكيف اتخذوا هذا معتصماً في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الأفلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهه وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيقاً وهو أول كذب يفتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون التوجه إليها متوجهاً إليه ، تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فتى وجهه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالمراد بالوجه الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وليس المراد به القول باللسان فأنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه . اللفظ الرابع : الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى - وذكروا الله كثيراً - تنفع المؤمنين - وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر ٢» وفي الحديث «إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً ألا هلموا إلى بغيثكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم»^(٣) فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجاوس إلى القصص وقالوا

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله في الأرض هو الهوى الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف (٢) حديث إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا الحديث الترمذي من حديث أنس وحسنه (٣) حديث إن لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله في الهواء والترمذي سياحين في الأرض وقال مسلم سيارة

مصنفاته إلى المغرب أمر سلطانه علي بن يوسف بأحراقها التوهم اشتغالاً على الفلسفة وتوعس بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره في مملكته مناكير ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الأمر والتوعد في عكس ونكد بعد أن كان عادلاً

[خاتمة في الإشارة إلى ترجمة المصنف رضى الله عنه وعنا به ونفعنا بعلمه وأسراره وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية رضى الله عنهم]

أما ترجمته رضى الله عنه فهو الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الذي انتشر فضله في الآفاق وفاق ورزق الحظ الأوفر في حسن التصانيف وجودتها والنصيب الأكبر في جزالة العبارة وسهولتها

وحسن الاشارة وكشف
المعضلات والتبهر في
أصناف العلوم فرووعها
وأصولها ورسومها
القدم في منقولها
ومعقولها والتحكم
والاستيلاء على إجمالها
وتفصيلها مع ما خصه
الله به من الكرامة
وحسن السيرة
والاستقامة والزهد
والعزوف عن زهرة
الدنيا والاعراض عن
الجهات الفانية
وطراح الحشمة
والتكلف قال الحافظ
العلامة ابن عساكر
والشيخ عفيف الدين
عبد الله بن أسعد
اليافى والفقير جمال
الدين عبد الرحيم
الأسنوى رحمهم الله
تعالى ولد الامام الغزالي
بطوس سنة خمسين
وأربع مائة وأبتدأ بها
في صباه بطرف من
الفقه ثم قدم نيسابور
ولازم دروس إمام
الحرمين وجد واجتهد
حتى تخرج في مدة
قريبة وصار أنظر أهل
زمانه وأوجه أقرانه
وجلس للأقراء وإرشاد
الطلبة في أيام إمامه

لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتن وظهر القصاص . وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجني إلا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص بوجهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر لبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحي فقال لم أنافي سنة وأنت في كذب أنا الأعمش وما حدثتك وقال أحمد أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال ، وأخرج على رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرج له إذ كان يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقدير العبد في شكره ويعترف حقارة الدنيا وعبوبها وتصرفها ونكت عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير الحمود شرعا الذي روى الحث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم (٢) » وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المذخرفون هذه الأحاديث حجة على تركية أنفسهم وتقالوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الله كالحمود واشتغلوا بالقصاص التي تنطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر وإن كان صدقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضرر فن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أوجب الناس إلى قاص صادق فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى به بأسا ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال توشى إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تعطى عليها فان العاصي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر فكنا بصدد المعاصي فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المذنبين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المأمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويرزع أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من نزغات الشيطان فإن في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لانه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك إلى لا قضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة ، وقد قال

(١) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر
باسناد حسن (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في
الباب الأول

صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات «إياك والسجع يا ابن رواحة» (١) فكان السجع المحذور المتكاف ما زاد على كيتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين «كيف تدى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسجع كسجع الأعراب» (٢) وأما الأشعار فتكثر في المواعظ مذموم قال الله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - وقال تعالى - وما علمناه الشعر وما ينبغي له - وأكثرت اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لا يحوى إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتغل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس. وقد قال صلى الله عليه وسلم «إن من الشعر لحكمة» (٣) ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الإطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضرون معهم الشعر الذي يشرطه إلى الخلق فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه كاسيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلاً فإن كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقل له تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال لا ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس إن أصحاني هم الخواص . وأما الشطح فنحن به صنفين من الكلام أحدهم بعض الصوفية . أحدهم الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمجاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق . وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تركية النفس بدرك المقامات والأحوال فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا لمن الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية . الصنف الثانى : من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن

(١) حديث إياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب الرياضة من حديث عائشة بإسناد صحيح أنها قالت للسائب إياك والسجع فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولا ين حبان واجتنب السجع ، وفي البخارى نحوه من قول ابن عباس (٢) حديث أسجع كسجع الأعراب مسلم من حديث المغيرة (٣) حديث إن من الشعر لحكمة البخارى من حديث أبي بن كعب .

وصنف وكان الامام يتبعه ويعد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيماً لما ودرجته وحسن مناظرته وكانت حضرة نظام الملك محطاً لرجال العلماء ومقصد الأئمة والفضلاء ووقع للامام الغزالي فيها اتفاقات حسنة من مناظرة الفحول فظهر اسمه وطار صيته فرسم عليه نظام الملك بالسير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة النظامية فسار إليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته فسار إمام العراق بعد أن حاز إمامة خراسان وارتفعت درجته في بغداد على الأمراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة ثم انقلب الأمر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج عما كان فيه من الجاه والحشمة مستغلاً بأسباب التقوى وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يسبق

إليها مثل إحياء علوم الدين وغيره التي من تأملها عرف محل مصمها من العلم قيل إن تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس ثم صار إلى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الأخلاق وتحسين الثمائل حتى مر من على ذلك ثم عاد إلى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العادة ونصح العباد وإرشادهم ودعائهم إلى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين ويفيد الطالبين دون أن يرجع إلى ما انخلع عنه من الجاه والمباهة وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة خسه الله تعالى بأنواع الكرامة في أخراه كما خصه بها في دنياه قيل وكانت مدة القطبية للغزالي ثلاثة أيام على ما حكى في كرامات

خطب في عقله وتشو يش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر وإما أن تكون منهوسة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم «ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون تريدون أن يكذب الله ورسوله» (٢) وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم إن للحكمة حقوا وإن لها أهلا فأعط كل ذي حق حقه وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيهه على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الإغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكينا من مذاهبهم في كتاب المستظهرى المصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى - اذهب إلى فرعون إنه طغى - أنه إشارة إلى قلبه وقال هو أنراد فرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفي قوله تعالى - وأن ألق عصاك - أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده بما سوى الله عز وجل فينبغي أن يلقى وفي قوله صلى الله عليه وسلم «تسحروا فان في السحور بركة» (٣) أراد به الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من آوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتزويل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كآبى جهل وأبى لهب وغيرها من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار «فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : تسحروا» (٤) وهاهنا إلى الغداء المبارك (٥) فهذه أمور يدرك

(١) حديث ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم عليهم العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرىاء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٢) حديث كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون الحديث البخارى موقوفا على ورعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم (٣) حديث تسحروا فان في السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تناول الطعام في السحور والبخارى من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٥) حديث هلموا إلى الغداء المبارك أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث العرابض بن سارية وضعفه ابن القطان

بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا تتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» (١) معنى إلا هذا الخط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتزييله عليه دلالة لفظية لغوية أو عقلية ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (٢) ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخلق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (٣) بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أطم وأعظم لأنها مبطل للثقة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالسلفية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة إلى الذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامي فإن اتبعت هؤلاء اعتادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرفت في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكما فان اسم الحكيم صار يطلق على الطيب والشاعر والنجم في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ . اللفظ الخامس : وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطيب والشاعر والنجم حتى على الذي يدرج القرعة على أ كف السوداء في شوارع الطرق والحكمة هي التي أنى الله عز وجل عليها فقال تعالى - يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وقال صلى الله عليه وسلم «كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها» (٤) فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا «لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أنى وقال اللهم اغفر حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء» (٥) فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبي داود من رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبرى (٢) حديث اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس البخاري من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وعني وأنس (٤) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا تقدم بنحوه (٥) حديث لما سئل عن شر الخلق أنى وقال اللهم اغفر الحديث الدارمي بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل وهو ضعيف ورواه البزار في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف

الشيخ سید العمودی
نفع الله به وذکر
الشيخ عقیب الدین
عبد الله بن أسعد
الیافی رحمه الله تعالى
بإسناده الثابت إلى
الشيخ الكبير القطب
الربانی شهاب الدین
أحمد الصیاد البیہقی
الزبیدی وكان معاصرا
للغزالی نفع الله بهما قال
بینما أنا ذات يوم قاعد
إذ نظرت إلى أبواب
السما مفتحة وإذا
عصبة من الملائكة
الکرام قد نزلوا معهم
خلع خضر ومركوب
میس فوقوا على قبر
من القبور وأخرجوا
صاحبه وألبسوه الخلع
وأركبوه وصعدوا به
من سماء إلى سماء إلى
أن جاوز السموات
السبع وخرق بعدها
ستین حجابا ولا أعلم
أین بلغ انتهاؤه فسألت
عنه فقيل لي هذا الامام
الغزالی وكان ذلك
عقیب موته رحمه
الله تعالى ورأى في
نوم السید الخلیل
أبو الحسن الشاذلی
رضی الله عنه النبي
صلى الله عليه وسلم وقد

ياهي موسى وعيسى
عليهما الصلاة والسلام
بالامام الغزالي وقال
أفي أمته خير كذا
قالا لا وكان الشيخ
أبو الحسن رضي الله
عنه يقول لأصحابه
من كانت له منكم إلى
الله حاجة فليتوسل
بالغزالي وقال جماعة
من العلماء رضي الله
عنهم منهم الشيخ
الامام الحافظ ابن
عساكر في الحديث
الوارد عن النبي صلى
الله عليه وسلم في أن
الله تعالى يحدث لهذه
الامة من يجد لها دينها
على رأس كل مائة سنة
أنه كان على رأس
المائة الأولى عمر بن
عبد العزيز رضي الله
عنه وعلى رأس المائة
الثانية الامام الشافعي
رضي الله عنه وعلى
رأس المائة الثالثة
الامام أبو الحسن
الأشعري رضي الله
عنه وعلى رأس المائة
الرابعة أبو بكر
الباقلاني رضي الله عنه
وعلى رأس المائة
الخامسة أبو حامد
الغزالي رضي الله عنه

وإليك الحيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف أو تتدلى بحبل النور وتنشبه بالخلف ، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكتب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيهود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء ، فقيل ومن الغرباء ؟ قال الذين يصلحون ما أفسدته الناس من نبي والذين يحبون ما أماتوه من سنتي (١) » وفي خبر آخر « هم المتمسكون بما أتم عليه اليوم (٢) » وفي حديث آخر « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم (٣) » وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ، ولذلك قال الثوري رحمه الله إذا رأيت العالم كثيرا الأصدقاء فاعلم أنه غلط لأنه إن نطق بالحق أبفضوه .

بيان القدر المحمود من العلوم المحموده

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فإن التهور لا يحمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم . فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو مالا فائدة فيه في دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والتنجيم فبعضه لافائدة فيه أصلا وصرف العمر الذي هو أنفس ما يمسكه الإنسان إليه وإضاعة النفس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطرف في الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا ، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللوصول به إلى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحه وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتي علامتهم هذا في أول الأمر وبعد عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لامفتاح لها سواها . وأما العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فإن في كل علم منها اقتصارا وهو الأقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لامرء له إلى آخر العمر فكن أحد رجلين إما مشغولا بنفسك وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن كانت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذي أمهله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم إذ لا ينفك (١) حديث بدا الإسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وهو بتمامه عند الترمذي من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٢) حديث هم المتمسكون بما أتم عليه اليوم يقوله في وصف الغرباء لم أره أصلا (٣) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون أحمد من حديث عبد الله بن عمرو .

بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات وإهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدمامل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال المظاهرة كإشير الطريقة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع مغارسها من القلب وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يشعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الأمراض فإن كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدى فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربيع المهلكات ثم ينجر بك ذلك إلى المقامات المحموده المذكورة في ربيع النجيات لاحالة فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيا وفي زمرة الخلق من قد قام بها فان مهلك نفسه فيباه صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه ومهت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغيثه ولا ينجيها مما يلاقه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به وإن تفرغت من نفسك وتطهرها وقدرت على ترك ظاهر الائم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدرج فيها فابتدى بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم النسخ والنسوخ والفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فلا تقتصر في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فلاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث ، وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحمله تحصيلًا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فلاقتصار فيه على ما يحويه مختصر للمزى رحمه الله وهو الذى رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف

روى ذلك عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى الامامين الأولين أعنى عمر بن عبد العزيز والشافعى ومناقبه رضى الله عنه أكثر من أن تحصر وفيما أوردناه مقتنع وبلاغ ومن مشهورات مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة فى الفقه وإحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجملهاولة فى أصول الفقه المستصفي والمنحول والمنحل فى علم الجدل وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار والنقذ من الضلال وحقيقة القولين وكتاب ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل أربعين مجلدا وكتاب أسرار علم الدين وكتاب منهاج العابدين والدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة وكتاب الأنيس فى الوحدة وكتاب القرية إلى الله عز وجل

وكتاب أخلاق الأبرار
والنجاه من الأشرار
وكتاب بداية الهداية
وكتاب جواهر القرآن
والأربعين في أصول
الدين وكتاب المقصد
الأسنى في شرح أسماء
الله الحسنى وكتاب
ميزان العمل وكتاب
القسطاس المستقيم
وكتاب التفرقة بين
الاسلام والزندقة
وكتاب الدرعية إلى
مكارم الشريعة وكتاب
المبادئ والغايات وكتاب
كيمياء السعادة وكتاب
تلبيس إبليس وكتاب
نصيحة الملوك وكتاب
الاقتصاد في الاعتقاد
وكتاب شفاء العليل
في القياس والتعليل
وكتاب المقاصد وكتاب
إلجام العوام عن علم
الكلام وكتاب
الاتصار وكتاب الرسالة
الدنية وكتاب الرسالة
القدسية وكتاب
إثبات النظر وكتاب
المأخذ وكتاب القول
الجميل في الرد على من
غير الانجيل وكتاب
المستظهرى وكتاب
الأمالي وكتاب في علم
أعداد الالف وحده

حقائق الأمور من غير طريقته ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر
وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر
مائة ورقة وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقادات ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة
بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العاقل وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما
المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً سيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك إن أخفتمته لم يترك مذهبه
وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً ما وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة
المجادلة وأما العاقل إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه مثله قبل أن يشتد التعصب
للاشواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من
آفات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار
فتنبعث منهم الدعوى بالمسكافة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى
غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخالوة لا في معرض
التعصب والتحجير لأنجحوا فيه ولكن لما كان الجاد لا يقوم إلا بالاستنباع ولا يستميل الأتباع مثل
التعصب واللعن والشتن للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن
المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس. وأما الخلافات التي أحدثت في
هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف
فياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم إلى
طلب النافسة والمباهاة على ماسياتيك تفصيل غوائلها وآفاتنا وهذا الكلام ربما يسمع من قائله
فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخير سقطت فاقبل هذه النصيحة من ضيق العمر
فيه زماناً وزاد فيه على الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً ثم ألهمه الله رشدته وأطلعه على عيبه فهجره
واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى ضمام الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف فان
علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم
بعمل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لدوق الفقه فان الذي
يشهد له حدس المفق إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمحيته على شروط الجدل في أكثر الأمور فمن
ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لدوق الفقه وإنما يشتغل
به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقض عليه العمر ولا
تنصرف همته إلى علم المذهب فكأن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم
أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر
نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما
يعنيك مما بين يديك ودع عنك ماسواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام
فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال
طاحت كلها هباء منثوراً وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث «ما ضل
قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الهدى» ثم قرأ ما ضرب به لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون
وفي الحديث في معنى قوله تعالى - فأما الذين في قلوبهم زيغ - الآية «هم أهل الجدل الذين عناهم
(١) حديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الهدى الترمذى وابن ماجه من حديث أبي
أمامة قال الترمذى حسن صحيح .

الله بقوله تعالى فاحذروهم^(١) وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يعلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الأخبار إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل^(٢) وفي الخبر المشهور «أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم^(٣)» وفي الخبر «ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل^(٤)» والله أعلم.

الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل

آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاهها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بافتاوى في الأفضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهدهم كما نقل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاء عليهم مع إعراضهم عنهم فأشربوا للطلب العلم توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلوات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أبحح والنجاح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالأعراض عن السلاطين أدلة بالاقبال عليهم إلا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الاقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأفضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعملت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضهم التنب عن دين الله والنضال عن السنة وقع المبتدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين إشفافاً على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية للفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات

(١) حديث هم أهل الجدل الذين عني الله بقوله فاحذروهم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل لم أجده (٣) حديث أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل لم أجده أصلاً .

وكتاب مقصد الخلاف

وجزه في الرد على

للكافرين في بعض

ألفاظ إحياء علوم

الدين وكتبه كثيرة

وكلمها نافعة . وقال

يعدده تلميذه الشيخ

الامام أبو العباس

الأقليشي المحدث

الصوفي صاحب كتاب

النجم والكواكب :

أياحمد أنت المخصص

بالمجد

وأنت الذي علمتنا

سنة الرشد

وضعت لنا الإحياء

تحي نفوسنا

وتنقذنا من طاعة

النازع المردى

فربيع عبادات وعاداته

التي

يعاقبها كالدر نظم

في العقد

وثالثها في المهلكات

وأنه

لنج من الهلك المبرح

والبعد

برابعها في المنجيات

وأنه

يسرح بالأرواح

في جنة الخلد

ومنها ابتهاج للجوارح

ظاهر

ومنها صلاح للقلوب

من الحقد

ورتبوا فيها أنواع الجدالات والتصنيفات وهم مستمررون عليه إلى الآن ولنا ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لما لوا أيضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم أن هؤلاء قديستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات الباحثة عن الحق ليتضح فإن الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة رضى الله عنهم في مشاوراتهم كمشاورهم في مسألة الجدة والاختوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكركه وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان : الأول أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأغنياء ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضى أسترعورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوبا فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التى عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمرهم فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه ردة ودعية في الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هي أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به فلا يكنى في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات مالم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثاني أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها هلك الناس وإذا قيل له في البلد جماعة من الحجاجين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فالحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهمل لا قائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو به من جملة الفروض المهمة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون الناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء . ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى أنس رضى الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عليه السلام إذا ظهرت الداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صفاركم والفتنة في أراذلكم » (١) الثالث أن يكون الناظر مجتهدا يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق

الباب الرابع

(١) حديث أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث ابن ماجه بإسناد حسن .

من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعي وأفتى بمظهره كما كان يفعل الصحابه رضى الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتى فيما يسئل عنه ناقلًا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجزه أن يتركه فأى فائدة له في المناظرة ومذهبه معنوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فأى لست مستقلا بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فانه ربما يفتى بأحدها فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بين رما يترك المسئلة التي فيها وجهان أو قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا. الرابع أن لا يناظر إلا في مسئلة واقعة أو قريية الوقوع غالبا فان الصحابة رضى الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترمى المناظرين يهتمون باتتقاد المسائل التي تم البلى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسئلة لأنها خبرية ومدر كالحق فيها هو الاخبار أولأنها ليست من الطبول فلا نطول فيها الكلام. والمقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لأن يطول. الخامس أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكر والسلاطين فان الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواحي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محققا كان أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم أو اتظم جمع لم يغادر في قوس الاحتيال مزعاعتي يكون هو المتخصص بالكلام. السادس أن يكون في طلب الحق كنهشدا ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لاختصا ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق كالواخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونهته على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل. وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم. واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضى الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الخبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعد على الأمير فله لم يفهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا تصح الحق على لسان خصمه وكيف يتجمل به وكيف يجتهد في مجادته بأقصى قدرته وكيف يذم من أخمه - أول عمه ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق. السابع أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمى ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت

المدة فائدت لاجابتك إلى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك فقلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوفقا منه وملتجئا إليه اعلموا أحسن الله إرشادكم ولأن إلى قبول الحق انقيادكم أن اختلاف الحق في الأديان والمثل ثم اختلاف الأئمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بجر عميق غرق فيه الأكترون وما نجا منه الا الأفلون وكل فريق يزعم أنه الناجي كل حزب بما لديهم فرحون ولم أزل في عنفوان شبابي مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى أن أناف السبق على الحسين أقتحم لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور وآتوغل في كل مظلمة وأهجم على كل مشكلة وأنتقم كل ورطة وأنتقم عن عقبدة كل فرقة وأنكشف أسرار

ترى أن جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معطل بهذه العلة فيقول هذا مظهره لي فإن ظهر لك ماهو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصير المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفت أنها ولا أذكرها إذ لا يلزمي ذكرها ويقول المستدل عليك إيراد ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على أنه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إنى أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمي كذب على الشرع فإنه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصي الله تعالى وتعرض أسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه السلم ليفهمه وينظر فيه فإن كان قويا رجع إليه وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فعنى قوله لا يلزمي أى في شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشبهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمي وإلا فهو لازم بالشرع فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهاى هذا الجنس وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه . الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحتززون من مناظرة الفحول والأكارخوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويح الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر الله ومن يناظر لعله . واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوه ولا يزال يدعوه إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التي المجتهد فيها مصيب أو مساهم للصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للخلصين ولذلك شتم الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعتدها ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق .

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والاحكام وإظهار الفضل والشرف والتشديد عند الناس وقصد المباحاة والمعاراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحموده عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتركبة النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذى خبر بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الاحكام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباحاة دعاه ذلك إلى إضمار الحباث كلها في النفس وهيئ فيه جميع الأخلاق المذمومة وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربيع المهلكات ولكننا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجها المناظرة فمنها الحسد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »^(١) ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة بمحمد كلامه وأخرى بمحمد كلام غيره فسادام يبق في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن

مذاهب كل طائفة
لأميز بين كل حق
مبطل ومستقن
ومبتدع لا غادر باطنيا
إلا وأحب أن أطلع
على باطنيته ولا ظاهريا
إلا وأريد أن أعلم
حاصل ظاهريته ولا
فلسفيا إلا وأقصد
الوقوف على فلسفته
ولا متسكما إلا وأجتهد
في الاطلاع على غاية
كلامه ومجادلته ولا
صوفيا إلا وأحرص
على العثور على سر
صوفيته ولا متعبدا
إلا وأريد ما يرجع
إليه حاصل عبادته ولا
زديقا معطلا إلا
وأجسس وراءه للتنبه
لأسباب جرائته في
تعطيله وزندقته وقد
كان التعطش إلى درك
حقائق الأمور دأبى
وديدنى من أول
أمرى وريعان عمري
تمريزة من الله وفطرة
وضعها الله في جبلى
لا باختيارى وحيلتى
حتى انحلت عن رابطة
التقليد وانكسرت
عن العقائد المروية
على قرب عهد منى
بالصبا إذ رأيت صبيان

وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو في العذاب في الدنيا وللعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغابرون كأن تغاير التيوس في الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم «من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله» (١) وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى «العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته» (٢) ولا ينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل التني والمكار الخداع منهم بأنه ينبغي صيانة عز العلم «وأن المؤمن منهى عن الإذلال لنفسه» (٣) فيعبر عن التواضع الذى أنشأ الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر المعقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم وإضلالا للخلق به كإفعل في اسم الحكمة والعلم وغيرها ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم «المؤمن ليس بحقود» (٤) وورد في ذم الحقد مالا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضر حقا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتريته في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق وبترشع منه إلى الظاهر لاحالة في غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في إرادته وإصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر . ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه فيحكي عنه لاحالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض من كلامه ويصنى إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحاقة وقلة الفهم والبلاهة . ومنها تزكية النفس . قال الله تعالى - فلا تركوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح ؟ فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الأقران ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله لست ممن نخى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتجدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويح كلامه ومعلوم أن الصلف والتمتدح مذمومان شرعا وعقلا . ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى - ولا تجسسوا - والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في إفصاحه

(١) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثوري وابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن (٢) حديث الكبرياء ردائى والعظمة إزارى الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء ردائى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد (٣) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا يذنبى للمؤمن أن يذل نفسه (٤) حديث المؤمن ليس بحقود لم أقف له على أصل .

التصارى لا يكون لهم نشء إلا على التنصير وصبيان اليهود لا يكون لهم نشء إلا على اليهود وصبيان الاسلام لا يكون لهم نشء إلا على الاسلام وسمعت الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» فتحرك باطنى إلى طلب الفطرة الأصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأساتذيين والتهيز بين هذه التقليدات وأوائها تلقينات وفي تمييز الحق منها من الباطل اختلافات فقلت في نفسى أولا إنما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ولابد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لى أن العلم اليقين هو الذى ينكشف فيه المعلومات انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط كالوهم ولا يتسع العقل لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ يذنبى أن يكون مقارنا للنقص مقارنة ولو تحدى

وتحجيه إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فصاه يعثر على هفوة أو عيب به من قرع أو غيره ثم إذا أحسن بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متأسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الإفصاح به إن كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح لمساءة الناس والتمس مسارتهم ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يجب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فكل من طلب البهاة بظهور الفضل يسره لاجالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وماتل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتسامح في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيئات هيات وناهيك بالشرشرا أن يلزمك أخلاق المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين، ومنها النفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه فأنهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياءهم ولا يجحدون بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وجور فأنهم متوددون بالأسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه . فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالأسنن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعشى أبصارهم (١) » رواء الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على الماراة فيه حتى إن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشر لجحده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير الماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل . قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في رضى الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة (٢) » وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق . فقال تعالى - ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه - وقال تعالى - فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه - ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم. والرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر كاسيأتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتأسكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب واللكم والظلم ومزيق الثياب والأخذ باللحي وسب الوالدين وشم الأستاذين والقذف الصريح فإن أولئك

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالأسنن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبراني من حديث سامان بإسناد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل وهو مبطل الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذي حسن

ليسوا معدودين في زمرة الناس المعتبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الحصال العشرة، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو طامس الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الحصال العشرة عشر أخرى من الرذائل لم نلؤل بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاء للتمكن من الغلبة والمباهاة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعنى وكثرة الكلام وخروج الحشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ماصلى وما الذى يقرأ ومن الذى يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع أنها لاتنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن جمل من مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها. واعلم أن هذه الرذائل لازمة للشغل بالتدكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضاً للمشغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطالب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحياه حياة الأبد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجا منه رأساً برأس وهيئات هيئات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفضح الأحوال . فإن قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا حب الرياسة لندرس العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصا فيرمارغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لندرس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الدين قال ﷺ فيهم « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » (٢) فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمّر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذى يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصالح غيره في هلاكه فأما إذا كان يدعو إلى طاب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إمامهاك نفسه وغيره وهم المصححون بطلب الدنيا والمقبولون عايتها وإمام سعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً وإمامهاك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه فانظر من أى الأقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له فلا تظن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربيع المهلكات ما ينق عنك الريبة فيه إن شاء الله تعالى .

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي من حديث أنس بإسناد صحيح

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة

الغافل في الضروريات من جنس أمانى الذى كان من قبيل في التقليديات أو من جنس أمان أكثر الخلق في النظريات وهو أمان محقق لا تجوز فيه ولا غائلة له فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات أنظر هل يمكننى أشكك نفسى فيها فأتهى بعد طول التشكك بى إلى أنه لم تسمح نفسى بتسليم الأمان في المحسوسات وأخذت بفتح الشك فيها ثم إنى ابتدأت بعلم الكلام فخلسته وعلقته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت ما أردت أن أصنفه فصادفته علماً وافياً بمقصوده غير واف بمقصودى ولم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أمسم عزمى على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً وأحل العزم يوماً وأقدم فيه رحلاً وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة إلا حمل عليها جند

الباب الخامس في آداب التعلم والمعلم

أما التعلم فكأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن ننظم تفاريقها عشر جملة

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذا علم عبادة القلب وصلابة السر وقرية الباطن إلى الله تعالى وكالاتصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار فكذلك لاتصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة (١) » وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى - إنما المشركون نجس - تنبيه للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قديكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب (٢) » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء - وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرءون من الصفات المذمومة فلا يلاحظون إلا طيبا ولا يعمررون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب والكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدققة فان هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضا عرضة للضائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن السكب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو مافيه من سبعة ونجاسة إلى الروح السكبية وهي السبعية . واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشهوة إلى الدنيا والتسكب عليها والحرص على التميز لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور والصور في هذا العالم غالبية على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية « فيحشر الممزق لأعراض الناس كلبا ضاريا والشهري إلى أموالهم ذنبا عاديا والمتكبر عليهم في صورة نمر وظالم الرياسة في صورة أسد (٣) » وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار . فان قلت كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم فهيمات ما أبعد عن العلم الحقيقي النافع

الباب الخامس

- (١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو إلى الإيمان
- (٢) حديث لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبي طلحة الأنصاري
- (٣) حديث حشر الممزق لأعراض الناس في صورة كلب ضار الحديث الثعلبي في التفسير من حديث البراء بسند ضعيف

الشهوة جملة فيغيرها
عشوية فصارت شهوات
الدنيا تجاذبني بسبب
ميلها إلى المقام ومنادي
الإيمان ينادي الرحيل
الرحيل فلم يبق من
العمر إلا التنيل وبين
يديك السفر الطويل
وجميع ما أنت فيه من
العمل رياء وتخيل
وإن لم تستعد الآن
للآخرة فحق تستعد
وإن لم تقطع الآن هذه
العلائق فحق تقطعها
فعند ذلك تنبث
الرغبة ويحزم الأمر
على الهرب والفرار ثم
يعود الشيطان ويقول
هذه حالة عارضة إياك
أن تطاوعها فانها
سريعة الزوال وإن
أذعنت لها وتركت هذا
الجاه الطويل العريض
والشأن العظيم الخالي
عن التكدير والتنجيس
والأمر السالم الخالي
عن منازعة الخصوم
ربما التفتت إليه نفسك
ولا تتيسر لك العودة
فلم أزل أتردد بين
التجاذب بين شهوات
الدنيا والدواعي قريبا
من ستة أشهر أولها
رجب من سنة ست

في الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي سيوم قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سماً مع علمه بكونه سماً قاتلاً إنما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويردونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب. وقال بعضهم إنما العلم الخشية لقوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه . فان قلت إني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها. فيقال إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الفناء من حيث كونه علماً وإنما غناؤه من حيث كونه عملاً لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وقد سبقت إلى هذا إشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى. الوظيفة الثانية : أن يقلل علاقته من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فإن العلائق شاغلة وصارفة - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيتك كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع . الوظيفة الثالثة : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويدعن نصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبني أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي «صلى زيد بن ثابت على جنازة فقررت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد ابن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس من أخلاق المؤمنين التعلق إلا في طلب العلم (٢) » فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحفاقة فإن العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهرباً من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الحرب مشهور أو خامل وضراوة سبع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يفتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائن من كان فذلك قيل :

العلم حرب للفنئ المتعالي كالسيل حرب للكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى - إن في ذلك لذكر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم فهما ، ثم لاتعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمنة نالت مطراً غزيراً فتشربت جميع أجزائها وأذعن بالكلية لقبوله ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه

(١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء الطبراني والحاكم والبيهقي في المدخل إلا أنهم قالوا هكذا نفعل قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم

(٢) حديث ليس من أخلاق المؤمنين التعلق إلا في طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة بإسنادين ضعيفين

ومنايينه أربعمائة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حسد الاختيار إلى الاضطراب إذ قفل الله على إسانى حتى اعتقل عن التعريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطيباً لقلوب المختلفة إلى فكان لا ينطق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة حتى أورت هذه العقلة في اللسان حزناً في القلب بطلت معه قوة الهضم ومرى الطعام والشراب وكان لا تنسأ لي شربة ولا تنهض لي لقمة وتعدى ذلك إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالعلاج إلا بأن يترقح السر عن الهم المهم ثم لما أحسست بعجزى وسقطت بالكلية اختياري التجأت إلى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه وسهل علي قلبي الاعراض عن المال

والجاء والأهل والأولاد
وأظهرت غرض
الخروج إلى مكة وأنا
أدبر في نفسي تسفر
الناس خذرا من أن
يطلع الخليفة وجملة
الأصحاب على غرضي
في المقام بالشام فتلطفت
ببطائق الحيل في
الخروج من بغداد على
عزم أن لا أعودها أبدا
واستهزأني أئمة العراق
كافة إذ لم يكن فيه
من يجوز أن يكون
الاعراض عما كنت
فيه سببا دنيئا إذ ظنوا
أن ذلك هو المنصب
الأعلى في الدين فكان
ذلك هو مبلغهم من
العلم ثم ارتبك الناس
في الاستباطات فظن
من بعد عن العراق
أن ذلك كان لاستشعار
من جهة الولاة وأما
من قرب منهم فكان
يشاهد لجأهم في
التعلق بي والانكار
علي وإعراض عنهم
وعن الالتفات إلى قولهم
فيقولون هذا أمر
سمائي ليس له سبب
إلا عين أصابت أهل
الاسلام وزمرة العلم
ففارقت بغداد وفارقت

في نفسه إذ التحيرة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نعمها فكمن مريض محروور
يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من
لاخبره له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر إنك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعني فلا تسألني
عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مرادته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما
وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت
فقد قال الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - فاسألوا مأمورا به فاعلم أنه كذلك ولكن
فيما يأذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى
عليه السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وأوان الكشف
ومالم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقب الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه . وقد قال
على رضى الله عنه إن من حق العالم أن لا تسكر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلج عليه إذا
كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفتش له سرا ولا تفتن أحدا عنده ولا تطلب عنثه وإن زل
قبلت معذرتة عليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولا يجلس أمامه وإن كانت له
حاجة سبقت القوم إلى خدمته . الوظيفة الرابعة : أن يحتزن الخائف في العلم في مبدأ الأمر عن الاصغاء
إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله
ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤسسه عن الإدراك والاطلاع بل ينبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة
الرضوية عند أستاذة ثم بعد ذلك يصنى إلى المذاهب والشبه وإن لم يكن أستاذة مستقلا باختيار رأى
واحد وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى
لقود العميان وإرشادهم ومن هذا حاله بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهى منع
الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وتذب القوى إلى النظر في الاختلافات يضاهى حث القوى
على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة
عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك
أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رأى في البداية صار صديقا ومن
رأى في النهاية صار زنديقا إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض
فيتراءى للنظرين أنها بطلان وكسل وإهمال وهيئات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة
الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى
اعتذار من يلقي نجاسة سيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر والبحر أعظم
من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدرى المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتقلب
عين النجاسة باستيلانه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته ومثل هذا جوز
لنبي صلى الله عليه وسلم مالم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة (١) إذ كان له من القوة ما يتعدى
منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما ينهق من الضرار
إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين . الوظيفة
الخامسة : أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المأمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطالع به
(١) حديث أبيح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف وفي الصحيحين من حديث ابن
عباس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع الحديث .

على مقصده وغايته ثم إن ساعده العزم طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف به البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى - وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم قال الشاعر:

ومن يك ذا فم مر مريض يحسد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعاً من الإغاثة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والوقوف بها حفظه كحفاظ الرابطة والشعور ولكل واحد مرتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى . الوظيفة السادسة : أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويتبدى بالأهم فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالجزء أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جهام قوته في الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العاوي وراثته أو تلقاها ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصيل الكلام عن مراعات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الحباث حتى ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح (١) كما شهد له به سيد البشر ﷺ فما عندي أن ما يعتقده العاوي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العاوي إلا في صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاماً وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغي أن تنتدب في هذا فعنده ضيعة رأس المال فكن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رأى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها إن أحسنت كل شيء فلا تظن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفي يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب . الوظيفة السابعة : أن لا يخوض في فن حتى يستوفى الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج . قال الله تعالى - الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته - أي لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقى إلى ما هو فوقه فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو أحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب عليهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر في العقلية والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبهة في كتاب معيار العلم وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهده من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفاق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفاق لآخر والكل خطأ بل ينبغي أن يعرف الشيء في نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال علي رضي الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم

(١) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح ابن عدي من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر باسناد صحيح .

ما كان من من مالى
ولم أدخر من ذلك
إلا قدر الكفاف
وقوت الأطفال ترخصاً
بأن مال العراق مرصد
للصالح لكونه وقفاً
على المسلمين ولم أرفى
العالم ما يأخذ العالم
لعياله أصلح منه ثم
دخلت الشام وأفت
فيه قريباً من سنتين
لاشغل لي إلا العزلة
والخاوة والرياضة
والمجاهدة اشتغالا
بتركية النفس
وتهذيب الأخلاق
وتصفية القلب لذكر
الله تعالى كما كنت
حصلته من علم الصوفية
وكنت أعتكف مدة
بمسجد دمشق أصد
منارة المسجد طول
النهار وأغلق بابها على
نفسى ثم تحركت في
داعية فريضة الحج
والاستمداد من بركات
مكة والمدينة وزيارة
النبي صلى الله عليه
وسلم بعد الفراغ من
زيارة الخليل صلوات
الله عليه وسلامه ثم
سرت إلى الحجاز ثم
جذبني الهمم ودعوات
الأطفال إلى الوطن

وأن ذلك براديه شيان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فإن
ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخرة الحياتية الثانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم
النجوم فإن علم الحساب أشرف لوثاقته أدلته وقوتها وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار
ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره
بال تخمين وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل
إلى هذه العلوم فأياك وأن ترغب إلابه وأن تحرص إلابه . الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد التعلم
في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المال القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من
الملائكة والمقربين ولا يقصده الرياسة والمال والجاه ومباراة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا
مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقدارة إلى
سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في
المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهم من غلونا في الثناء على علم الآخرة
تهجين هذه العلوم فالتكفلون بالعلوم كالتكفلين بالغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم
المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يستقيم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن
أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى - يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - وقال تعالى - هم درجات عند الله - والفضيلة نسبية واستحقاقنا
للمصيرفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة
القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأولياء ثم العلماء الراغبين في العلم ثم للصالحين على تفاوت
درجاتهم وبالجملة - من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - ومن قصد الله تعالى
بالعلم أى علم كان نفعه ورفع له لا محالة . الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع
القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمل ولا يهتمك ولا يهتمك إلا الشأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم
يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كأنطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجرى مجرى
العيان فالأهم ما يبقى أبداً لا يباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلاً والبدن مركباً والأعمال سعياً إلى المقصد ولا مقصد
إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأقلون والعلوم بالاضافة إلى سعادة
لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعنى النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم
العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثل وهو أن العبد الذي علق عتقه وتمسكه من
الملك بالحج وقيل له إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعاً وإن ابتدأت بطريق الحج
والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلص من شقاء الرق فقط دون سعادة
الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول : تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد
والراحلة . والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلاً بعد منزل . والثالث الاشتغال
بأعمال الحج ركناً بعد ركناً ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض
للك - السلطنة وله في كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادي إلى
آخره ومن أول أركان الحج إلى آخره وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو
بعد في إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام
قسم يجري مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا
وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع

وعاودته بعد أن كنت
أبعد الخلق عن أن
أرجع إليه وآثرت
العزلة حرصاً على
الخلوة وتصمية القلب
لذكر وكانت حوادث
الزمان ومهمات العيال
وضرورات المعيشة تغير
في وجه المراد وتشوش
صفوة الخلوة وكان
لا يصفو لي الحال إلا في
أوقات متفرقة لكني
مع ذلك لا أقطع طمعي
عنها فيدفعني عنها
العوائق وأعود إليها
ودمت على ذلك مقدار
عشر سنين وانكشف
لي في أثناء هذه
الخلوات أمور لا يمكن
إحصاؤها واستقصاؤها
والقدر الذي ينبغي أن
نذكره ليتفهم به
أنى علمت يقيناً أن
الصوفية هم السالكون
لطريق الله خاصة
وأن سيرتهم أحسن
السير وطريقهم أصوب
الطرق وأخلاقهم أزكى
الأخلاق بل لو جمع
عقل الغيلاء وحكمة
الحكماء وعلم الواقفين
على أسرار الشرع من
العلماء ليغيروا شيئاً
من سيرتهم وأخلاقهم

ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهريهم وباطنيهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به وبالجملة ماذا يقول القائل في طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكيفية عماسوى الله تعالى ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم في الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكيفية في الله تعالى وهو أقواها بالاضافة إلى ماتحت الاختيار انتهى قال العراقي فاما نفدت كلته وبعد صيته وعلت منزلته وشدت إليه الرحال وأذعنت له الرجال شرفت نفسه عن الدنيا واشتاق إلى الأخرى فاطرحتها وسى في طلب الباقية وكذلك النفوس الزكية كما قال عمر بن عبد العزيز إن لي نفسا تواقا لما نالت الدنيا تافت إلى الآخرة قال بعض العلماء رأيت

تلك العقبات الشائعة التي يحجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل عامه كتحصيل علم جهات الطريق ومنزله وكلا يفنى علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يفنى علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن. وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحجج وأركانها وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا نتيجة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة. وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما المنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كإقال الله عز وجل - فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلامك من أصحاب اليمين - وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهز له أو انتبهز إلى جهته لاعلى فسد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم . واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى اللبس والمطم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه . وأما أسباب الصحة في ناصية الطبيب ومن قال العلم علما علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة . فان قلت لم يشهد علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قرب به هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه الطيبة الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضمون به بل لارخصة في ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودرر عز يزأشرف من هذه الأجرام المرئية وإعماها وأمر إلى الحى كما قال تعالى - ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أيين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فان القائل يقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفقه فهو وراء مانحن بصده والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها وأما البدن فمطيتها التي تركها وتسمى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحجج وكالراوية الخازنة للواء الذي يقتدر إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح الطيبة ولا يخفى أن الطب كذلك فانه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج إليه والفقه يفارقه في أنه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسي وحده في تحصيل طعامه بالحرارة والزرع

والخبز والطبخ وفي تحصيل اللبس والسكن وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المبالغة والاستعانة
ومهما اختلط الناس وثار شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم
هلاكمهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكمهم بسبب تضاد الأخلاق من داخل ، وبالطبع
يحفظ الاعتدال في الأخلاق المتنازعة من داخل ، وبالسبب السياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس
من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاق طبع ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات
والأفعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه
ولا يصلح قلبه كالتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق
عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها
تستحكم الحيوط التي تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب
الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج أو ملاسى أو كانه فتأمل هذا أولا
واقبل النصيحة بحما من قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراة تامة على ميانة
الخلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المعلم .

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم أن للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون
مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعا
وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتضى كايقتضى المال فله
حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغنى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع
به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظميا في مأكوت السموات
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضبوطة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم
ولا يعمل به كالدفر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسك الذي يشجذ غيره ولا يقطع والبرة
التي تكسو غيرها وهي عارية وذباله المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كاقيل :

ما هو إلا ذبالة وقد تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظميا وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه . الوظيفة الأولى :
الشفقة على التلاميذ وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل
الوالد لولده (١) » بأن يقصد إنقاذهم من منار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا
ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والعلم
سبب الحياة الباقية ولولا العلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد
للحياة الآخروية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما
التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا
ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك
إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فإن العلماء وأبناء
الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق
والترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس
الأعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة
(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أبوداود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة

الغزالي ، صلى الله عليه
في البرية وعليه مرقعة
وبيده عكاز وركوة
فقلت له يا إمام أليس
التدريس ببغداد
أفضل من هذا فنظر
إلى شذرا وقال لما بزغ
بدر السعادة في فلك
الارادة وظهرت شمس
الوصل :

تركت هوى ليلي
وسعدى بمنزل
وعدت إلى مصحور
أول منزل

ونادنى الأشواق مهلا
فهذه

منازل من تهوى
رويدك فأنزل

اتهى كتاب تعريف
الأحياء فضائل الإحياء
بحمد الله وعونه .

[هذا كتاب الاملاء
في إشكالات الأحياء]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على ما خصص
وعمم وصلى الله على
سيد جميع الأنبياء
اللمبعوث إلى العرب
والعجم وعلى آله وعترته
وسلم كثيرا وكرم
سألت يسرك الله
لمراتب العلم تصعد
مراقبها وقرب لك
مقامات الولاية تحل

في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم يرجون عن موجب قوله تعالى - إنما المؤمنون إخوة - وداخلون في مقتضى قوله تعالى - الأخلاء - ومثد بعضهم لبعض عدو إلا المتقين . الوظيفة الثانية : أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تقترب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعبرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كقال عز وجل - ويا قوم لأسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله - فإن المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب للنفس ومطيتها والخدوم هو العلم إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل الخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ومثله هو الذى يقوم في العرض الأكبر مع الجرمين ناكسى رؤوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للعلم فالنظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يرحمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرها فانهم يبذلون المال والجاء ويتحملون أصناف النذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع للعلم من المتعلم أن يقوم له في كل ناحية وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جهارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقر با إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات . الوظيفة الثالثة : أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فان علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذى يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التى قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأنى العلم أن يكون إلا لله وإما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يجرله طمعا في الوعظ والاستبعا ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يشك أن يؤدى إلى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل وخاف أيضا الجاه ليكون سببا لحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فأما الخلافات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريح الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب وعفلة عن الله تعالى وتماديا في الضلال وطلبا للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا يرهان على هذا كالتجربة والملاحظة فانظر واعتبر واستبصر لتشهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان . وقد روى سفيان الثوري رحمه الله حزينا فليل له مالك فقال صرنا متجرا لآبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا . الوظيفة الرابعة : وهى من دقائق

معاليها عن بعض ما وقع في الأملاء الملقب بالاحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشيء من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطعام وأمثال الأنعام وأجماع العوام وسفهاء الأحلام وذعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعتهم وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومنابدته ونسبوا مملية إلى ضلال وإضلال ونبدوا قراءه ومنتحليه بزئج في الشريعة واختلال فألى الله انصرافهم وما بهم وعليه في العرض الأكبر إيقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويسئلون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لصلحهم الدين

صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق
الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج
الحرص على الإصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم «لومنع الناس عن فت البعر لفتوه
وقالوا مانيهنا عنه إلا وفيه شيء» (١) وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام ومانهيا عنه
فما ذكرت القصة معك لتكون سمرابل لتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يعيل النفوس
القاضلة والأذهان الدكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك
مما لا يعزب عن فطنته . الوظيفة الخامسة : أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم
العلوم التي وراءه كعلم اللغة إذ عادت تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادت تقبيح علم الحديث والتفسير وأن
ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك
فروع وهو كلام في حيز النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للعلمين
ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا
بعلوم فينبغي أن يراعى التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة . الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالمتعلم
على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخطب عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى
الله عليه وسلم حيث قال «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر
عقولهم» (٢) فليدب إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال ﷺ «ما أحد يحدث قوما يحدث
لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم» وقال على رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا لعلوم
حجة لو وجدت لها حجة وصدق رضي الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفشى العالم كل
ما يعلم إلى كل أحد هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للاقتناع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى
عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من
الخنزير ولذلك قيل كل لكل عيب عيار عقله وزن له ميزان فهمه حتى تسلم منه ويتنفع بك والإواقع
الانكار لتفاوت المعيار . وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال «من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار» (٣) فقال ترك اللجام واذهب
فإن جاء من يفقه وكتمته فليجمن فقد قال الله تعالى - ولا تؤثروا السفهاء أموالكم - تنبيهها على أن
حفظ العلم ممن يفسد ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق
أأنثر درأ بين سارحة النعم فأصبح مخزونا براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره فلا أنا أضحي أن أطوقه بهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدجو استفتدت مودة وإلا فمخزون لدى ومكتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة : إن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا

(١) حديث لومنع الناس عن فت البعر لفتوه الحديث لم أجده (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء
أمرنا أن نزل الناس منازلهم الحديث روينا في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر
أخضر منه وعند أبي داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم (٣) حديث من كتم علما نافعا
جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبي سعيد باسناد ضعيف وتقدم حديث
أبي هريرة بنحوه .

وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتر رغبته في الجلى ويشوش عليه قلبه ويوم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فممن أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشد هم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريره ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحلت عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصدد ها وبملا قلوبهم من الرغبة والرغبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تملقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص . الوظيفة الثامنة : أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعلة لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألدها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومضى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى : لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم وقال الله تعالى - أئتمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم - ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغير الناس بتسككهم والعالم يغيرهم بتهتكهم والله أعلم .

الباب السادس في آفات العلم و بيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدوا من العلم التمتع بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « العلم عامان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (٣) »

الباب السادس

(١) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في المدخل موقفا على أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح وأسند الخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر بإسناد جيد وأعله ابن الجوزي (٣) حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (٣) من حديث أنس وهو ضعيف

وقال

أعلام المعرفة ولا يستر عوراتهم لباس الحشية لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء وصرات النجباء وخصوصية البدلاء وكرامة الأوتاد وفوائد الأقطاب وفي هذه أسباب السعادة وتمة الطهارة لوعرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل الباطل وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم حجبوا عن الحقيقة بأربع بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا وإظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون ومحبة الدنيا أورثتهم طول الغفلة وإظهار الدعوى أورثهم الكبر والاعجاب والرياء - والله من ورائهم محيط وهو على كل شيء شهيد فلا يفرّك - أعاذنا الله وإياك من احوالهم شأنهم ولا يذهلتك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمرّدهم وطغيانهم ولا تعوينك

بمازين لهم من سوء
أعمالهم شيطانهم
فكان قد جمع الخلاق
في معبد - وجاءت كل
نفس معها سائق
وشهيد - وتلا - لقد
كنت في غفلة من هذا
فكشفتنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد -
فياله من موقف قد
أذهل ذوى العقول
عن القال والقييل
ومتابعة الأباطيل
فأعرض عن الجاهلين
- ولا تطع كل آفك
أثيم ، وإن كان كبر
عليك إعراضهم فإن
استطعت أن تبتنى نفقا
في الأرض أو سما في
السما فتأتيهم بآية
ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى فلا تكون
من الجاهلين ولو شاء
ربك لجعل الناس أمة
واحدة فاصبر حتى يحكم
الله وهو خير الحاكمين
كل شيء هالك إلا وجهه
له الحكم وإليه
ترجعون - ولقد جئناك
بحول الله وقوته وبعد
استخارته عما سألت
عنه وخاصة ما زعمت
فيه من تخصيص
الكلام بالمثل الذي

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتبازوا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه
الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من كنتم علماء عنده ألبه الله
بلعام من نار » وقال عليه السلام « لأننا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك ؟ فقال
من الأئمة المضلين » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله
إلا بعدا » (٣) وقال عيسى عليه السلام إلى من تصفون الطريق للدجلين وأتم مقيمون مع المتحيرين
فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فإن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد
وإنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه
إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا علما قال عليم اللسان جاهل
القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تسكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى في العمل
مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال
كفى بترك العلم إضاعه له وقيل لابراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا
فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفترط وقال الحليل بن أحمد الرجال أربعة :
رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم
فأيقظوه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لا يدري ولا يدري
أنه لا يدري فذلك جاهل فافرضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فإن أجابه
وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل
ابن عياض رحمه الله إني لأرحم ثلاثة عزير قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال
الحسن عقيب العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري ديناه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواء فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم « إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه » (٤) وأراد به
العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في
النار فتندلق أفتابه فيدور بها كأي دور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت
أمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية » (٥) ولما بضاعة عذاب العالم في معصيته لأنه عصي عن علم
ولذلك قال الله عز وجل - إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا
من النصارى مع أنهم ما جعلوا الله سبحانه ولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله

(١) حديث لاتعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح

(٢) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبي ذر باسناد جيد

(٣) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا أبو منصور الديلمي في مسند
الفردوس وحديث علي باسناد ضعيف إلا أنه قال زهدا ، وروى ابن جبان في روضة العقلاء موقوفا
على الحسن من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزد من الله إلا بعدا ، وروى أبو الفتح الأزدي
في الضعفاء من حديث علي من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا (٤) حديث
إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة
المذكور بعده (٥) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى في النار فتندلق أفتابه
الحديث متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم

به فونه كما يعرفون أبناءهم - وقال تعالى - فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين - وقال تعالى في قصة بلعام بن باهرواء - وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الفاوين - حق قال - فمثل كمثل السكب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخذ إلى الشهوات فشبّه بالسكب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها حص وباطنها تن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها أعظم الموتى فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشدّ عذابا من الجاهل وأن الفاضل من القربين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضربتين مهما أرضيت إحداها أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداها خفت الأخرى وأنهما كالشرق والغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فان من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمهاشم انصرام ما يصفونها من فساد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مساوٍ للإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره فكيف يعدّ من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعدّ من حزب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني علما قد أسكرته الدنيا فيصدمك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد إلى هارباً كنيته جهيذا ومن كنيته جهيذا لم أعذبه أبداً ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لصّ وقال عمر رضي الله عنه إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت في بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخ له إنك قد أوتيت علما فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسمى أهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قصيرة وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية وما تمسك جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئب
وقال الآخر : يا معشر القسراء يا ملحق البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد
وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون المعاصي قرعة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظن أن ترك المال يكفي في الحقوق

دخريه الأقدام إذ قد اتفق أن يكون أشهر مافي الكتاب وأكثر نصرة على السنة الصدور والأصحاب حتى لقد صار المثل المذكور في المجالس تحية الداخل وحديث المجالس فساعدتنا أمنيته ولولا العجلة والاشتغال لأضفنا إلى إملائنا هذا بابا نغيره مما عدوه مشكلا وصار لعقولهم الضعيفة غبلا ومضلا ونحن نستعين بالله من الشيطان ونستعصم به من جراءة فقهاء الزمان وتتضرع إليه في المزيد من الاحسان إنه الجواد المنان [ذكر مراسم الأسئلة في المثل]

ذكرت رزقك الله ذكره وجعلك تعقل نهيه وأمره كيف جار انقسام التوحيد على أربعة مراتب ولفظة التوحيد تنافي التقسيم في المشهود كما ينافي التكرير التعديد وان صح انقسامه على وجه لا يندفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ورغبت

مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها إن كان يقع بينهم التفاوت وتواجه تمثيلها بالجوز في القشور واللُب ولم كان الأول لا ينفع والآخر الذي هو الرابع لا يحل إفتشاؤه وماعنى قول أهل هذا الشأن إفتشاء سر الرابطة كسر أين أصل ما قالوه في الشرع إذ الإيمان والكفر والمهادية والضلال والتقريب والتباعد والصدقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة إنمأى مأخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف تصوّر مخاطبة العقلاء الجمادات ومخاطبة الجمادات العقلية وبماذا تسمع تلك المخاطبة أبحاسة الأذان أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الإلهي وما حدّ عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت وما معنى أن الله تعالى خلق آدم

بعلماء الآخرة فإن الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فإذا سمعت الرجل يقول حمة ثلثاً فاعلم أن أوسعوا إلى ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أنتهى أن أحدث ولو ذهبت عن شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره إذا انتهيت أن تحدث فاسكت فإذا لم تنته تحدث وهذا لأن التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل تنعم في الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين عليه السلام - ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً - وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الاخلاص وقال الناس كلهم موقى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدري ماذا يحتتم به وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا وإنمأ أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن كيسان البصري أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من طلب علماً مما يتنى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» (١) وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال عز وجل في علماء الدنيا لو إذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً وقال تعالى في علماء الآخرة «وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم - وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقالوا بهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرّ من الصبر إياي يخادعون وبني يستهزئون لأفتحن لهم فتنة تذللهم حيران» (٢) وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمناً فذلك يصلى عليه طير السماء وحياتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدمون على الله عز وجل يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علماً في الدنيا فضنّ به على عباد الله وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً فذلك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجماً من نار ينادى مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علماً في الدنيا فضنّ به على عباد الله وأخذ به طمعاً واشترى به ثمناً فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس» (٣) وأشد من هذا ما روى أن رجلاً كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صلى الله عليه وسلم نجي الله حدثني موسى صلى الله عليه وسلم نجي الله حتى أئثرى وكثر ماله ففقد موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبراً حتى جاءه رجل ذات يوم

(١) حديث أنى هريرة من طلب علماً مما يتنى به وجه الله ليصيب به عرضاً الحديث أبو داود وابن ماجه بإسناد جيد (٢) حديث أنى الدرداء أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين الحديث ابن عبد البر بإسناد ضعيف (٣) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف .

وفي يده خنزير وفي عنقه جبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن تردّه إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا فأوحى الله عز وجلّ إليه لودعوني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين . وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفاً ومرفوعاً في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع»^(١) وفي الكلام تقيق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يحزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره ذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شيء من علمه أو تهوون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلاً فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفنى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليفخر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكرًا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الرهق والمعجب فان وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار فعليك يا أخي بالصمت فيه تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمسح في غير أرب وفي خبر آخر «إن العبد لينشرله من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة»^(٢) وروى أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيساً بعد نصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أتواب من رقيق البر وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقيل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضى الله عنه موقوفاً ومرفوعاً قال قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الاخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة»^(٣) قال تعالى - غفر على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويا أيها الذين آمن - الآيه ، فعرف أهل العلم بآثار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يتخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى - أأأمرون الناس بالبر ونفسون أنفسكم - وقال تعالى - كبر مقتنا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وقال تعالى في قصة شعيب - وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه - وقال تعالى - واتقوا الله ويعلمكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا ، واتقوا الله واسمعوا - وقال تعالى لعيسى عليه السلام « يا ابن مريم عطف نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مرت ليلة أسرى في بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولانأته ونهى عن الشر ونأته»^(٤) وقال

(١) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزي في الموضوعات (٢) حديث إن العبد لينشرله من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة لم أجده هكذا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة إنه لياقئ الرجل العظيم الدين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (٣) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في الموضوعات (٤) حديث مرت ليلة أسرى في بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس .

على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهره التي يكون معتقدها منزهاً مجللاً وما معنى الطريق في - فانك بالوادي المقدس طوى - ولعله بغداد أو أصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ومأمعي فاستمع بسر قليل لما يوحى وهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بغير ذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالسلب إلى مثل ذلك المقام حتى يسمع أسرار الاله وإن كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد إلا على من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع في النداء إذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه وما معنى الأمر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي

أوصله إلى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقرئين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرفيق وإلى أين وجهته في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي يمنعه من البقاء في الموضع الذي وصل إليه وهو أرفع من الذي خلفه وأين هذا من قول أبي سليمان الداراني المذكور في غير الأحياء لو وصلوا ما رجعوا ما وصل من رجع وما معنى بأن ليس في الأماكن أبدع من سورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة الإلهية وما حكم هذه العلوم المكنونة هل طلبها فرض ومندوب إليه أو غير ذلك ولم كسبت المشكل من الألفاظ والغز من العبارات وإن جاز ذلك للشارع فيما له أن يختبر به ويمتنع فما بال من ليس شارعا

صلى الله عليه وسلم «هالك أمي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء» (١) وقال الأوزاعي رحمه الله شكت النواويس ما تجد من تن جيف الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء السوء أنتن مما أتم فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ونهى عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك ابن دينار إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها

أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدًا فالموقات لعمرى أنت جانيها

تعيب دنيا وناسا راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر : لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبي تعتبر فقلبيته فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السكيت رحمه الله كم من ذكر بالله ناس لله وكم من يخوف بالله جرى على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله وكم من داع إلى الله فارت من الله وكم من نال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله لقد أعر بنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نعرب وقال الأوزاعي إذا جله الأعراب ذهب الحشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا» (٢) وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فجلت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه إذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلاث بهن يهدم الزمان إحداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا يفتقع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباح من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإشارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطلق مصاييح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله فما أخصب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والانجيل مكتوب

(١) حديث هالك أمي عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء الحديث الدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلًا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجده صدر الحديث (٢) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا علقه ابن عبد البر وأسندته ابن عدي وأبو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمي موقوفًا على معاذ بسند صحيح .

لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضى الله عنه إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين . واعلم أن مثل العالم مثل القاضي وقد قال صلى الله عليه وسلم «القضاة ثلاثة قاضٍ بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاضٍ قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار وقاضٍ قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار»^(١) وقال كعب رحمه الله يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون ويهونون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بالسنتهم يقر بون الأغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغايرون النساء على الرجال يغضب أحدهم على جلسه إذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم فقليل يارسل الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قاتلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل»^(٢) وقال سري السقطي اعتزل رجل للتعب كان حريصا على طلب علم الظاهر فسأله فقال رأيت في النوم قائلا يقول لي إلى كم تضع العلم ضيعك الله فقلت إلى لأحفظه فقال حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الحشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همته الرواية والعلماء همته الرعاية وقال مالك رحمه الله إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود رضى الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يشقونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمرضى الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى - ولكم الويل مما تصفون - وفي الخبر «مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن»^(٣) . ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعات مجتنباً للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيال فقال فثالث من يعرض عن علم الأعمال ويشغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيباً حاذقاً في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى «أن رجلاً جاء رسول الله ﷺ فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم فقال ومارأى العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ماشاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ماشاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم»^(٤) بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي رضى الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثمانى مسائل قال شقيق له إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإني لأحب أن أكذب فقال هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق

(١) حديث القضاة ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بر يدة وهو صحيح (٢) حديث إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم الحديث في الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث مما أخاف على أمتي زلة عالم الحديث الطبراني من حديث أبي الدرداء ولا بن حبان نحوه من حديث عمران بن حصيب (٤) حديث أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم الحديث ابن السني وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن السور مسلماً وهو ضعيف جداً .

قرأت

التي جملة مراسم الأسئلة في المثل فأسأل الله تعالى أن يعلى علينا ما هو الحق عنده في ذلك وأن يجرى على ألسنتنا ما يستضاء به في ظلمات المسالك وأن يم بنفعه أهل المبادئ والمدارك ثم لا بد أن أمهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية . أما المقدمة فالغرض بهاتين عبارات انفرد بها أرباب الطريق تممض معانيها على أهل القصور فنذكر ما يفيض منها ونذكر المقصدها عندهم فربما واقف على ما يكون من كلامنا مختصاً بهذا الفن في هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذي يكون سلوكنا في هذه العلوم عليه والسمت الذي ننوي بمقتصدنا إليه ليكون ذلك أقرب على التأمل وأسهل على الناظر للتفهم وأما الوصية فنقصدها فيها تعريف ما على من نظر في كلام الناس وأخذ

فرايت كل واحد يحب محبوا فهو محبو به إلى القبر فاذا وصل إلى القبر فارق جمعت الحسنات محبو في فاذا دخلت القبر دحرج محبو في من فقال أحسنت يا حاتم لما الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل - وأمان من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى - فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - فمكنا وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظا الرابعة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لاشي ثم نظرت إلى قول الله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما الخامسة أتت نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا - فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت إلى هذا الخلق يبني بعضهم على بعض ويقاثل بعضهم بعضا فرجعت إلى قول الله عز وجل - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فعاديتهم وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى - وأمان دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت مالي عنده الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرايتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي. قال شقيق يا حاتم وفقك الله تعالى فأتيت نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لايتهم بأدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام . ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في المظم والمشرى والتنعم في اللبس والتجمل في الأثاث والسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسافر رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربا به وارتفع في علماء الآخرة حظه به . ويشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع حاتم إلى الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متعشف يجب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فأتيت أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فاذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار حسناء فورا واسعة نزهة وإذابة وستور فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بفرش وطيشة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة فقعد الرائي عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لأجلس فقال لعل لك حاجة

نفسه بالاطلاع على أغراضهم فيما ألفوه من تصانيفهم وكيف يصحون نظره فيها وإطلاعه عليها واقتباسه منها فذلك أكد عليه أن يتعلمه من ظهورها فشدوا عنها وغلقت في وجوههم الأبواب وأسدل دونهم الحجاب ولو آتوها من أبوابها بالترحيب وولجوا على الرضا بالحبيب لكشف لهم كثير من حجب الغيوب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [المقدمة] : اعلم أن الألفاظ المستعملة منها ما يستعمله الجماهير والعموم ومنها ما يستعمله أرباب الصنائع والصنائع على ضربين علمية وعملية فالعملية كالهن والحرف ولأهل كل صناعة منهم ألفاظ يتفاهمون بها آلاتهم ويتعاطون أصول صناعتهم والعلمية هي العلوم المحفوظة بالقوانين المعدلة بما تحرر من الموازين ولأهل كل علم أيضا ألفاظ اختصوا بها لا يشاركون فيها غيرهم

فقال نعم قال وماهى قال مستئلة أسألك عنها قال سل قال قم فاستو جالسا حتى أسألك فاستوى جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذته فقال من الثقات حدثوني به قال ممن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم ممن قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم ففبا أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وإلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه من كان في داره إشراف وكانت سعتا أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب الساكين وقدم لآخريته كانت له عند الله المنزلة قال له حاتم فأنت بمن اقتديت بألنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له إن الطنافسى بقزوين أكثر توسعا منه فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى مبدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إنا فيه ماء فأتى به فتقدم الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أر بما أر بما فقال الطنافسى يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أر بما فقال حاتم يسبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف فعمل الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أر بعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألسن أعجمى وليس يكلمك أحد إلا قطعتة قال مئ ثلاث خصال أظهرهن على خصمى إذا أصاب خصمى وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسى أن لأجهل عليه فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شئتك وتسكون . من شئتهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلى فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطيء بالأرض قال فأين قصور أصحابه رضى الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض قال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون قال الوالى ولم ذلك قال حاتم لا تعجل على أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ، ثم قال وقد قال الله تعالى - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة - فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر غفلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه

إلا أن يكون ذلك بالاتفاق من غير قصد وتسكون المشاركة إذا اتفقت إما فى صورة اللفظ دون المعنى أو فى المعنى وصوره اللفظ جميعا وهذا يعرفه من بحث عن مجارى الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وإنما سمينا من العلوم صنائع ما قصد فيها التصنع بالترتيب فى التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين مبدأ وغاية وما لم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الأنبياء صلوات الله عليهم والصحابة رضى الله عنهم فانهم لم يكونوا فيما عندهم من العلم على طريق من بعدهم ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذى هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسميها عندهم صناعة ونسميها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين ونقرر من الحصر والترتيب ولأرباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات إلى الحقائق

والمسلمين بالسادة
والملقبين بالصوفية
والمتشبهين بالفقراء
والمعروفين بالرقعة
والمعزى إليهم العلم
والعمل ألفاظ جرى
رسمهم بالتخاطب بها
فما يتذاكرون أو
يذكرونه ونحن إن
شاء الله نذكر ما يغضب
منها إذ قد يقع منا
عند ما ذكر شيئا من
علومهم ونشير إلى
غرض من أغراضهم
فلم نر أن يكون ذلك
بغير ما عرف من
ألفاظهم وعباراتهم
ولا حرج في ذلك عقلا
وشرعا ونحن بحكم
مصرف التقدير وهو
على كل شيء قدير . فن
ذلك السفر والسالك
والمسافر والحال والمقام
والمكان والشطح
والطوالع والذهب
والنفس والسرواوصل
والفصل والآداب
والرياضة والتحلي
والتخلي والتجلي والعلّة
والانزعاج والمشاهدة
والمكاشفة والسوانح
والتلون والغيرة والحريّة
واللطيفة والفتوح
والوسم والرسم والبسط

والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأُنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداينة ومراعاة الخلق ومراعاتهم وأمر آخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها ألبته ولو كانت السلامة مبدولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبلغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص الطرز بالعلم^(١) ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة^(٢) إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه . وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضي الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطى وتجلس على بابك وقد جلست بحاس العلم وقد ضربت إليك المطى وارتحل إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا مالك عليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام ، فكتب إليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك . أما بعد فقد وصل إلي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأما ما ذكرت لي أني آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطى فتجن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلنسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيما جميعا ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداينة والتجاوز إلى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعريض على التمتع بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصة علماء الله تعالى الخشية وخاصة الخشية التباعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم ألبته مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي أن يحتزن عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حاوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يتخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الانكار عليهم فيكون مدهانا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشروع وعلماء الآخرة طريقهم للاختياط . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » يعنى من سكن البادية جفا « ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء

(١) حديث نزع القميص المعلم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب في أثناء

الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٣) حديث من بدا جفا الحديث أبوداود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابن عباس .

تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برى ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى قيل أفلا تقاتلهم قال صلى الله عليه وسلم لا ماصلاوا (١) وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للابوك وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وما هي؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه وقال رسول الله ﷺ «العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فأحذروهم واعتزلوهم» (٢) رواه أنس، وقيل للأعمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذ به عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الإدراك وثلاث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثالث الباقي لا يفلح منه إلا القليل بل ذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص وقال الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء» (٣) وقال مكحول الدمشقي رحمه الله من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم سبب السلطان تملقا إليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال سمعون ما سمع بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال هو عند الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جرت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كخافع أمي لا آخذ منه شيئا ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاهه لاستنقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاه لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحية لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عني به سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في السجبة والقدم في الإسلام فلو أتيتهم فقال يا بني آتى جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لأشركهم فيها قالوا يا أبانا إذن نهلك هزأ قال يا بني لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلي من أن أموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق ألبته وهو مضاد للإيمان وقال أبوذر لسامة يأسامة لاتغش أبواب السلاطين فانك لاتصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال للعلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن أما بعد فأشرعني بأقوام

- (١) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون الحديث مسلم من حديث أم سامة
(٢) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن ماجه بالشرط الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

والقبض والقتناء والبقاء والجمع والتفرقة وعين التحمل والزوائد والارادة والمريد والمراد والهمة والغربة والمكر والاصطلام والرغبة والرهبة والوجد والوجود والتواجد فتذكر شرح هذه على أوجز ما يمكن بمشيئة الله تعالى وإن كانت ألفاظهم المصرفة بينهم في علومهم أكثر مما ذكرنا فانما قصدنا أن نريك منها أعمودا ودستورا تتعلم به إذا طرأ عليك ما لم تذكره لك ههنا إذ لها مبعث وإليها سبيل فتطلبه بعد ذلك على وجهه (فأما السفر والطريق) فالمراد بهما سفر القلب بآلة الفكر في طريق المعقولات وعلى ذلك ابقى لفظ السالك والمسافر في لغتهم ولم يرد بذلك سلوك الأقدام التي بها يقطع مسافات الأجسام فإن ذلك مما شاركه فيه البهائم والأنعام وأول مسالك السفر إلى الله تعالى عز وجل معرفة

قواعد الشرع وخرق
حجب الأمر والسهي
وتعلق الغرض فيها
والمراد بها ومنها فإذا
خلفوا نواحيها وقطعوا
معاينها أشرفوا على
مفاوز أوسع وبرزت
لهم مهامه أعرض
وأطول من ذلك معرفة
أركان المعارف النبوية
النفس والعدو والدينا
فإذا تخصصوا من
أوعارها أشرفوا على
غيرها أعظم منها في
الانتساب وأعرض
بغير حساب من ذلك
سر القدر وكيف خفي
بحكم في الخلائق وقادهم
باطف في عنف وشدة
في لين وبقوة في ضعف
وباختيار في جبر إلى
ما هو في مجاريه لا يخرج
المخلفون عنه طرفه
عين ولا يتقدمون
ولا يتأخرون عنه
والأشراف على
الملوك الأعظم
ورؤية عجائب ومشاهدة
غرائب مثل العلم
الإلهي والروح المحفوظ
واليمين الصكابة
وملائكة الله يطوفون
حول العرش والبيت
المعمر وهم يسبحونه

أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدكم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه فإذا كان شرط أهل الدين الحرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما ليلهم إلى الدنيا وإما لخلاطتهم السلاطين . ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلي أفتى وإن سئل عما يشك فيه قال لا أدري وإن سئل عما يظنه بجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري (١) » قال الشعبي لا أدري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدري فان أخطأها فقد أصيبت مقاديرها وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا إلى هذا سكوتة أشد على من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أي لا يتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا ووجدوا من يكفهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام وصر على وعبد الله رضي الله عنهمما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم إنما العالم الذي إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقطع ضرره وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلوا ناسرا تعبرون علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان إبراهيم التيمي إذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدا غيبي حتى احتجتم إلي وكان أبو العالية الراعي وإبراهيم بن أدهم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فإذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم « ما أدري أعزيرني أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وما أدري ذوالقرنين نبي أم لا (٢) » ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشرها قال لا أدري حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق (٣) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر ممن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل ابن عياض و بشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنهم أحد يسئل عن حديث أوفيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك (١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم (٢) حديث ما أدري أعزيرني أم لا الحديث أبو داود والحاكم ومصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا أدري حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم ومصححه ونحوه من حديث ابن عمر

وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردّها إلى الآخر ويردّها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأوّل . وروى أنّ أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو في غاية الضرر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأوّل فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب مطلوباً والمطلوب مهروباً منه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسنداً عن بعضهم أنه قال لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكاف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوصية والودعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علماً وأشدّهم دفعا لها وأروعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا ثلاثة أمر معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى » (١) وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه وأعرض عنه وقال ما وجدناه شيئاً وما حمدناه عاقبته وقال ابن حصين إنّ أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفي الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً فاقتربوا منه فإنه يلحق بالحكمة » (٢) وقيل العالم إما عالم عامة وهو الملقى وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل برعذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاماً وفلان أكثر عملاً وقال أبو سليمان المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل إذا كثّر العلم قلّ الكلام وإذا كثّر الكلام قلّ العلم وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : يا أختي بلغني أنك قد عدت طبيباً تدوى المرضى فانظر فإن كنت طبيباً فتكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطبباً فالله لا تقتل مسلماً فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيّب . وحكي أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي إلا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفاً من حصي ورمم به وقال تسألوني عن العلم وهذا الخبر بين أظهركم . ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسالوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فإن المجاهدة تنفضي إلى المشاهدة ودقائق علوم القاب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تنفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعقد إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا ثلاثة الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذي حديث غريب (٢) حديث إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلد باسناد ضعيف (٣) حديث مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء البخاري من حديث أبي جعفر

و يقدر سونه وفهم كلام الخلق من الحيوانات والجمادات ثم التخطي منها إلى معرفة الخالق للكل والمالك للجميع والقادر على كل شيء فتشاهم الأنوار المحرقة ويتجلى لمراة قلوبهم الحقائق المحتجبة فيعلمون الصفات ويشاهدون الموصوف ويحبسون حيث غاب أهل الدعوى ويبصرون ما عمى عنه أولو الأصار الضعيفة بحجب الهوى . والحال منزلة العبد في الحين فيصفو له في الوقت حاله ووقته وقيل هو ما يتحوّل فيه العبد ويتغير بما يرد على قلبه فإذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له حال وقال بعضهم الحال لا يزول ، فإذا زال لم يكن حالاً . والمقام هو الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات فحق أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه إلى غيره

والمكان هو لأهل
الكمال والتكفين
والنهاية فإذا كمل العبد
في معانيه فقد تمكن
من المكان وغه
المقامات والأحوال
فيكون صاحب مكان
كما قال بعضهم:
مكانك من قلبي هو
القلب كله
فليس لشيء فيه غيرك
موضع
والشطوح كلام يترجم
به اللسان عن وجد
يفيض عن معدنه
مقرون بالدعوى إلا أن
يكون صاحبه محفوظا
والطوالع أنواع
التوحيد يطلع على
قلوب أهل العرفه
شعاعها فيطمس
سلطان نورها الألوان
كما أن نور الشمس
يمحو أنوار الكواكب
والذهاب هو أن يغيب
القلب عن حسن كل
محسوس بمشاهدة
محبوبها . والنفس
روح سلطه الله على
نار القلب ليطلق شرها
والسر ما حى عن
الخلق فلا يعلم به إلا الحق
وسر السر ما لا يحس
به السر والسر ثلاثة

الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانتقطاع إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على اللهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحارفيه عقول ذوى الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ^(١) » وفي بعض الكتب السالفة يابى إسرائيل لا تقبلوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض ولا في تخوم الأرض من يصعبه ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به ، العلم يجعل في قلوبكم تأدبوا بين يدي آداب الروحانيين وتخلقوا إلى أخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطىكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا لقلوب الصديقين والشهداء ثم تلاقوه تعالى - وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو - الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ^(٢) « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيأمر به عن ربه تعالى « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ^(٣) » الحديث فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للرصد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه وكذلك في علوم الكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم بحرا لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه في حديث طويل القلوب أوعية وخبرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعا أعابع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم بحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق والعلم دين يدان به تكسب به الطاعة في حياته وجميل الأحدثه بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حمله بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لأهل الحق لكن ينزع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذاولا ذاك أو منهوما بالذات سلس القياد في طلب الشهوات أو مغررى بجمع الأموال والادخار منقادا لهواه أقرب شهابهم الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إظهاره مكشوف وإمائنه مظهر لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيئاته وكم وأين أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون قدبا أعيانهم مقفودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلأنوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمنائه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم ^(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه ^(٢) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرامتفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو في الحلية كاذ كره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف

فهذا الذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة . ومنها أن يكون شديداً العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليقين الإيمان كله » (١) فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم يفتح للقلب طريقه ولذلك قال ﷺ « تعلموا اليقين » (٢) ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كقوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم « لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم : مامن آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وتدم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدجل به الجنة » (٣) ولذلك قال ﷺ « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار » (٤) وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نوراً وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر الموقنين - في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخبرات والسعادات . فان قلت فإمعن اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولاً ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظائر والتكاملون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات الأول أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بانبات ولا نفي بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً . الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه يعينه لومات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريته فهذا التجوز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظناً . الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والأصغاء إلى التشكيك والتجوز اتسعت نفسه للتجوز وهذا يسمى اعتقاداً مقارناً لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ ارسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تشق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله . الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً

(١) حديث اليقين الإيمان كله البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسل وهو معضل ورواه ابن أبي الدنيا في اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذي الحكيم في النوادر من حديث أنس بإسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً أقل من اليقين ولا قسم شيئاً بين الناس أقل من الحلم الحديث .

سر العلم وسر الحال وسر الحقيقة فسر العلم حقيقة العالمين بالله عز وجل وسر الحال معرفة مراد الله في الحال من الله وسر الحقيقة ما وقعت به الإشارة . والوصل إدراك الفئات . والفصل قوت مانرجوه من محبوبك . والأدب ثلاثة : أدب الشريعة وهو التعلق بأحكام العلم بصحة عزم الخدمة والثاني أدب الخدمة وهو التشمير عن العلامات والتجرد عن الملاحظات . والثالث أدب الحق وهو موافقة الحق بالمعرفة . والرياضة اثنان رياضة الأدب وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب وهو صحة المراد والتحلي التشبه بأحوال الصادقين بالأحوال وإظهار الأعمال والتخلي اختيار الحاة وإعراض عن كل ما يشغل عن الحق والتجلى هو ينكشف للقاوب من أنوار

الغيوب . والحالة تنبه
عن الحق والأزواج
انتباه القلب من سنة
العفلة والتحرك للأشياء
والوحدة . والمشاهدة
ثلاثة مشاهدة بالحق
وهي رؤية الأشياء
بدلائل التوحيد
ومشاهدة للحق وهي
رؤية الحق في الأشياء
ومشاهدة الحق وهي
حقيقة اليقين
بلا رتاب . والمكاشفة
أتم من المشاهدة وهي
ثلاثة مكاشفة بالعلم
وهي تحقيق الإصابة
بالفهم ومكاشفة بالحال
وهي تحقيق رؤية
زيادة الحال ومكاشفة
بالتوحيد وهي تحقيق
صحة الإشارة . واللوائح
ما يلوح من الأسرار
الظاهرة الصافية من
السمو من حالة إلى
حالة أتم منها والارتقاء
من درجة إلى ما هو
أعلى منها . والتلويح
تلويح العبد في أحواله
وقالت طائفة علامة
الحقيقة رفع التلويح
بظهور الاستقامة
وقال آخرون علامة
الحقيقة التلويح

عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للعقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأن
القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحواس وليس العلم بوجود شيء قديم
أزلى ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حدث بلا سبب محال
فإن هذا أيضاً ضروري خفى غير يسهل العقل أن يتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال
والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسمع تصديقاً جزماً ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد
وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود قديم
فالموجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حدث بلا سبب وذلك محال
فالمراد إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهي
أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فإن كانت كلها قديمة
فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وإن كان الشكل حادثاً فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث بغير
سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء سواء
حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغيره العقل كالعلم باستحالة حدث بلا سبب أو بتواتر
كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كإدراكنا فشرط إطلاق
هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين
بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشك . الاصطلاح الثاني اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثرا العلماء وهو
أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف
اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه ويقال فلان قوى اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه
فهو مائل النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف
في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقيناً ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك
عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ، ومنهم من
استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعاً لغيره فيعبر عن مثل
هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقيناً ولا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت
وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما أردنا بقولنا إن من شأن علماء الآخرة
صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعاً وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون
هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها فإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة
أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلّة والحفاء والجلاء فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك
في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تنتهي وتفاوت الخلق في
الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت بالحفاء والجلاء في الاصطلاح الأول
فلا ينكر أيضاً أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر : أعنى الاصطلاح الثاني وفيما اتفق الشك أيضاً
عنه لا سبيل إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فذلك مثلاً وبين تصديقك
بوجود موسى ووجود بوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك في الأمرين جميعاً فستندهما جميعاً التواتر
ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة الخبرين
وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالأدلة فإنه ليس وضوح ملاح له بدليل واحد
كوضوح ملاح له بالأدلة الكثيرة من تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ
العلم من الكتب والسمع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة

متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علما من فلان أي معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين في جميع ماورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين في بعضه . فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك أو بمعنى الاستيلاء على القاب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فاني لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه . فاعلم أن جميع ماورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكني أشير إلى بعضها وهي أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لأحكامها فالصديق بهذا موقن فان اتقى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالته عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا ينضب عليهم بل يراها آيتين مسخرتين واسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشراف وهو عمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحیوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هي المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريثا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذه أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له سببا إليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان محملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشهره وتأسفه على ما فاتته وأتم هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الحزن إلى الشجع ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخير طلبا للشبع فيحفظ قليلا وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلا وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلا وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به المقرَّبون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشعير أبلغ . ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد له واجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو القصد فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان في خلوته متأدبا في جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا في جميع أعماله متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريره كما يطالع الخلق على ظاهره فتكون مبالغة في حمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة أشد من مبالغة في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق الحمودة وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأشجار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربيع

للنجيات

لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد الغيرة . والغيرة غيرة في الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق فالغيرة في الحق برؤية الفسواحش والمناهي وغيرة على الحق هي كتمان السرائر والغيرة من الحق ضنه على أوليائه . والحرية إقامة حقوق العبودية فتكون لله عبدا وعند غيره حرا . واللطفية إشارة دقيقة للمعنى تلوح في الفهم ولا يسعها العبارة . والفتوح ثلاثة فتوح العبادة في الظاهر وذلك سبب إخلاص القصد وفتوح الخلاوة في الباطن وهو سبب جذب الحق باعطافه وفتوح المكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق . والوسم والرسم معنيان يجريان في الأبد بما جريا في الأزل . والبسط عبارة عن حال الرجاء والقبض عبارة عن حال الخوف . والفناء فناء المعاصي ويكون فناء رؤية العبد لفعله

بقيام الله تعالى على ذلك . والبقاء بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شيء والجمع التسوية في أصل الخلق وعن آخرين معناه إشارة من أشار إلى الحق بالخلق والتفرقة إشارة إلى اللون والخلق فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري سبحانه ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر وإذا جمع بينهما فقد وجد . عين التحم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء . والزوائد زيادات الإيمان بالغيب واليقين . والآراء ثلاثة إرادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التقى وإرادة الحظ منه وذلك موضع الطمع وإرادته الله سبحانه وذلك موضع الاخلاص والمريد هو الذي صح له الابتلاء ودخل في جملة المنقطعين إلى الله عز وجل بالاسم .


النجيات إن شاء الله تعالى وهذا التدركاف في معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الحشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكونه لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته . وعلماء الآخرة يعرفون بسياهم في السكينة والدلة والتواضع وقد قيل ما لبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الأنبياء وسيا الصالحين والصدّيقين والعلماء . وأما التهافت في الكلام والتشديق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهودأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الحشية وعالم بالله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم مغموم المؤمنون وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصدّيقون والحشية والخشوع إنما تغلب عليهم وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والجل وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما أتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسنا خلقا ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسنا خلق فهو إمام المتقين وفي الخبر « إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة (١) » وقال الحسن الخلمي وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سر باله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فانه ممقوت في السماء والأرض ويروى في الاسرائيليات أن حكيميا صنف ثلثمائة وستين مصنفات في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لفلان قدماء الأرض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء . وإني لأقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق وواكل بنى إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وفقت لرضاي . وحكي الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أعدكم إلى الشرطي فيستعبد بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يمتقهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطي وروى أنه قيل « يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوقك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فأى الأصحاب خير قال خيرهم صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيتك ذكرتك قيل فأى الأصحاب شر قال شرهم صلى الله عليه وسلم صاحب إن نسيتك لم يذكرك وإن ذكرتك لم ينعك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله قيل فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا (٢) »

(١) حديث إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوقك رطبا من ذكر الله الحديث لم أجده هكذا بطوله وفي زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسل سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وللدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء وقد تقدم .

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم فكرياً في الدنيا وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا» (١) وقال على رضى الله عنه في خطبة له فمضى رهينة وأتابه زعيم إنه لا يبيع على التقوى ررع قوم ولا يظلم على الهدى سنخ أصل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قش علماً أغار به في أغباش الفتنة سباه أشباه له من الناس وأرذلهم علماً ولم يعش في العلم يوماً سألما بكر واستكثر فاقبل منه وكفى خيراً كثيراً وألهى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلماً لتخليص ما التبس على غيره فانزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأي فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتد رماً لا يعلم فيسلم ولا يعرض على العلم بضرس قاطع فيغتم نبيكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا يملأه والله بأصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم الثلاث وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال على رضى الله عنه إذا سعت العلم فاكظموا عليه ولا تخططوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف العالم إذا ضحك ضحكاً معج من العلم حجة وقيل إذا جمع العلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على العلم العقل والأدب وحسن الفهم وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضى الله عنهما لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبنى أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره وما زاجره وما ينبنى أن يقف عنده ينثره ثر الدقل (٢)، وفي خبر آخر يمثل معناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم (٣) وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الحشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فأما الحشية فمن قوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وأما الخشوع فمن قوله تعالى - خاشعين لله لا يشترن بآيات الله ثمناً قليلاً - وأما التواضع فمن قوله تعالى - واخفض جناحك للمؤمنين - وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى - فبإرحمة من الله لنت لهم - وأما الزهد فمن قوله تعالى - وقال الدين أوتوا العلم وبلغكم نواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً «ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقل له ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجافي عن دار القرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للوثة قبل نزوله (٤) . ومنها أن يكون

والمراد هـو المعارف الذي لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهاية وغير الأحوال والمقامات والمهمة : ثلاثة مهمة منية وهي تحريك القلب للئى وهمة إرادة وهي أول صدق المرید وهمة حقيقة التصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل فان الأمر إذا خطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوبك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فائدة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغل منهم الزمان ولم يبق إلا المترحمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستقواهم الطغيان وأصبح كل واحد يعاجل حظه مشغولاً فصار يرى المعروف

- (١) حديث إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم خوفاً في الدنيا الحديث لم أجده أصلاً
- (٢) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقي (٣) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصراً مع اختلاف
- (٤) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - الحديث الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن مسعود .

منكرا والمنكر معروفا
حق ظل علم الدين
مندرسا ومنار الهدى
في أفطار الأرض
منطمسا ولقد خيلوا
إلى الخلق أن لا علم إلا
فتوى حكومة تستعين
به القضاة على فصل
الحصام عند تهاوش
الطعام أو جدل يتدري
به طالب المباحة إلى
الغلبة والأخام أو سجع
منخرف يتوسل به
الواعظ إلى استدراج
العوام إذ لم يروا ما سوى
هذه الثلاثة مصيدة
للحرام وشبكة للحطام
فأما علم طريق الآخرة
ومادرج عليه السلف
الصالح وهي جمع الهمم
بصفاء الألباس
والغربة : ثلاثة غربة
عن الأوطان من أجل
حقيقة القصد وغربة
عن الأحوال من
حقيقة التفرد بالأحوال
وغربة عن الحق من
حقيقة الدهش عن
المعرفة . والاصطلام :
نعت وله برد على القلوب
بقوة سلطان فيستكنها
والسكر  ثلاثة مكر
عموم وهو الظاهر
في بعض الأحوال

أكثر بحثه عن علم الأعمال وعمها يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويشير الشر فان أصل الدين التورق من الشر ولذلك قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقاب واللسان وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفرعه وكل ذلك مما يغلب مسبب الحاجة إليه وتم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفرجات في الحكومات والأقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تنفع أبدا وإن وقعت قائما تقع لغيرهم لالهم وإذا وقعت كان في القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بهم غيره النادر لإثارة للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرها في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من رج العالدين وفوز المقرين وذلك هو الحسران المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسيقني علمه ^(١) وقال مرة فعلت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن حمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدهم من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظرفان حضر حذيفة صلى عليها والإترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القاب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تنويق المذكورين فأبين التحقيق ويأون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم فهم على مهمل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وطى الجملة فلا يعيل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فان الحق مرة والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر الحديث أخرجه مختصرا .

ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال ومكر حتى في إظهار الآيات والكرامات . والرغبة ثلاثة : رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السر في الحق . والرهبة : رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق . والوجد : مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقدته والوجد : تمام وجد الواجدين وهو أتم الوجد عندهم . وسئل بعضهم عن الوجد والوجد فقال الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجد ما تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكين والوجد مع التمكن والتواجد : استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة التي ينبئ عليها هذا الفن بأمره فذلك اجتذاب أرواح المعاني والإشارة إلى البعد في القرب قصد الاستدلال بالأقوال

المذمومة فإن ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكلماً في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لأعلى الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أمراره فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد وأن يكون لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أمرار الأفعال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالماً ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه القطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلداً فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعاً . وقال بعض السلف ماجأنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ منه ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتقاد على السموع من الغير تقليداً غير مرضى فالاعتقاد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئاً ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفاً من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من المتشابهات فأنشراح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان (١) حديث ابن عباس ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من حديثه يرفعه بلفظه من قوله ويدع .

والأعمال والأحوال على
الله تعالى قصدا ذاتيا
لا على ماسلكه أرباب
علوم الظاهر ، ثم
التصديق بالقوة والنظر
إلى الملكوت من
كوة ومعرفة العلوم
في الانصراف ومصاحبة
القدر بالمساعدة
وبالمعروف ومعاطة
الوجودات الخس
الذات والحس والحياي
والعقلي والشهوى
حسبا فهم من الشرع
وثبت معناه في المحفوظ
من الوحي وقلما أدرك
شيء من العجز والعلم
لا ينال براحة الجسم
ومن يتق الله يجعل
له من أمره يسرا
ذلك أمر الله أنزله
إليكم ومن يتوكل
على الله فهو حسبه
إن الله بالغ أمره قد
جعل الله لكل شيء
قدرا (والوصية) أيها
الطالب للعلوم
والناظر في التصانيف
والمستشرف على كلام
الناس وكتب الحكمة
ليكن نظرك فيما
تنظر فيه بالله والله
وفي الله لأنه إن لم يكن

أحمد بن حنبل ينسب على مالك في تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم
وقيل أول كتابه ، صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفسير عن مجاهد وعطاء
وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سني
ماتورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري ، ثم في القرن
الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدل والغوص في إبطال المقالات ، ثم مال الناس
إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندراست من ذلك الزمان فصار بعد ذلك
يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقاويل
فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لأن العوام
هم المستمعون إليهم فكان لا يميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم
وعلمهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بهامياينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث
اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن
الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما
فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون
سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته إلى
الجنون فالأولى أن يشتغل الانسان بنفسه ويسكت . ومنها أن يكون شديد التوق من محدثات
الأمر وإن اتفق عليها الجمهور فلا يفرته إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم
وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم
أكان في التدريس والتصنيف والناظرة والقضاء والولاية وتولي الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام
ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة أم كان في الخوف والحزن والتفكير والمجاهدة ومراقبة
الظاهر والباطن واجتناب دقيق الائم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد
الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن . واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق
أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال على رضي الله عنه خيرنا أنبعنا
لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكثر بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم
بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادّعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه ولذلك قال الحسن
محدثان أحدثنا في الإسلام رجل ذو رأي سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيي ومترف يعبد
الدنيا لها يقضب ولها يرضى وإياها يطالب فأرضوهما إلى النار وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعو إلى دنياه وصاحب هوى يدعو إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحث
إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتني آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك كانوا وقد
روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال « إنما هما اثنتان الكلام والهدى ، فأحسن
الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا وإياكم
ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة ،
ألا لا يطلون عليكم الأمد فتسوقوا بكم ، ألا كل ما هوات قريب ، ألا إن البعيد ما ليس بآت (١) »

(١) حديث ابن مسعود إنما هما اثنتان الكلام والهدى الحديث ابن ماجه .

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالف أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحفت خليفته وصاحته سريره وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة^(١) » وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أتم في زمان خيركم فيه المسارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه التثبت التوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كاهلكوا وقال حذيفة رضي الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكرو زمان قد مضى وأن منكركم اليوم معروف زمان قد آتى وإنكم لاتزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فإن أكثر معارف هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله عنهم إذ من غرر العروقات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الأموال العظيمة في دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البوارى في المسجد بدعة وقيل إنه من محدثات الحجاج فقد كان الأولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدول والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من المنكرات ومن ذلك التلحين في القرآن والأذان ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال أتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان حشنة ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لانسألهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فأنهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فأنهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه وإنما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاج فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان النبر في صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال إنها ليست ببدعة إنما خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لاتأتون بخير مما أعلم أبدا والله لأصليت وراءك اليوم وإنما أنكر ذلك عليه « لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكل في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لأعلى النبر^(٢) »

(١) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف والبرار من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبراني والبيهقي من حديث ركب المصري وسط الحديث وكلها ضعيفة (٢) حديث كان يتوكل في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا الطبراني من حديث البراء ونحوه في يوم الأضحى ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف ورواه في الصغير من حديث سعد القرظي كان إذا خطب في العيدين خطب على قوس وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بلفظ كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس الحديث

نظرك به وكناك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به أبا كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو إمام متبع أو صحة ميز أو ما شاكل ذلك وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار علمك لغيره ونكصت على حقيقك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وكذلك إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سواء ورؤية غيره دونه تعمى القلب وتهتك الستر وتحجب اللب وإذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره باذدراء كمن يستغنى عنه في الظاهر وله إليه كثير حاجة في الباطن ولا تنقب به حيث وقف به كلامه فالعاني أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب المؤلفات وكثير علم مما

لم يعبر عنه واطمح
بنظر قلبك في كلامه
إلى غاية ما يحتمل فذلك
يعرفك قدره ويفتح
باب قصده ولا تقطع له
بصحة ولا تحكم عليه
بفساد وليكن تحسین
النظر أغلب عليك فيه
حتى يزول الاشكال
عنك بما تنقن من
معانيه وإذا رأيت له
حسنة وسيئة فانشر
الحسنة واطلب المعاذير
للسيئة ولا تصنع
كالنباية تنزل على أقدر
ما تجده ولا تعجل على
أحد بالتخطئة ولا تبادر
بالتهجيل فرما عاد
عليك ذلك وأنت
لا تشعر فكل عالم
عورة وله في بعض
ما يأتي به احتجاج
هناهيك ماجرى بين
ولّى الله تعالى الخضر
وكليمه موسى على
نبينا وعليهما السلام
وإذا عرض لك من
كلام عالم إشكال
يؤذن في الظاهر بحال
أو اختلال فخذ ما ظهر لك
عده ودع ما اعتاص
عليك فهمه وكل
العلم فيه إلى الله

وفي الحديث المشهور «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد» (١) وفي خبر آخر «من غش أمي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله وما غش أمتك قال أن يتدع بدعة يحمل الناس عليها» (٢) وقال رسول الله ﷺ «إن لله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته» (٣) ومثال الجاني على الدين بأبداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يدنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه الساف فالتسكوت عنه جفاء وما سكنت عنه السلف فالكلام فيه تسكف وقال غيره الحق ثقيل من جاوز ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بالتمط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالئ» (٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما الضلالة لها حلوة في قلوب أهلها قال الله تعالى - وذر الدين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا - وقال تعالى - أفئن زين له سوء عمله فرآه حسنا - فكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا إليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا مارأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد أعجبونا فقال إنكم لاتقدرون عليهم قد سحبو نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التلبيعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا مارأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال جفاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البديع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا. فان قلت من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورد عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة فأياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجا عن الدين بالكيفية قال بعض العارفين إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصنى إلى قوله بل ينبغي أن يتهم

(١) حديث من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد متفق عليه من حديث عائشة بلفظ في أمرنا ما ليس منه وعند أبي داود فيه (٢) حديث من غش أمي فعليه لعنة الله الحديث الدارقطني في الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث إن لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته لم أجده أصلا (٤) حديث عليكم بالتمط الأوسط الحديث أبو عبيد في غريب الحديث موقوفا على علي بن أبي طالب ولم أجده مرفوعا .

في كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ويدفع ما لا يوافق محبو به ولذلك قال الله عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً والعوام العصاة أسعد حالاً من الجاهل بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء لأن العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ما هو مشتغل به من العاوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمراً عليه إلى الموت وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لدى الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كاسيأتى في كتاب العزلة بيانه إن شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آثماً وكانت مذكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فإن مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر وأن أحسن أحواله أن يفيد علماء أو يستفيدوا ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن المستفيد إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا وسيلة إلى الشر فيكون هو معينا على ذلك وردها وظهيرا ومهيئاً لأسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يخلص له في البيع من يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكن أحد رجلين إما متصفا بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث قلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين ونشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراغبين وتلتحق بمهلك وإنكارك بزمرة المالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فيها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغرّه الحياة الدنيا ولا يغرّه بالله الغرور .

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حق إن أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمته وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الشيخ في قومه كالنبي في أمته (١) » وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبيع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة ها بوه وتراءى لهم ما كان يتلأأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وإنما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - . وسمى العلم المستفاد منه روحا وحياء حياة فقال تعالى - وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا - وقال سبحانه - أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به

الباب السابع في العقل

(١) حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي من حديث أبي رافع بسند ضعيف

عز وجل - فهذه وصيتي لك فاحفظها وتذكر كبرى إياك فلا تذهل عنه - اسمع وصيتي إني تحفظ حظيت بها وإن تخالف فقد ردى بك الخلف وأز يدك زيادة تقتضي التعريف بأصناف العلماء لكي يعرف أهل الحقيقة من غيرهم فلك في ذلك أكبر منفعة ولى في وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا : العلماء ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم بالله وأمره وبآياته مهتبا بالحشية لله سبحانه والورع في الدين والزهد في الدنيا والإيماء لله عز وجل المستقيم والحجاج مدفوع إلى إقامة الحجة وإطفاء نار البدع قد أخرجت المتكاملين وأخفم المتخرسين برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ما ينازع شواهد بينة ونجومه نيرة قد حصى صراط الله المستقيم والمحجوج عالم بالله وأمره وبآياته

ولكنه فقد الحشية لله
برؤيته لنفسه وحجبه
عن الورع والزهد في
الدنيا والرغبة والحرص
وبعد من بركات
علمه محبة العلو
والشرف وخوف
السقوط والفقر فهو
عبد لعبيد الدنيا خادم
لخدمها مقتون بعد
علمه مغتر بعد معرفته
مخدول بعد نصرته
شأنه الاحتقار لنعم
الله والازدراء لأولياته
والاستخلاف بالجهل
من عباده وغره ببقاء
أميره وصلة سلطانه
وطاعة القاضي والوزير
والحاجب له قد أهلك
نفسه حين لم ينتفع بعلمه
والاتباع له ومن يكون
بعده قدوة به ومراده
من الدنيا مثله في مثل
هذا ضرب الله المثل
حين قال - واتل عليهم
نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها
فأتبعه الشيطان
فكان من الغاوين
ولو شئنا لرفعناه بها
ولكنه أخلد إلى
الأرض واتبع هواه ففله
كمثل الكلب إن تحمل

في الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله - يخرجهم من الظلمات إلى النور -
وقال صلى الله عليه وسلم «يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتهم
عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم النظر حقير الخطر
دني المنزلة رث الهيئة وأن الجاهل من عصي الله تعالى وإن كان جميل النظر عظيم الخطر شريف المنزلة
حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً فالقدرة والحنازر أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتر بتعظيم أهل الدنيا
إياكم فانهم من الجاهلين (١) » . وقال ﷺ « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر
فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم على منك بك آخذ وبك أعطي وبك
أثيب وبك أعاقب (٢) » فان قلت فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان
جوهرًا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز . فاعلم أن هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم
العاملة وغرضنا الآن ذكر علوم العاملة وعن أنس رضي الله عنه قال « أني قوم على رجل عند النبي صلى
الله عليه وسلم حتى بالنوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة
وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال ﷺ : « إن الأحق يصيب بجهله أكثر من جور الفاجر وإعما
يرتفع العباد غدا في الدرجات الزاني من ربهم على قدر عقولهم (٣) » . وعن عمر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن
ردى وماتم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله (٤) » وقال ﷺ « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه
درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم لإيمانه وأطاع به وعصى عدوه
إبليس (٥) » وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء
دعامة ودعامة المؤمن عقله فيقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار في النار لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا في أصحاب السعير (٦) » وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لقيم الداري « ما السودد فيكم قال العقل قال
صدقت سألت رسول الله ﷺ كسألتك فقال كآقلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال
العقل (٧) » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت المسائل يوم ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
« يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً (٨) »

(١) حديث يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المهبر أحد الضعفاء في
كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود (٢) حديث أول
ما خلق الله العقل قال له أقبل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أسامة وأبو نعيم من حديث
عائشة بإسنادين ضعيفين (٣) حديث أنس أني قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى بالنوا في الثناء فقال
كيف عقل الرجل الحديث ابن المهبر في العقل بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصراً (٤) حديث
عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المهبر في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة (٥) حديث
إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث
ابن المهبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله
ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٦) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله
الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٧) حديث عمر أنه قال لقيم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال
صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٨) حديث البراء
كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن لكل شيء مطية الحديث
ابن المهبر وعنه الحرث

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال «لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبل من فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم» (١) وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال «جاء الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأهمهم بطاعة الله عز وجل أو فرم عقل» (٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت «قلت يا رسول الله بما يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس إنما يجزؤون بأهمهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون» (٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية الرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعماراة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل» (٤) وقال ﷺ «إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفصح وأنجح» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا» (٦).

بيان حقيقة العقل وأقسامه

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الأكثر عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا الجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه . فالأول : الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعده به لقبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الحفية الفكرية وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فإن الغافل عن

(١) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان الحديث ابن المبر (٢) حديث البراء بن عازب جاء الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل الحديث ابن المبر كذلك وعنه الحارث في مسنده ورواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المبر (٣) حديث عائشة قالت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل الحديث ابن المبر والترمذي الحكيم في النوادر نحوه (٤) حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل» الحديث ابن المبر وعنه الحارث (٥) حديث إن أحب المؤمنين إلى الله من نصب في طاعة الله الحديث ابن المبر من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسناد آخر ضعيف (٦) حديث أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا الحديث ابن المبر من حديث أبي قتادة .

عليه يلهث له ثمرة يلهمسغويل لمن يحب مثل هذا في دنياه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو الذي أكل بدنيه غير منصف لله سبحانه في نفسه ولا ناصحه في عبادته تراه إن أعطى من الدنيا رضى بالمصلحة لمن أعطاه وإن منع رضى بالدم لمن منعه وقد نسي من قسم الأرزاق وقدر الأقدار وأجرى الأسباب وفرغ من الخلق كلهم فتعوز بالله من الجور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى وإنما زدتك هذه الزيادة وإن ظهر لكثير أنها ليست من الغرض الذي نحن فيه فقصدي أن يعلم من ذهب من الناس ومن بقي ومن أبصر الحقائق ومن عمى ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم أن الصنفين الأولين من العلماء قد ذهبوا وإن كان بقي منهم أحد فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالملاحظة :

غلب الدين إلا المصطفى
صدقوا
وظنهم كيقين إن م
حدسوا
وذلك لما سبق في
القضاء من ظهور
الفساد وعدم أهل
الصلاح والرشاد نعم
وعدم الصنف الثالث
على غربته وأعز شيء
على وجه الأرض وفي
الغالب ما يقع عليه في
الحقيقة اسم علم عند
شخص مشهور به
وإنما الموجود اليوم
أهل سخافة ودعوى
وحماقة واجترأ وعجب
بغير فضيلة ورياء
يحبون أن يحمدا
بما لم يفعلوا وهم أكثر
من عمر الأرض
وصيروا أنفسهم أوتاد
البلاد وأرباب العوام
وهم خلفاء إبليس
وأعداء الحقائق
وأخذوا لعوائد السوء
وعنهم يرد عتب الحكم
الشائعة وانتقاص أهل
الارادة والدين :
مثل البهائم جهال بحالهم
لهم تصاویر لم يعرف
لحق حجا
كل يوم على مقدار
حياته

العلوم والناسم يسميان عاقبين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما أن الحياة غريزة بها
يتها الجسم الحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تنها بعض الحيوانات
للعلم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الإنسان والجماد في الغريزة والادراكات الحسية فيقال لا فرق
بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوما وليس بخلقها في الجماد والبهائم لجاز أن
يسوى بين الجماد والحياة ويقال لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الجماد حركات مخصوصة بحكم
إجراء العادة فانه لو قدر الجماد ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر
على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما يجب أن يقال لم يكن مفارقة للجماد في الحركات إلا بغريزة اختصت
به عبرتها بالحياة فكذلك مفارقة الإنسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو
كالرأى التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك
العين تفارق الجبهة في صفات وهيئاتها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين
إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور
الشمس إلى البصر فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة . الثاني : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات
الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص
الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عنه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل إنه بعض
العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح في نفسه لأن هذه
العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهرا وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود إلا هذه العلوم .
الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فان من حنكته التجارب وهذه المذاهب يقال
إنه عاقل في العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غي غمرا جهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى
عقلا . الرابع : أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقع الشهوة الداعية إلى
اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب
ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن
سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ والنبع والثاني هو الفرع الأقرب إليه والثالث فرع الأول
والثاني إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي
الغاية القصوى فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقليين فطبع ومسموع ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو الراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل » (١) والأخير
هو المراد بقوله ﷺ « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك » (٢) وهو
المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء رضي الله عنه « ازدد عقلا تزدد من ربك قريبا
فقال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأذفرائض الله سبحانه تكن عاقلا
واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتتل في آجل العقي بها من ربك

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من
رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث إذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك
أبو نعيم في الحلية من حديث على إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل
فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب وإسناده ضعيف .

زواتر الأسد والتباحة
اللهنا

فاحذرهم قاتلهم الله
آنى يؤفكون اتخذوا
أيمانهم جنة فصدوا
عن سبيل الله إنهم
سواء ما كانوا يعملون
أولئك كالأنعام بل هم
أضلّ أولئك هم
الغافلون

أولو الدفاق فان قلت
اصدقوا كذبوا
من السفاه وإن قلت
اكذبوا صدقوا

ولناخذ في جواب
ماسألت عنه على
نحو ما رغبت فيه
واستوهب الله نفوذ
البصيرة وحسن
السريّة وغفران
الجريّة وهوري ورب
كل شئ وإليه المصير.

[ابتداء الأجوبة عن
مراسم الأسئلة]

جرى الرسم في الأحياء
بتقسيم التوحيد على
أربع مراتب تشبها
لموافقة الفرض في
التثليل به وذكرت أن
للمعتز وسوس أو
ماخواطر هجس بأن
لفظ التوحيد يتألف
التقسيم إذ لا يخلو بأن
يتعلق بوصف الواحد

عز وجل القرب والعز^(١) وعن سعيد بن المسيب أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله «من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم
العقل قالوا فمن أعبد الناس قال العقل قالوا فمن أفضل الناس قال العقل قالوا أليس العقل من
تم مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك
لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للتقين إن العقل هو المتقى وإن كان في الدنيا خسيسا
ذليلا^(٢) قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر «إنما العقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل
بطاعته^(٣)» ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الفريضة وكذلك في الاستعمال وإنما
أطلق على العلوم من حيث إنها تمرتها كما يعرف الشئ ثمرة فيقال العلم هو الحشية والعالم من يخشى الله
تعالى فإن الحشية ثمرة العلم فتكون كالحجاز لغير تلك الفريضة ولكن ليس الفرض البحث عن اللغة
والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا
في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الفريضة بالفطرة
ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشئ وارد
عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الأرض فإنه يظهر بحفر البئر
ويجتمع ويخبر بالحس لا بأن يساق إليها شئ جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد
ولذلك قال تعالى - وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم
قالوا بلى - فالمراد به إقرار نفوسهم لإقرار الألسنة فأنهم انقسموا لإقرار الألسنة حيث وجدت
الألسنة والأشخاص إلى مقرر وإلى جاحد ولذلك قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله -
معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم - فطرة الله التي فطر الناس عليها - أى
كل آدمى فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعني أنها كالمضمنة فيها لقرب
استعدادها للادراك ثم لما كان الإيمان مركزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين إلى من
أعرض فنسى وهم الكفار وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة ففسها بغفلة ثم تذكرها
ولذلك قال عز وجل - لعلمهم يتذكرون - وليتذكر أولوا الألباب - واذكروا نعمة الله عليكم
وميثاقه الذي واثقكم به - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وتسمية هذا الخط تذكرا
ليس ببعيد فكان التذكير ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن
غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر
بنور البصيرة فقيلة على من يستروجه^(٤) السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط
في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعسفات ويتخيل إليه
في الأخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحراق
ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الأحمى الذي يدخل دارا فيعترف فيها بالأواني المصفوفة في الدار فيقول

(١) حديث ازدد عقلا تردد من ربك قربا الحديث قاله لأبى الدرداء ابن المهبر ومن طريقه الحارث
ابن أبى أسامة والترمذى الحكيم في النوادر (٢) حديث ابن المسيب أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العقل الحديث
ابن المهبر (٣) حديث إنما العقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ابن المهبر من حديث
سعيد بن المسيب مرسل وفيه قصة .

(٤) قوله يستروجه : من الرواج أى يكون السماع والتقليد رائجا عنده فتأمل اه مصححه .

التي ليس بزمانه عليه
فذلك لا ينقسم
لابالجنس ولا بالفصل
ولا بغير ذلك وإما أن
يتعلق بوصف المكلفين
الدين نوجب لهم حكمة
إذا وجد فيهم فذلك
أيضا لا ينقسم من
حيث انشأهم إليه
بالعقل وذلك لضيق
المجال فيه ولهذا
لا يتصور فيه مذاهب
وإما التوحيد مسلوك
حق بين مسلكين
باطلين أحدهما الشرك
والثاني الالباس وكلا
الطرفين كفر
والوسط إيمان محض
وهو أحد من السيف
وأضيق من خط
الظل ولهذا قال أكثر
التكلمين بمنازل
إيمان جميع المؤمنين
والملائكة والنبين
والمرسلين وسائر عموم
المرسلين وإما تختلف
طرق إيمانهم التي
هي علومهم ومذهبهم
في ذلك معروف ونحن
لأنم في هذه الاجابة
كلها بشئ من أنحاء
الجدال ومقابلة الأقوال
بالأقوال بسبل بقصد
إزالة غير الاشكال.

ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها فيقال له إنها في مواضعها وإما الخلل في بصره
فذلك خلل البصيرة يجري مجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالفارص والبدن كالفرس وعمى
الفارس أضرم من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى - ما كذب الفؤاد
ما رأى - وقال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - الآية وسمى ضده
عمى فقال تعالى - فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور - وقال تعالى - ومن
كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - وهذه الأمور التي كشفت للأنبيا بعضها
كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الشكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة
لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثله دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها.

بيان تفاوت النفوس في العقل

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم المبادرة
إلى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم
الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فإن من عرف أن الاثنين أكثر
من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشئ الواحد قد يماحدثا وكذا سائر النظائر
وكل ما يدركه إدراكا محققا من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها. أما القسم الرابع
وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد
فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض
ولكن غير مقصور عليه فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة
الربا والرأسة تزداد قوة بالكبر لضعف وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعروف لفاكلة تلك الشهوة
ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرّة وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك
إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرّة ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه
أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك
المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي وأعنى به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالة وأصحاب
الهديان فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمينا
هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فإنه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت القسمة إليه
وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لاحالة أشد وأما القسم
الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك
و يكون سببه إما تفاوتات في الغريزة وإما تفاوتات في الممارسة فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة فالتفاوت
فيه لا سبيل إلى جرده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشرافه عند سن التمييز
ثم لا يزال ينمو ويزداد نمو حتى التدرج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن
أوائله يخفى حياء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطول قرص الشمس وتفاوت نور
البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية
في جميع خلقه بالتدرج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة واحدة بل تظهر
شيئا فشيئا حتى التدرج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه
منخاع عن رقة العقل ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو
أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم

ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تبطويل من العلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى - يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار نور على نور - وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال «إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببته فأناك مفارقة وعش ماشئت فأناك ميت وأعمل ماشئت فأناك مجزى به» (١) وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروح ودرجات الوحي كثيرة والحوض فيها لا يليق بعلم العاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود العلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولاوليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس إلى من يتبته من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتبنيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كالنفساء الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت ياربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيئات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فأنى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك (٢) «فإن قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والعقول . فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدرُوا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينحى عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثبت الله تعالى عليه وإن ذم فما الذي بعده يحمده فإن كان الحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فإن علم بالعقل الذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخييلات إنما نارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخطبوا فيها لتخطب اصطلاحات الناس في الألفاظ فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم .

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببته فأناك مفارقة الحديث الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف (٢) حديث ابن سلام سئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يارب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث ابن المبر من حديث أنس بن مالك والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا .

ورد ما طمن به أهل الضلال والاضلال . واعلم أن التقسيم على الإطلاق يستعمل على اتصاف بتوجه ههنا بشيء قدح به المعترض أو هجس به الحاضر وإنما للاستعمل ههنا من أبحاثه ما تميز به بعض الأشخاص بما اختصت به من الأحوال وكل حالة منها تسمى توحيدا على جهة تفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا مادام يظن أن قلبه موافق لسانه وإن علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع في الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون إليه والميل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به سمي أيضا موحدا على معنى أنه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي حنبليا والحنبلي حنبليا

ثم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء بشاؤه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول

[الفصل الأول] في ترجمة عقيدة أهل السنة في كفى الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام فنقول وبالله التوفيق : الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد للنم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثاره الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد العرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قیوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . التنزيه ، وأنه ليس بجسم مصور ولا جوه محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجوداً ولا يماثل موجود ليس كمثل شيء ولا هو مثل شيء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تستكشفه الأرضون ولا السموات وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمنى الذي أراده استواء منزلها عن الماسة والاستقرار والتحكم والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزیده قرباً إلى العرش والسماء كما لا تزیده بعداً عن الأرض والثرى بل هو رفیع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفیع الدرجات عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تنقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بآن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواء ولا في سواء ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعثره العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزلها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود بالمعقول مرئى الدات بالأبصار نعمة منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار وإتماماً منه للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم . الحياة والقدرة ، وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعثره قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والمسلک والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخالق مقهورون في قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالابجد والابداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريح الأمور لا تحصى مقدوراته ولا تنهاى معلوماته . العلم ، وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل

كتاب قواعد العقائد

ومن رزق علم التوحيد وما يتحقق به عنده وسى من أجله بشكوكه العارضة له فيسمى موحداً لأنه عارف به يقال جدلي ونحوى وفقه ومعناه يعرف الجدل والفقه والنحو . وأما من استغرق علم التوحيد قلبه واستولى على جملة حقه لا يجد فيه فضلاً لغيره إلا على طريق التبعية له ويصكون شهود التوحيد لكل ماعده سابقاً له مع الذكر والفكر مصاحباً من غير أن يعتريه ذهول ولا نسيان له لأجل اشتغاله بغيره كالعادة في سائر العلوم فهذا يسمى موحداً ويكون القصد بالمسمى من ذلك المبالغة فيه ، فأما الصنف الأول وهم أرباب النطق المفرد فلا يصربون في التوحيد بسهم ولا يفوزون منه بنصيب ولا يكون لهم شيء من أحكام أهله في الحياة إلا ما دام الظن بهم أن قاب أحدهم موافق لسانه كما يفرد القول

يعلم ديب الغلة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الدر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الحواطر وخفيات السرائر يعلم قديم أزلى لم يزل موصوفه في أزل الأزال لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحوال والاتقال . الإرادة ، وأنه تعالى مرید للكائنات مدبر للحادثات فلا يجرى في الملك والمسلوك قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضرر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان الإقبضانه وقدره وحكمته ومشيئته فإشاء كان ومالم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفظة ناظر ولا فلفة خاطر بل هو المبدى العبد الفعال لما يريد لا إرادة لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لمجزوا عن ذلك وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بهامريدا في أزل وجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراد في أزل من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير في الأمور لا يتبدل أفكار ولا ترصد زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن . السمع والبصر ، وأنه تعالى سمع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ولا يغيب عن رؤيته مرئى وإن دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وأذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كالاتشبه ذاته ذوات الخلق . الكلام ، وأنه تعالى متكلم أمرناه وأعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصططك أك أجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مریدا سميعا بصيرا متكاملا بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات . الأفعال ، وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وقائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأعمها وأعدلها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته لا يقاس عدله بعديل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم يتصرف في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وحجود وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئا إذ كان في الأزل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته ولما حق في الأزل من كلمته لا لا افتقاره إليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لأعن وجوب ومتطول بالانعام والإصلاح لأعن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويتلهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظالما وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق والالزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على السنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعدوه وعيده

فوجب

عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وأما الصنف الثاني وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو المبلغ يخبر عن نوحيد الله عز وجل أو يأمر به ويلزم البشر قول لا إله إلا الله المنهى عنه فقبلا ذلك واعتقدوه على الجلبة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم وبمنزلة من كثرة سواد قوم فهو منهم . وأما الصنف الثالث والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فرأوا على كل منها خطا منطبعا فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر إلى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فإذا هو الخط الإلهي المكتوب على صفحة

كل مخلوق النطبع فيه من مركب ومفرد وصفة وموصوف وحى وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير وهو الذى يسمى تارة بعلامة وتارة بسمة وتارة بأثر القدرة وتارة بآية كما قال الشاعر ولا أدرى عن سماع أورؤية قلب وفى كل شئ له آية تدل على أنه واحد فلو قرءوا ذلك الخط وجدوا تفسير ذلك المكتوب عليه وشرحه أبدية ملكه والتصريف له بالقدرة على حكم الإرادة بما سبق فى ثابت العلم من غير مزيد ولا تقصير فتركوا الكتابة والمكتوب وترقوا إلى معرفة الكاتب الذى أحدث الأشياء وكونها ولا يخرج عن ملكه شئ منها ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوته ولا اتقلت إلى الحرية عن رق استعباده فوجدوه كما وصف نفسه - ليس كمنه شئ وهو السميع البصير - غفلت لهم

فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به . معنى الكلمة الثانية : وهى الشهادة للرسول بالرسالة وأنه بعث النبي الأمي القرشي محمد صلى الله عليه وسلم برسالاته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس ففسخ بشريته الشرائع إلا ما قرره منها وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقترب بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يتقبل لإيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سوياً ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك (١) وهما فتان القبر (٢) وسؤالهما أول فتنة بعد الموت (٣) وأن يؤمن بعذاب القبر (٤) وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ، وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى ، والصنوج يومئذ مثاقيل الدر والحردل تحقيقاً لحمام العدل وتوضع صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات فى صورة قبيحة فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله (٥) وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتوى بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار (٦) وأن يؤمن بالحوض المورود (١) حديث سؤال منكر ونكير الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أبى هريرة إذا قبر الميت أوقال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير وفى الصحيحين من حديث أنس إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه الحديث (٢) حديث إنيهما فتان القبر أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتان القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا الحديث (٣) حديث إن سؤالهما أول فتنة بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجه من حديث عائشة إنكم تفتنون أوتدبون فى قبوركم الحديث ولهما من حديث أبى هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر (٥) حديث الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طباق السموات والأرض البيهقى فى البعث من حديث عمر قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبى داود من حديث عائشة أما فى ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يشقل زاد ابن مردويه فى تفسيره قالت عائشة أى حى قد علمنا الموازين هى الكفتان فيوضع فى هذه الشئ ويوضع فى هذه الشئ فترجح إحداها وتخف الأخرى والترمذى وحسنه من حديث أنس وأطالبنى عند الميزان ومن حديث عبد الله بن عمر فى حديث البطاقة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة الحديث وروى ابن شاهين فى كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الإيمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر الشيخان من حديث أبى هريرة ويضرب للصراط بين ظهراى جهنم ولهما من حديث أبى سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفع أحمد من حديث عائشة والبيهقى فى الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه وفى البعث من رواية عبيد بن عمير مرسل ومن قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفى آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع .

حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء (٢) فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقرّبون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين (٥) ويسأل المبتدعة عن السنة (٦) ويسأل المسلمين عن الأعمال (٧) وأن يؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحّد بفضل الله تعالى فلا يخلد

(١) حديث الإيمان بالحوض وأنه يشرب منه المؤمنون مسلم من حديث أنس في نزول - إنا أعطيناك الكوثر - هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة آيته عدد النجوم ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطك على الحوض ومن حديث ابن عمر أمالكم حوض كما بين جرباء وأدرج . وقال الطبراني كما بينكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبي ذر وحابس بن سمرة وحرث بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (٢) حديث من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولهما من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفي رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٣) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يفتّ فيه ميزابان بمذاه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٤) حديث الإيمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقي في البعث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب وللشيخين من حديث عائشة من توقيش الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى - فسوف يحاسب حساباً يسيراً - قال ذلك العرض ولهما من حديث ابن عباس عرضت على الأمّ فقيل هذه أمّتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمّتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب زاد البيهقي في البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعده هذه الزيادة فقال فهلا استزّدته قال قد استزّدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً قال عمر فهلا استزّدته قال قد استزّدته فأعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بين يديه الحديث (٥) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين . البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا ربّ فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتك فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته الحديث . ولابن ماجه يحيى النبي يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٦) حديث سؤال المبتدعة عن السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من القدر سئل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبي هريرة ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازماً لدعوة مادعا إليه وإن دعا رجلاً رجلاً وإسنادها ضعيف (٧) حديث سؤال المسلمين عن الأعمال أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسيأتي في الصلاة

التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بأذنه وإيجاد عن غيره وعقلت أنها علقت توحيد فسيحان من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها أن تدركه إلا به وهو اللطيف الخبير لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجداً لديه فيما لا يزال وهم المقرّبون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن عرف ربه موجداً لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير . وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلاّن العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الاتجاه المذكورة عنده فأما من عدمت عنده فهو كافر وإن كان في زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمها إليه أو في فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف معد عن مقام هذا

الكلام وأما من
يوجد عنده فلا
يخلو أن يكون مقدا
في عقده أو علما به
والمقتدون هم العوام وهم
أهل المرتبة الثانية في
الكتاب فأما العلماء
بحقيقة عقدهم فلا يخلو
كل واحد أن يكون
بلغ الغاية التي أهدت
لصنفة دون النبوة
أولم يبلغ ولكنه
قريب من البلوغ فالذي
لم يبلغ وكان على قرب
هم المقربون وهم أهل
المرتبة الثالثة والذين
بلغوا الغاية التي أهدت
لهم وهم الصديقون وهم
أهل المرتبة الرابعة
وهذا التقسيم ظاهر
الصحة إذ هو دائر بين
النبى والانباء ومحصور
بين المبادئ والغايات
ولم يدخل أهل المرتبة
الأولى في شيء من
تصحيح هذا التقسيم
إذ ليس هم من أهله
إلا بالنسب كاذب
ودعوى غير صافية
ثم لا بد من الوفاء بما
وعدناك به من إبداء
بحث مزيد شرح
واسط بيان تعرف
منه بأذن الله حقيقة

في النار موحد (١) وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزله عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلو في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان (٢) وأن يعتقد فضل الصحابة رضوا الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم (٣) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثق عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (٤) فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقفا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رھط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

[الفصل الثاني] في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتدأه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يزال وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار

(١) حديث إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه الشيوخان من حديث أبي هريرة في حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله الحديث (٢) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلو في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في العلم . وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط الحديث (٣) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم زاد الطبراني ويسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره (٤) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى وللشيخين من حديث أبي سعيد لا نسبوا أصحابي . وللطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابي فأمسكوا

العبادات ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسياهم وسماعهم وهياتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالقاء بذر في الصدر ونكون هذه الأسباب كالسقي والترية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمحه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وبما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالبيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العايم في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيوط مرسل في الهواء تفيثه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلحقه تقليدا كما تلحق نفس الاعتقاد تقليدا إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكف الشرح أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكاف نظم الأدلة فلم يكافوه أصلا وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالريضة والمجاهدة افتتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور الهمة يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين - وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقربين وإليه الإشارة بالسرا الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الحق وانكشف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عماسوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتنافوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الدكاء والفتنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه . مسألة : فإن قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد إن لقي الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وأنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأعلى رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلمت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام . وحكي الكرايسبي أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام ففضض وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لاحفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له قال الزعفراني قال الشافعي حكى في أصحاب

الكلام

كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والأمكن بما يجز به الواحد الحق على القرب والالسان (بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم) فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يعلموه لا يتصورون صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه ولا خطأه ولا صوابه إذ لم يبحثوا عليه ولا أرادوا فهمه إما لبعدهم مهمتهم وقلة أكتراثهم وإمالته فورهم من التعب وخوفهم أن يكافوا البحث عما نطقوا به أو يبدو لهم ما يلزمهم من الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فاز التزموها فارقوا راحت أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وإن لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منغصة وملاذمهم منكسرة من خوف

عقاب ترك ما علموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أو عرض عليه ولكنه يمنعه عنه عناية أن يتطلع منه على ما يغير عنه بعض ملاذه من الأطعمة والأشربة والأنسجة أو كثير منها فيحتاج إلى أن يتركها أو يتركها على رقيه وخوف أن يصيبه صورة ما يعلم ضرورة منها فيدفع قراءة الطب رأساً . سئل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به وهل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما يعتقد وما دعانا النطق إلا مساعدة الجماهير وانحرطوا باظهار القول في الجمل الغفير ولا تعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبل العرف والنكير ولا شك أن هذا الصنف الذي أخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله بمسئلة المسلمين أحدهم في القبر إذ يقولان من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لأدري سمعت الناس يقولون قولاً فقلته

الكلام أن يضربوا بالجر يد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة وقال له ويحك أأستبحكي بدعتهن أولاً ثم ترد عليهم أأستبحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكير في تلك الشبهات فيدعوم ذلك إلى الرأي والبحث. وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام زنادقة. وقال مالك رحمه الله أرايت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضاً لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله أنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «هالك المتنطعون هالك المتنطعون هالك المتنطعون» (١) أي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثني عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستنباء (٢) ، وندبهم إلى علم الفرائض وأنثى عليهم (٣) ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا (٤) عن القدر، وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم وهم الأستاذون والقدة ونحن الأتباع والتلامذة وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا إن المحدث من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تمهد لها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدي وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فأحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المحدث هو المعنى فتحن لأنعي به لإمعرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء في الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وإن كان المحدث هو الشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذلك الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً وقد قال الله تعالى - قل هاتوا برهانكم - وقال عز وجل - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - وقال تعالى - قل هل عندكم من سلطان بهذا - أي حجة وبرهان وقال تعالى - قل فله الحجة البالغة - وقال تعالى - ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه إلى قوله فبهت الذي كفر - إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإخفاه خضمه في معرض الثناء عليه وقال عز وجل - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وقال تعالى - قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا - وقال تعالى في قصة فرعون - وما رب العالمين . إلى قوله : أولو

(١) حديث هالك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنباء مسلم من حديث سلمان الفارسي (٣) حديث ندبهم إلى علم الفرائض وأنثى عليهم ابن ماجه من حديث أبي هريرة تعلموا الفرائض وعلموها الناس الحديث وللمزمذ من حديث أنس وأفرضهم زيد بن ثابت (٤) حديث نهام عن الكلام في القدر وقال أمسكوا تقدم في العلم

جئتكم بشئ مبين . وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - وفي النبوة - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله - وفي البعث - قل يحييها الذي أنشأها أول مرة - إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صابوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى - وجادلهم بالتي هي أحسن - فالصحابة رضي الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق على بن أبي طالب رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج فكلهم فقال ماتنقومون على إمامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغتم فقال ذلك في قتال الكفار أرايتم لو سببت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت عائشة رضي الله عنها في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان وروى أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر على بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يزيد ابن عبيدة في الإيمان قال عبد الله لوقلت إني مؤمن لقلت إني في الجنة فقال له يزيد بن عبيدة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها مزية فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذ صناعة فيقال أمافلة خوضهم فيه فإنه كان لقلة الحاجة إذا لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصص فقد كان الغاية لإفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة فلو طال إشكال الخصم أو لاجاه لطال لإحالة إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما عدم تصديدهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق إلا على الدور إما إدخارا ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشجيذا للخواطر فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشجيد الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البدئية والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين . فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بدمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشئ قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا إذا استلنا عنه أطلاق القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسفها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم في وقت الحيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لموافيه من الاضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قليلا وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليلا وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثيره يضر بالحرور وكأكل الطين وكان إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفت إلى أغلب الأحوال فإن تصدى شئ تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنعود إلى علم الكلام ونقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الاقتناع حلال أو مندوب إليه أو واجب كايقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار وحله حرام أمامضرته فائثرة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالمدليل

منكوك

فمقولان له لا دريت ولا تليت وسماء النبي صلى الله عليه وسلم النشاك والرتاب والصنف الثاني نطق كما نطق الدين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل معه الإيمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبابة طائفة من الشيعة القدماء ان عليا هو الاله وبلغ أمرهم عليا رضي الله عنه وكانوا في زمنه غرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا التكبير ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا الزنادقة » . والصنف الثالث نطقوا كانطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر لهم من الاقرار وإنما رجعوا إلى أهل

الإلحاد أعلنوا عندهم
بكلمة الكفر فهو لا
النافقون الذين ذكروا
الله في كتابه بقوله :
وإذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا وإذا خلوا
إلى شياطينهم قالوا
إنا معكم إنما نحن
مستهزؤون الله يستهزئ
بهم ويمدحهم في طغيانهم
يسهمون . الصنف
الرابع قوم لم يعرفوا
التوحيد وما نشأوا
عليه ولا عرفوا أهله
ولاسكنوا بين أظهرهم
ولكنهم حين وصلوا
إلينا أو وصل إليهم
أحد منا حوطوا
بالأمر المقتضى للنطق
بالشهادتين والاقرار
بهما فقالوا لا نعلم
مقتضى هذا اللفظ
ولانقل معنى المأمور به
من النطق فأمرنا أن
نظهر والرضا ويفهموا
بلا مهلة فسكنوا إلى
ما قيل لهم ونطقوا
بالشهادتين ظاهرا
وهم على الجهل بما
يعتقدون فيها فاخترم
أحدهم من حينه من
قبل أن يأتي منه
استفهام أو تصور يمكن
أن يكون ذلك معه معتقد

مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد
المتدعة للبدعة وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ولكن
هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يشور من الجدل ولذلك ترى المتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده
باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون
والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة
المخالقين يستولى على قلبه وينمعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء
ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكراه ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء المضال
الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد آثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعته فقد يظن
أن فائدته كشف الحقائق ومعرفة ما هي عليه وهيئات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف
ولعل التخليط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما
خطر بباله أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا من خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغافل
فيه إلى منتهى درجة التكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن
الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفع الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح
لبعض الأمور ولكن على الندور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعة شيء
واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجعها على العوام وحفظها عن تشويشات المتدعة بأنواع الجدل
فإن العامي ضعيف يستفزه جدل المتدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس
متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد الشرع بها لمافيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف
الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ
أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصب وإذا وقعت الاطاعة بضرره ومنعته فينبغي أن يكون كالطبيب
الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة .
وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها
مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم
شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن
يدعى إلى الحق باللطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف اللقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق
أدلة القرآن والحديث المزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع على
شرط المتكلمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل نعلمها التكلم ليستدرج الناس
إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرين على دفعه فالجدل
مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع في شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القوية
المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي
اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له
من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامة فقد انتهت هذه إلى حالة لا يشفيه
منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقي إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر
فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتر بص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر
بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يتخدعوا فلا بأس أن يعلموا
القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المتدعة إن وقعت

فيرجى أن لا ضيق عنه
سعة رحمة الله عز
وجل والحكم عليه
بالنار والخلود فيها مع
الكفار تحك على غيب
الله سبحانه وربما
كان من هذا الصنف
في الحكم عند الله عز
وجل قوم رزقوا بعد
الفهم وغيب الدهن
وفرط البلادة أن
يدعوا إلى النطق
فيجيبوا مساعدة
ومحاذاة ثم يدعوا إلى
فهم المعنى بكل وجه
فلا يتأتى منهم قبول
لما يعرض عليهم تفهمه
كأنما تخاطب بهيمة
ومثل هذا أيضا في
الوجود كثير ولا أحكم
على أحد مثله بخلود
في النار ولا بعد أن هذا
الصنف بأسره أغنى
المخترم قبل تحصيله
المقدّم مع هذا البليد
البعيد بعض ما ذكره
النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث الشفاعة
الدين أخرجهم الله عز
وجل من النار بشفاعته
حين يقول تعالى فرغت
شفاعة الملائكة والنبيين
وبقيت شفاعتي وهو
أرحم الراحمين فيخرج

إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعنا هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه
لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر
الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في
قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فإن أقنعه ذلك كفت عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد
صارت العلة منمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى
فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر
الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من الصفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان أحدهما
بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتادات وعن الأكوان وعن الادراكات وعن الخوض
في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان كذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت
لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات والقسم الثاني زيادة
تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضللا
وجها في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيد الطناب والتقارير غموضا. ولوقال قائل البحث
عن حكم الادراكات والاعتادات فيه فائدة تشجذ الخواطر والخطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد
فلا بأس بتشجذه كان كقوله لعب الشطرنج يشجذ الخاطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فإن الخاطر
يقشذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من
الكلام والخال التي يذم فيها والخال التي يحمدها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به.
فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدعة والآل قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت
الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق
كالقضاء والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك
بالكلية لا تدرس وليس في مجرد الطبع كفاية لحل شبه المبتدعة مالم يتعلم فينبى أن يكون التدريس فيه
والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فإن الحاجة ما كانت ماسة
إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة
وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل
الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعلم
ينبى أن يخص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم والحرص عليه فإن المحترف
يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت. الثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فإن
البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بحجابه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه.
الثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبية عليه فإن الفاسق
بأدنى شبهة يتخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين اللذ فلا يحرص على
إزالة الشبهة بل يفتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا التعلم أكثر مما يصلحه
وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام إنما هي من جنس حجج
القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغافل في التقسيمات والتدقيقات التي
لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوبة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبس فإذا قابله
مثله في الصنعة قاومه وعرفت أن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما
فيه من الضرر الذي نهى الله عليه وأن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من مناظرة الخوارج

من النار أو ما لم يعملوا
حسنة قط ويدخلون
الجنة ويكون في أعناقهم
سماوات ويسمون عتقاء
الله عز وجل والحديث
يطول وهو صحيح
ولمّا اختصرت منه
قدر الحاجة على المعنى
وحكم الصنف الأول
والثاني والثالث أجمعين
أن لا يجب لهم حرمة
ولا يكون لهم عصمة ولا
ينسبون إلى إيمان ولا
إسلام بل هم أجمعون
من زمرة الكافرين
وجملة المهالكين فإن
عثر عليهم في الدنيا
قتلوا فيها بسيوف
الموحدين وإن لم يعثر
عليهم فهم صابرون إلى
جهنم خالدون تلفح
وجوههم النار وهم فيها
كالخون .

[فصل] ولما كان
اللفظ النسبي عن
التوحيد إذا انفرد
عن العقد وتجرد عنه
لم يقع به في حكم الشرع
منفعة ولا لصاحبه
يسببه نجاته إلا مدة
حياته عن السيف
أن يراق دمه والبدان
تسلط على ماله

وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل
الحاجة وذلك محمود في كل حال ، نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقتها فلا يبعد أن يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة
الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ
هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر
الصافي عن شوائب المبادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر
الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره
ولا يبلغ ساحله [مسئلة] فإن قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها
جلي يبدو أولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي
عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر
وباطن وسرّ وعلن بل الظاهر والباطن والسرّ والعلن واحد فيه . فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى
خفية وجليّة لا ينكرها ذو بصيرة ولمّا ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئا
وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترقّ إلى شأ والعلاء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة
الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا » (١) وقال علي رضي الله
عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما حجة لو وجدت لها حجة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن
معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث
أحد قوما بحديث لم يبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم » (٣) وقال الله تعالى - وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم كهيئة المسكون لا يعلمه
إلا العالمون بالله تعالى » (٤) الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم
« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » (٥) فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من
إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أولم يكن آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره
لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض
مثلهن يتنزل الأمر بينهن - لو ذكرت تفسيره لرجمتوني وفي لفظ آخر لقلمت إنه كافر . وقال
أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثنته
وأما الآخر لو بثنته لقطع هذا الحلقوم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام
ولا صلاة . ولكن بسروقه في صدره » (٦) رضي الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد
الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري
رضي الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله
وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين إفشاء سرّ الربوبية كفر وقال
بعضهم للربوبية سرّ لو ظهر لبطل النبوة وللنبوة سرّ لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سرّ لو أظهره
(١) حديث إن للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه
(٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم في العلم (٣) حديث
ما حدث أحد قوما بحديث لم يبلغه عقولهم الحديث تقدم في العلم (٤) حديث إن من العلم كهيئة
المسكون الحديث تقدم في العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجه
من حديث عائشة وأنس (٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم في العلم .

لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فإذ كره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يظن نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة [مسئلة] فإن قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فيبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإن الباطن إن كان مناقضا للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا. فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكف به كافة الخلق ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لأعمل بباطنه لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص بها المقربون يدركها ولا يشاركونها أكثر من في عملها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام : القسم الأول أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تكلأ أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفسوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن البرك وإخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه (١) من هذا القسم فإن حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تنظرن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بأداب الشرع فيستكنون عما سكت عنه بل في صفات الله عز وجل من الحفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرها حتى يفهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايضة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض الناس شيء لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبي أو العنينة لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة الطعام الذي يدركه ولا يكون ذلك فهماً على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال أو مما كانت له من قبل ثم بالمقايضة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف والكمال فليس في قوة البشر إلا أن يثبت الله تعالى ماهو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحريره على صفات نفسه لآعلى ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) وليس

(١) حديث كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً الحديث (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في سجوده .

إذ لم يعلم حتى حاله حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز بالأعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع في البيوت ولا يحضر في المجالس أى مجالس الطعام ولا تشتهيه النفوس إلا مادام منطويا على مطعمه صوتا على لبه فإذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا لا يخفى في محته والغرض بالتمثيل تقرب ما غمض إلى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسمع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق المثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يكون مطابقا للواحد المراد منه .

[فصل] فإن قلت فما الذى صدق هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى تعلموا أو عن الاعتقاد حتى تناصوا من عذاب الله

وهم في الظاهر قادرون على ذلك وما المانع الحقيقى الذى منعه وأبعدهم عنه وهم يعلمون أن ما عليهم كبير مؤنة ولا عظيم نفقة فاعلم أن هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويهز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها أن يخرج من المقصد ولكن لا بد إذا وقع في الأسماع ووعته قلوب الطالبين واشتاتت إلى سماع الجواب عنه أن نورد في ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتقع به النفوس بحول الله وقوته، نعم ماسبق في العلم القديم لا تجرى بخلافه المقادير فهم من ذلك بارادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالأخلاق للكلابية والشيم الذاتية والطباع السبعية وغلبتها عليهم والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه الصلاة والسلام والقابوب بيوت تولى الله بناءها يسده وأعدّها لأن

المعنى أى أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنهه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . ولتقبض عنان الكلام عن هذا الخط ولنرجع إلى النرض وهو أن أحد الأقسام مانكلا الأفهام عن إدراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الإشارة إلى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله سبحانه سبعين حجبا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره » (١) القسم الثانى من الخفيات التى تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكمل الفهم عنه ولكن ذكره يضرب بأكثر المستمعين ولا يضرب بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرّا ببعض الخلق كما يضرب نور الشمس بأبصار الحفائش وكأنضرب رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا والمعاصى والشورور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيتته حق في نفسه وقد أضرب سماعة بقوم إذ أوم ذلك عندهم أنه دلالة على السفة ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد ألد ابن الراوندى وطائفة من المخدولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو أفضى لأوم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيد ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهومًا ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعلّ اللذة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قلّا أكثراتها ولعلها كانت قريبة في علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم القسم الثالث : أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صر محالفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكفى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقت ذلك الأمر في قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يتلذذ الدرّ في أعناق الخنازير فكفى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تقطن لسرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك ومن هذا قال الشاعر :

رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السكك الأعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويحيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى أو مثله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار » (٢) وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقيره فيضاد معنى السجدة مضادة النار لاتصال أجزاء

(١) حديث إن لله سبعين حجبا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجبا من نور وإسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال إن بيني وبينه سبعين حجبا من نور ، وفي الأكبر للطبراني من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجبا من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبى موسى حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ولابن ماجه شيء أدركه بصره .

(٢) حديث إن المسجد لينزوى من النخامة الحديث لم أجده أصلا .

الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار » (١) وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كأن إذا رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحق ومن رفع رأسه قبل الامام فقد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلي أو شرعي أما العقلي فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » (٢) إذ لو فتننا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الحق وكفى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعا في تفهم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل في كنياته عن الاقتدار قوله تعالى - إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون - فإن ظاهره ممتنع إذ قوله كن إن كان خطأ بالشيء قبل وجوده فهو محال إذ اللدوم لا يفهم الخطأ حتى يمتثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهم غاية الاقتدار عدل إليها . وأما المدرك بالسر فهو أن يكون إجرأؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - الآية وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الأودية هي القلوب وإن بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزيد مثل الكفر والذفاق فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فإنه لا يثبت والمداية التي تنفع الناس تمكث ، وفي هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرها وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجرأؤه على الظاهر غير محال فيجب إجرأؤه على الظاهر . القسم الرابع : أن يدرك الإنسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والدوق بأن يصير حاله ملبسا له فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر والثاني كاللباب والأول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يتجلى للسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل له استكمال له فكذلك العلم والایمان والتصديق إذ قد يصدق الإنسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث عند تصدقه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها في هذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام . القسم الخامس : أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السرفيه وهذا كقول القائل : قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ، ومن هذا قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين - فالبليد يفتقر في مهمه إلى أن يقتدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتحيبان

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

تكون خزائن علمه ومشارك مكنوناته ومهبط ملائكته ومغاشي أنواره ومهابت نفحاته ومحال مكاشفاته ومجاري رحمة وهبائها لتحصيل المعرفة به فحق كان فيها شيء من تلك الأخلاق المذمومة لم يدخلها الملائكة ولم ينزل عليها شيء من الخبر من قبله إذ هي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والمواصلون إليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق المذمومة التي حلت فيهم وهي التي ذم الكتاب لأجلها لما احترمت الملائكة بأذن الله عن حاولها فيها وهي لا تخلو من خير تنزل به ويكون معها فحينما حلت حل الخير في ذلك القلب بحاولها وإنما هي لها فحينما وجدت قلبا خاليا ولو حينما من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فإن لم يظهر على الملائكة ما رجعها عنه

بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرين بالضرورة ومضطرين إلى التسخير ومن هذا قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - فاليليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحانه الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله سبحانه كما يقال :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لابعني أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك مامن شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد بوجوده وبقائه ويدوم أوصافه ويردده في أطواره فهو بحاجة يشهد لحالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجاهدين على الظواهر ولذلك قال تعالى - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما المقررون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكاله إذ لكل شيء شهادات شق على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أر باب الظواهر وأر باب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لأر باب المقامات إسرار واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حاولوا قوله تعالى - ونكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم - وقوله تعالى - وقالوا لجأؤهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم - أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله - زعموا أن ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله - كن فيكون - وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كون كل مكثون حتى سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا ثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » وقوله ﷺ « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله صلى الله عليه وسلم « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين » (٢) ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل جسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه إذا فتح الباب اتسع الحرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا يضبط فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمروها كما جاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والایمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه سميعا بصيرا وأولوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد والجنة واشتغالها على الماء كولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ (١) حديث الجبري يمين الله في الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمين ورجاله ثقات .

من تلك الأخلاق المذمومة بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة الملائكة ثبت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وممرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير فان كل البيت كثير الاتساع أكثر فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى يمتلئ البيت من متاعها وجهازها وهو الايمان بالله والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله عز وجل فاذا طرق ذلك البيت طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع الملك ويثبت فيه خلقا مذموما لا يوجد إلا في الكلب وهو متاع الشيطان قاتله الله وطرده عن ذلك المثل فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وحرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد

المحسوسة وبالنار واشتغالها على جسم محسوس يحرق بحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن تزيينهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ماورد في الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الخبالة دقيق عامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور الهوى لا بالسماح ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة وإذا رأينا أن تقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررتها وأنهم لا يكفون غير ذلك في الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس وسعيه الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الفصل الثالث : من كتاب قواعد العقائد في لوامع الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فنقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رطط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائنين وضلال الملحدين ووقفهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحيل المتين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصل إن لم يتحقق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول وعرفوا أن كلتي الشهادة على إنجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول . الركن الأول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد . الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والارادة . الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأنه له تعالى تكليف ما لا يطاق وأنه لا يلام البريء ولا يجب عليه رعاية الأصلاح وأنه لا واجب إلا بالشرع وأن بعثة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات . الركن الرابع في السمعيات ومداره على عشرة أصول وهي إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الامامة وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الامامة .

فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى

وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار وبذلك من طريق الاعتبار

انشرحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وضل واهتدى فان قلت : فيز لي أصناف هذه الأخلاق المذمومة التي صدت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الإيمان ونفرت الملائكة عن النزول إلى قلوبهم بكشف معاني التوحيد ومنعهم من الحاول فيها حتى لم ينالوا شيئا من الخيرات الكائن معها فاعلم أن الأخلاق التي لا يجتمع معها الملائكة في قلب واحد كثيرة والتي في قلوب هؤلاء منها معظمها وهي الطمع في غير خيطير والحرص على فان حقير . أما الصنف الأول فانهم رجعوا وخافوا أن تبدو لهم صفة ما يشغلهم عن لذاتهم وينقص عليهم ما رغبوا فيه من راحتهم وتكدر لذتهم منال شهواتهم فأبقوا أمرهم على ما هم عليه . وأما الصنف الثاني والثالث فصيهم أيضا خوف وجزع وحرص على ما ألفوه من تبجيل أحدهم أن يزول

وما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى - ألم نجعل الأرض مهادا والجبلين أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ونبينا فوقكم سيعاشدا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من العصورات ماء نجا لجرح به حيا ونباتا وجنات ألفافا - وقال تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس - وما أنزل الله من السماء من ماء فأحياه الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون - وقال تعالى - ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم لإخراجا - وقال تعالى - أفرأيتم ما تمنون ء أتم تخلقونه أم نحن الخالقون - إلى قوله للفقير فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخير ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى - أفي الله شك فاطر السموات والأرض - ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمرنا أن يقولوا لنا إله وللإله إله فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدإ نشوهم وفي عنقوان شبابهم ولذا قال لك عز وجل - ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله - وقال تعالى - أقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذن في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما ينفي عن إقامة البرهان ولكن على سبيل الاستظهار والإقتداء بالعلماء النظائر نقول من بدائه العقول أن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذن لا يستغنى في حدوثه عن سبب أما قولنا إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب خفي فإن كل حادث محتص بوقت يجوز في العقل تقدير تقديمه وتأخير فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يقتقر بالضرورة إلى المخصص وأما قولنا العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا تخلو عن الحادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى: الأولى قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبدئية والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار فإن من عقل جسم لا ساكنا ولا متحركا كان لمن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا . الثانية قولنا إنهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الأجسام ماشوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس . الثالثة قولنا ما لا تخلو عن الحادث فهو حادث وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حادث لا أول لها ولو لم تنقص تلك الحوادث بحملتها لا تنتهي النوبة إلى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لانهاية له محال ولأنه لو كان للفلك دورات لانهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعا أو وترأ أو شفعا وترأ جميعا أو لا شفعا ولا وترأ ومحال أن تكون شفعا وترأ جميعا أو لا شفعا ولا وترأ فإن ذلك جمع بين النفي والإثبات إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شفعا لأن الشفع يصير وترأ بزيادة واحد وكيف يجوز ما لانهاية له واحد ومحال أن يكون وترأ إذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يجوز ما واحد مع أنه لانهاية لاعدادها ومحال أن يكون لا شفعا ولا وترأ إذ له نهاية فتحصل من

ومؤانسة أتباعهم أن تتغير وتذهب ومواساة إيلافهم أن تنقطع واستثقالا بشاهدونه من أهل الإيمان أن يلتزموه وفرارا من شرائطه وما يصحبه من الأعمال والوظائف إذ يمشلوه والكلب ماذم لصورته وإنما ذم بهذه الأخلاق التي هي الطمع في الحسائس والجزع من الصبر على ما يعده من الفضائل حتى احترمت الملائكة أن تدخل بيتا فيه كلب فان قلت فكيف آمن من كفر وأطاع من عصى واهتدى من ضل إذا كانت الشياطين لا تفارق قلب الكافر والعاصي والضال بما تثبتون من الأخلاق المذمومة التي هي كلاب نابجة وذئاب عادية وسباع ضارية وأصناف الخير إنما ترد من الله عز وجل بواسطة الملائكة وهي لا تدخل موضعا يحل فيه شيء مما ذكرنا وإذا لم تدخل لم يصل إلى الخير الذي يكون معها ولم تصل إليه فعلى

هذا أن العالم لا يتخلو عن الحوادث وما لا يتخلو عن الحوادث فهو إذن حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المبركات بالضرورة. الأصل الثاني: العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل، أزلي ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحى. وبرهانه أنه لو كان حادثاً ولم يكن قديماً لاقتقر هو أيضاً إلى محدث واقتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهى إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى سميناها صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه. الأصل الثالث: العلم بأنه تعالى مع كونه أزلياً أبدياً ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخرة والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يتخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بعدمه يضافه ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب وبطل أن ينعدم بعدم يضافه لأن ذلك المعدم لو كان قديماً لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومع ضده فإن كان الضد المعدم حادثاً كان محالاً إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث. الأصل الرابع: العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة التحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بجزءه ولا يتخلو من أن يكون ساكناً فيه أو متحركاً عنه فلا يتخلو عن الحركة أو السكون وما حادثاً وما لا يتخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فإن سماه مسم جوهراً ولم يرد به للتحيز كان مخطئاً من حيث اللفظ لامن حيث المعنى. الأصل الخامس: العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذا بطل كونه جوهراً مخصوصاً بجزء بطل كونه جسماً لأن كل جسم مختص بجزء ومركب من جواهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر ولشيء آخر من أقسام الأجسام فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسماً من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطاً في الاسم مع الإصابة في نفي معنى الجسم. الأصل السادس: العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لأن العرض ما يحل في الجسم فنكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجوداً قبله فكيف يكون حالاً في الجسم وقد كان موجوداً في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ولأنه عالم قادر مريد خالق كاسياتي بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تنقل إلا لوجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذن لا يشبه شيئاً ولا يشبه شيء بل هو الحى القيوم الذى ليس كشيء شيء وأنى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقتدره والمصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته. الأصل السابع: العلم بأن الله تعالى منزّه الدات عن الاختصاص بالجهات فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما عين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلاً والآخر يقابله ويسمى رأساً فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم الأسفل لما يلي جهة الرجل حتى إن النملة التى تدب منكسمة تحت السقف تنقلب جهة الفوق فى حقها تحتاً وإن كان فى حقنا فوقاً وخلق للإنسان اليدين وإحداها أقوى من الأخرى فى الغالب فحدث اسم

اليمين

هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمناً معصوماً فلا سبيل له إلى الإيمان على هذا المفهوم. فاعلم أن هذا يستدعى أصنافاً من علم القلوب ولا سبيل إلى ذلك فى مثل هذا المقام للمعلوم والقول والمعنى فى جواب ما سألت عنه ان للشيطان غفلات وللأخلاق للذمومة عدمت كما أن الملائكة لها عن القلوب غيبات وتواتر الحيز عليها فترات فإذا وجد الملك كما أعلمتك قلباً خالياً ولو زماناً فو ودخل فيه وأراه ما عنده من الخبر فإن صادف منه قبولاً ولما عرض عليه من الخير تشوقاً ونزوعاً أورد عليه ما يملأ ويستغرق لبه وإن صادف منه صحو أو سمع منه بجنود الشياطين استغاثته بالأخلاق الكلايكة استعانة رجل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلاص من لمة ملك أو نزعة شيطان. فإن قلت: فأى بيت فهم

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وأى كتاب أذهل بيت القلب كتاب الخلق أو بيت اللبى وكتب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه ومجمله أن المقصود بالإخبار هو بيت اللبى وكتب الحيوان معلوم ولا يتك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما نهيك عليه ويخطئ منه إلى ما أشرنا لك نحوه ولا نكر في ذلك إذ ادل عليه العلم وحمله الاستنباط ولم تجمعه القلوب المستضاء ولم تصادم به شيئا من أركان الشريعة فلا تكن جاحدا ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد فكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى مافى مدناه ومشابه له من الجهة التي تصلح أن يعديها إليه ولولا ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم «رب مبلغ أوعى من سامع وحامل

اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله ونسب الجهة التي تلى اليمين يميننا والأخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدم للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثه بحوث الانسان ولولم يخلق الانسان بهذه الحلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان في الأزل مختصا بجهة والجهة حادثه أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له أبان خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن العقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بجزء اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهر أو عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين العنيتين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وهو محاذ لجسم فأما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقتر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضا إشارة إلى ماهو وصف للدعوة من الجلال والكبرياء تنبيهها بقصد جهة العلوى على صفة المجد والعلاء فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء . الأصل الثامن : العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق

واضطرت أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطرت أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى - وهو معكم أينما كنتم - إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم «الحجر الأسود عين الله في أرضه» على التشريف والكرام لأنه لو ترك على ظاهره لزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتحكم لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدى إلى المحال فهو محال . الأصل التاسع : العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرئى بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله عز وجل - لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار - ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام - لن تراني - وليت شعري كيف عرف المعتزلى من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوى البدع والأهواء من الجهة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك . الأصل العاشر : العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والإبداع واستبد بالابحاد والاختراع لا مثل له يساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى - لو كان

فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - وبيانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثاني إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادرا وإن كان قادرا على مخالفته ومداغته كان الثاني قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا .

الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله - وهو على كل شيء قدير - صادق لأن العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسيج والتأليف متناسبا التطريز والتطريف ثم توم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك أهل الضلالة والجهل . الأصل الثاني : العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المحالقات - لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء - صادق في قوله - وهو بكل شيء عليم - ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع الزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فإذ كره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف . الأصل الثالث : العلم بكونه عزوجل حيا فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعلم مدبر دون أن يكون حيا لحاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات والضلالات . الأصل الرابع : العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو المبدى العبد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضده أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص العلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لحاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوم والتفكير ولا يشد عن سمعه صوت ديب الجملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون الخالق أكل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع وكيف تعادل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعه أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا فقال له - لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا - ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وكأعقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدة ومميما بلا أذن إذ لا فرق بينهما . الأصل السادس : أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفي القواد وإنما جعل اللسان على القواد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهاء نهاء عن أن يقول لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتى الحادثة قديم

فله إلى من هو أفقه منه» سؤال . فإن قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة » وعلم السبب الذي جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يعدى عن سببه ويترقى منه إلى مثل ما ترقى من الحديث الآخر فهذا كما قيل الحديث شجون وأتبعنا هذا الباب ما يقرب منه ويبعد علينا التخلص عنه نعم يترقى منه إلى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منها عليه وهو أن الصورة النحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عزوجل وقد نبه الله عزوجل قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضى بذلك ونقص إدراك من دان به حين قال خبرا عن إبراهيم عليه السلام حيث قال - أتعبدون ما لا تعبدون والله خاتمكم وما تعملون - فكان امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة لأجل أن فيه ما عبد

فأقطع من عقله طمعك وكف من خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء وأن الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات إليه قلبك فله سبحانه سر في إبعاد بعض العباد - ومن يضل الله فماله من هاد - ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستسكروا أن يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادل عليه من العبارات وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحدقة والقلب والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولا تحرق - الأصل السابع : أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القديم ما يجب للذات فلا تعتبره التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في أيده كذلك منزها عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يتخلو عنها وما لا يتخلو عن الحوادث فهو حادث وإثبات نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقا مشاركا لها في قبول التغير وينبئ على هذا أن كلامه قديم بذاته وإنما الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل - اخلع نعليك - بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم. الأصل الثامن : أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي إذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقدير احق طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجديد علم آخر فهكذا ينبئ أن يفهم قدم علم الله تعالى . الأصل التاسع : أن إرادته قديمة وهي في القدم تعلقت بأحداث الحوادث في أوقاتها للاتقة بها على وفق سبب العلم الأزلي إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى لإرادة أخرى وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة . الأصل العاشر : أن الله تعالى عالم بعلم حتى بحياة قادر بقدرته ومريد بإرادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم

من دون الله سبحانه أو ما حكم به ما هو على مثاله ويرقى من ذلك المعنى إلى أن القلب الذي هو بيت بناء الله ليكون مهبطا للملائكة ومحلا للذكر ومعرفة عبادته وحده دون غيره فإذا حل فيه معبود غير الله سبحانه وهو الهوى لم تقربه الملائكة أيضا . فإن قيل فظاهر الحديث يقتضي منافرة الملائكة لكل صورة عموما وما ذكرته تعليلا بنبئ أن لا يقتضي إلا منافرة ما عبد أو ما تحت على مثاله . قلنا تشابه الصور المنحوتة كلها في المعنى الذي قصد بها التصوير لأجله وهو مضارعة ذي الأرواح وما تحت للعبادة إنما قصده تشبيه ذي روح فلما كان هذا المعنى الجامع لها وجب تحريم كل صورة منافرة للملائكة . فإن قيل فلوجه التم نقيص فيما رقم في توب فذلك لأنها ليست مقصودة في نفسها وإنما المقصود التوب الذي رقت فيه .

فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .
الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لخالق له سواء ولا يحدث له إلا بإياه خلق الخلق ومنعمهم وأوجد قدرتهم وحركتهم جميعاً أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى - الله خالق كل شيء - وفي قوله تعالى - والله خلقكم وما تعملون - وفي قوله تعالى وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإخبارهم لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متناهية وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبداً بالاختراع ويصدر من المنكبات والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيئات ذلت المحاولات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات . الأصل الثاني : أن أفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس بكسبه وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسبه فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق بعبثه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط إذ قدرة الله تعالى في الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصل بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس محصورا بمحصل المقدور بها . الأصل الثالث : أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه فلا يجزى في الملك والملكوت طرفه عين ولا فتنة خاطر ولا فتنة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيئته ومنه الشر والخير والنفع والضرر والإسلام والكفر والعرفان والنسك والفوز والخسران والفانية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والإيمان لأرادته لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء - لا يستل مما يفعل وهم يسألون - ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل - أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا - وقوله تعالى - ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرها ولا يريد بها وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه والجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى فليت شعري كيف يستعجز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى مرتبة لوردت إليهم ياسة زهيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرا عن ولايته والعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صحت أنها مرادة له . فان قيل وكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد

فان قيل لما بالاثبات
رخص في محالها
بالتصوير وذات أنواط
في العرب مشهورة
معلومة فاعلم أن
ذات أنواط إنما كانت
شجرة في أيام العرب
الجاهلية تعلق عليها
يوما في السنة فاخر
ثيابها وحلى نسائها
لأجل اجتماعها عندها
وراحتها في ذلك اليوم
ولم يكونوا يقصدونها
بالعبادة لما كانت بغير
صفة التماثيل المنحوتة
والأصنام ولو كان ذلك
ماسأل أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أن يجعل لهم ذات أنواط
حتى أنكر النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك
عليهم ولو عبت فقد
عبد كثير من خلق
الله تعالى كالملائكة
والشمس والقمر
وبعض النجوم
والسيح عليه السلام
وعلى رضى الله عنه ولم
يمدوا ما تحت على
شكائهم النبات فلم تعبد
من هذه إلا ذات روح
ثم بعد عن دركها من
حرمة الله تعالى إياها
فله الحمد وهو أهل .

[بيان أصناف أهل

الاعتقاد المجرّد]

وأما أهل الاعتقاد المجرّد عن تحصيله بالعلم وتوثيقه بالأدلة وشده بالبراهين فقد انقسموا في الوجود إلى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقرّوا به وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب أسرّوه في أنفسهم ولكنهم غير عارفين بالاستدلال على ما اعتقدوا وذلك لفرط بعدهم وغلظ طبائعهم واعتياص طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم الوحدين وتحققنا وجود أمثالهم كثيرا على عهد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين رضى الله عنهم ثم لم يبلغنا أنه اعترض أحد إسلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والعرف عنه ولا كفوا مع قصور فهمهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الدلالة وقراءة ترك البراهين وترتيب الحجاج بل تركوا على ما هم عليه وهؤلاء

قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده فتابه السلطان عليه فاعتذر بجرّد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بعشيد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولولم يكن أمرا لما كان عذره عند السلطان بمهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال . الأصل الرابع : أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومنطوق بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لمصافيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والأمر والنهي وكيف يهدف لايجاب أو يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما العمل الذي في تركه ضرر إما أجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت وإما أن يراد به الذي يؤدي عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا فان أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر وإن أراد به المعنى الثاني فهو مسلم لا يذهب إلى العلم لا بد من وجود المعلوم وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم إن مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فاما أن يخلقهم في دار البلياء ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فإني ذلك غيبة عند ذوى الألباب . الأصل الخامس : أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولولم يحز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألو ذلك فقالوا سئنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به سألنا الله تعالى أخبرني به صلى الله عليه وسلم بأن أباهل لا يصدق ثم أمره بأن يأمره بأن يصدق في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدق فكيف يصدق في أنه لا يصدق وهل هذا إلا محال وجوده . الأصل السادس : إن الله عز وجل لا يلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ليلا لها وماصب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة . فان قيل إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه . فنقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقعة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أراده غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب . الأصل السابع : أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يستل عمّا يفعل وهم يستلون وليت شعري بما يجب للمعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسألة تعرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فان الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يارب لم رفعت منزلته عليّ فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتنى في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضلت فيقول الله تعالى لأنّي علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فاننا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فهاذا يجب عن ذلك وهل يجب عند

هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال . فان قيل مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة . قلنا القبيح مالا يوافق الغرض حتى إنه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أو لياؤه ويستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير وإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد تشبه يشهد بخلافه ما قدر فرضناه من محاسبة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ، وأما الحكيم منايرعى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى . الأصل الثامن : أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للعزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يتخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العيب وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يتخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال في حقه تعالى فانه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سياتر وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسيبه وليس في المال إلا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر . فان قيل فاذالم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر مالم ينظر المكلف فيه فاذقال المكلف للنبي إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندى إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أدنى ذلك إلى إحام الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع إن وراءك سبعا ضاربا فان لم تبرح عن المكان قتلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدق فيقول الواقف لا يثبت صدقك مالم ألتفت ورأى ولا ألتفت ورأى ولا أنظر مالم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على المهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة إن لم تأخذوا منها حذركم ونعرفوا إلى صدق بالالتفات إلى معجزتي وإلهلكم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على إن هلك الناس كلهم أجمعون وإنما على البلاغ المبين » فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحسن على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا أن في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه مبرر للضرر المتوقع فان العقل لا يهتدي إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الواجب ثابتا إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة . الأصل التاسع : أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثهم إذ في العقل مندوحة عنهم لأن العقل لا يهتدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة كما لا يهتدي إلى الأدوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف الطيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة .

الأصل

عندى معذورون بعدم مقبولون بما توافقوا عليه من إقرارهم وعقدهم والله سبحانه قد عذرهم مع غيرهم بقوله سبحانه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآيات بحال وسنبدى لك طريقا من الاعتبار تعرف به صحة إسلامهم وسلامة توحيدهم إن شاء الله عز وجل . والصنف الثاني اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من النطق واعتقدت مع ذلك أنواعا من الخبايا قام في محيلتها أنها أدلة وطائفة براهين وليست كذلك وقد وقع في هذا كثير ممن يشار إليه فضلا عن دونهم فان وقع إلى هذا الصنف من يزعم عليهم تلك الخبايا بالقسح ويبطلها عليهم بالمعارضة أو الاعتراض لم يلتفتوا اليه ولا أصغوا لما يأتي به ويرفعوا إلى أن يجاوبوه لما يحملهم عليه من سوء الفهم أو رداءة الاعتقاد

وعندهم أن جميع تلك الحمايل في باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطلع على العساووم ومنهم من يكون دليله خبره ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية أو حديث صحيح ولعمري أنهم ينبغي إذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقنعوا في شيء من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يحركوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم ثلاثا يكون إذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ في نفوسهم بدعة يعسر انحلالها أو يقعوا في تكفير مسلم وتضليله بل هناك أسباب كثيرة وأعلم أن اعتقاد الخلق وعلمها من أغذية النفوس فمن رغب في أكلفتها لم يقنع بدونها وإذا حصل له ذلك قوى به ومن قنع بأزميرها ولم تضمح همة إلى ما هو أعلى

الأصل العاشر : أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصائين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر (١) وتسبيح الحصى (٢) وإنطاق العجماء (٣) ومانع من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهافتوا بسببه ونهبه وقتله وإخراجهم كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدرُوا على معارضته بمثل القرآن إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين - وكقوله تعالى - ألم تغلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين - ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما يحجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى فهما كان مقرونا بتحدى النبي ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته أنه رسول الملك إليهم فانه مهما قال للملك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول الأصل الأول : الحشر والنشر (٤) وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى - قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحْيِيها الذي أنشأها أول مرة - فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عز وجل - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالاتي في الأصل الثاني : سؤال منكر ونكير (٥) وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعي الإعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم ما عاين للسؤال له فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام والذات ما يحس بتأثيره عند التنبيه وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه (٦) ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه.

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تسبيح الحصى البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر . وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ والمفوض رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر (٣) حديث إنطاق العجماء أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير الذي شكك إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد في كلام الضب والذئب والحجرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس إنكم لمحشورون إلى الله الحديث ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء الحديث ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة حفاة ومن حديث أنى هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أفتنا في بيت المقدس وأرض المحشر والمشرق الحديث وإسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى قلت وهذا هو الأغلب وإلا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .

الأصل الثالث : عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى - النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر (١) وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء البيت في بطون السباع وحواصل الطيور فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها . الأصل الرابع : الميزان وهو حق قال الله تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - وقال تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه - الآية ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معاومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب . الأصل الخامس : الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوم إنهم مسئولون - وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط . الأصل السادس : أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى - وسارعو إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين - فقله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى - لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - الأصل السابع : أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا فلم يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة الصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الإجماع وذلك مما لا يستجري على اختراعه إلا الروافض واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيًا على الاجتهاد لمانزعة من معاوية في الإمامة إذ ظن علي رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشارهم واختلاطهم بالسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة علي ذو تحصيل أصلا . الأصل الثامن : أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة (٢) وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل فلا يفهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف . الأصل التاسع : أن شرائط الإمامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الله كورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » (٣) وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف لآكثر باغ يجب رده إلى

من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطفيل وإنما يهلك من لا بلغة له ولا يجدها أو يجدها ولكنها تكون مشابهة ممن جاء بمضرة بدعة وسوم كفر فلا تذهل عما يشارك إليه وإنما المرغوب تنبيهك والله المستعان وقلمنا بين الصنف الثاني والأول من التفاوت من حيث إن أولئك مقلدون فيما يعتقدونه دليلا غير أنهم أوثق رباطا من الأولين لأن أولئك إن وقع إليهم من شكهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء في الأغلب لا سبيل إلى انحلال عقودهم إذ لا يرون أنفسهم أنهم مقلدون وإنما يظنون أنهم مستدلون عارفون فلهذا كانوا أحسن حالا والصنف الثالث أفروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقدموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكهم سبيله مع القدرة عليهم ومعهم من الكد والكفاء والفطنة واليقظ ما لو نظروا لعلوا ولو استدلوا

(١) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجه من حديث أبي هريرة وعائشة وقد تقدم .

(٢) حديث الثناء على الصحابة تقدم .

(٣) حديث الأئمة من قريش النسائي من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

لتحققوا وبني طلبوا
لأدركوا سبيل التعارف
ووصلوا ولكنهم آثروا
الراحة ومالوا إلى الدعة
واستبعدوا طريق العلم
واستقلوا الأعمال
الموصلة إليه وقنعوا
بالقعود في حضيض
الجهل فهؤلاء فيهم
إشكال عند كثير من
الناس في البديهة
ويتردد في حالهم النظر
وهل يسمون عصاة أو
غير ذلك يحتاج إلى
تهديد آخر ليس هذا
مقامه والالتفات إلى
هذا الصنف أوجب
خلاف التكلمين في
العوام على الإطلاق
من غير تفریق بين
بليد ومتيقظ وفطن
فمنهم من لم ير أنهم
مؤمنون ولكن لم
يحفظ عنهم أنهم أطلقوا
اسم الكفر عليهم
ولعلك تقول إن
مذهبهم المشهور أن
الحل لا يخلو عن
الصفات إلا إلى ضدها
فمن لم يحكم له بالإيمان
حكم عليه بالكفر
أن من لم يحكم له
بالحرمة حكم عليه
بالسكون وكذلك

الانقياد إلى الخلق . الأصل العاشر: أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان في صرفه
إثارة فتنة لا نطاق حكمنا بانعقاد إمامته لأننا بين أن تحرك فتنة بالاستبدال فما يليق المسلمون فيه من
الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي أنبت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة
شغفا بمزاياها كالذي يبنى قصرا ويهدم مصرا وبين أن تحكم بخلو البلاد عن الإمام وبفساد القضية
وذلك محال ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البني في بلادهم لمسيح حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الإمامة
عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الأربع الحاوية للأصول الأربع بعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها
كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة فالله تعالى يستدنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه
بمنه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

[الفصل الرابع من قواعد العقائد] في الإيمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق
إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل [مسئلة] اختلفوا في أن
الاسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه بوجوده أو مرتبط به يلزمه فقل
إنهما شيء واحد وقيل إنهما شيان لا يتواصلان وقيل إنهما شيان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر ،
وقد أورد أبو طالب السكي في هذا كلاما شديدا الاضطراب كثير التحويل فلنجهز الآن على التصريح
بالحق من غير تعرج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين
في اللغة ، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة ، والبحث
الأول لنؤي والثاني تفسيرى والثالث فقهي شرعى . البحث الأول : في موجب اللغة والحق فيه أن
الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى - وما أنت بمؤمن لنا - أى بمصدق والاسلام عبارة عن
التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد والتصديق محل خاص وهو القلب
واللسان ترجمان وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم
وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فوجب اللغة أن
الاسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام فاذن كل تصديق
تسليم وليس كل تسليم تصديقا . البحث الثاني : عن إطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد
باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل . أما
الترادف في قوله تعالى - فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين - فأخرجنا فيها غير بيت من المسلمين -
ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى - يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين -
وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس (١) » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة
عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس (٢) وأما الاختلاف فقوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا أسلمنا - ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام
الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح ، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لماسأله عن الإيمان فقال
« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت والحساب والقدر خيره

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر (٣) حديث سئل عن الإيمان
فأجاب بهذه الخمس ، البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون
ما الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا
رمضان ونحجوا البيت الحرام ، والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد وأن تؤتوا
خمس من المغنم .

وشره فقال لما الاسلام فأجاب بذكر الحاصل الخامس (١) « فعبّر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والمصل وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم « أوسلم فأعاد عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) » وأما التداخل فمأروى أيضا أنه سئل « فقيل أي الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال أي الاسلام أفضل فقال عليه السلام الإيمان (٣) » وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم إمام القلب وإمام اللسان وإمام الجوارح وأفضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى إيمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فإن التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فإن لم يس غير بعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - وقوله عليه السلام في حديث سعد « أوسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين وأما التداخل فموافق أيضا للغة في خصوص الإيمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنيته بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الإيمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان في جواب قول السائل أي الاسلام أفضل لأنه جعل الإيمان خصوصا من الاسلام فأدخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فإن كل ذلك تسليم وكذا الإيمان ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمرة على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله - فمأوجدنا فيها غير بيت من المسلمين - البحث الثالث : عن الحكم الشرعي والاسلام والإيمان حكمان أخوي وديوي . أما الأخوي فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٤) »

(١) حديث جبريل لما سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقي في البحث وقد تقدم (٢) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أوسلم الحديث أخرجه بنحوه (٣) حديث سئل أي الأعمال أفضل فقال الاسلام فقال أي الاسلام أفضل فقال الإيمان أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عنبسة بالشرط الأخير قال رجل يا رسول الله أي الاسلام أفضل قال الإيمان وإسناده صحيح (٤) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري في الشفاعة ، وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه الحديث ، ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان لفظ البخاري منهما ، وله تعليقا من حديث

الحياة والموت والعلم والجهل وسائر ماله من الصفات قلنا فلتنصح ذلك في الصفات التي هي لإعراض فقد لا يصح في الأوصاف التي هي أحكام الإيمان والكفر والهداية والضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الاعراض وإنما ذكرت لك هذا في معرض الشك في شعوب ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الإيمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهو لا يمكن تخالفوا المذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الإيمان ممن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهؤلاء أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه المعرفة المشروطة في صحة الإيمان وإعما فروا عن الشناعة الظاهرة فشذوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم أملوا بقول من جنى المعارف

وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الايمان ماذا هو فمن قائل إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد القلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة . والدرجة الثانية أن يوجد اثنان و بعض الثالث وهو القول والعقد و بعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سذكروه . الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال الجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب للمكي العمل بالجوارح من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى - الذين آمنوا وعملوا الصالحات - إذ هذا يدل على أن العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان و إلا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب أنه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقر به » (١) وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أوزى ثم مات فهل يخلد في النار فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلح ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فنقول فاضبط تلك المدة وماعد تلك الطاعات التي يتركها يبطل الايمان وماعد الكبائر التي يتركها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصبر إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول تمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسق إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان » وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد في النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للايمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمة الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد أن يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الأظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الايمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة » ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كالأينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلنا الشهادة إخبارا عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام الأول أظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عصي فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا إله إلا الله

أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان وهو عندهما متصل بلفظ خبر مكان إيمان (١) حديث لا تكفروا أحدا إلا بجحوده بما أقر به الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد لن يخرج أحد من الايمان إلا بجحود ما دخل فيه وإسناده ضعيف .

ذلك فذكر فانه يقال
بدا لأنه كان عارفا بما
غاب عنه لكنه ناس
له أو غافل عنه ولولا
عرفانه به ما وجد عدم
الانكار وسرعة الألفة
عنه وطائفة من
المسلمين أيضا أوجب
لهم الايمان مع عدم
المعرفة المشروطة عند
أولئك وأى الآراء
أحق بالحق وأولى
بالصواب ليس من
غرضنا في هذا الوضع
وإنما غرضنا تبعيد
ما أشاعه في الأحياء
أهل الغول والأغلال
فلا يفتح مثل هذا
الباب وقد أبدينا من
وجه ذلك في مراقق
الزلف ما يغني فيها باذن
الله عز وجل .
[فصل في بيان أصناف
أهل الاعتقاد]
تفصيل آخر من جهة
أخرى هو من تمة
ما جرى فلتعلم أن ما
منهم صنف إلا وله على
التقريب ثلاثة أحوال
لا يستبد أحدهم من
أحدها بحكم الاعتقاد
الضرورى فأصنى
الحالات لهم أن يعتقد
أحدهم جميع أركان

محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلان شك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه عند في
النار ولان شك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه
وعلى أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطوق عليه في قلبه وإيمان شك في أمر ثالث وهو الحكم
الدينوى فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم
يستفتى ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدى فهل يحل لى بينى وبين الله تعالى
أو نكح مسلمة ثم يصدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا
منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره
وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه
إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضى الله
عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن
كان من العبادات والتوقى عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم «طلب
الحلال فريضة بعد الفريضة» وليس هذا مناقضا لقولنا إن الإرث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام
التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات
والأقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإرادته في فن
الكلام الذى يطلب فيه القطع فما أفصح من نظر إلى العادات والمراسم في العلوم . فان قلت فاشبهة المعتزلة
والمرجئة وما حجة بطلان قولهم . فأقول شبهتهم عمومات القرآن أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار
وإن أتى بكل المعاصى لقوله عز وجل - فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا - ولقوله عز وجل - والذين
آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون - الآية ولقوله تعالى - كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها . إلى قوله :
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ * - فقوله كلما ألقى فيها فوج عام فينبغى أن يكون كل من ألقى في النار
مكذبا ولقوله تعالى - لا يصلها إلا الأشرى الذى كذب وتولى - وهذا حصر وإثبات ونفى ولقوله تعالى
- من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون - فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى
- والله يحب المحسنين - وقال تعالى - إنا لانضيع أجر من أحسن عملا - ولا حجة لهم في ذلك فانه
حيث ذكر الايمان في هذه الآيات أريد به الايمان مع العمل إذ بينا أن الايمان قديطلق ويراد به
الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العصاة
ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال خرة من الايمان»
فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى - إن الله لا يغير أن يشرك به ويفر مادون ذلك
لمن يشاء - والاستثناء بالمشبهة يدل على الانقسام وقوله تعالى - ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجهم
خالدين فيها - وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى - ألا إن الظالمين في عذاب مقيم - وقال تعالى - ومن
جاء بالسيسة فكبت وجوههم في النار - فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط
التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون (١) بل قوله تعالى - وإن
منكم إلا واردها - كالصريح في أن ذلك لا بد منه للكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله
تعالى - لا يصلها إلا الأشرى الذى كذب وتولى - أراد به من جماعة محضومين أو أراد بالأشرى شخصا
معينا أيضا وقوله تعالى - كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها - أى فوج من الكفار وتخصيص العمومات
(١) حديث تعذيب العصاة البخارى من حديث أنس ليصين أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها
الحديث ويأتى في ذكر الموت عدة أحاديث .

الايان على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التفاوت كما سبق . الحالة الثانية أن لا يعتقدوا إلا بعض الأركان بما فيه خلاف إذا نفروا نصف إليه في اعتقاده سواء هل يكون مؤمناً أو مسلماً أن يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقد أنه موجود حتى لا غير وأمثال هذه التقديرات ويخلو عن اعتقاد باقي الصفات خلواً كاملاً لا يخطر بباله ولا يعتقد فيها حقاً ولا باطلاً ولا صواباً ولا خطأً ولكن التقدير الذي يعتقد من الأركان الثلاثة موافق للحق غير منسوب لغيره . الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا والوحدانية والحياة ويكون فيما يعتقد في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق ما هو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح فالذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الأولى

قريب ومن هذه الآية وقع للأشعري وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى - وإني لفار لن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى - وقوله تعالى - والعصر إن الإنسان لني خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردة كان على ربك حتماً مقضياً - ثم قال - ثم تنجي الذين اتقوا - وقوله تعالى - ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجهم - وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقروناً بالإيمان وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها - وهذه العمومات أيضاً مخصوصة بدليل قوله تعالى - ويقرر مادون ذلك لمن يشاء - فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ماسوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقوله تعالى - إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً - وقوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمصيبة واحدة وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمناً متعمداً - أى لإيمانه وقد ورد على مثل هذا السبب . فإن قلت فقد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل وقد اشترى عن السلف قولهم الإيمان عقد وقول وعمل فامعناه . قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنساناً بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال للتسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقد هاتين الصديقتين بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بعدهم وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال عليه السلام « لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن » ^(١) والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقاً إيماناً تاماً كاملاً كما يقال للعاجز المقتطوع الأطراف هذا ليس بإنسان أى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الانسانية . [مسألة] فإن قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص بالبطاعة وينقص بالمصيبة فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان . فأقول السلف هم الشهود العدول ومالأحد عن قولهم عدول فماذا كروه حق وإما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد ببلحيته ومنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالأدب والسنن فهذا نصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان . فإن قلت فالاشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة . فأقول إذا تركنا المداهنة ولم نكثر بتشغيب من تشعب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال . فنقول : الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه : الأول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانسراح صدر - هو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الحيط مثلاً ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودى وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا بتحقيق وبرهان وكذلك النصراني والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاه عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضاً والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار ولذلك قال تعالى - فزادهم إيماناً - وقال تعالى - ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم - وقال صلى الله عليه وسلم (١) حديث لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

فيايرى في بعض الأخبار «الايان يزيد وينقص» (١) وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدرك إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الايمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فسبح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه هملاً مقبلاً أو ساجداً لغيره أحسن من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتي هذا في ربيع النجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبرته فقال :
رق الزجاج ورقب الحجر وتشابها فقتل كل الأمر
فكأنم خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع إلى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين أيضاً اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن يكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه: إن الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات غمت فزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات غمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى - كلا بل ران على قلوبهم - الآية . الاطلاق الثاني : أن يراد به التصديق والعمل جميعاً كما قال صلى الله عليه وسلم «الايان يضع وسبعون باباً» (٢) وكما قال صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظرو قد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه . الاطلاق الثالث : أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانسراح الصدر والشهادة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكن أقول الأمر اليقيني الذي لاشك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنيتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لاشك في واحد منهما فان اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب "الم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق

(١) حديث الايمان يزيد وينقص ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة وقال ابن عدي باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحي يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء (٢) حديث الايمان يضع وسبعون باباً وذكر بعد هذا فزاد فيه أدناها إمالة الأذى عن الطريق البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الايمان يضع وسبعون زاد مسلم في رواية وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها فكروه ويرواه بلفظ المنصف الترمذي وصححه .

والله أعلم على سبيل
نجاة ومسلك خلاص
ووصف إيمان أو إسلام
وسواء في ذلك الصنف
الأول والثاني من أهل
الاعتقاد ويبقى الصنف
الثالث على محتملات
النظر كما نبهناك عليه
وأما أهل الحالة الثانية
وهي الاقتصار على
الوجود المفرد والوجود
ووصف آخر معه مع
الخالو عن اعتقاد سائر
الصفات التي للكمال
والجلال وأركانها
فالتقدمون من السلف
لم تشتهر عنهم في صورة
المسئلة ما يخرج صاحب
هذا العقد عن حكم
الايمان والاسلام
والتأخرون مختلفون
فكثير خاف أن يخرج
من اعتقاد وجود الله
عز وجل وأظهر
الاقرار بنبيه صلى الله
عليه وسلم من الاسلام
ولا يبعد أن يكون
كثير ممن أسلم من
الأجلاف والرعيان
وضعفاء النساء والأتباع
على هذا بلا مزيد عليه
لو سألوا واستكشفوا
عن الله عز وجل هل
له إرادة أو بقاء أو كلام

أو ما شاكل ذلك وهل
له صفات معنوية ليست
هو ولا هي غيره
ربما وجدوا يجهلون
هذا ولا يقولون
وجه ما يخاطبون
به وكيف يخرج من
اعتقد وجود الله
ووجدانيته مع الاقرار
بالنبوة من حكم
الاسلام والنبي صلى الله
عليه وسلم قد رفع
القتال والقتل وأوجب
حكم الايمان والاسلام
لمن قال لا إله إلا الله
واعتقد عليها وهذه
الكلمات لا تقتضي
أكثر من اعتقاد
الوجود مع الوحدة
في الظاهر وعلى البديهة
من غير نظر ثم سمعنا
عمن قالوا في صدر
الاسلام أنه لم يعلم بعدها
إلا فرائض الوضوء
والصلاة وهيأت
الأعمال البدنية
والكف عن أذى
المسلم ولم يبلغنا أنهم
درسوا علم الصفات
وأحوالها ولا هل الله
تعالى عالم يعلم أو عالم
بنفسه وهو باق ببقاء
أو باق بنفسه وأشياء

وكيف لا وفي الأخبار «أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» وفي بعض المواضع في خبر آخر «مثقال دينار» (١) فأي معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت [مسئلة] فإن قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاسقننا شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحتزون منه فقال سفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كما أن من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزينا أو سميعا أو بصيرا ولو قيل للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فإذا تقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأي فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال إن شاء الله فقيل له لم تستثنى يا أبا سعيد في الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحت على الكلمة وكان يقول ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قد أطلع على في بعض ما يكره ففتحت وقال اذهب لا قبلت لك عملا فأنا أعمل في غير معمل وقال إبراهيم بن آدم إذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لأشك في الايمان وسؤالك إياي بدعة وقيل لعقمة أمؤمن أنت قال أرجو إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى فامضى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لافي أصل الايمان ولكن في خاتمته أو كاله وجهان لا يستندان إلى الشك. الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - وقال - ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم - وقال تعالى - انظر كيف يفترون على الله الكذب - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طيب أو فقيه أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لافي معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة التردد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للآزم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو شئت عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء. الوجه الثاني : التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين - وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لا محالة وأنه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» (٢) والحق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار يعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى فإذا قيل لك إن فلانا يموت من ريبا فتقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشكك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى (١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبي سعيد وسيأتي في ذكر الموت وما بعده (٢) حديث لما دخل المقابر قال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

معنى الرغبة وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الأمر . الوجه الثالث مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم أولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الايمان لافي أصله وكل انسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين : أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لانتحقق البراءة منه . والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين - فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى - أولئك الذين صدقوا - وقد قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - وقال تعالى - لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل - الآية وقد قال تعالى - هم درجات عند الله - وقال عليه السلام «الايمن عريان ولبسه التقوى»^(١) الحديث وقال صلى الله عليه وسلم «الايمن بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الأذى عن الطريق» فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخي فقوله صلى الله عليه وسلم «أربع من كنّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان وإذا خاصم فجر»^(٢) وفي بعض الروايات «وإذا عاهد غدر» وفي حديث أبي سعيد الخدري «القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والصدید فأىّ المادتين غلب عليه حكم له بها»^(٣) وفي لفظ آخر «غلبت عليه ذهبته به» وقال عليه السلام «أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها»^(٤) وفي حديث «الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا»^(٥) وقال حذيفة رضي الله عنه «كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات»^(٦) وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه يرى من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكاله وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه يرى منه فقد قيل للحسن البصري يقولون أن لانفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

(١) حديث الايمان عريان تقدم في العلم (٢) حديث أربع من كنّ فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه (٤) حديث أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى في أمتي من ديب النملة على الصفا أبو يعلى وابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر ولأحمد والطبراني نحوه من حديث أبي موسى وسياقي في ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الحديث أحمد بإسناد فيه جهالة وحديث حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث البخاري إلا أنه قال شر بدل أكثر .

هذه العارف ولا يدفع ظهور هذا إلا معاند أو جاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب في الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأنى أن يذعن لتعلم ما زاد على ما عنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلافة في النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولعلك تقول قد قال في مواطن أخرى إلا بحقها ثم تقول اعتقاد باقى الصفات التي بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعزّ وكاله من حقها نعم هي من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يعتقدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقله أن يلقاها ولم يسمع بها ففيه مربي هذا النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفي مثله يخاف أن يطاق عليه اسم الكفر هذا وأنت

تسمع عن الله عز وجل يقول في الآخرة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وذكر من المثقال إلى الذرة والحدلة من الإيمان إلى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط فما يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين لأن التقدير وقع في الإيمان لا في الأعمال فان قلت فان من الناس وأئمة العلماء من لم يوجب الإيمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أو كلها قلنا قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب ونهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وأنهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول في ذلك لبداه أنه تسبب إلى ما يظهر له من تصوره عن معرفة شرطها في إيمان غيره ولا أثر من حسه الركون إلى ما رأيناه أولى من رأيه وأحق بالصواب

«وسمع ابن عمر رضي الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أريت لو كان حاضرا يسمع أ كنت تتكلم فيه فقال لا فقال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه» وقيل للحسن إن قوما يقولون إنا لانخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم أتى برىء من النفاق أحب إلى من تلأع الأرض ذهباً وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلاية والدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه إني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن النفاق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم: أرى على وجهه سبعة من الشيطان، خاف الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نشدك الله هل حدثت نفسك حين أشرت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم» (٢) وقال ﷺ في دعائه «اللهم إني أستغفرك لما علمت ولم أعلم فقليل له أتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحذرون » (٣) قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور غطابه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فغفقت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزير للخلق عند خروج روعي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكلامه وصفاءه لأصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخدلين في النار والثاني يفرض بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحبط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمر آخر لا يخلو عنها إلا الصديقون . الوجه الرابع : وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري أي سلم له الإيمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل (١) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أريت لو كان حاضرا أ كنت تتكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج (٢) حديث كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبخاري والدارقطني من حديث أنس (٣) حدثت اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما عمل ولائي بكر بن الصالح في الشبائل في حديث مرسل وشر ما أعلم وشر ما لا أعلم .

الصائم ضحوة النهار من صحة صوما فقال أنا صائم قطعا فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصحة موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة خوفاً ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها غمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التي لا تظهر إلا بظهور المقتضى به ولا مطلع عليه لأحد من البشر غفوف الحاتمة تخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقته الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري أنه من الذين سبق لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى - وجاءت سكرة الموت بالحق - أي بالسابقة بمعنى أظهرتها . وقال بعض السلف إنما يوزن بين الأعمال خواتمها وكان أبو البرداء رضى الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الحاتمة نموذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء . وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأنى لا أدري ما يمرض لقلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار . وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث «من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل» (١) وقيل في قوله تعالى - وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا - صدقا لمن مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك - وقد قال تعالى - ولله عاقبة الأمور - فهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرىء الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرىء الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يستل عن الصوم الماضى الذى لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصمت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقى هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكاً في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا الرب الأرباب جل جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختتم به كتاب قواعد العقائد تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تلطف بعباده فتعبد بهم بالنظافة وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطفه وأعدّ لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالبرقة واللطافة وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا ببركاتها يوم الحاقة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة . أما بعد : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «بني الدين على النظافة» (٢)

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبراني في الأوسط بالشرط الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم والشرط الأول روى من قول يحيى بن أبي كثير رواه الطبراني في الأوسط بلفظ من قال أنا في الجنة فهو في النار وسنده ضعيف .

كتاب الطهارة

(٢) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعوا إلى الإيمان

ولسئل من مذهبه ثم بعد ذلك تراهم حين أخبروا عن سلب الإيمان عنهم لم يبقوا اسم الكفر عليهم ثم تعرضوا على الاستتابة إن كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فإذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه ونقص ما قالوا إليه فلنرجع إلى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد البدعة في الصفات أو بعضها فإن حكنا بصحة إيمان أهل الحالة المذكورة قبل هذا وإسلامهم حقتنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يقعوا فيه بوجه قصد قطعهم عن إيصال الصدر لأن هؤلاء قد حصل لهم في العقد ماهو شرط الخلاص والنجاة من الملاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك فإن أمكن ردمهم في الدنيا وزجرهم عنه أن أظهروا المنع عن الاقلاع والرجوع

بالعبودية الخفية من
قتل كان ذلك وإن
قالوا بالموت لم تقصر
في اعتقادنا عن أن يلب
الحالة الثانية المذكورة
قبلهم والله أعلم بالناجى
والهالك من خلقه
والطبيع والعاصى من
عباده هكذا ينبغي أن
يكون مذهب من نظر
في خلق الله تعالى بعين
الرأفة والرحمة ولم
يدخل بين الله عز وجل
و بين عباده فيما غاب
عنه علمه وعدم فيه
سبيل اليقين وفهم
معنى قوله عز وجل
- ولا تقف ما ليس
لك به علم إن السمع
والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه
مستولاً - . فإن قلت
وإن أنت من تكفير
كثير من الناس لجميع
أهل البدع عامة وخاصة
وقول النبي صلى الله
عليه وسلم في القدرية
«إنهم مجوس هذه
الأمّة» وقوله صلى الله
عليه وسلم «ستفترق
أمّتي إلى ثلاث وسبعين
فرقة كلها في النار إلا
واحدة» وقال عن

وقال صلى الله عليه وسلم «مفتاح الصلاة الطهور» (١) وقال الله تعالى - فيه رجال يحبون أن يتطهروا
والله يحبّ المطهرين - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «الطهور نصف الإيمان» (٢) قال الله تعالى
- ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم - فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن
أهمّ الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم «الطهور نصف الإيمان»
عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحوناً بالأخباث والأقذار هيئات
هيئات والطهارة لها أربع مراتب : المرتبة الأولى : تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث
والفضلات . المرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . المرتبة الثالثة : تطهير القلب عن
الأخلاق الذمومة والردائل الممقوتة . المرتبة الرابعة : تطهير السرّ عما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء
صلوات الله عليهم والصديقين والطهارة في كل مرتبة نصف العمل الذي فيها فإن الغاية القصوى في عمل
السرّ أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السرّ ما لم ير تحل
ما سوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - لأنهما لا يجتمعان
في قلب - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارة بالأخلاق
المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائصها من العقائد الفاسدة والردائل
الممقوتة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر
الإيمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن النهای أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو
شرط في الثاني فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني فهذه
مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل
إلى طهارة السرّ عن الصفات الذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق
الذمومة وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن النهای
وعمارتها بالطاعات وكلما عزّ المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنّ
أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوى ، نعم من عميت بصرته عن تفاوت هذه الطبقات، لم يفهم من
مراتب الطهارة إلا المراجعة الأخيرة التي كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب فصار
يعين فيها ويستقصى في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر
وطلب المياه الجارية الكثيرة ظناً منه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي
هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الممّ والفكر في تطهير القلب وساهلهم في أمر
الظاهر حتى إن عمر رضى الله عنه مع علوّ منصبه توضعاً من ماء في جرّة نصرانية وحمى لإنهم
ما كانوا يفسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخص أقدامهم وعدوا
الأشنان من البدع المحدثه ولقد كانوا يصابون على الأرض في الساجد ويمشون حفاة في الطرقات
ومن كان لا يجعل بينه وبين الأرض حاجزاً في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون
على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : «كنا نأكل الشواء فتقام
الصلاة فندخل أصابعنا في الحصى ثم نفرّكها بالتراب ونكبر» (٣) وقال عمر رضى الله عنه :

(١) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت . من حديث طي قال الترمذى هذا أصح شيء في هذا الباب
وأحسن (٢) حديث الطهور نصف الإيمان ت من حديث رجل من بني سليم وقال حسن ورواه مسلم
من حديث أنى مالك الأشعرى بلفظ شطر كما في الأحياء (٣) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة
فندخل أصابعنا في الحصى الحديث . من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة

« ما كنا نعرف الأشنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا تطون أرجلنا (١) كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها » ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع المناخل والأشنان والموائد والشيع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الماخن حتى قال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل « لأن رسول الله ﷺ لما نزع نعليه في صلاته بإخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم (٢) » وقال النخعي في الدين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها منكرا لخلع النعال فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويسلمون في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والحيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والتفاخر ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من آدم أو تواضاً من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشذوا عليه التكبر ولقبوه بالقدر وأخرجوه من زميرهم واستكفوا عن مؤامراته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الإيمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار للمكرم معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه .

فإن قلت أفقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات . فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظيف والتكاف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المقتنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقترب بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكرا فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ « بني الدين على النظافة » حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرم فإن ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فإذا لم يقترب به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل فربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لولم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن

(١) حديث عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا تطون باطن أرجلنا الحديث لم أحده من حديث عمر ولا بن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر (٢) حديث خلع نعليه في الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة ذلك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري

يصرفوا

قوم « يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أو من قول خير البرية يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية » والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئا من الأهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وإن كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الأكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر إمام المتقين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال مجوس هذه الأمة أضافهم إلى الأمة وما حكم بأن لم يقل مجوس على الإطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فلم أخبر أنهم خالدون فيها وحين قال يرقون من الدين كما يرق السهم

يصرفوا من أوقاتهم إليه لإقتران الحاجة فإذ زيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الاتضاع به ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقرين ولا ينبغي للبطل أن يهرث النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابه إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه كقيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك؟ قال إني إذن لفارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا للعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوها بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوغة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يحتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يعيش معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لاتفضل ذلك فإن الناس لولم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالنظر إليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون حمام الدهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لافي احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب عحاطا فهو أفضل فانه بالإضافة إلى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأتارة بالسوء بعمل المباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس إن لم تشغل بشئ شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوق العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بخلافها وإذ اعرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب . فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا تتكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لأنا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصدا إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستعداد واستعمال النورة والختان وغيره .

القسم الأول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة

الطرف الأول في المزال

وهي النجاسة . والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الحجر وكل منقبذ مسكوك الحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والحنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فإذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالدياب والخنفساء وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه وأما أجزاء الحيوانات فقسما : أحدها ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجزء والموت والعظم ينجس . الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدماغ والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس إلا ما هو مادة الحيوان كالحنى والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعنى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة : الأول أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعنى عنه ما لم يعد المخرج . والثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعنى عنه معيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطف به إلى تفرج أو سقطه . الثالث ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخالو الطريق عنها فيعنى عنه بعد ذلك للحاجة . الرابع دم البراغيث ما قل منه أو أكثر إلا إذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيرك فلبسته . الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد وذلك ابن عمر رضى الله عنه بثره على وجهه

[فصل] ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا ممن رآه ألقى عليه شبه القشر الثاني من الجوز لأن ذلك القشر يؤثر كل مع ما هو عليه صونا وإذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للحيات وبلاغا للجانح وبالجملة فهو لمن لا شئ معه خير من فقد

مخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفي معناه ما يترشح من لطخات الدمامل التي تدوم غالباً وكذلك أثر القصد إلا ما يقع نادراً من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يغتسل الإنسان عنها في أحواله ومساحة الشرع في هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لأصل لها .

الطرف الثاني في الزوال به

وهو إما جامد وإما متاع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترق وأما المتاع فالتزال النجاسات بشيء منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فإن لم يتغير وكان قريباً من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً» (١) وإن كان دونه صار نجساً عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد وأما الماء الجاري إذا تغير بالنجاسة فالجارية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لأن جريات الماء متفصلات وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما أسفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجساً بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أود أن يكون مذهبه كذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجرب به ويتأمله وما لأشك فيه أن ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الرائدة الكثيرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يجترزون عن النجاسات وقد توضعاً عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء والافتجاسة النصرانية وإنائها غالباً تعلم بظن قريب فإذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث إصفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأناء للهرة (٢) وعدم تغطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنابير فيها وكانت لا تنزل الآبار والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم يتغير ونجسة إن تغيرت وأي فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأي معنى لقول القائل إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضاً ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في إجابة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الإجابة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني . والخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلاً وأي فرق بين الجاري والراكد وليت (١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث إصفاة الأناء للهرة الطبراني في الأوسط والدارقطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فعل أبي قتادة .

وكذلك اعتقاد التوحيد

وان كان مجرداً عن سبيل المعرفة وغير منوط بشيء من الأدلة ضعيفاً فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعطيل والكفر ومتى ركب أحد هذا فقد وقع في أعظم المخرج والنكر . [بيان أرباب المرتبة الثالثة وهو توحيد المقرين] والكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود : أحدها أن يتكلم في الأسباب التي توصل إليه والمسالك التي يعبر عليها نحوه والأحوال التي يتخذها بحصوله كإقراءه العزيم العبدى واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في عين ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف يتصور للمسالك إليه والطلاب له قبل وصوله إليه وانكشافه له بالمشاهدة

والحد الثالث في ثمرات ذلك التوحيد وما يليق أهله به ويطلمون عليه بسببه ويكرمون به من أجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته أما الحد الأول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتدلله للصغير والكبير مأموره بشد في أمره متوعده بالنار على كتمه فيه بعث الأنبياء ومن أجله أرسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على أمناء وحيه الصحف والكتب وليقع التفقه في القلوب بتحقيقه وتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبينته للناس ولا يكتُمونه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ويا ه عني رسول الله

شعري هل الحولة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة تجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فإن لم تجر لما الفرق وإن جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع في مستنقع فلتان فأى فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة . والسادس أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري هل تحليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها . والسابع أن الحمامات لم تنزل في الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم « خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أولونه أو ريحه (١) » وهذا في تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى السكب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحاً ووال صفة السكبية عنه فكذلك الحل يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فيقتبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه وألونه أو ريحه فهذا المعيار وقد أشار الشرع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يغلب عليه فيطهره كإصا كذا في الماء بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي إصفاة الاناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا إذ لو كان كذلك لكان أكثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوج السنور في الماء القليل وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » فهو في نفسه مبهم فانه يحمل إذا تغير . فان قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها فقول لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال للمملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي ينقلب وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي الغدران ويغمسون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسة المعتادة . فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على للذهبيين جميعا وعلى الجملة فبلى في أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل فهما من سيرة الأولين وحسما لمادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيا وقع الخلاف فيه في مثل هذه المسائل

الطرف الثالث في كيفية الإزالة

والنجاسة إن كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيسكن إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت عينية فلا بد من إزالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص أما الرائحة فيقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعنى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر إزالتها فالدلك والعصر مرآت متواليات يقوم مقام الحت والقرص في اللون (١) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء من حديث أبي سعيد وصححه وغيره .

والمزبل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فلا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا صلى معه ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات . القسم الثاني طهارة الأحداث : ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء ، فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسنتها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى .

باب آداب قضاء الحاجة

ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين في الصحراء وأن يستتر بشيء إن وجدته وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل الشمس والتمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا إذا كان في بناء والعدول أيضا عنها في البناء أحب وإن استتر في الصحراء براحتة جاز وكذلك بذيله وأن يتقى الجلوس في متحدث الناس وأن لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا في الجحر وأن يتقى الموضع الصلب ومهب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وأن يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وإن كان في بنية يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة رضي الله عنها « من حدثكم أن النبي ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه » (١) وقال عمر رضي الله عنه « رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال : يا عمر لا تبول قائما » (٢) قال عمر فابلت قائما بغد ، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضي الله عنه « أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما فأثبته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه » (٣) ولا يبول في المغتسل قال صلى الله عليه وسلم « عامة الوسواس منه » (٤) وقال ابن المبارك قد وسع في البول في المغتسل إذا جرى الماء عليه ذكره الترمذي وقال عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم في مستحمة ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه » وقال ابن المبارك إن كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت الماء حاصر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وأن يعد التبل قبل الجلوس وأن لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنحنج والترثلا وإصرار اليد على أسفل القضيب ولا يكثر التفكير في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم فعله أعنى رش الماء (٥) وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان رضي الله عنه « علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الحراة فأمرنا أن لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول » (٦) وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد

(١) حديث عائشة من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ت ن . قال ت هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح (٢) حديث عمر رضي الله عنه وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبول قائما ابن ماجه بإسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٣) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه (٤) حديث قال في البول في المغتسل عامة الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذي غريب قلت وإسناده صحيح (٥) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح د ن . من حديث سفيان بن الحكم الثقي أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الحراة الحديث م وقد تقدم في قواعد العقائد

صلى الله عليه وسلم بقوله « من سئل عن علم بكنهه أليم يوم القيامة بالجام من نار » وجميع ذلك محصور في اثنتين العلم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبینان على آيتين الحرص الشديد والنية الخالصة والسر في تحصيلهما اثنان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة وأما الحد الثاني فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الأمثال تشبيها بالرمز تارة وبالتصریح أخرى ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك اللبيب الخاذق على بعض المرادو يفهم منه كثيرا من المقصود وينكشف له جل ما يشار إليه إذا كان سالما من شرك التعصب بعبد من هوة الهوى نظيفا من دس التقليد ، وأما الحد الثالث فلا سبيل إلى ذكر شيء منه إلا مع أهله بعد علمهم به على

سبيل التذكير لا على التعليم إنما كانت أحكام هذه الحدود الثلاثة على ما وصفناه لأن الحد الأول فيه محض النصع للخلق واستنقاذهم من غمرة الجهل والتسكيب بهم من مهاوى العطب وقودهم إلى معرفة هذا المقام وما وراءه مما هو أعلى منه مما لهم فيه الملك الأكبر وفوز الأبد وقدين لهم غاية البيان وأقيم عليه واضح البرهان وهو يومئذ الطريق وأول سبيل السعادة فمن عجز عن ذلك كان عن غيره أعجز ومن سلكه على استقامة فالغالب عليه الوصول إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ومن وصل شاهد ومن شاهد علم وذلك غاية المطلوب ونهاية المرغوب والمحبوب ومن قعد حرم الوصول وما بعده فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ومن غاب لم تنفعه الأخبار ولم يفسده كثيرا من الأحاديث وأيضا فإن الأخبار بما وراء الحد الأول

خاصمه لأحسبك تحسن الخراء قال بلى وأبيك إلى أحسنها وإلى بها لحاذق أبعد الأثر وأعد المدر وأستقبل الشيخ وأستدبر الريح وأقم الطيب وأجفل إجمال النعام . الشيخ نبت طيب الرائحة بالبادية والاقعاء ههنا أن يستوفى على صدور قدميه ، والأجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يقول الإنسان قريبا من صاحبه مستترا عنه (١) فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حياته ليبين للناس ذلك .

كيفية الاستنجاء

ثم يستنجي لمقعدته بثلاثة أحجار فإن أنقى بها كفى وإلا استعمل رابعا فإن أنقى استعمل خامسا لأن الانقاء واجب والابتار مستحب قال عليه السلام « من استجمر فليوتر (٢) » يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة إلى المؤخر ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمره إلى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة فإن عسرت الإدارة ومسح من المقدمة إلى المؤخر أجزاء ثم يأخذ حجرا كبيرا يمينه وألقضيه بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن لا يرى الرطوبة في محل المسح فإن حصل ذلك بمرتين آتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على الحجر وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للابتار ثم ينقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجي بالماء بأن يفيضه باليمين على محل النجوة ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللبس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فإن ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة مالم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فقد ظهره أن يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن فرجى من الفواحش ويدلك يده بمحائط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى « أنه لما نزل قوله تعالى - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين - قال رسول الله ﷺ لأهل قباء ماهذه الطهارة التي أنى الله بها عليكم قالوا كنا نجمع بين الماء والحجر (٣) »

كيفية الوضوء

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الغائط إلا توضأ ويتندى بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهمكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك (٤) » فينبى أن ينوى عند السواك تطهيره لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى - فيه رجال يحبون أن يتطهروا - الحديث في أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ك وصححه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر وقول النووي تبعا لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم (٤) حديث إن أفواهمكم طرق القرآن أبو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه موقوفا على علي وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم في كتب السواك من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف ورواه ك وصححه والبيهقي وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة .

«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «مالي أراكم تدخلون على قلحا استاكوا» (٢) أي صفر الأسنان «وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا» (٣) وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء» (٤) : وقال عليه السلام «عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب» (٥) وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: السواك يزيد في الحفظ ويذهب البليغ (٦) . وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وإن اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبته وعند تغير النكبة بالنوم أو طول الأزم أو كل ما تكره راحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبلا القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم «لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى» (٧) أي لا وضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يفسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الاتاء ويقول اللهم إني أسألك الجن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فأن نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه يمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويغفر بأن يرد الماء إلى الفلسمه إلا أن يكون صائما فيفرق ويقول اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر مافيه ويقول في الاستنشاق اللهم أوجد لي رائحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنشاق اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق إيصال والاستنشاق إزالة ثم يعرف غرفة لوجهه فيفسله من مبدإ سطح الجهة إلى منتهى ما يقبل من الدفن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه الزغتان اللتان على طرفي الجبين فهما من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الحيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة الحاجبان والشاربان والعذاران والأهداب لأنها خفيفة في الغالب والعذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبدإ اللحية ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم العنققة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل

(١) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث مالى أراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب د والبغوي من حديث تمام بن العباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٣) حديث كان يستاك من الليل مرارا من حديث ابن عباس (٤) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء رواه أحمد (٥) حديث عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذي قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان (٦) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم الخطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك وعند د وصححه أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٧) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقل ت عن البخاري أنه أحسن شيء في هذا الباب

والثاني على وجهه لو كشف للخلق كافة وأمكن بما أهد من الكلام وجري بين الناس من عرف التخاطب كان فيه زيادة محنة وسبب فيه إهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام وذلك لغرابة العلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلاوه في منازل الرفعة وبعده بالجلية والتفصيل من جميع ما عهد في عالم الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود المألوفة ومباينته لكل ما نشأ عنه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات فلما كان لا يدرك شيء من ذلك بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولا يحمل عليه مثل كما قال عز وجل : فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وحى عن ابن عباس رحمه الله أنه قال ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء وأراد من لم يكشف له شيء من علمها وحقائقها

في الدنيا وأيضاً في الآخرة
 الأخبار بها تغير أهلها
 لم يكن لهم سبيل إلى
 تصورهما إلا على خلاف
 ما هي عليه بمجرد
 تقليد ويتطرق إليه
 من أهل الغفلة وذوى
 القصور جحود وتباعد
 فهذا أمر بالكم
 إشفاقاً على من حجب
 من العلم ولهذا قال
 سيد البشر صلى الله
 عليه وسلم «لا تتحدثوا
 الناس بمالم تصله عقولهم
 تريدون أن يكذب
 الله ورسوله» وقال صلى
 الله عليه وسلم «ما حدث
 أحدكم قوماً يحدث لم
 تصله عقولهم إلا كان
 عليهم فتنة» وعلى هذا
 يخرج قول الشافعي
 إفشاء سر الربوبية
 كفر رزقنا الله وإياكم
 قلوباً وأعيه الخير إنه
 ولي كل صالح وإذا
 علمت أن الحد الأول
 قد تقرر علمه في كتب
 الرواية والدراسة وملئت
 منه الطروس وكثرت
 به في المحافل الدروس
 وهو غير محبوب عن
 طالب ولا ممنوع عن
 راغب قد أمر الجهال
 به أن يتعلموه والعلماء

من اللحية ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روى
 أنه عليه السلام فعل ذلك^(١) ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول
 عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود
 وجوه أعدائك ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثاً
 ويحرك الخاتم ويطيل القرة يرفع الماء إلى أعلى العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غراً محجلين من آثار
 الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام «من استطاع أن يطيل غرته فليفعل^(٢)» وروى أن الحلية تبلغ
 مواضع الوضوء^(٣) ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطني كتابي بيمينى وحاسبى حساباً يسيراً ويقول عند
 غسل الشمال اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن
 يبل يديه ويلصق رءوس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدها إلى القفا ثم
 يردّها إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثاً ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل عليّ من
 بركاتك وأظني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ثم مسح أذنيه ظاهرها وباطنها بماء جديد بأن
 يدخل مسبتيه في صمخى أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهاراً
 ويكرره ثلاثاً ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادى
 الجنة مع الأبرار ثم مسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم «مسح الرقبة أمان من القل
 يوم القيامة^(٤)» ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يغسل رجله
 اليمنى ثلاثاً ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم
 بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام في النار
 ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين
 ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سبحانه اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً
 وظلمت نفسي أستغفرك اللهم وآتوب إليك فأغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم اللهم
 اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبداً صبوراً
 شكوراً واجعلني أذكرك كثيراً وأسبحك بكراً وأصيلاً يقال إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على
 وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم
 القيامة. ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وأن يسرف في الماء «توضأ عليه
 السلام ثلاثاً وقال من زاد فقد ظلم وأساء^(٥)» وقال «سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء
 والظهور^(٦)» ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الظهور^(٧) وقال إبراهيم بن آدم يقال

- (١) حديث إدخاله الأصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبي
 أمانة كان يتعاهد الملقين ورواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف اشربوا الماء أعينكم
- (٢) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل خرجه من حديث أبي هريرة (٣) حديث
 تبلغ الخلة من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجه من حديثه (٤) حديث مسح الرقبة أمان من القل
 أبو مسعود الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٥) حديث توضأ ثلاثاً ثلاثاً
 وقال من زاد فقد أساء وظلم دن واللفظ له وه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
- (٦) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والظهور د ه وابن حبان وك من حديث
 عبد الله بن مغفل (٧) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجده أصلاً .

إن أول ما يعتدى* الوسواس من قبل الطهور ، وقال الحسن إن شيطاناً يضحك بالناس في الوضوء يقال له الوهان ويكره أن ينفذ اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن يلطم وجهه بالماء لطماوكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ رضى الله عنه «أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه»^(١) وروى عائشة رضى الله عنها «أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة»^(٢) ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إماء صفر وأن يتوضأ بالماء الشمس وذلك من جهة الطب وقد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما كراهية إماء الصفر وقال بعضهم أخرجت لشعبة ماء في إماء صفر فأبى أن يتوضأ منه ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبى أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلق عن الأخلاق تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتقصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقذورات واشتغل بتجسيص ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للقت والبوار والله سبحانه وتعالى أعلم .

فضيلة الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ* من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(٣) وفي لفظ آخر «ولم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه» وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً «الأنبشكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الفرجات» إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات^(٤) «وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين أتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوئى ووضوء الأنبياء من قبلى ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام»^(٥) وقال عليه السلام «من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات»^(٧) وقال عليه السلام «الوضوء على الوضوء نور على نور»^(٨) وهذا كله حث على تجديد الوضوء

(١) حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب وإسناده ضعيف (٢) حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شئ* (٣) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه بشئ* من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر لم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشئ* من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما ود من حديث زيد بن خالد بن سلم عن ركعتين لاسهو فيهما الحديث (٤) حديث ألا أنبشكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبي هريرة (٥) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به الحديث م من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٦) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث الدار قطن من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٧) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت م من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٨) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجده أصلاً .

أن يبذلوه و يملوه فلا نعيد فيه ههنا قولاً ولما كان حكم الحد الثالث الكتم تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير أهله على كل حال لم يكن لنا سبيل إلى تعدى إلى محدودات الشرع فلنن العنان إلى الكلام بالذى يليق بهذا الحال والمقام فنقول : أرباب المقام الثالث في التوحيد وهم المقرّون على ثلاثة أصناف ، وعلى الجلة فكلامهم نظروا إلى الخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لاثمة وعابوا حالات الافتقار إلى الله تعالى عليهم واضحة وسموا جميعها تدل على توحيدده وتفريده راشدة ناصحة ثم رأوا الله تعالى بإيمان قلوبهم وشاهدوه بغيث أرواحهم ولاحظوا أحلاله وجماله بخفى أسرارهم وهم مع ذلك في درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم في اليقين وصفاء القلب وهؤلاء الأصناف الثلاثة لما عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته

واقسامهم في تلك المعرفة كانقسام حفاظ تلاوة القرآن مثلاً فمن حافظ لبعضه ويكون ذلك البعض أكثر أو كثيراً منه دون كماله ومن حافظ للجميع لكنه متلعم فيه متوقف على الانهماك في قراءته ومن حافظ في تلاوته غير متوقف في شيء منه وكلهم ينسب إليه وبعد في المشهد والغيب من أهله وكذلك أهل هذه المرتبة أيضاً منهم متوصل إلى المعرفة من قراءة صفحات أكثر الخلوقات أو كثير منهاور بما كان فيما يقرأ من الصفحات ما يعم عليه ومن قارىء الجميعهممتفهم لها لكن بنوع تعب ولزوم فكرة ومداومة عبادة ومن ماهر في قراءتها مستخرج لرموزها ناقد البصيرة في رؤية حقيقتها مفتوح السمع تناطقه الأشياء في فراغه وشغلها بحسب ذلك اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط

وقال عليه السلام « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشعار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافذة له (١) » وروى « إن الطاهر كالصائم (٢) » قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الحمانية يدخل من أيها شاء (٣) » وقال عمر رضي الله عنه: إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً ذا كرا مستغفراً فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

كيفية الغسل

وهو أن يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثاً ثم يستنحي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا لإغسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثاً ثم على شقه الأيمن ثلاثاً ثم على شقه الأيسر ثلاثاً ثم بذلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كشف منه أو خف وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ويتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره في أثناء ذلك فإن فعل ذلك فليعد الوضوء وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عداها من المسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل أمران النية واستيعاب البدن بالغسل وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب ، وأما الموالاة فليست بواجبة والغسل الواجب بأربعة بخروج الماء والتقاء الحتاتين والحيض والنفاس وما عداها من الأغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والأعياد والأحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتاً فكل ذلك مستحب .

كيفية التيمم

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطب أو بمانعه عن الوصول إليه من سبب أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعلطه أو لمعطش رقيقه أو كان ملكاً لغيره ولم يبعه إلا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيداً طيباً عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يشورمه غبار ويضرب عليه (١) حديث إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د ه من حديث الصنابعي إسناده صحيح ولكن اختلف في صحته وعند من حديث أبي هريرة وعمرو بن عبسة نحوه مختصراً (٢) حديث الطاهر النائم كالصائم أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث الطاهر النائم كالصائم القائم وسنده ضعيف (٣) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عند من دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزني في الأطراف وقد رواه في اليوم والليلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمي في مسنده .

والفناء والبقاء ولا مزيد
على هذا المثال فهو
أصلح لدوى الأفهام
من شمس النهار وقت
الزوال وعلمت لم سمى
أهل هذه المرتبة
مقرّين بذلك لعدم
عن ظلمات الجهل
وقربهم من أنوار
المعرفة والعلم ولا أبعد
من الجاهل ولا أقرب
من العارف العالم
والقرب والبعد ههنا
عبارتان عن حالتين
على سبيل التجوّر في
لسان الجمهور وعلى
الحقيقة عند السمعين
لهما في هذا الفن أحد
الحالتين عماء البصيرة
وانطباس القلب والخلوّ
عن معرفة الربّ
سبحانه وتعالى ويسمى
هذا بعداً مأخوذاً من
البعد عن محلّ الراحة
والمزلّ الواجب وموضع
العمارة والأنس
والانقطاع في مهامه
القفر وأمكنة الخوف
ومظان الانفراد
والوحشة والحالة الثانية
عبارة عن اتقاد
الباطن واشتعال
القلب وانفساح الصدر
بنور اليقين والمعرفة

كفيه ضاماً بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوى عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف لإصال الغبار إلى ما تحت الشعور خفت أو كسفت ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكنى في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم ياصق ظهور أصابع يده اليمنى بيظون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عن المسبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر مساعدته الأيمن إلى المرفق ثم يقبض بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمرّها إلى الكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة وإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء فإن جمع بين فرضتين فينبغي أن يعيد التيمم الثانية وهكذا يفرد كل فرضة بتيمم والله أعلم .

القسم الثالث : في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان أواساخ وأجزاء النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية

الأول ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل والتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين لإزالة للشعث عنه « وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به ^(١) » ويقول عليه الصلاة والسلام : ادهنوا غبا ^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « من كان له شعرة فليكرمها ^(٣) » أى ليصنها عن الأوساخ « ودخل عليه رجل نثر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان ^(٤) » الثانى ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصباغ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع . الثالث ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المتعقدة المتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار . الرابع ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناها . الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرأة في سفر ولا حضر ^(٥) » وهى سنة العرب وفي خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته في اليوم مرتين ^(٦) وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية ^(٧) وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها

(١) حديث كان يدهن الشعر ويرجله غبات في الشمائل بإسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفي الشمائل أيضاً بإسناد حسن من حديث صحابي لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا (٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجده أصلاً وقال النووي غير معروف وعند د ن من حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل إلا غبا بإسناد صحيح (٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبي هريرة وقال به شعر فليكرمها وليس إسناده بالقوى (٤) حديث دخل عليه رجل نثر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث د ن وابن حبان من حديث جابر بإسناد جيد (٥) حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوّف من حديث أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة وإسنادها ضعيف وسيأتى في آداب السفر مطوّلاً (٦) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته ولاخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسلًا كان يسرح لحيته بالمشط (٧) حديث كان كث اللحية ت في الشمائل من حديث هند ابن أبي هالة وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي وأصله عند د ن

والنقل وعمل البيت
بمشاهدة ما غاب عنه
أهل النفقة واليهو
ولكنه يدل على أنه لم
يصل لعلك تقول أرى
بعض أئمة الكلام عن
لحوق هذا المقام كأن لم
يضر بوا فيه بسهم ولم
يفز قدحهم منه بحظ
ولاسهم وأرامهم عند
الجمهور في الظاهر
وعند أنفسهم أنهم
أهل الدلالة على الله
تعالى وقادة الخلق إلى
مرادهم ومجاهدون
أرباب التحل المردية
والمثل الضالة المهلكة
وقد سبق في الأحياء
أنهم مع العوام في
الاعتقاد سواء وإنما
فارقوهم بحسانهم
حراسة عقودهم . فاعلم
أن ما رأيت في الأحياء
صحيح ولكن بقي في
كشفه أمر لا يخفى على
المتبصرين ولا يغيب
عن الشاذين إذا كانوا
منصفين وهو أن
المتكلمين من حيث
صناعة الكلام فقط لم
يفارقوا عقود العوام
وإنما فارقوهم بالجدد
عن الانحراف والجدد
علم لنظري وأكثره

وكن على مريض الحبة قد ملأت ما بين منسكبيه وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها
«اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيتهم يطلع في الحب يسوي من رأسه
ولحيته (١) فقلت أوتصل ذلك يرسول الله ؟ فقال نعم : إن الله يحب من عبده أن يتجمل لآخوانه
إذا خرج إليهم » والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وتشبيها
للالئكة بالحدادين وهيئات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من
وظائفه أن يسى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته في أعينهم كيلا
تستغفره أعينهم فينفروهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تفيهم وهذا القصد واجب على كل عالم
تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل وهو أن يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه
والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فانها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالذين
على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية إظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس مخذور وتركه شغلا
بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والنقاد بصير والتلبس
غير راجع عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى
غيره ويزعم أن قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم
إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف - يوم تبلى السرائر - ويوم
يبعث مافى القبور ويحصل مافى الصدور - فعند ذلك تميز السبيكة الخالصة من التبهرجة فتعود بالله
من الحزى يوم العرض الأكبر . السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل كانت العرب
لا تكثر غسل ذلك لتركتها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم (٢) . السابع تنظيف الرواجب (٣) أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم العرب بتنظيفها وهي رهوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها
المقراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق
العانة أربعين يوما (٤) لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الأظفار (٥)
وجاء في الأثر «أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له
كيف نزل عليكم وأتمم لا تغسلون رءوسكم ولا تنظفون رءوسكم (٦) وقلبا لاستنسا كون مرأمتك
بذلك » والأف وسخ الظفر والتف وسخ الأذن وقوله عز وجل - فلا تقل لها أف - تعبهما أي بما

(١) حديث عائشة اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيتهم يطلع في الحب يسوي من رأسه
الحب يسوي من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر (٢) حديث الأمر بغسل البراجم
الترمذي الحكيم في النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا رءوسكم ولا ين عدى في حديث
لأنس وأن يتعاهد البراجم إذا توشأ ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم
(٣) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يارسول الله لقد أبطأ
عنك جبريل فليل ولم لا يبطئ وأتمم لا تستنن ولا تقامون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا
تنقون رءوسكم وفيه اسماعيل بن عياش (٤) حديث التوقيت في قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق
العانة أربعين يوما م من حديث أنس (٥) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار الطبراني من
حديث وابصة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذي
يكون بين الأظفار فقال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك (٦) حديث استبطأ الوحي فلما هبط عليه
جبريل قال له كيف نزل عليكم وأتمم لا تغسلون رءوسكم ولا تنظفون رءوسكم تقدم قبل هذا الحديثين

تحت الظفر من الوسخ وقيل لاتأذى بهما كاتأذى بما تحت الظفر . الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضى الله عنهما وقال بعضهم بنس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفأثته ولا بأس بطلبه فأثته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات ، فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة وفي إباحة مس ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الأقيس التحريم إذ الحق مس السوءاتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين ، والواجبان في عورة الغير أن يفض بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها لأن النهى عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا خوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه أن ينكر حراما يرهق المنكر عليه إلى مباشرة حرام آخر فأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لابد من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعبير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقييد الأمر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات إذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لاسيما ماتحت السرة إلى مافوق العانة إذ الناس لا يعتونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحریم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام وقال بشر بن الحرث ما أعنف رجلا لئلا يكمل إلادرها دفعه ليخلى له الحمام وروى ابن عمر رضى الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن بآزارين إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه . وأما السنن ف عشرة : فالأول النية وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لأجل هوى بل يقصده للتنظيف المحبوب ترينا للصلاة ثم يعطى الحمامى الأجرة قبل الدخول فإن ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامى فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العوضين وتطيبب لنفسه ثم يقدم رجلاه اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم ثم يدخل الحلاوة أو يتكلم بتخلية الحمام فانه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمخاططين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر في العورات ثم لا يخلو الانسان في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في أطراف الأزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولأجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عينيه ، ويفسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقراءة الحلال والزيادة عليه لو علمه الحمامى لكرهه لاسيما الماء الحار فله مثونة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقتر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقبسه إلى جهنم فانه أشبه بيت بجحيم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك ، بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانه مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرها عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها والتجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها

والبناء

احتيايا وهمى وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس ثمرة الشاهدة والكشف ولأجل هذا كان فيه السمين والفت وشاع في حال النضال إيراد القطعى وما هو حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الخصم والمقام المشار إليه بالذكور وشبهه إنما هو علم التوحيد وفهم الأحوال ومعرفته باليقين التام والعلم المضارع للضرورى بأن لا إله إلا الله إذ لا فاعل غيره ولا حاكم في الدارين سواء ومشاهدة القلوب لما حجب من الصيوب ومن أين للنازل طي المنزل وما لعلم الكلام مثل هذا المقام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطعه ولكن ليس عن مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار والمدار في أوقات الضرورات والاختيار

وبين ما يراد لوقت حاجته إن دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذي ضلالة بما ينقص على ذوى اليقين العيش ويشغل الدهن ويكدر النفس وما أهله الذين حفظ عنهم ووقع علمه فيما مضى من الزمان إليهم لا نقول في أكثرهم إنهم لا يحسنون غيره ولا يختصون بالتوحيد بمقام سواء بما هو أعلى منه بل الظن بهم أنهم علماء مثل ما ذكرنا فهم نصراء لكنهم لم يبدوا من العلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمس والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأؤكد ولما كان نجم وفيهم من البدع وظهر من الأهواء وشاع من تشبث كل أهل الحق وتجرأ العوام مع كل ناعق فرأوا الرد عليهم والمنازعة لهم والسعي في اجتماع الكلمة على السنة بعد فراقها وإهلاك ذوى الكيد في احتياهم وإخاد نارهم الذين هم أهل

والنساء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئاً إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبدة فان نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعي جهنم وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكراً ونكيراً والزبانية وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أوقبول في سوق أودارتذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فإذا نسب مدة المقام في الدنيا إلى مدة المقام في الآخرة استحققها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال عافاك الله ولا بأس بأن يضافح الداخل ويقول عافاك الله لا ابتداء للكلام . ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الأسرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقرىبا من الغروب فإن ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يغسله إنسان لم يكن من أصحابه وقال إنه دلكنى في الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك ويدل على جواز ما روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلقت ما هذا يارسول الله ؟ فقال إن الناقة تقحمت في (١) ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسئل عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما: الحمام من النعيم الذي أحسنه هذا من جهة الشرع . أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام ، وقيل النورة في كل شهر مرة تطفيء المرة الصفراء وتنقي اللون وتزيد في الجماع ، وقيل بولة في الحمام قائماً في الشتاء أنفع من شربة دواء ، وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال . وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام (٢) » وفي البيت المستعم والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر (٣) وحرام على المرأة دخول الحمام إلا بنفساء أو مريضة ودخلت عائشة رضي الله عنها حماماً من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمئزر سايف ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معيناً لها على المكروه .

النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية

الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزعا أي قطعاً وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الدواب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك

(١) حديث نزل منزلاً في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتي في الذي يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر الحديث النسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام ولا حاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمي نقل صحيح الاسناد ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال بالارار وامنعوها النساء إلا من مريضة أو نفساء .

الأهواء والفتن وأولى بهم من الكلام معلوم الإشارات وكشف أحوال أرباب المقامات ووصف فقه الأرواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وإن كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وهم مكفيون المؤنة والعامة أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك أولى من مؤانسة وحيد والتصدق على ذى بلغة من العيش فكيف إن كان عن غنا وأيضاً فان علم الكلام إنما يراد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الالحاد والزيف لقصورهم عن ملاحظة الحق موقع السيف للأنبياء والمرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل العناد والتمادى على النى وسبيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقدم من ظهر منه من العلماء

شعاراً لهم فانه اذا لم يكن شريعاً كان ذلك تليساً . الثاني شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم «قصوا الشارب» وفي لفظ آخر «جزوا الشوارب» وفي لفظ آخر «حفوا الشوارب وأعفوا اللحى» (١) أي اجعلوها حفافاً الشفة أي حولها وحفافاً الشيء حوله ومنه وترى الملائكة حافين من حول العرش - وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشير بالاستئصال وقوله حفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل - إن يستلكموها فيحفكم تبخلوا - أي يستقصي عليكم وأما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين إلى رجل أحق شاربه فقال ذكرني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال المغيرة بن شعبه «نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال فقصه لي على سواك» (٢) ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه وقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى أي كثرها وفي الخبر «إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم» (٣) يخالفونهم «وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة . الثالث شعر الابط ويستحب تنفثه في كل أربعين يوماً مرة وذلك سهل على من تعود تنفثه في الابتداء فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق إذ في التنفث تعذيب وإيلاء والمقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق . الرابع شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغي أن تتأخر عن أربعين يوماً . الخامس الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة قلم أظفارك فان الشيطان يقعد على ما طال منها» (٤) ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لأنه لا يمنع وصول الماء ولأنه يتساهل فيه للحاجة لاسما في أظفار الرجل وفي الأوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأبدى من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بأعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم أرفى الكتب خبراً مروياً في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت «أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحة اليمنى وختم بها يمينه اليمنى وابتدأ باليسرى بالخنصر إلى الإبهام» (٥) ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة وأما العالم ذو البصيرة فقايتة أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه فالذي لاح لي فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لا يد من قلم أظفار اليد واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هي المشيرة (١) حديث قصوا وفي لفظ جزوا وفي لفظ احفوا الشوارب وأعفوا اللحى متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ أحفوا ولمسلم من حديث أبي هريرة جزوا وأحمد من حديثه قصوا (٢) حديث المغيرة ابن شعبه نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال فقصه لي على سواك دونت في الشرائع (٣) حديث إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم يخالفونهم أحمد من حديث أبي أمامة قلنا يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والمشهور أن هذا فعل المجوس في صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر في المجوس انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم يخالفونهم (٤) حديث يا أبا هريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها الخطيب في الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظفاركم فان الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر (٥) حديث البسادة في قلم الأظفار بمسبحة اليمنى والختم بها يمينه وفي اليسرى بالخنصر إلى الإبهام لم أجده أصلاً وقد أنكره أبو عبد الله المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه به

وكما لا يقال في الصدر الأول فقهاء الأمصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم في الغالب إلا علوم آخر كالفقه والحديث والتفسير لأن الخلق أحوج إلى علم ما حفظ عنهم وذلك لغلبة الجهل على أكثرهم فلو لا أن حفظ الله تعالى تلك العلوم بمن ذكرنا لجهلت العبارات وانقطع علم الشرع ونحن مع هذه الحالة نعلم أنهم عارفون بالتوحيد على جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وإن لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذ عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما خافوا دروس الاسلام وأن يضعف ويقل أهل ورجع البلاد العامة إلى الكفر كما كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والمبعوث لدعوة الحق عليه

في كلتي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يتدبر بما على أيها إذ الشرع يستحب إدارة الظهور وغيره على اليمنى وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمنى وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمنى واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمنى إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع أولى ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداءة بخصر اليسرى والختم بإبهامها ويبقى إبهام اليمنى فيختم به التعليل وإعاقدة الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيها نقل أن يبدأ بخصر اليمنى ويختم بخصر اليسرى كافي التخليل فان المعاني التي ذكرناها في اليد لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الأخصص على الأخصص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة واحدة وإعمايطول التعب علينا ثم لو سلطنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما لم يخطر لنا وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تبسرت لنا بما عايناه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تنظرن أن أفعاله عليه السلام في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى ، وكلما كانت حركات الانسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الأهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر إذ القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لابد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فتعوز بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا بيد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم «فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين»^(١) فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترافان للوتر فضلا عن الزوج فان الله سبحانه وترىح الوتر فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الايتار في الاستجمار وإعمال يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا الواحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل وإنما خصص اليمنى بالثلاث لأن التفضيل لابد منه للايتار واليمن أفضل فهي بالزيادة أحق . فان قلت فلم اقتصر على اثنتين لليسرى وهي زوج فالجواب أن ذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا إذ الوتر مع الوتر زوج ورعايته الايتار في مجموع الفعل وهو في حكم الحصلة الواحدة أحب من رعايته في الأحاديث ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء^(٢) وقد نقل ذلك في الصحيح وهو الأولى ولو ذهب استقصى دقائق مراعاة صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته مالم تسمعه . واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبي

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين الطبراني من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٢) حديث الاكتحال في كل عين ثلاثا قال الغزالي ونقل ذلك في الصحيح قلت هو عند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذى حديث حسن .

صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث إذ الموروث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام . السادس والسابع زيادة السرة وقافة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالحنان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يغفر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال عليه السلام «الحنان سنة للرجال ومكرمة للنساء» (١) وينبغي أن لا يبلغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تخفض «يأثم عطية أشمى ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأخطى عند الزوج» (٢) أي أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم في الكناية وإلى إشراف نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أي من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسيحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بين بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم . الثامنة ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيأطال منها فقل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم «اعفوا للحى» والأمر في هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الحلقة ويطلق ألسنة المفتائين بالنبد إليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية. وقال النخعي عجب لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين فإن التوسط في كل شيء حسن ، ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل .

[فصل] وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت وتنفها وتنف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتسريحها تصنع لأجل الرياء وتركها شعثة إظهارا للزهد والنظر إلى سوادها عجب بالشباب وإلى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم «خير شبا بكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبا بكم» (٣) والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر و«نهى عن الخضاب بالسواد» (٤) وقال هو خضاب أهل النار (٥) وفي لفظ آخر «الخضاب بالسواد خضاب الكفار» (١) حديث الحتان سنة الرجال مكرومة النساء أحمد والبيهقي من رواية أبي المليح بن أسامة عن أبيه بإسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أشمى ولا تنهكي الحديث الحاكم والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس ولأبي داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبا بكم من تشبه بكهولكم الحديث الطبراني من حديث واثلة بإسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص بإسناد منقطع ، ولمسلم من حديث جابر وغيرهوا هذا بشيء واجتنبوا السواد قاله حين رأى بياض شعر أبي قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار ، وفي لفظ خضاب الكفار الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبي حاتم منكر .

الصلاة والسلام رأوا أن الجهاد والرباط في ثمر العدو والغزو في سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وإدخال الناس في دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهرا وباطنا وإنما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأقل وهم في حال ذلك الشغل والنظر إلى حال العموم أوكد من النظر إلى الخصوص لأن الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بحالهم قيام والعموم إن لم يكن مشتغلا بهم وإذا بداهم عن هلكاتهم وسائقا بهم إلى مرآشدهم وصلاهم كان الهلاك إليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك إن فسد حال العموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدر على شيء كامل من البر فلا خاصة إلا بعامة ولقد كانت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم بحال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزيغ والضلال

وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يحضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه فردّ نكاحه وأوجهه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من حضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يكون في آخر الزمان قوم يحضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يرحون رائحة الجنة (١)» الثاني الحضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ «الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين (٢)» وكانوا يحضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لأبأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لظهور علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا عن الشباب وإظهارا لكثرة العلم ظنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهيئات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما آتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخبر كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل - قالوا سمعنا فقيذ كرم يقال له إبراهيم - وقوله تعالى - إنهم فتيه آمنوا بربهم وزدناهم هدى - وقوله تعالى - وآتيناه الحكم صبيا - وكان أنس رضي الله عنه يقول «قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة فقد أسنّ فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أهو شين فقال كلكم يكرهه (٣)» ويقال إن يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه كم سنّ القاضي أيده الله فقال مثل سنّ عتاب بن أسيد حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأخذه (٤) وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تفرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السخيتاني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع (١) حديث يكون في آخر الزمان قوم يحضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد (٢) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٣) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة وقد أسنّ فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شأنه الله بيضاء (٤) حديث يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقيل له كم سنّ القاضي فقال مثل سنّ عتاب بن أسيد حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن . الخطيب في التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكرم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فأنما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك وابن أبي حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم .

وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يحضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه فردّ نكاحه وأوجهه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من حضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يكون في آخر الزمان قوم يحضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يرحون رائحة الجنة (١)» الثاني الحضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ «الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين (٢)» وكانوا يحضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لأبأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لظهور علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا عن الشباب وإظهارا لكثرة العلم ظنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهيئات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما آتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخبر كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل - قالوا سمعنا فقيذ كرم يقال له إبراهيم - وقوله تعالى - إنهم فتيه آمنوا بربهم وزدناهم هدى - وقوله تعالى - وآتيناه الحكم صبيا - وكان أنس رضي الله عنه يقول «قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة فقد أسنّ فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أهو شين فقال كلكم يكرهه (٣)» ويقال إن يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه كم سنّ القاضي أيده الله فقال مثل سنّ عتاب بن أسيد حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأخذه (٤) وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تفرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السخيتاني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع (١) حديث يكون في آخر الزمان قوم يحضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد (٢) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٣) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة وقد أسنّ فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شأنه الله بيضاء (٤) حديث يحيى بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقيل له كم سنّ القاضي فقال مثل سنّ عتاب بن أسيد حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن . الخطيب في التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكرم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فأنما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك وابن أبي حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم .

الغلام يتعلم منه. وقال علي بن الحسين من سبق فيه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سناً منك ، وقيل لأبي عمرو بن العلاء أحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان الجاهل يفتح يدك فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي يأنها عبد الله ترك حديث سفيان بعلمه وتمشي خلف بغلة هذا الفقيه وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاني بعلمه أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاني لم أدركه بعلمه ولا نزول . الرابع تتف بياضها استنكافاً من الشيب « وقد نهى عليه السلام عن تتف الشيب وقال هو نور المؤمن (١) » وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ماسبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور . الخامس تتفها أو تتف بعضها بحكم العبث والمهوس وذلك مكروه ومشوه للخلة وتتف الفنيكين بدعة وهما جانباً المنفقة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان يتف فنيكه فردّ شهادته وردّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان يتف لحية وأما تتفها في أول النبات تشبهاً بالمرد فمن المنكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن الله سبحانه ملائكة يقسمون والذي زين بنى آدم باللحية وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - قال أصحاب الأحنف بن قيس وددنا أن نشترى للأحنف لحية ولو بعشرين ألفاً وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية ولو بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يعرض باللحية إن كان للشتوم لحية وقد قيل إن أهل الجنة مرد لإهرون أخا موسى صلى الله عليه وسلم فإن له لحية إلى سرته تخصيصاً له وتفضيلاً . السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للترين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كدشب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم . السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحية وينتهي إلى نصف الحد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح . الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر في اللحية شر كان تسريحها لأجل الناس وتركها متفتلة لظهور الزهد . التاسع والعاشر النظر في سوادها وفي بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سبأني بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهي فرق شعر الرأس (٢) والمضمضة والاستنشاق (٣) وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم

(١) حديث نهى عن تتف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه نـه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث فرق شعر الرأس أخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه (٣) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاقه الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الأبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيع يعني الاستنجاء قال مصعب ونسبت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ضعه ن ولأبي ده من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية وانتقاص الماء قال د روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر إعفاء اللحية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الفطرة خمس الختان الحديث .

وغسل

بالكفر لرددت البيت

على قواعد إبراهيم

وقال للأصناف أماترون

أن يذهب الناس بالشاء

والبعير فتذهبون

برسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى رحالكم

ومع ذلك فالذي حفظ

عنه صلى الله عليه

وسلم وعن الصحابة من

بعده وفقهاء الأمصار

وأعيان التكلمين من

الاشارات لتلك العلوم

الذ كوزة كثير

لا يحصى وإنما القليل

من حله اليوم عنهم

وتفقه مثلهم فاقصد

تحد وتصد لاقتباس

المعارف تعلم وطالع

كتب الحديث

والتواريخ ومصنفات

العلوم توقن ومن يؤت

الحكمة فقد أوتي خيراً

كثيراً وما يذكر إلا

أولو الألباب .

[بيان المرتبة الرابعة]

وهو توحيد الصديقين

وأما أهل المرتبة

الرابعة فهم قوم رأوا

الله سبحانه وتعالى

وحده ثم رأوا الأشياء

بعد ذلك به فلم يروا

في الدارين غيره

ولا اطلعوا في الوجود

على سواء فإنه كان بيان
شارات الصحابة رضى
الله عنهم أجمعين فيها
خصوا من المعرفة في
هجيرهم فكان هجير
أبي بكر الصديق رضى
الله عنه لا إله إلا الله
وكان هجير عمر رضى
الله عنه أكبر وكان
هجير عثمان رضى الله
عنه سبحانه الله وكان
هجير على رضى الله
عنه الحمد لله فاستقرى
السابقون من ذلك
أن أبا بكر لم يشهد في
الدارين غير الله سبحانه
وتعالى فلذا كان
الصديق وسمى به كما
علمت وكان يقول
لا إله إلا الله وكان عمر
يرى مادون الله صغيرا
مع الله في جنب عظمته
فيقول الله أكبر وكان
عثمان لا يرى التنزيه
إلا الله تعالى إذ الكل
قائم به غير معرى من
النقصان والقائم بغيره
معاول فكان يقول
سبحان الله وعلى
لا يرى نعمة في الدفع
والرفع والعطاء والمنع
في المكروه والمحبوب
إلا من الله سبحانه
فكان يقول الحمد لله

وغسل البراجم وتنظيف الرواجب (١) وأربعة في الجسد وهي تنف الابط والاستحدااد والختان والاستسجاء بالماء فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيم منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها في أربع الملهكات مع تعريف الطرق في إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله عز وجل . تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

كتاب أسرار الصلاة ومهماتا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التي تنزل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه فأرق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وياين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لايسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبي وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما . أما بعد : فإن الصلاة عماد الدين وعظام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فنّ الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين حجام العناية إلى تفاريحها النادرة وقائعها الشاذة لتكون خزانة للفق منها يستمد ومعولا له إليها يفرع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب نقتصر على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره في فنّ الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأول : في فضائل الصلاة . الباب الثاني : في تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : تفضيل الأعمال الباطنة منها . الباب الرابع : في الامامة والقدوة . الباب الخامس : في صلاة الجمعة وآدابها . الباب السادس : في مسائل متفرقة تم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها . الباب السابع : في التطوعات وغيرها . الباب الأول : في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها

فضيلة الأذان

قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأمّ بقوم وهم به راضون ورجل أذن في مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة (٣) »

(١) حديث تنظيف الرواجب تقدم .

باب أسرار الصلاة

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر مختصرا وهو في الصغير للطبراني بنحو مما ذكره المؤلف (٣) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة خ من حديث أبي سعيد .

وقال صلى الله عليه وسلم «يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه»^(١) وقيل في تفسير قوله عز وجل - ومن أحسن قولاً بمن دعا إلى الله وعمل صالحاً - نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»^(٢) وذلك مستحب إلا في الحيعتين فإنه يقول فيهما لا حول ولا قوة إلا بالله وفي قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض وفي التشويب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه للمقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فإن أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة.

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً - وقال ﷺ «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فأترون ذلك يبق من درنه قالوا لا شيء» قال صلى الله عليه وسلم فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر»^(٥) وقال ﷺ «بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبا الله بشيء من حسناته»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين»^(٨) وسئل ﷺ «أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهان يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان»^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «مفتاح الجنة الصلاة»^(١١) وقال «ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راعى ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد»^(١٢)

(١) حديث الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبراني في الأوسط والحسن بن سعيد في مسنده من حديث أنس بإسناد ضعيف (٢) حديث إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبي سعيد (٣) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ه ح من حديث عبادة بن الصامت ومحمّد بن عبد البر (٤) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولهما نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر م من حديث أبي هريرة (٦) حديث بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مراسلاً (٧) حديث من لقي الله مضيعاً للصلاة لم يعبا الله بشيء من حسناته وفي معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فإن فسدت فسد سائر عمله رواه طبراني في الأوسط من حديث أنس (٨) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعفه من حديث عمر قال ك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط إنه غير معروف (٩) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (١٠) حديث من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهان الحديث أحمد ح من حديث عبد الله بن عمرو (١١) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذى ولكن ليس داخلاً في الرواية (١٢) حديث ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب إليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر.

وأهل هذه المرتبة على الجملة في حال خصوصهم فيها صنفان مريدون ومرادون فالمريدون في الغالب لا بد لهم من أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين ومنها يتقنون وعليها يعبرون إلى المرتبة الرابعة ويمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم . فإن قلت أليس الوجود مشتركاً بين الحادث والقديم والمألوه والاله ثم معلوم أن الاله واحد والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذه المرتبة الأشياء شيئاً واحداً ذلك على طريق قلب الأعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تتحدث بالواحد فترجع هي هو وفي هذا من الاستحالة والروق عن مصدر العقل ما يغنى عن إطالة القول فيه وإن كان على طريق

التخيل لولي لما
لاحقيقة له فكيف
يحتج به أو كيف يعد
حالا لولي أو فضيلة
لبشر؟. الجواب عن
ذلك أن الحوادث لم
تنقلب إلى القدم ولم
تتحد بالفاعل ولا
اعتري الولي تخيل
فتخيل ما لاحقيقة له
وإنما هو ولي مجتبي
وصديق مرضي خصه
الله تعالى بمعرفته على
سبيل اليقين والكشف
التمام وكشف لقلبه
ما لوراء ببصره عيانا
ما ازداد لإيقينا وإن
أنكرت أن يكون
وهب الله المعرفة به على
هذا السبيل أحدا من
خلقه فما أظم
مصيبتك وما أعظم
العزاء فيك حين فقتشت
الحلق بمعيارك وكتبتهم
بمكيالك وفضلت
نفسك على الجميع إذ
لا سبب لانكارك إن
صح إلا أنك تخيلت
أنه لم يرزق أحدا ما لم
ترزق أو بخصصة من
المعرفة ما لم تحصن فإذا
تقررت هذه القاعدة
فصار ما كشف لقلبه

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر » (١) « أي قارب أن ينخلع عن
الايمن بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه بلنها ودخلها وقال صلى الله عليه
وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد برىء من ذمة محمد عليه السلام » (٢) وقال أبو هريرة رضي
الله عنه: من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة
وأنه يكتب له ما حدى خطوته حسنة وتمحي عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له
أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أبعدهم دارا قالوا لم يا أبا هريرة؟ قال من أجل كثرة الخطأ. ويروى
« إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة » (٣) « فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر
عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة مر أهلك
بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب » (٤) وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر
الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة
وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التي أوقدتوها فاطفئوها .
فضيلة لإمام الأركان

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى » (٥) وقال يزيد
الرقاشي « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم
« إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين
السماء والأرض » (٧) وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى
العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » (٨) وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذي
يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبي الدرداء بإسناد فيه مقال .
(٢) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم حم هق من حديث
أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (٣) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث
رويناه في الطيوريات من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح إسناده نحوه
من حديث أبي هريرة وسياقي (٤) حديث يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق
من حيث لا تحتسب لم أقف له على أصل (٥) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى
استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسل وأسنده البيهقي في الشعب من حديث
ابن عباس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة وهو
مرسل ضعيف (٧) حديث إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد
الحديث ابن المبر في العقول من حديث أبي أيوب الأنصاري بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث
ابن أبي أسامة في مسنده عن ابن المبر (٨) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه
وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح (٩) حديث أما يخاف الذي يحول وجهه
في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار . ابن عدي في عوالي مشايخ مصر من حديث جابر
بإسناده وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن
يجعل الله وجهه وجه حمار

« من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيكت الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لم تك يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته^(٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه : الصلاة مكيال فمن أدق استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله في اللطفين .

فضيلة الجماعة

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة^(٣) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق بيوتهم^(٤) » وفي رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولوعم أحدهم أنه يجد عظاما مينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء . وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة^(٦) » وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد وقال محمد بن واسع ما أشتى من الدنيا إلا ثلاثة أختا إنه إن تعوجت قومي وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة وصلاة في جماعة رفع عن سهوها ويكتب لي فضلا . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قل ما زال الشيطان في آفاح حتى أريت أن لي فضلا على غيري لأؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء . وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل للماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فاتتني الصلاة في الجماعة فمزاني أبو إسحق البخاري وحده ولومات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من ميمع للناس فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذا با خيره من أن يسمع النداء ثم لا يجيب وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له إن الناس قد انصرفوا فقال إن الله وإنه إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لانفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار^(٧) »

(١) حديث من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني الحديث طب في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطائلي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه^(٢) حديث أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته أحمد والحاكم ومصحح إسناده من حديث أبي قتادة^(٣) حديث صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر^(٤) حديث أنى هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه^(٥) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروى عن عثمان موقوفا^(٦) حديث من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة^(٧) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لانفوته تكبيرة الإحرام الحديث ت من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات

ويقال

لا يخرج منه وما اطع عليه لا يغيب عنه وما ذكره من ذلك لا ينسأ ولا في حال نومه وشغله وهذا وجود فيمن كثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقهه في شغله ونومه كالأفقده في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم إذا رأى الولي للتمكن في رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو مجادا صغيرا أو كبيرا لم يرم من حيث هو هو وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات للشهود آثارها في المخلوقات ليست لغير الوصف الذي هو الله عز وجل له ألهمت الولي عن غيره وصار لم يرسوا ومعنى ذلك أنه لا يتميز بالذكر في سر القلب وخير المعرفة ولا بالإدراك في ظاهر الحس دون ما كان موجودا به

ويقال إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالسكوك السرى فتقول لهم الملائكة ما كنتم أعمالكم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قننا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال كنا تتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في المسجد. وروى أن السلف كانوا يعززون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التسمية الأولى ويعززون سبعا إذا فاتتهم الجماعة .

فضيلة السجود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خي » (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله به درجة وحط عنه به سيئة » (٢) وروى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة فقال ﷺ « أعني بكثرة السجود » (٣) وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا (٤) وهو معنى قوله عز وجل - واسجد واقترب - وقال عز وجل - سيام في وجوههم من أثر السجود - فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي الفرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فقصيت في النار » (٥) وروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد أحسده إلا لرجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبيرة ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود ، وقال عقبة بن مسلم : مامن خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث يختر ساجدا وقال أبو هريرة رضي الله عنه أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك .

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى - وأقم الصلاة لذكري - وقال تعالى - ولا تكن من الغافلين - وقال عز وجل - لا تقر بوا الصلاة وأتم سكرارى حتى تعلموا ما تقولون - قيل سكرارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال - حتى تعلموا ما تقولون - وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ماتقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خي ابن المبارك في الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسل (٢) حديث مامن مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة . من حديث عبادة بن الصامت باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي المرداء (٣) حديث إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي نحوه وهو الذي سأله ذلك (٤) حديث إن أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجدا م من حديث أبي هريرة (٥) حديث إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث أبي هريرة .

وصار عنه فانيا فيبعد هذا على من أصحبه أن لا يحتاج إليها مع هذا الوضع ولا فهم إلا بالله ولا شرح إلا منه ولا نور إلا من عنده وله الحول والقوة وهو العلى العظيم [فصل] وأما معنى إفتاء سر الربوبية كفر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى بذلك تعظيما آتى به للفشى وتعظيما لما ارتكبه ويعترض هذا بأن يقال لا يصح أن يسمى هذا كفرا لأنه ضد الكفر إذ الكفر الذى سمي على معناه سائر وهذا الفشى للسر ناشر وابن النشر والظاهر من التغطية والاعلان من الكتم واندفاع هذا به بأن يقال ليس الكفر الشرعى تابع للاشتقاق وإنما هو حكم لمخالفة الأمر وارتكاب النهى فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر

«من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيها بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه» (١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما الصلاة تمسك وتواضع وتضرع وتأوّه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج» (٢) وروى عن الله سبحانه في الكتب السابقة أنه قال «ليس كل مصلٍّ أتقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمي ولم يتكبر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن في قلبك للذكر الذي هو المقصود والبتنى عظمة ولاهية فاقبلة ذكرك» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه «وإذا صليت فصل صلاة مودع» (٤) أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه كما قال عز وجل - يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فلاقه - وقال تعالى - واتقوا الله ويعلمكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه - وقال صلى الله عليه وسلم «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا» (٥) والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله بن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بنير إذن وتكلمه بآثر جان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل عرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بنير إذن فتكلمه بنير ترجمان. وعن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه» (٦) اغتفالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه» (٧) وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سيد التنوخى إذا صلى لم تقطع الموع من خديمه على لحيته «ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خضع قلب هذا لحشمت جوارحه» (٨)

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيها بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسل وهو في الصحيحين من حديث عثمان بن زياد في أوله دون قوله بشيء من الدنيا وزاد طس إلا بخير (٢) حديث إنما الصلاة تمسك وتضرع وتواضع وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب (٣) حديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة بنحوه دون ذكر الصلاة قال ت حسن صحيح (٤) حديث إذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب و ت من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا. طي بن معبد في كتب الطاعة والعصية من حديث الحسن مرسل بإسناد صحيح ورواه طي وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عباس بإسناد لين والطبراني من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنه عن المنكر الحديث وإسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحدا من الناس (٧) حديث لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهر مرسل لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف (٨) حديث رأى رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خضع قلب هذا لحشمت جوارحت الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن السيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم.

لمهتين إحداهما من جهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك سجدا بيني عن وصف والثانية من جهة الشرع ويكون إذ ذاك حكا يوجب عقوبة والشرع قد ورد بشكر النعم فانهم ولا تذهب مع الألفاظ ولا يفرنك العبارات ولا تحجبك التسميات وتغفلن لخداعتها واحترس من استدراجها فاذن من أظهر ما أمر بكنهه كان كمن كتم ما أمر بنشره وفي مخافة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويحل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم «لا تحذروا الناس بما لم تصله عقولهم» وفي تركاب النهي عصيان ويسمى في باب القيل على المذكور ككفران البدن وقسمة أخرى وذلك أن السلم إن حلل إلى ما علم من أجزاءه بالاستقراء فرأى الإنسان تشابه سماء العلم من حيث

إن كل ما علا فهو
سماؤه وحواشيه تشابه
الكواكب والنجوم
من حيث إن
الكواكب أجسام
مشقة تستمد من نور
الشمس فتضيء بها
والحواس أجسام لطيفة
مشقة تستمد من
الروح فيضيء مسلك
المدرجات وروح
الإنسان مشابهة
للشمس فضيء العالم
ونور نباته وحركته
ضواريه وحيوانه
وحياته فيها تظهر
بتلك الشمس وكذلك
روح الإنسان به حصل
في الظاهر نمو أجزاء
بدنه ونبات شعره
وحاول حياته وجعلت
الشمس وسط العالم
وهي تطلع بالنهار
وتغرب بالليل وجعلت
الروح وسط جسم
الإنسان وهي تقيب
باثوم وتطلع باليقظة
ونفس الإنسان تشابه
القمر من حيث إن
القمر يستمد من
الشمس ونفسه تستمد
من الروح والقمر
خالف الشمس والروح

ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعث بالخصى ويقول اللهم زوّجني الحور العين فقال بس الحاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعث بالخصى وقيل لحلف بن أبوب ألا يؤذيك الباب في صلاتك فتطردّها قال لأعوّد نفسي شيئا يفسد عليّ صلاتي قبل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقل فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدي ربّي أفأتحرّك لتبابة ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله تحدّثوا أتم فاني لست أسمعكم ويروى عنه أنه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه وكرّم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروى عن عليّ بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفرّ لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال داود صلى الله عليه وسلم في مناجاته: إلهي من يسكن بيتك ومن تتقبل الصلاة فأوحى الله إليه ياد داود إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمته وقطع نهاره بذكرى وكفّ نفسه عن الشهوات من أجل يطمع الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السموات كالشمس إن دعاني لبيته وإن سألتني أعطيته أجعل له في الجهل حاما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وإتمامه في الناس كالفرديوس في أعلى الجنان لا تيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراف تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورأى أظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجا والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمي وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها بالاخلاص ثم لأدري أقبلت مني أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه .

فضيلة السجدة وموضع الصلاة

- قال الله عز وجل - إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر - وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرًا في الجنة» (١) وقال ﷺ «من ألف المسجدة ألفه الله تعالى» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «اللائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد» (٥)
- (١) حديث من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة الحديث . من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبي ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة
- (٢) حديث من ألف المسجدة ألفه الله تعالى طب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف
- (٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس متفق عليه من حديث أبي قتادة
- (٤) حديث لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة بإسنادين ضعيفين وك من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

وقال صلى الله عليه وسلم « يأتى فى آخر الزمان ناس من أمى يأتون المساجد فيقعّدون فيها حلّقا حلّقا ذكّروا الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل فى بعض الكتب إنّ بيوتى فى أرضى المساجد وإن زوّارى فيها عمارها فطوى لى بعد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على الزور أن يكرم زائر (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان (٣) » وقال سعيد بن المسيّب من جلس فى المسجد فأنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا ويروى فى الأثر أو الخبر « الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش (٤) » وقال النخعي كانوا يرون أن المثلث فى الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملته العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوءه وقال على كرم الله وجهه إذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ - فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين - وقال ابن عباس تبكى عليه الأرض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا اقتضت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلى إلا تزخرت له الأرض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلغهم .

الباب الثانى فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله

ينبغى للصلى إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الحث فى البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما فإن ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد فى الصلاة (٥) » والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى - مقرنين فى الأصفاد - والصفن هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل - الصافات الجباد - هذا ما يراعى فى رجليه عند القيام ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه الاتصاب وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والاطراق أقرب للخشوع

(١) حديث يأتى فى آخر الزمان ناس من أمى يأتون المساجد فيقعّدون فيها حلّقا حلّقا ذكّروا الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود وك من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (٢) حديث قال الله تعالى - إنّ بيوتى فى أرضى المساجد - وإن زوّارى فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أنى سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أين جيرانى فتقول الملائكة من هذا الذى ينبغى له أن يجاورك فيقول أين قراء القرآن وعمار المساجد وهو فى الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسناد صحيح وأسنده ابن حبان فى الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٣) حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان وحسنه وه وك وصححه من حديث أنى سعيد (٤) حديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل .

الباب الثانى

(٥) حديث النهى عن الصفن والصفد فى الصلاة عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وإنما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير فى النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أو صافنا قدميه فقال أخطأ هذا السنة

خالق النفس والقمر آية محمودة والنفس مثلها ومحو القمر فى آن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس فى آن ليس عقلها منها ويسترى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتعتري النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول وفى العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفى الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهى العظام وحيوان وهى هوام الجسم فخلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هى لنا غير معروفة ولا معلومة كان فى استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيما ذكرناه ما يحصل به لدوى العقول تشبيه وتمثيل . فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قلما تساعد

عليه إذ قد صغر
الخلاف في ذلك فاعلم
أنه إنما على الإنسان
أن يبنى كلاله على
ما يعلم لاعلى ما يحيل
وأنت لو علمت النفس
والروح علمت أنهما
اثنان فان قلت فقد
سبق في الاحياء أنهما
شيء واحد وقلت في
هذه الاجابة إن النفس
من أسماء الروح فالذي
سبق في الاحياء ورأيت
في هذه الاجابة وهو
شيء واحد لا يتناقض
مع ما قلناه الآن وذلك
أن لها معنى يسمى
بالروح تارة وبالنفس
أخرى وبغير ذلك
ثم لا يبعد أن يكون
لها معنى آخر يفرد
باسم النفس فقط ولا
يسمى بروح ولا غير
ذلك فهذا آخر الكلام
في أحد وجهي الاضافة
التي في ضمير صورته
والوجه الآخر وهو أن
من حمل إضافة الصورة
إلى الله تعالى على معنى
التخصيص به فذلك
لأن الله سبحانه نبأ بأنه
حي قادر سميع بصير
عالم يريد متكلم فاعلم

وأغض للبصر وليكن بصره محصوراً على مصلاه الذي يصل عليه فان لم يكن له مصلى فليقرب
من جدار الحائط أوليخط خطاً فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر ويجبر على
بصره أن يجاوز أطراف انصلي وحدود الخط وليدم على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير
التفات هذا أدب القيام فاذا استوى قيامه واستقبله وإطرافه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس
تخصابه من الشيطان . ثم ليأت بالاقامة وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولاً ثم ليحضر
النية وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول بقلبه أؤدي فريضة الظهر لله ليمرها بقوله أؤدي عن
القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره وتلكن معاني هذه الألفاظ حاضرة في قلبه
فانه هو النية والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجهتد أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى
لا يعزب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حدو منكبيه بعد إرسالهما بحيث يجاذى بكفيه
منكبيه وبإبهاميه شحمي أذنيه وبرموس أصابعه رموس أذنيه^(١) ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة
فيه ويكون مقبلاً بكفيه وإبهاميه إلى القبلة ويسط الأصابع ولا يقبضها ولا يتكاف فيها تفرجاً
ولا ضماً بل يتركها على مقتضى طبعها إذ نقل في الأثر النشر والضم^(٢) وهذا بينهما فهو أولى وإذا
استقرت اليدين في مقرها ابتداء التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على مافوق
السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى بأن تكون محمولة وينشر المسبحة
والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالابهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى
وقد روي أن التكبير مع رفع اليدين^(٣) ومع استقرارهما^(٤) ومع الإرسال^(٥) فكل ذلك لاجرا
فيه وأراه بالإرسال أليق فانه كلمة العقد ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة العقد ومبدؤه
الإرسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الألف وآخره الرأ فليلق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد
وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغي أن يرفع يديه إلى قدام رفا عند التكبير
ولا يردّها إلى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن عيني وشمال نفذا إذا فرغ من التكبير ويرسلهما
إرسالا خفيفا رفيقا ويستأنف وضع اليمنى على الشمال بعد الإرسال وفي بعض الروايات أنه صلى الله
عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى^(٦) » فان صح هذا
فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي أن يضم الهاء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة
(١) حديث رفع اليدين إلى حدو المنكبين وورد إلى شحمة أذنيه وورد إلى رموس أذنيه متفق
عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول ود من حديث وائل بن حجر باسناد ضعيف إلى شحمة
أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الاقتتاح
ونقل ضمها وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها
ولم أجد التصريح بضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخاري من حديث ابن عمر
كان يرفع يديه حين يكبر ولأبي داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير
مع استقرار اليدين أي مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى
يكونا حدو منكبيه ثم كبر زاد د وها كذلك (٥) حديث التكبير مع إرسال اليدين د من
حديث أبي حميد كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يجاذى بهما منكبيه ثم كبر حتى يقرأ
كل عظم في موضعه معتدلاً قال ابن الصلاح في المشكل فلكمة حتى التي هي للغاية تدل بالمعنى على
ما ذكره أي من ابتداء التكبير مع الإرسال (٦) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فاذا أراد أن يقرأ
وضع اليمنى على اليسرى الطبراني من حديث معاذ باسناد ضعيف .

ولا يدخل بين الماء والألف شبه الواو وذلك ينساق إليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا كأنه يقول أكبر ويجزم راء التكسير ولا يضمها فهذه هيئة التكسير ومأمعه .

القراءة

ثم يتدبى بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا (١) وجهت وجهي إلى قوله وأنا من المسلمين (٢) ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك (٣) ليكون جامع بين متفرقات ما ورد في الأخبار وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يتدبى فيها بيسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويحتشد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمددا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهز بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ويجهز بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل إلى آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من الفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماوات ذات البروج وماقار بها وفي الصبح في السفر : قل يا أيها الكافرون قل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفتنا في أول الصلاة .

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعي فيه أموراً وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمد التكبير مداً إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وأن يمد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يجافي مرفقيه عن جنبه وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبها وأن يقول سبحان ربي العظيم ثلاثاً والزيادة إلى السبعة وإلى العشرة حسن إن لم يكن إماماً ثم يرتفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التسبيح والكسوف والصبح ويقت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود (٤) .

السجود

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة ويكبر (١) حديث أنه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا م من حديث ابن عمر قال بينما نحن نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم اللهم أكبر كبيرا الحديث وده من حديث جابر بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث م من حديث علي (٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضاً ذكر وصححه من حديث عائشة وضعفت قط ورواه م موقوفاً على عمر وعند هق من حديث جابر الجمع بين وجهت وبين سبحانك اللهم (٤) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة هق من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث دت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر واستاده صحيح .

وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلماً فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهي لله تعالى مضافة باللفظ وذلك أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا في الأسماء التي هي عبارة تلفظ فقط ولا يفهم من ذلك نفي الصفات فليس هو مرادنا وإنما مرادنا تبين ما بين الصورتين بأبعد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى إلا في الأسماء الملفوظ بها لا غير وفرازا أن ثبت صورة لله تعالى ويطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فإنه من أدق ما يقرع سمعك وبلغ قلبك ويظهر لقلبك ولهذا قيل لك فإن كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه إذ حملت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبهها مطلقا ومعناه فييقن أنك من الماهين لامن المزهين

على نفسك بالتشبيه معتقدا ولا تنكر كما قيل كن يهوديا صريفا وإلا فلا تلعب بالتوراة أى تبلس بدنيهم وتريد أن لا تنسب إليهم أى تقرأ التوراة ولا تعمل بها وإن كنت تعتقد الصورة الباطنة منزها مجللا ومقدسا مخلصا أى ليس تعتقد من الاضافة في الضمير إلى الله تعالى إلا الأسماء دون المعاني فتلك المعاني السبابة لا يقع عليها اسم صورة على حال وقد حفظ عن الشبلي رحمه الله عليه في معنى ما ذكرناه من هذا الوجه قول بليغ مختصر حين سئل عن معنى الحديث فقال خلقه الله على الأسماء والصفات لا على الذات. فإن قلت فكذا قال ابن قتيبة في كتابه المعروف بتناقض الحديث حين قال هو صورة لا كالصور فلم أخذ عليه في ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرضه أكثر العلماء وأهل التحقيق. فاعلم

عند الهوى ولا يرفع يديه في غير الركوع وينبني أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركبتاه وأن يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وأن يضع جبهته وأنفه على الأرض وأن يحافى مرفقيه عن جنبه ولا يفعل المرأة ذلك وأن يفرج بين رجله ولا يفعل المرأة ذلك وأن يكون في سجوده تحوياً على الأرض ولا تكون المرأة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وأن يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما وإن لم يضم الإبهام فلا بأس ولا يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش الكلب (١) فإنه منهي عنه وأن يقول سبحان ربى الأعلى ثلاثاً فإن زاد غسن إلا أن يكون إماماً ثم يرفع من السجود فيطمئن جالساً معتدلاً فيرفع رأسه مكبراً ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذه والأصابع منشورة ولا يتكلم فيها ولا يفريجها ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة إلا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالساً جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجله في حل الارتفاع وبعد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام بحيث تكون الهاء من قوله الله عند استوائه جالساً وكاف أكبر عند اعتداده على اليد للقيام وراء أكبر في وسط ارتفاعه إلى القيام ويتبدى في وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير في وسط ارتفاعه ولا يتخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ويصلى الركعة الثانية كالأولى ويعيد التعمود كالابتداء .

التشهد

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى إلا السبحة ولا بأس بارسال الإبهام أيضاً ويشير بمسبحة يمينه وحدها عند قوله إلا الله لا عند قوله لا إله إلا الله ويتشهد على رجله اليسرى كما بين السجدين وفي التشهد الأخير يستكمل الدعاء المأثور (٢) بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسكن التشهد الأول لكن يجلس في الأخير على ورکه الأيسر لأنه ليس مستوفزاً للقيام بل هو مستقر ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليميني ويلتفت شمالاً كذلك ويسلم تسليمه ثانية وينوى الخروج من الصلاة والسلام وينوى بالسلام من على يمينه الملائكة والساميين في الأولى وينوى مثل ذلك في الثانية ويجزم التسليم (٣) ولا يمدده مدا فهو السنة وهذه هيئة صلاة المنفرد ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوى الامام الامامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معاً لا تعقيباً ويسكت الامام سكته عقيب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة في الجهرية في هذه السكته ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع

(١) حديث النهي عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد م من حديث علي في دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت الحديث وفي الصحيحين من حديث عائشة إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفي الدار غير ذلك جميعها في الأصل (٣) حديث جزم السلام سنة دت من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وضعه ابن القطن

صوت الامام ويقول الامام سمع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ولا يزيد الامام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوي عند السلام السلام على القوم والملائكة وينوي القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلى ولا يخص الامام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا ويجهربه ويؤمن القوم ويرفعون أيديهم جذاء الصدور ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد .

التبليغ

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن في الصلاة والصفد وقد ذكرناها وعن الإقعاء (١) وعن السدل (٢) والكف (٣) وعن الاختصار (٤) وعن الصلب (٥) وعن المواصلة (٦) وعن صلاة الحاقن (٧) والحاقب (٨) والحاذاق (٩) وعن صلاة الجائع والغضبان والمثلثم (١٠) وهو ستر الوجه أما الإقعاء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين (١) حديث النهي عن الإقعاء ت. من حديث علي بن بسند ضعيف لا تقع بين السجدين وم من حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان وك من حديث سمرة وصححه نهى عن الإقعاء (٢) حديث النهي عن السدل في الصلاة د ت ك وصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث النهي عن الكف في الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبي ﷺ أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكف شبرا ولا ثوبا (٤) حديث النهي عن الاختصار د ك وصححه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلي الرجل مختصرا (٥) حديث النهي عن الصلب في الصلاة دن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث النهي عن المواصلة عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده وقد فسر الغزالي بوصول القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى د وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في صلاته إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته الحديث (٧) حديث انهى عن صلاة الحاقن ه و قط من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلي الرجل وهو حاقن ود من حديث أبي هريرة لا يحمل لرجل أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلي وهو حاقن وله وت وحسنه نحوه من حديث ثوبان وم من حديث عائشة لاصلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان (٨) حديث النهي عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعاً للأزهري بمدافعة الغائط وفيه حديث عائشة الذي قبل هذا (٩) حديث النهي عن صلاة الحاقن عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده والذي ذكره أصحاب الغريب حديث لا رأى لحاذق وهو صاحب الحنف الضيق (١٠) حديث النهي عن التلثم في الصلاة ده من حديث أبي هريرة بسند حسن نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة رواه الحاكم وصححه قال الخطابي هو التلثم على الأفواه

أن الذي ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد إعراضاً عنه وأبلغ في الإنكار عليه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذي أئمتنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته إياه بل يدل منك أنك لم تفهم غرضنا وذهلت عن تعقل مرادنا ولم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم أخبرك أننا أثبتنا الصورة في التسميات وهو أثبتنا حالة للذات فأين من لب الجوز قشور تفرقع والذي يغلب على الظن في ابن قتيبة أنه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التي أشرنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وإنما ظهر له شيء لم يكن له به إلف وعلاء الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذي هو موجب عند ذوي القصور تشبيها وبين التأويل الذي ينفية فأثبت المعنى المرغوب

عنه وأراد نفي ما خالف
من الوقوع فيه فلم
يتأت له اجتماع ما رام
ولا نظام ما اقترب
فها هو صورة لا كالصور
ولسكل ساقطة لا قطة
فتبادر الناس إلى
الأخذ عنه .

[فصل] ومعنى قاطع
الطريق - فأنك بالوادى
المقدس طوى - أى دم
على ما أنت عليه من
البحث والطلب فأنك
على هداية ورشد
والوادي المقدس عبارة
عن مقام الكليم موسى
عليه السلام مع الله
تعالى في الوادي وإيما
تقدس الوادي بما أتزل
فيه من الذكر ومع
كلام الله تعالى وأقيم
ذكر الوادي مقام
ما حصل فيه بحذف
المضاف وأقام المضاف
إليه مقامه وإلا
فالمتعود ما حذف
لأما أظهر بالقول إذ
المواضع لا تأثير لها
وإيما ظروف .

[فصل] ومعنى فامتنع
أى سر بقلبك لا
يوحى فلعلك تجد على
النار هدى ونعائك من

والركبتين . وأما السدل فذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع
ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي
أن يركع ويسجد ويده في بدن القميص وبيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه
عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والأول أقرب وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من
بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره
والنهي للرجال وفي الحديث « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا نوبا » (١)
وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكف . وأما
الاختصار فأن يضع يديه على خاصرتيه . وأما الملب فأن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويجافي بين
عضديه في القيام . وأما المواصله فهي خمسة اثنان على الامام أن لا يصل قراءته بتكبيره الاحرام ولا ركوعه
بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيره الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما
أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليم الثانية وليفصل بينهما . وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الفائط
والحاذق صاحب الخف الضيق فأن كل ذلك يمنع من الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهى الجائع من
قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون
ساكن القلب » (٢) وفي الخبر « لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان » (٣)
وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وفي الحديث « سبعة أشياء في الصلاة من
الشیطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتشاؤب والحكاك والالتفات والعبت بالشيء » (٤) وزاد بعضهم
السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن
تصلى بطريق من يمر بين يديك « ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه » (٥) أو يفرقع أصابعه (٦) أو يستر
وجهه (٧) أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذه في الركوع (٨) وقال بعض الصحابة
رضى الله عنهم كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره أيضا أن ينفض في الأرض عند السجود للتنظيف وأن

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا نوبا متفق عليه من حديث ابن عباس
(٢) حديث إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر
وعائشة (٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده
(٤) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة الرعاف والنعاس والوسوسة والتشاؤب والالتفات
وزاد بعضهم السهو والشك من رواية عدى بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف
والنعاس والتشاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاص
بارسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي الحديث وللبخاري من حديث عائشة في الالتفات
في الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبي هريرة التشاؤب
من الشيطان ولهما من حديث أبي هريرة إن أحدكم إذا قام يصلى جاء الشيطان فليس عليه صلاته حتى
لا يدري كم صلى (٥) حديث النهى عن تشبيك الأصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث
أبي هريرة ودت . حب نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث النهى عن تفقيع الأصابع
في الصلاة . من حديث طي بأسناد ضعيف لا تقع أصابعك في الصلاة (٧) حديث النهى عن ستر
الوجه . ذكر . وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة قد تقدم
(٨) حديث النهى عن التطبيق في الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا
نفعله فنهينا عنه وأمرنا أن نضع الأيدي على الركب

يسوى الحصى بيده فأنها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه إلى حائط فإن استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالأظهر بطلان صلاته والله أعلم .

تميز الفرائض والسنن

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيئات مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها. فالفرض من جماتها اثنتا عشرة خصلة النية والتكبير والقيام والافتحة والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائماً والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعداً والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الأول فأمانية الخروج فلا تجب وماعداً هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض . أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الموى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام والجلسة للتشهد الأول فأما ما ذكرناه من كيفية نشر الأصابع وحث رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراض هيئات تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدّها من أصول السنة في الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم نفرد بذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فإنه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقال ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول والصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأفعال فواحدة وهي الجلسة الأولى للتشهد الأول فإنها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر في تغيير النظم فغير عن ذلك البعض وقيل البعض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقال وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود في صورتها مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقال فعدم تلك الأذكار لا تغير صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وماز يدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار معموراً بالافتحة وميزاً عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مدّ الاعتدال في الصبح لأجله فكان كجلسة الاستراحة إذ صارت بالمدّ مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقى هذا قياماً ممدوداً معتاداً ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة . فإن قلت تميز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تميز سنة عن سنة والكل مأثور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه . فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ولنكتشف ذلك لك بمثال وهو أن الإنسان لا يكون إنساناً موجدًا كاملاً إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدمها كالقلب والكبد والماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا متاعها ولكن يفوت بها الحسن

كالخاجين

سرادقات العز تنادى
بمانودي به موسى إني
أنار بك أي فرغ قلبك
لما يرد عليك من
فوائد المزيد وحوادث
الصدق وثمار المعارف
وارتياح سلوك الطريق
وإشارات قرب الوصول
وسر القلب كما يقول
أذن الرأس ووسع
الأذان وما يوحى أي
ما يرد من الله تعالى
بواسطة ملك أو إلقاء
في روع أو مكاشفة
تحقيقه أو ضرب مثل
مع العلم بتأويله
ومعنى لعلك حرف
ترويح ومعنى إن لم
تترك آفة تقطعك
عن سماع الوحي من
إعجاب بحال أو إضافة
دعوى إلى النفس أو
قنوع بما وصلت إليه
واستبداد به عن غيره
وسرادقات المجد هي
حجب للملكوت وما
نودى به موسى هو علم
التوحيد التي وسعت
العبارة اللطيفة عنه
بقوله حين قال له
يا موسى إني أنا الله لا إله
إلا أنا والنادى باسمه
أزلا وأبداً هو اسم

موسى لما سمي السالك
 الموجود في كلام الله
 تعالى في أزل الأزل قبل
 أن يخلق موسى لا إلى
 أول وكلام الله تعالى
 صفته لا يتغير كالأشياء
 هو إذ ليست صفاته
 المعنوية لقديره وهو
 الذي لا يحول ولا يزول
 وقد زل قوم عظم
 اقتراحهم وهو أنهم
 حملوا صدور هذا
 القول على اعتقاد
 اكتساب النبوة عيادا
 بالله من أين يحتمل
 هذا القول ما حملاه
 من المذهب أليسوا
 وهم يعرفون أن كثيرا
 ممن يكون بحضرة
 ملك من ملوك الدنيا
 وهو يخاطب إنسانا
 آخر قلد ولاية كبيرة
 وفوض إليه عملا عظيما
 وحباه حباء خطيرا
 وهو ينادى باسمه أو
 يأمره بما يمثل من
 أمره ثم إن السامع
 للملك الحاضر معه غير
 المولى لم يشترك المولى
 الخاوع عليه والفوض
 إليه في شيء مما ولى
 وأعطى ولم تجب له
 بسماحه ومشاهدته

الحاجين، اللحية والأهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كله كاستقواس
 الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون
 فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشروع وتعبدا باكتسابها فروحها وحياتها
 الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كاسياتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع
 والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة
 بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى
 اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كالافتوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن
 يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل
 ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف . وأما الهيئات
 وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون .
 وأما وظائف الأذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية
 وغيرها فالصلاة عندك قرينة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القرينة
 من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك
 الخيرة في تحسين صورتها وتزيينها فان أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها ولا ينبغي أن يكون
 حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه
 يجوز تركها فتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقه العين لا يبطل وجود الانسان ولكن
 يخرجها عن أن يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي
 أن تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي
 الحضم الأول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الأخبار التي أوردناها في كمال أركان
 الصلاة ليظهر لك وقعها .

الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب

ولندكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم نذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها
 وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزيادة الآخرة .

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى - أقم الصلاة لذكري - وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد
 الذكري فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقبلا للصلاة لذكره وقوله تعالى - ولا تكن من الغافلين -
 نهى وظاهره التحريم وقوله عز وجل - حتى تعلموا ما تقولون - تعليل لنهي السكران وهو مطرد
 في الغافل المستغرق المهمل بالسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمسكن
 وتواضع » حصر بالألف واللام وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام
 « إنما الشفعة فيما لم يقصر » الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنه صلاته عن
 الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر . وقال صلى
 الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ^(١) » وما أراد به إلا الغافل وقال

الباب الثالث

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب . من حديث أبي هريرة رب قائم
 لبس له من قيامه إلا السهر ولاحمد رب قائم حظه من صلاته السهر وإسناده حسن .

صلى الله عليه وسلم «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»^(١) والتحقيق فيه أن المصلّي مناج ربه عز وجل^(٢) كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة وبيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلاء كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فإنه محاور ومناجاة مع الله عز وجل فاما أن يكون المقصود منه كونه خطاباً ومحاوراً أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحاناً للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك في الصوم وكما تمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب فأى سؤال في قوله أهدنا الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلاً وإذا لم يقصد كونه تضرعاً ودعاءً فأى مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتياد هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلانا وأنتى عليه وأسأله حاجة ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضراً وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً في يمينه إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً معه ما لم يكن هو حاضراً في قلبه فلو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضراً إلا أنه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق المهيم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصير باراً في يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتسقيط القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لاسبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعاً ولو جاز أن يكون معظماً لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظماً لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظماً للحنائط الذي بين يديه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويحب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظيمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود النجاة فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرايين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - أى الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في أفعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب . فإن قلت إن حكمت ببطالان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطاً في صحتها خالفت إجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا

(١) حديث ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل لم أجده مرفوعاً وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلاً لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع يده ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وابن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه (٢) حديث المصلّي يناجى ربه متفق عليه من حديث أنس .

أكثر من حظوة القرية وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول إلى درجة المخاطب بالولاية والفقوض إليه الأمر ولذلك هذا السالك للذكر إذا وصل في طريقه ذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذي يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم فلا يمتنع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك إذ هو محل سماع الوحي على الدوام وموضع الملائكة وكفى بها أنها الحضرة الربوبية وموسى عليه السلام ما استحق الرسالة والنبوة ولا استوجب التكليم وسماع الوحي مقصوداً بذلك بحلوله في هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخراً ترقى إلى ذلك المقام أضاعافاً جاوز المرتبة الرابعة لأن آخر مقامات

الإحضور القلب عند التكبير. فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كأنه يسقط القتل وتعزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع فقد نقل عن بشر بن الحرث في إرواه عنه أبو غالب المكي عن سفيان الثوري أنه قال من لم يتخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متمعدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أيضا مسند أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها (١)» وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتسكك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فجعله إجماعا ونقل من هذا الجنس عن الفقهاء للتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكيفية فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحديث ناسيا صلاته باطلا عند الله تعالى ولكن له أجرا بما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحق أشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر محظورا في نفسه فإليك الحيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كاسبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقنعا للريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن . وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبيح به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاكه وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكل من حيا لأحراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كمثل حيا لأحراك به نسال الله حسن العون .

بيان اللعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة

اعلم أن هذه اللعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست حمل وهي حضور القلب والتفهيم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها . أما التفاصيل فالأول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرها ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان (١) حديث إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها الحديث . دن حب من حديث عمار بن ياسر نحوه .

في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمحي الكلام أمر وراء حضور القلب فر بما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد حطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانه تفهم أمور تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لاجالة . وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما . وأما الهبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الحسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان العظيم يسمى مهابة والمهبة خوف مصدرها الاجلال . وأما الرجاء فلا شك أنه زائد فكمن معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل . وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب . وأما أسباب هذه المعاني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهملك ومهما أهلك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب إلا بالصلاة والهمة لا تنصرف إليها مالم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها فاذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهمات حاصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عبد المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظن أن له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع . وأما التفهم فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الحواطر وعلاج دفع الحواطر الشاغلة قطع موادها أعنى النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الحواطر إليها ومالم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الحواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الحواطر وأما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تدعن النفس لتعظيمه . الثانية معرفة حقارة النفس وخساستها وكونها عبدا مسخرا مر بوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تتمزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه . وأما الهيبة والخوف فخالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرته الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة

كلمه من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة في التفضيل هذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بهي ولا رسول وإذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية ما يرد ما قلنا ولا يكسره لأننا ما أوجبنا أنه كلمة قصدا ولا توخاه بالخطاب عمدا وإنما قلنا يجوز أن يسمع ما يخاطب الله تعالى به غيره عما هو أعلى منه أليس من يسمع كلام إنسان مثلاما يتكلم به غير السامع فيقال فيه إنه كلامه وقد حكى أن طائفة من بني إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذي خاطب به موسى حين كلمه ثم إذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة في نبوته ورسالته على أنا نقول نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله تعالى يمكن

الاختلاف فيه فيكون

النبي للرسول يسمع

كلام الله تعالى عز

وجل الذاتي القديم

بلا حجاب في السمع

ولا واسطة بينه وبين

القلب ومن دونه يسمعه

على غير تلك الصورة

مما يلي في روعه وما

ينادي به في سمعه أو

سره وأشبه ذلك كما

ذكر أن قوم موسى

عليه السلام حين سمعوا

كلام الله سبحانه مع

موسى أنهم سمعوا

صوتا كالشور وهو

القرآن فإذا صح ذلك

فبقيت المقامات اختلف

ورود الخطاب فموسى

سمع كلام الله بالحقيقة

الذي هو صفة له بلا

كيف ولا صورة نظم

الحروف ولا أصوات

والذين كانوا معه أيضا

سمعوا صوتا مخلوقا جعل

لهم علامة ودلالة على

صحة التكليم وخلق الله

سبحانه لهم بذلك العلم

الضروري وسمى ذلك

الدعوى سمعوه كلامه

إذ كان دلالة عليه كما

تسمى التلاوة وهي

الحروف المتساق بها

ما يحصى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض ، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الحشية والمهية وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من رب الجنات . وأما الرجاء فسيببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لامحالة . وأما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفات وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكلّ ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه في معرفة السبب معرفة العلاج ورباطة جميع هذه الأسباب بالإيمان واليقين أعنى به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » ، وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تفتض أعضائك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قلت بين يدي فقم قيام العبد الدليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق » ، وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لعصاة أمتك لا يذكروني فاني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكركه فاذا ذكروني ذكركهم بالعنة » هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يتم ولم يغيب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحسن مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب إبراهيم صلات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد في هم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ولو سئل عن حواله أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لا اشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواله ولكل درجات مما عملوا حفظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهرها الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فأنه يحشر كل على مامات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لاحال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو إلا من آتى الله بقلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجياله ومستحييا من نقصه فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفك كما عنها في الصلاة لاسبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهي عن الصلاة

إلا الحواطر الواردة الشاغلة فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الحواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الحواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الملم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم ينجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلبه ماجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يفرض بصره أو يصلي في بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحتزم من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويفضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على عينيهم وشمالهم ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا إلا نزعها ولا كتابا إلا يحرقه . وأما الأسباب الباطنة فهي أشد فأن من تشعبت به المموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فرق واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يفنيه ، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرث النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعدله قبل التحريم بأن يجتهد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهو المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهيمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة « إني نسيت أن أقول لك أن تحضر القدر الذي في البيت (١) » فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هواجج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينبغي إلا المسهل الذي يجمع مادة الدواء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فامساكه أضرت عليه من إخراجها فيتخلص منه بإخراجها كإروى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الخيصة التي أتاها بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألحقتي آتفا عن صلاتي واتتوني بأنبجانية أبي جهم (٢) . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شركائه فله ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشركاء الخلق (٣) . وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلا فأعجبه حسنهما فسجد وقال تواضعت لربي عز وجل كي لا يمتقني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يشتري له نعلين سبتيين جرداوين فلبسهما (٤) . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر

(١) حديث إني نسيت أن أقول لك تحضر القرآن بين الذين في البيت الحديث د من حديث عثمان الحنفي وهو عثمان بن طلحة كافي مسند أحمد ووقع للصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الخيصة وقال اتتوني بأنبجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم في العلم . (٣) حديث أمره بنزع الشركاء الجديد ورد الشركاء الخلق إذ نظر إليه في صلاته ابن المبارك في الزهد من حديث أبي النضر مرسلا بأسناد صحيح (٤) حديث احتذى نعلا فأعجبه حسنهما فسجد وقال تواضعت لربي الحديث أبو عبد الله بن حقيق في شرف الفقراء من حديث عائشة بأسناد ضعيف .

القرآن كلام الله تعالى إذ هي دلالة عليه . فإن قلت فما يبقى على السامع إذا سمع كلام الله تعالى الذي يستفيد معرفة وحدانيته وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه يلحقه العلم الضروري فيما أرى بأنه الشيء المرسل إلا بأن يشغل باصلاح الخلق دونه ولو كان عوضا منه أخر عنه ومقامه مقامه ٧ فاعلم أن الذي أوجب عشورك ودوام ذلك واعتراضك على العاوم بالجهل وعلى الحقائق بالخيال إنك بعيد عن غور المطالب بعيد في شرك المعاطب بعيد صوب الصوت عتيد صعب السحاب إن الذي استحق به الناظر السالك الواصل المرتبة الثالثة سماع نداء الله تعالى معنى ومقام وحال وخاص أعلى من تلك الأولى وأجل وأكبر وبينهما ما بين من استحق المواعدة بالخطاب والقصد به ، وبين من

فرماه وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم (١) وروى «أن أباطلحة صلى في حائط وفيه شجرة فأعجبه دبسي طائر في الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدرك صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت (٢) . وعن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة ثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدرك صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فأجعله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا فكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا ينبغي غيره فأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الله كقولك ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلا حواسي القلب فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجادبك ثم تغلبك وتنقض جميع صلانتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفوله فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التسكير بالخشبة فقليل له إن هذا سير السواني ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الدباب إلى الأقدار والشغل يطول فدفعها فإن الدباب كلما ذاب وأجله سمي ذابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلماء يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وكذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى بطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لاليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمع في أن تصفوله لذة المناجاة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته وهمة الرجل مع قرعة عينه فإن كانت قرعة عينه في الدنيا انصرف لأمحالة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر والمرارة استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى إن الأكارب اجتهدوا أن يصاوا ركعتين لا يجتهدوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليت سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يسب في قدح مملوء يخل فيقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان

بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة فنقول حقل إن كنت من المرادين للآخرة أن لا تغفل أولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة وأركانها . أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وسترا العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والسارعة فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فأعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتداء فاعلم أنه بأنيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «أرحنا يا بلال (٣)» أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرعة عينه فيها صلى الله عليه وسلم وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك

(١) حدثت رمية بالخاتم الذهب من يده وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس بإسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهباً ولا فضة إنما هو مطلق (٢) حديث إن أباطلحة صلى في حائط له فيه شجرة فأعجبه ريش طائر في الشجر الحديث في سهوه في الصلاة وتصدقه بالحناء مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أباطلحة الأنصاري فذكره بنحوه (٣) حديث بها أرحنا يا بلال قط في العلل من حديث بلال ولأبي داود ونحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم بإسناد صحيح

لا يستحق أكثر من سماعه من يخاطب به غيره فهذا من الإشارة باختلاف ورود الخطاب إليهما مما يوجب نفورا وتباين ما بينهما فإن فهمت الآن وإلا فقد عفى لاندري بحال فإن قيل ألم يقل الله تعالى - فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول وسماع كلام الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب وعلم مافي الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب فكيف يطلع عليها من ليس برسول قلنا في الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع الصادق والمشاهدة الصورية وهو أن يكون معناه إلا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بالإخلاص والاستقامة أو عمل بما جاء به لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»

الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تفر عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والتندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر معبودك . وأماستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقام بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرارك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فاحضر تلك الفضائح ببالك وطلب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكائدهما فتذل بها نفسك ويستكين تحت الحجة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المحرم المسىء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوباً منك هيئات فلامطوب سواه وإنما هذه الظواهر تحركات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالانبات في جهة واحدة حتى لا تبني على القلب فانها إذا بفت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استدبت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك . فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالانصراف عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه (١) » وأما الاعتدال قائماً فانما هو مشول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطراً مطأطأ متنكساً وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه فيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترفع والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض مالوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلالة بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومراقوب بعين كائلة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عبادته أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال أبوهريرة « كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك (٢) » وروى « من أهلك » . وأما التية فاعزم على إجابة الله عز وجل في أمثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للجنة منه بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا

(١) حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده
(٢) حديث قال أبوهريرة كيف الحياء من الله قال تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك الخرائطي في مكارم الأخلاق حق في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسل بنحوه وأرسله حق بزيادة ابن عمر في السند وفي الليل قط عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة .

وهل يبقى إلا ما غاب عنه أن يشكشك إليه قال « إن يكن منكم محدثون فمعر » أو كما قال « المؤمن ينظر بنور الله » وفي القرآن العزيز - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك - فعلم ما غاب عن غيره من إمكان بيان ما وعد به وأراد أنه قدر عليه ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنين من إخباره عن العلوم الغيبية وصدقته فيه حين قال - فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً - وإن كان وقع الاختلاف في نبوة ذي القرنين فالاجماع على أنه ليس برسول وهو خلاف المسطور في الآية وإن رام أحد المدافعة الاحتمال لما أخبر به ذو القرنين وما ظهر على يدي الذي كان عنده علم من الكتاب وأراد أن يجوز على

عمر التشبه بالحقائق
فما يصنع فيما جرى
للخضر وما أنبأ الله
سبحانه وأظهر عليه
من العاوم الغيبية وهو
بعد أن يكون نبيا فليس
برسول على الوفاق من
الجميع والله تعالى يقول
- إلا من ارتضى من
رسول - فدل على أن
في الآية حذف مضاف
معناه ما تقدم وانظر
إلى ما ظهر من كلام
سعد رضى الله عنه
أنه يرى الملائكة وهو
غيب الله وأعلم أبو بكر
بما في البطن وهي من
غيب الله وشواهد
الشرع كثيرة جدا
يعجز التأول ويلهو
المعاند هذا والقول
بتخصيص العموم
أظهر من الجراءة
وأشهر مما نقل الكافة
ويحتمل أن يكون المراد
في الآية بالرسول المذكور
فيها ملك الوحي الذي
بواسطته تنجلي العاوم
وتكشف العيوب
ففي لم يرسل الله ملكا
بإعلام غيب أو يحاطب
مشافهة أو إلقاء معنى
في روع أو ضرب مثل

تأجى وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من
الخوف . وأما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبى أن لا يكذب قلبك فان كان في قلبك شيء هو
أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم
إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فانت أطوع
له منك الله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان
المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن
بكرم الله تعالى وعفوه . وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض وليس المراد بالوجه الظاهر فانك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس
عن أن تحتد الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وإعما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر
السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل
على فاطر السموات وإياك أن تكون أول مفتاحتك للنجاة بالكذب والاختلاق ولئن ينصرف الوجه
إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وان عجزت عنه على الدوام فليكن
قولك في الحال صادقا ، وإذا قلت حنيئا مسلما فينبى أن يحظر ببالك أن المسلم هو الذي سلم
المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال
وتندم على ما سبق من الأحوال وإذا قلت وما أنا من المشركين فأخطر ببالك الشرك الخفي فان
قوله تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - نزل فيمن
يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك واستشعر الحجة في قلبك
إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك واستشعر الحجة في قلبك
على القليل والكثير منه وإذا قلت عيائى ومعايى الله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود
لسيده وأنه ان صدر عن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأموال
الدنيا لم يكن ملائما للحال وإذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عدوك ومتصد لصرف
قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لعن
بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوافق لها وأن استعذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما
يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فان من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقته فقال أعوذ منك
بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه بل لا يعيده إلا تبديل المكان فكذلك
من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يقنيه مجرد القول فليقترب قوله بالعزم
على التعمد بحسن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه لإله إلا الله اذ قال عز وجل فيا أخبر عنه
نبينا ﷺ « لا إله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى آمن من عذابى (١) » والتحصن به من لا معبود له سوى الله
سبحانه فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لافي حصن الله عز وجل . واعلم أن مكايده
أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات لينمك عن فهم ما قرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن
فهم معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها . فأما القراءة فالناس
فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع باللسان فيفهم ويسمع منه
كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولا ثم يخدم اللسان القلب
(١) حديث قال الله تعالى لا إله إلا الله حصنى ك في التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت
من حديث على بإسناد ضعيف جدا وقول أبى منصور الديلمي إنه حديث ثابت مردود عليه .

في يقظة أو مقام لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل ويكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أن يرسله إلى من يشاء من عباده في يقظة أو مقام فانه يطلع على ذلك أيضا ويكون فائدة الاخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته وإعلامه أنه لا تصل إليها نفسه ولا مخلوق سواه إلا بالله تعالى حين أرسل إليه الملك بذلك وبعثه الله حق يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته ويرجع إلى الله تعالى وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك إلا بأمره ومشيئته ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معناه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معنى من

فيترجمه ففرق أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمترجمون لهم أنهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب . وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فأنو به التبرك لا بتدء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لامن حيث إنه مسخر من الله عز وجل في تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى فإذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجائك ثم استر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلا لأنه لا ملك إلا له وأما الخوف فهو لول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك إياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك وإياك نستعين وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانتة وأن له المنة إذ وفقك الله لطاعته واستخدمك لعبادته وجهلك أهلا لمناجاته ولو حرمتك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم إذا فرغت من التعمد ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التمجيد ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا فمعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل أهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيذا واستشهادا بالدين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائمين من اليهود والنصارى والصائبين ثم الخمس الإجابة وقل آمين فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى بهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » (١) يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور كاسيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تنفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهي والاعتناظ حق الموعدة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق إخبار الأنبياء . وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى - فإذا تقرأ في الناقور - خر ميتا وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى - إذا السماء انشقت - اضطرب حتى تضرب أوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي مغلوا بعليه وحق له أن يحترق قلبه بوعده سعيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا ثم يراعى الهيبة في القراءة فترتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين نعماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد . كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله - يخفض صوته كالمتسخي عن أن يذكره بكل شيء لا يلبق به وروى أنه يقال لقارئ القرآن « اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا » (٢) .

(١) حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث م عن أبي هريرة (٢) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق وت ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح

وأما

رسول أي من يد رسول من الملائكة .
[فصل] ومعنى ولا يتخطى رقاب الصديقين إن قلت ما الذي أوصله إلى مقامهم أو جاوز به ذلك وهو في المرتبة الثالثة حال المقرئين ما وصل حيث ظننت فكيف يجاوزه وإعما خاصية من هو في رتبة الصديقين عدم السؤال لأثرة التحقق بالأحوال وخاصة من هو في رتبة القرب كثرة السؤال طمعا في بلوغ الآمال ومناهلها فيما أشير إليه مثال إنسانين دخلا في بستان أحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها فهو لا يسأل عن شيء مما يراه ولا يحتاج إلى أن يخبر به والثاني لا يعرف مما رأى شيئا أو يعرف بعضا ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل إلى علم الباقي وذلك من تكلمنا عليه حين أكثر

وأمداد القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت » (١) وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة فإذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبيعق التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود إليه وألزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصليا يعث بلحيته « أما هذا لو خشع قلبه لحشعت جوارحه » فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء « اللهم أصلح الراعي والرعية » (٢) وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضى الله عنه في صلاته كأنه تد وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه حماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عنكرمة في قوله عز وجل - الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين - قال قيامه وركوعه وسجوده وجاوسه . وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يدك مستجيبرا بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه ﷺ ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعزم مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحمك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أى أجب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضى للزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكرر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل فانه أجلب للخشوع وأدل على الدل وإذا وضعت نفسك موضع الدل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فانك من التراب خلقت وإليه تعود فعندها جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الأعلى وأكده بالتكرار فان الكثرة الواحدة ضعيفة الأثر فاذا رقت قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فان رحمته تتسارع إلى الضعف والدل لا إلى التكبر والبطر فأرفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أو ما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانيا كذلك وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أى من الأخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافية بعدد عباد الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه بإعادة كلتي الشهادة ومستأنفا للتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال

(١) حديث إن الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت دن ك وصحح إسناده من حديث أبي ذر

(٢) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية لم أقف له على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح

السؤال هما يبعد عنه حاله ويتخلف عن مقامه إلى ما هو أعلى منه وكان غير مراد لذلك أما في ذلك الوقت أو الأبد وتلك العلوم متى كانت لا تنال بالكسب وإنما تنال بالمنح فقيل له لا تتخط رقاب الصديقين بالسؤال فذلك مما لا يخطر به وليس هو من الطرق الموصلة إلى مقامهم فأرجع إلى الصديق الأكبر فاقتدبه في حاله وسيرته فمسالك تزيق مقامه فإن لم يكن فتبقى على حالة القرب وهي تناو الصديقية فهذا معناه .

[فصل] ومعنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى إما أنه لما وصل إليه بالسؤال صرف إليه ملاقى به من الأحوال ليحكم ما بقي عليه من الأعمال كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لا بدى سأل أن يعلمه غرائب العلم اذهب فأحكم ما هناك وبعد

وصدق الرجاء بالاجابة وأشرك في دعائك أبو بكر وصائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانوخم الصلاة به واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لاتمام هذه الطاعة ونوم أنك مودع لصلاتك هذه وأنت ربما لا تعيش مثلها وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه « صل صلاة مودع » ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون مقنونا بذنب ظاهر أو باطن فترة صلاتك في وجهك وترجموع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله . كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ماشاء الله تعرف عليه كناية الصلاة وكان إبراهيم يكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذى يسرله منه ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي أن يجتهد . وأما صلاة الغافلين فهي خطيرة إلا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض ففسأل الله أن يتغمدنا برحمته و يغمرنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته . واعلم أن تخلص الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله عز وجل وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكاشفون في الصلاة لاسيما في السجود إذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال تعالى - واسجد واقترب - وإنما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفاته عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشیطان في صورة كلب جائم عليها يدعو إليها ويختلف أيضا بمافيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله وبعضهم من أفعاله وبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت أسباب خفية لا تحصى وأشدّها مناسبة الهمة فانها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف ولما كانت هذه الأمور لا تترأى إلا في الرأى الصقيلة وكانت المرأة كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لالبعث من جهة النعم بالهداية بل لحث متراكم الصدا على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لأنكر إمكان وجود الانسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز لما ربح أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق أطوارا فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عماسوى الله عز وجل فقدوه فأنكروه ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة في الخبر « إن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكيه إلى الهواء يصاون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن الصلى لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه وينادى مناد لوعلم هذا الناجى من مناجى ما التفت وإن أبواب السماء تفتح للصليين وإن الله عز وجل يباهى ملائكته بعبده الصلى (١) » ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه كناية عن الكشف الذى ذكرناه وفي التوراة مكتوب: يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصايبا كيا فأننا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى قال فكنا (١) حديث إن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده الحديث لم أحده .

ذلك أعطك خراب
العلم وأما صفة انصرافه
فانه نهض بالبحث
ورجع بالتذكرو فوائده
المزيد ووجهه أن من
لم يستطع المقام في ذلك
الموضع بعد وصوله إليه
فذلك لتعلق خبر
المعرفة بالبدن وممكنه
عالم الملك ولم يفارقه
بعد الموت وطول
الغيب عنه لا يمكن في
المادة ولو أمكن لمالك
الجسم وتفرقت
الأوصال والله تعالى
أراد عمارة الدنيا وقد
سبق في علمه ولن
تجد لسنة الله تبديلا
ومعنى قول أبي سليمان
الداراني لو وصلوا
مارجعوا ما رجع إلى
حالة الانتقاص من
وصل إلى حالة
الاخلاص والذي طمع
الناظر في الحصول فيه
سؤاله وتماديه إلى حالة
القرب منه إذ لم يصلح
لذلك ولم يصف ولم
يخلص أعماله .
(فصل) ومعنى بأن
ليس في الإمكان أبدع
من صورة هذا العالم
ولا أحسن زينيا ولا

نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده المصلح في قلبه من دثار الرب سبحانه من القلب وإذالم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له إلا الدنو بالمهابة والرحمة وكشف الحجاب ويقال إن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباعى الله بمائة ألف ملك وذلك أن العبد قد جمع في الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق الله ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة وهكذا الراكمون والقاعدون فإن ما رزق الله تعالى للملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ولذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا: وما منا إلا له مقام معلوم، وفارق الإنسان للملائكة في الترقى من درجة إلى درجة فإنه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لكل واحد إلا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل إلى غيرها ولا يفتقر عنها فلا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات . قال الله عز وجل - قد أفلق المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون - فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهي القرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال تعالى - والذين هم على صلواتهم يحافظون - ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فوصفهم بالفلاح أولا وبوراثة الفردوس آخرها وما عني أن هزيمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي إلى هذا الحد وذلك قال الله عز وجل في أضدادهم - ماسككم في سقر قالوا لم نك من المصلين - فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى وللمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم . نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من زينبت أفواله وقبحت أفعاله إنه الكريم اللطيف الاحسان ، وصلى الله على كل عبد مصطفى .

حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين رضى الله عنهم

اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعا في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فإن موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلوة ولذلك روى عن بعضهم أنهم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعا له وكان الربيع بن خيثم من شدة غصه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة فإذا رآته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الأعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فقرأه مطرقا غاضا بصصره وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول وبشر الخبيثين أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك ، وفي لفظ آخر لأحبك وفي لفظ آخر لضحكك ، ومضى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النار تلهب صق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفقه فحمله على ظهره إلى منزله فلم يزل مغشيا عليه إلى مثل الساعة التي صقع فيها ففاته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله هو الخوف . وكان الربيع يقول ما دخلت في صلاة قط فأهمنى فيها إلا ما أقول وما يقال لي . وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله عز وجل ومنصرفي إلى إحدى الدارين قيل فهل تجد شيئا ما نجد من أمور الدنيا فقال لأن تختلف الأسنة في أحب إلى من أن أجهد في صلاتي ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد قلنا أنه لم يشعر بسقوط

أسطوانة في المسجد وهو في الصلاة وتأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يكون منه فقيل إنه في الصلاة لا يحسن بما يجري عليه فقطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فإذا حدثت فيها خرجت من الدنيا وقيل لا يخرجها لحدثت نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة فقال لا في الصلاة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئاً فقال وهل شيء أحب إلي من الصلاة فأذكره فيها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من فقه الرجل أن يبداً بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروى أن عمار بن ياسر صلى صلاه فأخفها فقليل له خفت يا أبا اليقظان فقال هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئاً قالوا لا قال إني بادرت سهو الشيطان إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها» وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها (١) ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها . وسئل أبو العالية عن قوله - الذين هم عن صلاتهم ساهون - قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى يخرج . وقال بعضهم هو الذي إن صلاها في أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيراً ولا تأخيرها إثمًا . وأعلم أن الصلاة قديس بعضها ويكتب بعضها دون بعض كادلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول إن الصلاة في الصحة لا تتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الأحاديث إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالتوافل (٢) وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجاً مني عبدي وبالتوافل تقرب إلى عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما افترضته عليه» (٣) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم «صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انقضى قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندرى أنسخت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل على الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم ألا إن بني إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون إليه» (٤) وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الإمام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته لم كانوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه (١) حديث إن عمار بن ياسر صلى فأخفها فقليل له خفت يا أبا اليقظان الحديث وفيه إن العبد ليصلي صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها إلى آخره أحمد بإسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند د (٢) حديث جبر نقصان الفرائض بالتوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فإن اتقص من فرضه شيئاً قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما افترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما التفت قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مرسلًا وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواه مختصراً من حديث عبد الرحمن بن أبيزى بإسناد صحيح .

أكل صنعا ولو كان
وآخره مع القدرة
كان ذلك بخلافه
الكرم الإلهي وإن
لم يكن قادراً عليه
كان ذلك عجزاً يناقض
القدرة الإلهية فكيف
يقضى عليه بالعجز فيما
لم يخلقه اختياراً وكان
ذلك ولم ينسب إليه
ذلك قبل خلق العالم
ويقال ادّخار إخراج
العالم من العدم إلى
الوجود عجز مثل ما قيل
فيما ذكرناه وما الفرق
بينهما وذلك لأن تأخير
العالم قبل خلقه عن
أن يخرج من العدم
إلى الوجود يقع تحت
الاختيار الممكن من
حيث إن الفاعل المختار
له أن يفعل فإذا فعل
فليس في الامكان أن
يفعل إلا نهاية ما تقتضيه
الحكمة التي عرفنا أنها
حكمة ولم يعرفنا بذلك
إلا لنعلم مجاري أفعاله
ومصادر أموره وأن
تتحقق أن كل
ما اقتضاه ويقضيه من
خلقته بعلمه وإرادته
وقدرته إن ذلك على
غاية الحكمة ونهاية

فهذه صفة الخاشعين فدلّت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في العباد والله أعلم نسأل الله حسن التوفيق.

الباب الرابع في الإمامة والقعدة

وفي أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة: أولها أن لا يتقدم للإمامة على قوم بكرهونه فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين فإن كان الأقولون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى وفي الحديث «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وإمام أم قوم أو هم له كارهون»^(١) وكأنيهي عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهي عن التقدم إن كان وراءه من هو أفضقه منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل إن قوما تدافعوا للإمامة بعد إقامة الصلاة غسغف بهم وماروئ من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضي الله عنهم فسيبه إشارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فإن الأئمة ضمانهم وكان من لم يتعقد ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلاص في صلاته حياء من المقتدين لاسما في جهره بالقراءة فكان لا حتراز من احتراز أسباب من هذا الجنس . الثانية إذا خير المرء بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان ولقوله عليه السلام «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن»^(٢) فقالوا فيها خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم «الإمام أمين فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا»^(٣) وفي الحديث «فإن أتم فله ولهم وإن نقص فعليه لأعليهم»^(٤) ولأنه صلى الله عليه وسلم قال «اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين»^(٥) والمغفرة أولى بالطلب فإن الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر «من أتم في (١) مسجدا سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن أذن أر بعين عاما دخل الجنة بغير حساب»^(٦) ولذلك نقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واطب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما والأئمة بعدهم ، ثم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل لقوله عليه السلام «ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة»^(٧)

الباب الرابع

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم العبد الآبق الحديث ت من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وضعفه حق (٢) حديث الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبي هريرة وحكي عن ابن المديني أنه لم يثبتته ورواه أحمد من حديث أبي أمامة باسناد حسن (٣) حديث الإمام أمين فإذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبي هريرة دون قوله الإمام أمين وهو بهذه الزيادة في مستند الحديث وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فإن أتم فله ولهم وإن انتقص فعليه ولاعليهم د ه ك وصححه من حديث عقبة ابن عامر والبخاري من حديث أبي هريرة يصابون بكم فإن أصابوا فلكم وإن أخطنوا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بنية حديث الإمام ضامن وتقدم قبل بتحديثين (٦) حديث من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أر بعين عاما دخل الجنة بغير حساب ه من حديث ابن عباس بالشرط الأول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة (١) قوله من أم الخ هكذا هو في النسخ وهو الموافق لكلام الصنف ولكن في العراقي والشارح لفظا وإن في الموضعين فليحذر الحديث اه مصححه .

الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كالما خلق دليلا قاطعا وبرهانا على كاله في صفات جلاله الموحية لإجلاله فأول كان ما خلق ناقصا بالاضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ولولم يخلق لكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعاً وما يحمل عليه من القدرة على أكل منه ظنا إذ خلق للخلق عتقولا وجعل لهم فهموما وعرفهم ما أكن وكشف لهم ما حجب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكاله دلهم على نقصه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرم بعجزه فتعالى الله رب العالمين تلك الحق المبين وأيضا فلا يعترض هنا ويترز به إلا من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح في، شابه ذلك

ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه فقد قال صلى الله عليه وسلم « أئمتكم شفعاءكم أو قال وفدكم إلى الله فان أردتم أن تركوا صلاتكم فقدموا خياركم » (١) وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم للخلافة وإذا قالوا نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لديننا من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا (٢) وما قدموا بلالا احتجاجا بأنه رضى للأذان (٣) وما روى أنه قال له رجل يا رسول الله « داني على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن إماما قال لا أستطيع فقال صل بأزاء الامام (٤) » فلعنه ظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهّم أنه ربما يقدر عليها. الثالثة أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصلّى في أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه بفضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا (٥) هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث « إن العبد ليصلّى الصلاة في آخر وقتها ولم تنقه ، ولما فاتته من أول وقتها خبره من الدنيا وما فيها (٦) » ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضروا اثنتان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضروا أربعة في الجنائز لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وإنما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى قامت رسول الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين (١) حديث أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تركوا صلاتكم فقدموا خياركم قط هو وضعف إسناده من حديث ابن عمر والبقوى وابن قانع والطبراني في معاجهم وك من حديث مرثد بن أبي مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسلمي وهو ضعيف (٢) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لديننا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهد ما أنا بقاب ولأبي مرض فرضينا لديننا ما رضى به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا والرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبي موسى في حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس (٣) حديث تقديم الصحابة بلالا (٤) احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى للأذان أما الرفوع منه فرواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد في بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألقى عليه ما رأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فروى الطبراني أن بلالا جاء إلى أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقى لقد كبرت سنّى وضعفت قوّتى واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما توفى أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبي بكر فألقى عليه فقال عمر فمن يا بلال فقال إلى سعد فانه قد أذن بقباء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وحقة وفي إسناده جهالة (٤) حديث قال له رجل يا رسول الله داني على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا الحديث البخاري في التاريخ والمقبلي في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث ابن عباس بأسناد ضعيف (٥) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث إن العبد ليصلّى الصلاة في أول وقتها ولم تنقه الحديث الدارقطني من (١) قول المراءى تقديم الصحابة بلالا لعل المناسب عدم تقديمه فليتأمل اه مصححه

أصلا في العلم أو كان نسخا له ومعنى تقيس عليه غيره وأما انكشافه بخبر من رزق علم ذلك كان بطلان العلم في حق الخبر إذ أفشاه لغير أهله وأهله لمن لا يستحقه كما روى عن عيسى على نبينا وعليه السلام لا تعلقوا الدر في أعناق الخنازير وإنما أراد قطاع العلم غير أهله وقد جاء لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها وأما سر العلم الذي يوجب كشفه بطلان الأحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقابو ضعيفة بطلت الأحكام في حقها لمن يطلع عليه في ذلك السر من معرفة مآل الأشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العبادة وما يظن من مقدور فمن عرف نفسه مثلاً أنه من أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتعب نفسه في خير وكذلك لو انكشف له أنه من أهل النار كل

الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فأشفقنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أحسنتم هكذا فافعلوا» (١) وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فقام إلى جانبه (٢) ، وليس على الإمام انتظار المؤذن وإعلاء المؤذن انتظار الإمام للإقامة فإذا حضر فلا ينتظر غيره . الرابعة أن يؤتمّ مخلصاً لله عز وجل ومؤدياً أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته أما الاخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجره فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال اتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان أجراً (٣) فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر فإن أخذ رزقاً من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو أحد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض أشد منها في التراخي وتكون أجره له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة . وأما الأمانة فهي الطهارة باطناً عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغائر فالترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهد فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة (٤) وقال سفيان صل خلف كل برّ وفاجر إلا ممن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبيد آبق . الخامسة أن لا يكبر حتى تستوى الصفوف فليلتفت يمينا وشمالاً فان رأى خلافاً أمر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة في الخبر «ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره» (٥) وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين (٦) وأمر بتقديم العشاء على العشاء (٧) طلباً لفرغ القلب . السادسة أن يرفع صوته بتكبيره الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة ، وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيره الإمام فيبتدىء بعد فراغه والله أعلم . وأما وظائف القراءة فثلاثة : أولها

حديث أبي هريرة نحوه بإسناد ضعيف (١) حديث تأخر رسول الله ﷺ يوماً عن صلاة الفجر وكان في سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث المغيرة . (٢) حديث تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٣) حديث اتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجره أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي (٤) حديث تذكر النبي ﷺ الجنابة في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبي بكر بإسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أوماً إليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فعل عمرو بن وهب وعند غيره (٥) حديث يمهّل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره ، ت ك من حديث جابر يابلل اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قال ت إسناده مجهول وقال ك ليس في إسناده مطعون فيه غير عمرو بن قايذ قلت بل فيه عبد النعم الديلمي منكر الحديث قاله خ وغيره (٦) حديث النهي عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لا صلاة ولا يبيح لأبيلين أحدكم الحديث (٧) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالله متفق عليه

انهما ك فلا يحتاج إلى تعبد زائد ولا تصيبه مكابدة فلو عرف كل واحد عاقبته ومآله بطلت الأحكام الجارية عليه وإن كان كشفها من مخبر استروح الضعيف إلى ما يسمع من ذلك فيتعطل وينخرم حاله وينحل قيده وبعد هذا فلا يحمل كلام سهل إلا على ما يقدر لاعلى ما يوجد ولذلك جعله مقروناً بحرف لو الدال على امتناع الشيء لامتناع غيره كما يقال كان للانسان جناحان لطار ولو كان للسماء درج لصعد عليها ولو كان البشر ملكاً لفقد الشهوات فعلى هذا يخرج كلام سهل في ظاهر العلم .

[فصل] وأما خطاب العقلاء للجمادات فغير مستنكر فقد بدأ نبي الناس الديار وسألوا الأطلال واستخبروا الآثار وقد حلف أشعار العرب وكلامها من ذلك كثير وفي حديث

أن يسر بدعاء الاستفتاح والتمؤد كالمنفرد ويجهز بالفاتحة والسورة بعدها في جميع الصبح وأولي العشاء والغرب وكذلك المنفرد ويجهز بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينة بتأمين الإمام معاً لا تعقيباً (١) ويجهز بيسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة (٢) واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر الثانية أن يكون للإمام في القيام ثلاث سكتات (٣) هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً هن إذا كبر وهي الطولى منهم مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرءوا الفاتحة في سكوتهم واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لأعليهم . السكتة الثانية إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة في السكتة الأولى فاتحته وهي كنصف السكتة الأولى . السكتة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا للفاتحة فان لم يسكت الإمام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصود هو الإمام وإن لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة . الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني مادون المائة فان الإطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيراً فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكر وإتمام كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع (٤) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجر آية من البقرة (٥) وهي قوله - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخطط الطيب بالطيب فقال أحسنت (٦) ويقرأ في الظهر

(١) حديث الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قط ك وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث ترك الجهر بهام من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم وللنساء في يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (٣) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين في سكتات الإمام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتات في صلاته وقال عمران أنا أحفظهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا في ذلك إلى أبي بن كعب فكتب إن سمرة قد حفظ هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف أن عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضع من المسند وده ح وب فأنكر ذلك عمران وقال حفظا سكتة وقال حديث حسن انتهى وليس في حديث سمرة إلا سكتتان ولكن اختلف عنه في محل الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبي هريرة وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ بفاتحة الكتاب في سكتاته (٤) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ (٥) حديث قرأ في الفجر - قولوا آمنا بالله - الآية ، وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى مهمل - يقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - الآية التي في البقرة وفي الآخرة منهما - آمنا بالله واشهدوا بأننا مسلمون - ودم حديث أبي هريرة - قل آمنا بالله وما أنزل علينا - الآية وفي الركعة الآخرة - ربنا آمنا بما أنزلت - أو - إنا أرسلناك بالحق - (٦) حديث سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال أخطط الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح نحوه

النبي صلى الله عليه وسلم « أسكن أحد فأنما عليك نبي وصديق وشهيدان وقال بعضهم أسأل الأرض تخبرك عن شئ أسأرها وبخر بحارها وقتق أهواءها ورتق أحواها وأرسي جبالها إن لم تحبك إجابتك اعتبارا وإيما الذي يتوقف على الأذهان ويتحير في قوله السامعون وتتعجب منه العقول هو كيفية كلام الجمادات والحيوانات الصامتات في هذا وقع الانكار واضطرب النظر وكذب في تصحيح وجوده ذوالسمع من الاعتبار ولكن لتعلم أن تلقى الكلام للعقلاء من لم يعقل عنه في الشهود يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذي كاتلحق من أهل النطق إذا قصدوا إلى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلات الله عليهم في بعض الأوقات كحنين

الجدع فنبى صلى الله عليه وسلم وكان حجر يسلم عليه في طريقه قبل مبعة ومنها تلقى الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس ويعتري هذا سائر الحواس كمثل ما يسمع النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال المرتقى للنائم ليس له وجود في سمعه وأما ما يجده غير النائم في اليقظة فثمة خاصة وعامة ، فقد ورد أن الحجر في زمن عيسى ينادى المسلم يا مسلم خلقى يهودى فاقته وإن لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الحجريّة أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستر عن الأبصار في العادة من الملائكة والجن أو يكون كلام يخلقه الله عز وجل في أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما يقال في العرض الأكبر يوم

بطوال المنصل إلى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب بأواخر الفصل وآخر صلاة صلاحها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ماضى بعدها حتى قبض (١) . وبالجملة التخفيف أولى لاسيما إذا كثرت الجمع قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وإذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء » (٢) . وقد كان معاذ ابن جبل يصلى بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا نافع الرجل فقتلوا كيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله ﷺ . عاذا فقال أقتان أنت يا معاذ اقرأ سورة سبح السماء والطارق والشمس وضحاها (٣) . وأما وظائف الأركان الثلاثة : أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسيبحات على ثلاث فقد روى عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام (٤) ، نعم روى أيضا أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أمير المدينة قال ماضيت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشر أعشرا (٥) وروى مجمل أنهم قالوا : كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا (٦) وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثرت لجمع أحسن فإذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبى أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده . الثانية في المأموم ينبى أن لا يساوى الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ولا يهوى للركوع حتى يستوى الإمام راكعا وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساؤون وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الإمام . وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الاخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم مرعى في ترك التطويل عليهم . الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولايقول اغفر لي فقد كره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس أن يستعين في التشهد بالكلمات المحسنة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة الحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت قوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين (٨) وقيل سمى مسيحيا لأنه يمسح الأرض بطولها

(١) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهي آخر صلاة صلاحها متفق عليه من حديث أم الفضل .
(٢) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث صلى معاذ بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر السماء والطارق وهي عند البيهقي (٤) حديث أنس ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام متفق عليه (٥) حديث أنس أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ماضيت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث د ن بإسناد جيد وضعفه ابن القطان (٦) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا لم أجده أصلا إلا في الحديث الذي قبله وفيه نغفرنا في ركوعه عشر تسيبحات وفي سجوده عشر تسيبحات .
(٧) حديث كان الصحابة لا يهونون للسجود إلا إذا وصلت جهة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٨) حديث التعوذ في التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تقدم وزاد فيه الغزالي هنا وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين مأثورة مقيدا

وقيل لأنه مسح العين أى مطموسها . وأما وظائف التحلل الثلاثة : أولها أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة . الثانية أن يثبت عقيب السلام كذلك فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ومهر رضى الله عنهما فيصل النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن^(١) وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام^(٢) . الثالثة إذا وثب فينبى أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انتقال الإمام فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قال للإمام ما أحسن صلاتك وأعما للإشينا واحدا أنك لماسمت لم تنفصل بوجهك ثم قال للناس ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفصل إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا ولايقول اللهم اهدنى ويؤمن المأموم فإذا انتهى إلى قوله إنك تقضى ولا يقضى عليك فلا يلقى به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك وقد روى حديث في رفع اليدين في القنوت^(٣) فإذا صح الحديث استحذ ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها البدل التعويل على التوقيف وبينهما أيضا فرق وذلك أن لليدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما هنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت . فانه لائق بالدعاء والله أعلم فهذه جملة آداب القدوة والإمامة والله الموفق

الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها فضيلة الجمعة

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين . قال الله تعالى - إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعى إلى الجمعة ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومى هذا في مقامى هذا^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه^(٥) » وفي لفظ آخر « فقد نبذ الاسلام وراء ظهره^(٦) » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا جماعة ، فقال في النار فلم يزل يتردد إليه شهر يسأله عن ذلك وهو يقول في النار ، وفي الخبر : إن أهل الكتائب أعطوا يوم الجمعة فاختلوا فيه فصرخوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الأمة وجعله عيد لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتائب لهم تبع^(٧) بآخر الصلاة وللتزمذى من حديث ابن عباس وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون وك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عايش ومصحهما وسيأتى في الدعاء^(٨) حديث المسكت بعد السلام خ من حديث أم سلمة^(٩) حديث إنه لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث عائشة^(١٠) حديث رفع اليدين في القنوت البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كعاصي الغداة رفع يديه يدعو عليهم .

الباب الخامس

(٤) حديث إن الله فرض عليكم الجمعة في يومى هذا الحديث . من حديث جابر بإسناد ضعيف . (٥) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن وك ومصححه من حديث أبي الجعد الضمري^(٦) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس^(٧) حديث إن أهل الكتائب أعطوا يوم الجمعة فاختلوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه .

القيامة إذا نودى فيه باسم كل واحد على الخصوص وفي الخلائق مثل اسم المنادى به كثير وقد قالت العامة إنه لا يسمع النداء في ذلك الجمع إلا من نودى فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للمنادى في حاسة أذنه ليتحرك إلى الحساب وحده دون من يشاركه في اسمه ولا يكون نداء من خارج والأمثلة كثيرة في الشرع وفيما سمعت غنية ومقتنع . ومنها تلقى الكلام في العقل وهو المستفاد بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير على اللفظ المسمى بلسان الحال كما قال قيس : وأجهشت للتوداد حين رأته وكبر للرحمن حين رأيته فقلت له أين الدين عهدتهم حوالبك في عيش وخفض زمان فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن الذي يبقى على حدثان

وفي أمثال العوام قال
الحافظ للوند لم تشقى
فقال للوند للحافظ
سل من يدق
فلو كانت العبارة تتأني
منها ما عبرت إلا بما قد
استعير لها وعلى هذا
الغنى حمل كثير من
العلماء قوله تعالى
إخبارا عن السماء
والأرض حين - قالتا
أئتنا طائعين - وفي
قوله تعالى - إنا عرضنا
الأمانة على السموات
والأرض والجبال
فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها
الإنسان إنه كان ظلوما
جهولا - ومنها تلقى
الكلام من الجبال مثل
قوله صلى الله عليه وسلم
« كاتى أنظر إلى
يونس بن مقي عليه
السلام عليه عبا تان
قطوا نيتان يلي وتجييه
الجبال والله يقول
لييك يا يونس » فقوله
كاتى يدل على أنه
تخيل حالة سبقت لم
يكن لها في الحال وجور
ذاتى لأه نونس بن
مقي عليه السلام قدمات
وتلك الحالة منه سلفت

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتاني جبريل عليه السلام في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك . قلت فما لنا فيها قال لكم خبر ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخره له ما هو أعظم منه أو تعوذ من شره هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيدي . قلت ولم قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيع من المسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسية فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة » فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيدي كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة (٢) وفي الخبر « إن لله عز وجل في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار (٣) » وفي حديث أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا سلعت الجمعة سلعت الأيام (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فانه صلاة كله وإن جهنم لا تسع فيه (٥) » وقال كعب إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ، ويقال إن الطير والموام يلقي بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أوليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر (٦) »

بيان شروط الجمعة

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتميز عنها بستة شروط : الأول الوقت فان وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فانت الجمعة وعليه أن يجها ظهرا أربعا والسبوق إذا وقعت ركعتي الأخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف . الثاني المكان فلا تصح في الصحارى والبرارى وبين الحياض بل لابد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل يجمع أربعين عن نازمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه . الثالث العدد فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا مكافين أحرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انقضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة أوفى الصلاة لم تصح الجمعة بل لابد منهم من الأول إلى الآخر . الرابع الجماعة فلو صلى أربعون في قرية أوفى بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد

(١) حديث أنس أتاني جبريل في كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة الخديث الشافعي في المسند والطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف (٢) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة الحديث م من حديث أبي هريرة (٣) حديث إن لله في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار عد حب في الضعفاء وهب في الشعب من حديث أنس قال قط في العلل والحديث غير ثابت (٤) حديث أنس إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام حب في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية وهق في الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس (٥) حديث إن الجحيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس إلى أن قال إلا يوم الجمعة الحديث د من حديث أبي قتادة وأعله بالانقطاع (٦) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر أبو نعيم في الحلية من حديث جابر وهو وت نحوه مختصرا من حديث عبد الله بن عمر وقال غريب ليس إسناده بمتمصل . قلت وصله ت الحكيم في النوادر

بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهور وإذا سلم الإمام تممها ظهرا .
الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى في ذلك البلد فإن تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز
في جادين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم
أولا ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين فإن تساوى فالسجد الأقدم
فإن تساوى في الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى . السادس الخطبتان فهما فريضة والقيام
فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض التحميد وأقله الحمد لله والثانية
الصلاة على النبي ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا
فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأربعين .
وأما السنن : فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية
والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجه ويردون عليه
السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقائم السيف
أو العزلة والمنبر كي لا يعثب بهما أو يضع إحداها على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة
ولا يستعمل غريب اللغة ولا يعطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ
آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب
حسن ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على
ذكر بالغ عاقل حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد
البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى - إذا
نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة
لعذر المطر والوحل والفرع والمرض والتمريض إذا لم يكن للريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعنى
أصحاب الأعداء تأخير الظهور إلى أن يفرغ الناس من الجمعة فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر
أو عبد أو امرأة صحت جمعهم وأجزأت عن الظهور والله أعلم .

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر حمل

الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح
بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف إن الله
عز وجل فضل سوي أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة
ويفضل في هذا اليوم ثيابه ويديها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الأشغال التي
تمنعه من البكور إلى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى
يوم الخميس أو السبت لا مفردا فإنه مكروه ويشغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل
كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجمع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة فقد استحسب ذلك
قوم حملاوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل » (١) وهو حمل
الأهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروى بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تتم آداب الاستقبال
ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أو في الناس نصيبهم من الجمعة
من انتظروا رعاها من أمس وأخفهم نصيبا من إذا أصبح يقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت نية الجمعة

(١) رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل الحديث أصحاب السنن وحب وك وصححه من
حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر الحديث وحسنه ت

وفي هذا الحديث إخبار
عن الوجود الحيالي
في البصر والوجود
الحيالي في السمع
ومنها تلقى الكلام
بالشبه وهو أن يسمع
السامع كلاما أو صوتا
من شخص حاضر
فيلقى عليه شبه غيره
مما غاب عنه كقوله
عليه السلام في صوت
أبي موسى الأشعري
إذ سمعه يترنم بالقرآن
« لقد أعطي زممارا
من زممار آل داود
ومزممار آل داود قد
عدمت وذبحت »
وإنما شبه صوته بها
وكما إذا سمع الردي صوت
زممار أو عود فجاء على
غير قصد يتخيل صرير
أبواب الجنة وشبهها
بمما جفا صوته من ذلك
فهذه مراتب الوجود
فأنت إذا أحسنت
التصرف بين أساليبها
ولم يعثر غلط في
بعضها ببعض ولا
اشتبهت عليك وسمعت
عمن نظر بمشكاة نور
الله تعالى إلى كاغد
وقد رآه اسود وجهه
بالخبر فقال له ما بال

وجهك وقد كان أبيض
أشقر موقنا والآن
قد ظهر فيه السواد
فلم سودت وجهك
فقال سل الجبر فانه
كان مجموعا في المحبرة
التي هي مستقره ووطنه
فسافر عن الوطن
وزل بساحة وجهي
ظما وعدوانا فقال
صدقت . ثم أنت إذا
سمعت أمثال هذه
الراجعات أعمل الفكر
وجدد النظر وحل
الكلام إلى أجزائه التي
ينتظم منها جملة ما بقلك
فسأل عن معنى الناظر
ومعنى المشكاة ومعنى
نور الله سبحانه
وما سبب أنه لم يعرف
الناظر الصكابة
والمكتوب وبأى لسان
خاطب الكاغد وكيف
مخاطبة الكاغد وهو
ليس من أهل النطق
وفيما صدق الناظر
الكاغد ولم صدقه
بمجرد قوله دون دليل
ولا شاهد فيبدو لك
ههنا من الناظر هو
ناظر القلب فيما أورده
عليه الحس والمشكاة
استعارة من مشكاة

في الحامع لأجلها . الثاني إذا أصبح ابتداء بالفصل بعد طلوع الفجر وإن كان لا يبكر فأقر به إلى الرواح أحب ثم يكون أقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء إلى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» (١) والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما «من أتى الجمعة فليغتسل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل» (٣) وكان أهل المدينة إذا تسابوا المتسابان يقول أحدهما للآخر لآنت أشتر بمن لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب «أهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالغسل» (٤) وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال «من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل بالغسل أفضل» (٥) ومن اغتسل للجنباء فليغسل الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فإن اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا توى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له أجمعته فقال بل عن الجنابة فقال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه وكان لا يبعد أن يقال المقصود بالنظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء أيضا وقد جعل في الشرع قرينة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والأحجب أن يحتز عن ذلك . الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة وتطبيب الرائحة أما النظافة فيالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ماسبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء فإن كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأرباء فقد حصل المقصود فليطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليفrag بها الروائح الكريمة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين في جواره «وأحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفي ريحه» (٦) روى ذلك في الأثر وقال الشافعي رضي الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البياض لا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظرا ليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام» (٧) يوم الجمعة فإن أكره الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الامام المنبر وفي خطبته . الرابع

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبي سعيد (٢) حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حب (٣) حديث من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا حب وهو من حديث ابن عمر (٤) حديث قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة الحديث إلى أن قال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يسم البخاري وعثمان (٥) حديث من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت الحديث دت وحسنه ون من حديث سمرة (٦) حديث طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفي ريحه دت وحسنه ون من حديث أبي هريرة (٧) حديث واثلة بن الأسقع إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة ط وعذوقا من منكر من حديث أبي الدرداء ولم أره من حديث واثلة .

البكور إلى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر ويدخل وقت السكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصدا للبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه والمصارعة إلى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقاليم واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الله كرفن جاء بعد ذلك فأنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء (١) » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس والثانية إلى ارتفاعها والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولافضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والندوة إلى الجمعة (٢) » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه أفضلهن الندوة إلى الجمعة وفي الخبر « إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم (٣) » وجاء في الخبر « إن الملائكة يفتقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فقر فأغنه وإن كان أخره مرض فأشفه وإن كان أخره شغل ففرغه لعبادتك وإن كان أخره لمه فاقبل بقلبه إلى طاعتك (٤) » وكان يرى في القرن الأول سحرا أو بعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك فقليل أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنايس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والرجع فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ويقال إن الناس يكونون في قريهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة

(١) حديث من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وليس فيه ورفعت الأقاليم وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والندوة إلى الجمعة أبو الشيخ في ثواب الأهمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذنهن إلا بالاستهتام عليها حرصا على ما فيهن من الخير والبركة الحديث . قال والتهجير إلى الجمعة وفي الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه (٣) حديث إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي بأسناد ضعيف إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد أطراف وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألوانهم وراياتهم بباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأعلاما من ذهب (٤) حديث إن الملائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا ما فعل فلان حتى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص بأسناد حسن . واعلم أن المصنف ذكر هذا أثرًا فان لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطًا .

الرجاجة الله أمهرت بسراج النار إلى خبر المعرفة الملقب بسر القلب شبيها بها لأنها مسرجة الرب سبحانه وتعالى شعلها بنوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيران كواكب المعارف الذاهبة باذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه إضافته إلى الله تعالى على سبيل الإشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف والكاغد والخبز كناية عن أنفسهما لاعتن غيرهما وجعلها مبدءا طريقته وأول سلوكه إذ هما في عالم الملك والشهادة الذي محل جولة النظر في حال نظره وأما سبب أنه لم يعرف الكتابة والكتوب فلاجل أنه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعي وإنما يروم معرفة قراءة الخط الإنهى الذي هو أبين وأدلى على الفهم منه وأما مخاطبة الناظر الكاغد وهو

جماد فسبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغد له فعلى قدر حال الناظر إن كان مرادا فيلقى الكلام في الحس بما ينبئ عنه المطلوب من الحق وهو من باب الالتقاء في الروح فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الانسان صور الأشياء المحسوسة وإن كان مريدا فيتلقاها بلسان الحال السموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصديق الناظر للكاغد في عذره وإحاطته على الجبر لم يكن مجرد قوله بل بشهادة أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة لم تكن وشهادة النفس وهذا يسلك إلى القدرة وهو آخرها سئل عن أجزاء عالم الملك . وأما سمعته في حد عالم الجبروت فذلك من القدرة المحدثة إلى العقل والعلم الموجودين في الانسان المستقرة في القوة الوهمية للدركة جميع ما لا يستدعي وجوده حسا ولكن قد يعرض

نفر قد سبقوه بالكور فاغتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتبا لها رابع أربعة وما رابع أربعة من البكور بعيد . الخامس في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس^(١) وروى ابن جريج مرسل « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يحطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان مامنك أن تجمع اليوم معنا قال يابني الله قد جمعت معكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم ترك تتخطى رقاب الناس^(٢) . أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفي حديث مسند أنه قال مامنك أن تصلي معنا قال أولم ترى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم رأيتك تأتيت وآذيت^(٣) أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فإنه لحرمة لهم وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم لأنه تكليف جواب في غير محله . السادس أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يمر بين يديه أعني بين يدي المصلي فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدي المصلي^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي^(٥) » وقد روى في حديث آخر في المار والمصلي حيث صلى على الطريق أو قصر في الدفع فقال « لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيرا له من أن يمر بين يديه^(٦) » والأسطوانة والحائط والمصلي المفروش حد للمصلي فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم « ليدفعه فان أي فليدفعه فان أي فليقاتله فإنه شيطان^(٧) » وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصيرعه فرمى بآثاره به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فان لم يجد أسطوانة فليتنصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده . السابع أن يطلب الصف الأول فان فضله كثير كروينا وفي الحديث « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام^(٨) »

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم ت وضعه و . من حديث معاذ بن أنس (٢) حديث ابن جريج مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يحطب إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه مامنك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك في الرقائق (٣) حديث مامنك أن تصلي معنا فقال أولم ترى قال رأيتك آتيت وآذيت دن حبك من حديث عبد الله بن بسر مختصرا (٤) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدي المصلي البزار عن حديث زيد بن خالد وفي الصحيحين من حديث أبي جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر لأدري أربعين يوما أو شهرا أو سنة و . وحب من حديث أبي هريرة مائة عام (٥) حديث لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي أبو نعيم في تاريخ أصبهان وابن عبد البر في التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد متعمدا (٦) حديث لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى في المراج في مسنده من حديث زيد بن خالد بإسناد صحيح (٧) حديث أبي سعيد في دفعه فان أي فليقاتله فانما هو شيطان متفق عليه (٨) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع الحديث ك من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن .

وفي لفظ آخر «غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس» (١) ولا يغفل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور. أولها أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غيره مما يجب فيه الانكار فالتأخر له أسلم وأجمع لهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشرين الحرب تراك تبتكر وتصل في آخر الصفوف فقال إمامنا براد قرب القلوب لأقرب الأجساد وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر «ادن واستمع» (٢) فقال ويحك ذاك للخلفاء الرشددين المهديين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر «صليت إلى جنب أبي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قتلته أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم» (٣) فان الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فأما تأخر رجاء أن يغفري بواحد منهم ينظر الله إليه وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تأخر على هذه النية إشارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعندهذا يقال الأعمال بالنيات . ثانيها إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقطوعة عن المسجد للسلطين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر الزنى لا يصليان في المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والنوع فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة . وثالثها أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب. الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم يستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه ، وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنها قالتا: من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزير واحد وقال صلى الله عليه وسلم «من قال لصاحبه والامام بخطب أنصت أومه فقد لنا ومن لنا والامام بخطب فلا جمعة له» (٤) وهذا يدل على أن الاسكات ينبغي أن يكون بإشارة أومى وحصة لا بالنطق

(١) حديث أنه اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس د ح ب ك من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٢) حديث ادن فاستمع د من حديث سمرة أحضرنا الله كروادنا من الامام وتقدم بلفظ من هجر ودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٣) حديث أبي الدرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم وإن الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده (٤) حديث من قال لصاحبه والامام بخطب أنصت فقد لنا ومن لنا لاجمعة له ت ن عن أبي هريرة د وت قوله ومن لنا لاجمعة له قال ت حديث حسن صحيح وهو في الصحيحين بلفظ

له أنه في جسم كما تدرك السخلة عداوة الله تب وعطف أمها فتتبع العطف وتنم من العداوة وأما ما سمعته في حد عالم المكوت وذلك من العلم الإلهي إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه فسر القلب الذي يأخذ به عن اللاتكوة ويسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر يصوره فأما أي شيء حقائق هذه المذكورات وما كنه كل واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا يفتق بسامعه مع عدم المشاهدة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة لعلمك أنك لا تتجبر بتسميات ليس لها مسميات إلى أن يلحقك الله بأبواب المشاهدة وتحصل خالص الكرامات ومن كفر فان الله غنى حميد . [فصل] والفرق بين العلم المحسوس في عالم

الملك وبين العلم الإلهي
في عالم الملكوت أن
العلم كما اعتقدته مجسما
بطيء الحركة بالفعل
سريع الانتقال بالهلاك
خلفا عن مثله في
الظاهر مجمولا تحت
قهر سلطان الآدمي
الضعيف الجاهل في
أكثر أوقاته متصرف
بين أحوال متنافية
كالعلم والجهل والعدل
والظلم والشك والصدق
والافك فالعلم الإلهي
عبارة عن خلق الله في
عالم الملكوت مختص
بمخلاف خصائص
الجواهر الحسية الكائنة
في عالم الملك يرى من
أوصاف ماسي به القلم
المحسوس كليا مصرفا
بتميز الخالق بحكم إرادته
على ما سبق به علمه
في أزل الأزل وإجماسي
بهذا الاسم لأجل شبهه
بعمل ماسي به غير أنه
لا يكتب إلا حقائق
الحق والفرق بين يمين
الآدمي ويمين الله عز
وجل أن يمين الآدمي
كما علمت مركبة من
عصب استعصى بقاؤها
وعضل تعصل أدواؤها
وعظام يعظم بلاؤها

وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أبا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ إليه أن اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبي أن اذهب فلاجتمع لك فشكاه أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبي (١) وإن كان بعيدا من الإمام فلا ينبغي أن يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لأن كل ذلك يتسلسل ويفضي إلى هينة حتى ينتهي إلى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينبصت فهو المستحب وإذا كانت تسكره الصلاة في وقت خطبة الإمام فالسلام أولى بالكراهية وقال علي كرم الله وجهه تسكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب . التاسع أن يراعى في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فإذا سمع قراءة الإمام لم يقرأ سوى القاتحة فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعين وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزاه من الشيطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا معيد يا رحيم يا ودود أغني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات ، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين (٢) ، وروى أبو هريرة أنها (٣) وروى علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ستا (٤) والكل صحيح في أحوال مختلفة والأكل أفضل . العاشر أن يلزم المسجد حتى يصلي العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمره بأن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا ينبغي فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرا لله عز وجل مفكرا في آلائه شاكرا لله تعالى على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوه » (٥) .

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة أمور

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي أن يتخلل الريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو خير ولا ينبغي أن يحضر الحلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قلت لصاحبك ود من حديث علي من قال صه فقد لنا ومن لنا فلاجتمع له (١) حديث أبي ذر لما سأل أبا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث حق وقال في المعرفة إسناداه صحيح د ه من حديث أبي بن كعب بسند صحيح أن السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولأحمد من حديث أبي الدرداء أنه سأل أبا ولابن حبان من حديث جابر إن السائل عبد الله بن مسعود ولأبي يعنى من حديث جابر قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل لاجتمع لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يساعد فقال لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (٢) حديث ابن عمر في الركعتين بعد الجمعة متفق عليه (٣) حديث أبي هريرة في الأربع ركعات بعد الجمعة م إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات (٤) حديث علي وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة حق مرفوعا عن علي وله موقوفا على ابن مسعود أربع ركعات بعد الجمعة م إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا (٥) حديث يأتي على أمي زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم الحديث حق في الشعب من حديث الحسن مرسلا وأسنداه ك من حديث أنس وصحح إسناداه وحج نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة^(١) «إلا أن يكون عالماً بالله يذكر بأيام الله . يفقه في دين الله . يتكلم في الجامع بالفداء فيجلس إليه فيكون جامعاً بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر^(٢) «إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة^(٣)» قال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - أمانته ليس بطلب دنيا ولكن عبادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله عز وجل وقد سمي الله عز وجل العلم فضلاً في مواضع قال تعالى - وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً - وقال تعالى - ولقد آتينا داود منا فضلاً - يعنى العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع . بكر ابن عمر رضى الله عنهما إلى مجلسه في المسجد الجامع فاذا قاص يقص في موضعه فقال قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يقيم من أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا^(٤)» وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه وروى أن قاصاً كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضى الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر إن هذا قد آذاني بقصه وشغلني عن سبحتى فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده . الثاني أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة في الخبر المشهور «إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئاً إلا أعطاه^(٥)» وفي خبر آخر «لا يصادفها عبد يصلى^(٦)» واختلف فيها فقيل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضى الله عنها ترى ذلك الوقت وتأمّر خادماتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تقرب الشمس وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أيها صلى الله عليه وسلم وعليها^(٧) وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقيل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كنتقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم العاملة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم «إن لكم في أيام دهركم نفحات ألا فترضوا لها^(٨)» ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضاً لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الأحمري إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر

(١) حديث عبد الله بن عمر في النهي عن التحلق يوم الجمعة دن و . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في العلم (٣) حديث لا يقيم من أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه ت . من حديث عمرو بن عوف المزني (٥) حديث لا يصادفها عبد مصل متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث فاطمة في ساعة الجمعة قط في العلل هي في الشعب وعلته الاختلاف (٧) حديث إن لكم في أيام دهركم نفحات الحديث الحكيم في النوادر وطب في الأوسط من حديث محمد بن مسامة وابن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واختلف في إسناده .

الصلاة

ولهم ممتد وجلد غير جلد موصولة كمثلها في الضعف والانفعال ملقبة باليد وهي عاجزة على كل حال وبين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بجراحة ولا جسم وعند آخرين أنها عبارة عن خلق الله هي واسطة بين القلم الإلهي الناقل للعلوم الحديثة وغيرها وبين قدرته التي هي صفة له تصرف بها الميتين الكاتبة بالقلم المذكور بالخط الإلهي المثبوت على صفحات الخلوقات الذي ليس بعرق ولا عجمي يقرؤه الأميون إذا شرحت صدورهم وتستعجم على القارئ إذا كانوا عبيد شهوراتهم ولم يشارك بين الآدمي إلا في بعض الأسماء لأجل التشبيه اللطيف الذي بينهما بالفعل وتقريباً إلى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله تعالى من الذكر .

الصلاة فهو في الصلاة (١) قال بلى قال فذلك صلاة فسكت أبوهريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيها . الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتعقد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقة أداء وأعظم الوسيلة وابعثه للمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهل واجزه أفضل ماجازيت نبيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين (٢) » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة المأثورة فقال « اللهم اجعل فضائل صلاتك ونواحي بركاتك وشراف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وقائم البرّ ونبى الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا ترافقه قربه وتقربه عينه بغيظه به الأولون والآخرين اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشائخة المنيفة اللهم أعط محمدًا سؤاله وبلغه مأموه واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلغ حجته وارفع في أعلى المقربين درجته اللهم احشرنّا في زمرة واجعلنا من أهل شفاعته وأحيانا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه وأسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فائتين ولا مفتونين آمين يا رب العالمين (٣) » وعلى الجملة فكل ما أتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة في التشهد كان مصليا وينبى أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب في هذا اليوم . الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى عن ابن عباس وأبى هريرة رضي الله عنهما أن « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال (٤) » ويستحب أن يتختم القرآن في يوم الجمعة وليتها إن قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب أو بين الأذان والإقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرأوا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمه وكانوا يصلون

(١) حديث اختلاف كعب وأبى هريرة في ساعة الجمعة وقول أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الإحياء أن كعبا هو القائل إنها آخر ساعة وليس كذلك وإنما هريرة بن سلام وأما كعب فأنما قال إنها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه دت ن حبة من حديث أبى هريرة وه نحوه من حديث عبد الله بن سلام (٢) حديث من صلى في يوم الجمعة ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبى هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن (٣) حديث اللهم اجعل فضائل صلاتك الحديث ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود (٤) حديث ابن عباس وأبى هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجده من حديثهما

[فصل] وحد عالم الملك

ما ظهر للحواس ويكون بقدرة الله تعالى بعضه من بعض وصحة التعبير وحد عالم الملكوت ما أوجده سبحانه بالأمر الأزلى بلا تدريج وبقي على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه وحد عالم الجبروت هو ما بين العالمين مما يشبه أن يكون في الظاهر من عالم الملك فحين بالقدرة الأزلية بما هو من عالم الملكوت .

[فصل] ومعنى أن الله

خلق آدم على صورته فذلك على ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وللعلماء فيه وجهان فمنهم من يرى للحديث سببا وهو أن رجلا ضرب غلامه فراه النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه وقال إن الله تعالى خلق آدم على صورته وتألوا عود الضمير على المضروب وعلى أن لا يكون للحديث مدخل في هذا الموضع لم يرد موردا آخر في غير هذا الموضع

على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ السبعات الست في يوم الجمعة أو ليلتها غفر ليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سوراً بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين^(١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان^(٢). الخامس الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائة مرة في كل ركعة خمسين مرة^(٣) فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك^(٤) وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى صلاها^(٥). فقال الكوفيون إن سكت له الإمام صلاها ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع ركعات بأربع سور الأنعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة المائدة ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الحنطة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس صلها في كل جمعة^(٦) وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار. السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تتضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم في كلام الإمام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جانب أبي فأعطى رجل أبي قطعة ليناوله بإياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانه من غير تخط وقال كعب الأحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعيهما وسجوديهما وخشوعيهما ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ليسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه وقال بعض

(١) حديث القراءة في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي عشاها الجمعة والمنافقين حب وهن من حديث سمرة وفي ثقات حب المحفوظ عن سماك مراسلا قلت لا يصح مسندا ولا مراسلا (٢) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والمنافقين وفي صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى م من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٣) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة الحديث الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا (٤) حديث الأمر بالتخفيف في التحية إذا دخل والإمام يخطب م من حديث جابر وخ الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٥) حديث سكوتة صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية قط من حديث أنس وقال أسنده عبيد بن محمد وروى فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مراسلا (٦) حديث صلاة التسبيح وقوله لعنه العباس صلها في كل جمعة ده وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال علق وغيره ليس فيها حديث صحيح.

ويكون الإيمان به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث وإثباته في غير موطن ذلك السبب المنقول مما يعز و يعسر فليبق السبب على حاله وليتظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا الموطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في صورته عائداً إلى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي إلى الله سبحانه وهذا العبد المضروب على صورة آدم فإذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الإضافة وعلى أى جهة يحمل في الاعتقاد العلمى على الله سبحانه ففيها وجهان : أحدها أن إضافته إضافة ملاك إلى الله تعالى كما يضاف إليه العبد والبيت والنافقة واليمين على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون إضافة تخصيص

به تعالى فمن حملها
على إضافة الملك له
رأى أن المراد بصورته
هو العالم الأكبر بحملته
وآدم مخلوق على
مضاهاة صورة العالم
الأكبر لكنه مختصر
صغير فإن العالم إذا
فصلت أجزاؤه بالعالم
وفصلت أجزاء آدم
عليه السلام بمثله
وجدت أجزاء آدم عليه
السلام مشابهة للعالم
الأكبر وإذا شابهت
أجزاء جملة أجزاء
جملة فالجملتان بلا شك
متشابهتان فالذي نظر
في تحليل صورة العالم
الأكبر قسمه على
أجزاء من القسمة
وقسم آدم عليه
السلام كذلك فوجد
كل نحوين منهما
شبهين فمن ذلك أن
العالم ينقسم إلى
قسمين أحد القسمين
ظاهر محسوس كعالم
الملك والثاني باطن
معقول كعالم الملكوت
والإنسان كذلك
ينقسم إلى ظاهر
محسوس كالعظم واللحم
والدم وسائر أنواع

السلف من أطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غداوا ابتكر ولم يؤخذ أحدًا ثم قال حين يسلم الإمام بسم الله الرحمن الرحيم المحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمي وترحمي وتغفر لي من النار ثم دعا بماء إلى استجيب له. السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخر فيكيف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يتدى فيه السفر فقد روى «أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه» (١) وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرفقة نفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشر به أو يسبله حتى لا يكون مبتاعاً في المسجد فإن البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فإن الله سبحانه إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقتته استعمله في الأوقات الفاضلة بسى الأعمال ليكون ذلك أوجع في عتابه وأشد لثقلته لحرمته بركة الوقت وانتهى به حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسياق ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى ولى الله على كل عبد مصطفى.

الباب السادس : في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المرید إلى معرفتها

فأما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه

[مسئلة] الفعل القليل وإن كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه إلا الحاجة وذلك في دفع المار وقتل العقرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فإذا أصارت ثلاثاً فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته إلى الحلك الذي يشوش عليه الحشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه إن قتلها وقال ابن المسيب يأخذها ويخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الأحب إلى أن يدعها إلا أن تؤذيه فقتله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذى ثم يلقها وهذه رخصة والافالكال الاحتراز عن الفعل وإن قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الدياب وقال لأعد نفسي ذلك فيفسد على صلاتي وقد سمعت أن الفساق بين يدي الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهما تشاء فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأولى وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يتحرك لسانه وإن تحشأ فينبني أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا يبنني أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا للضرورة [مسئلة] الصلاة في النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلاً وليست الرخصة في الخلف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعت نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم إن جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أن بهما خبثاً فإذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثاً فليمسحه بالأرض وليصل فيهما» (٢) وقال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال لم خلعت نعالكم وهذه مبالغة فإنه صلى الله عليه وسلم سألهم ليبين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب «أن النبي ﷺ خلع نعليه» (٣) فأذن قد فعل كليهما فمن خلع فلا يبنني أن يضمهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضمهما بين يديه

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط في الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب في الرواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

الباب السادس

(٢) حديث صلى في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم الحديث أحمد واللفظ له ذلك وصححه من حديث

أبي سعيد (٣) حديث عبد الله بن السائب في خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه م .

ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب إليهما روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه» (١) وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما وضهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما (٢) فللامام أن يفعل ذلك إذا يقف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جابر بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة [مسئلة] إذا بزق في صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل ومالا يحصل به صوت لا بعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغي أن يحتز منه إلا كما أذن رسول الله ﷺ فيه إذ روى بعض الصحابة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال اتقوا بعير فطغى أثره جابر عفران ثم التفت إلينا وقال أياكم يجب أن يبرز في وجهه فقلنا لأحد قال فان أحدكم إذا دخل في الصلاة فان الله عز وجل بينه وبين القبلة» (٣) وفي لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبرز أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليصق في ثوبه وليقل به هكذا وذلك بعضه ببعض [مسئلة] لو قوف المقتدى سنة وفرض . أما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بحجب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معمارجل وقف الرجل عن يمين الامام وهي خاف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يجزأ إلى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض فانصال الصف وهو أن يكون بين المقتدى والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفي ذلك جامعاً لأنه بئله فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الامام ، صلى أبو هريرة رضى الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الامام وإذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق أو محراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وكفى بهما رابطة إذ يصل فعل أحدهما إلى الآخر وإنما يشترط إذا وقف في محن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لاطىء في المسجد فالشرط أن يمتد صف المسجد في دهبزها من غير انقطاع إلى الصحن ثم تسع صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعروة الواحدة فكلاهما [مسئلة] المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أول صلاته فليوافق الامام وليين عليه وليقنت في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الامام وإن أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله من الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وإن ركع الامام وهو في السورة فليقطعها وإن أدرك الامام في السجود أو التشهد كبر الاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوى لأن ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا في الركوع والامام بعد في حد الراكعين فان لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فانه تلك

(١) حديث أبي هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه د بسند صحيح وضعفه للنفري وليس بجيد (٢) حديث وضعه نعليه على يساره م من حديث عبد الله بن السائب (٣) حديث رأى في القبلة نخامة فغضب المقتدى م من حديث جابر وافقنا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر .

الجواهر المحسوسة وإلى باطن كالروح والعقل والعلم والارادة والقدرة وأشياء ذلك، وقسم آخر: وذلك أن العالم قد انقسم بالعوالم إلى عالم الملك وهو الظاهر للحواس وإلى عالم الملكوت وهو الباطن في العقول وإلى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منهما والانسان كذلك انقسم إلى مشابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك أجزاء المحسوسة . ود علمتها والمشابه لعالم الملكوت فثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشياء ذلك والمشابه لعالم الجبروت فكلاهما لا كالموجودات بالحواس والقوى الموجودة بأجزائه والوجه الثاني أن يكون معناه كفرا للسامع لا للخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تتحدثوا الناس بمالم نصله عقولهم تريدون

الركعة [مسئلة] من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أولاً ثم العصر فإن ابتداء بالعصر أجزأه ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف فإن وجد إماماً فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فإن الجماعة بالأداء أولى فإن صلى منفرداً في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحسب أيهما شاء فإن نوى فاتته أو نطقوا عاجز وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة أخرى فليكن الفاتية أو النافلة فإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لوجه له وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة [مسئلة] من صلى ثم رأى على نوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يترجمه ونورأى النجاسة في أثناء الصلاة رعى بالثوب وأتم والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فإنه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة [مسئلة] من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الأول أو فعل فعلاً سهواً وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يدر أصلي ثلاثاً أو أربعاً أخذ باليقين وسجد سجدة السهو قبل السلام فإن نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فإن سجد بعد السلام وبعد أن أحدث بطلت صلاته فإنه لم يدخل في السجود كأنه جعل سلامه نسياناً في غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد إلى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فإن تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات [مسئلة] الوسوسة في نية الصلاة سبها خبل في العقل أو جهل بالشرع لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أتصعب قائماً تعظيماً لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلاً بدخوله مقبلاً عليه بوجهي كان سفهاً في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعت داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظماً إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة واشترط كون الصلاة ظهراً أداء فرضاً في كونه امتثالاً كاشتراط كون القيام مقروناً بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل واتقاء باعث آخر سواء وقصد التعظيم به ليكون تعظيماً فإنه لو قام مدبراً عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظماً ثم هذه الصفات لابد وأن تكون معالومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها إما تلفظاً باللسان وإما تفكيراً بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقت فالوسوسة محض الجهل فإن هذه القصور وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الأحاد في الدهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وإن لم يكن مفصلاً فإن من علم الحادث مثلاً فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوماً هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فإن من علم الحادث فقد علم الوجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان وأن التقدم للعدم وأن التأخر للوجود فهذه العلوم منطقية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لوقيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدم والمتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذباً وكان قوله مناقضاً لقوله إلى أعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يشور الوسواس فإن الوسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهيرة والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل العالم لتعذر عليه فهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه في النية كامتثال أمر غيره ثم أزيد على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الوسوس النية إلا باحصر هذه الأمور مفصلة ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله

أنه تكذب الله ورسوله فمن حدث أحداً بما لم يصله عقله ربما سارع إلى التكذيب وهو الأكثر ومن كذب بقدره الله تعالى وبما أوجدها فقد كفر ولو لم قصد الكفر فإن أكثر اليهود والنصارى وسائر الكفار مقصدت الكفر ولا تظننه بأنفسها وهي كفار بلا ريب وهذا وجه واضح قريب ولا تلتفت إلى مآمال إليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلاماً أولى الحكمة والراسخين في العلم حين ظن أن قائل ذلك أراد الكفر الذي هو نقيض الإيمان والاسلام بتعلق محبته وتلحق قائله وهذا لا يخرج إلا على مذاهب أهل الأهواء الذين يكفرون بالمعاصي وأهل السنن لا يرضون بذلك وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله بالقول الذي دونه والعمل الذي يقصده المتعبد لوجهه

إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نسكه أن يقرن الجميع بأول التكبير وآخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأولين سؤال عنه ولو سوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل فكيفما تسرت النية للوسوس ينبغي أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة ، وقد ذكرنا في الفتاوى وجوهاً من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فرغمها سماعها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها [مسئلة] ينبغي أن لا يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منها ولا في سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يقبعه ويقفواؤه فهذا معنى الاقتداء فإن سواه عمداً لم تبطل صلاته كالموقوف بحجبه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه في بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيهاً بالموقوف في الموقف على الإمام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم وإما شرط ترك التقدم في الموقف تسميلاً للتبعية في الفعل وتحميلاً لصورة التبعية إذ الاتق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فيه فقال «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار» (١) وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الركوعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول [مسئلة] حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعاين» (٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه من رأى من رأى من يسوء صلاته فلم ينهه فهو شريك في وزرها وعن بلال بن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضرب إلا صاحبها فإذا أظهرت لم تضرب أضرت بالعامّة وجاء في الحديث «أن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرة» (٣) وعن عمر رضي الله عنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف ولذلك تراحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الليسرة فقال صلى الله عليه وسلم «من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر» (٤) ومهما وجد غلاماً في الصف ولم يجد لنفسه مكاناً فله أن يخرج به إلى خلف ويدخل فيه أعنى إذا لم يكن بالواحد ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تم بها البلوى وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث إن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرة لم أجد (٤) حديث قيل له قد تعطلت الليسرة فقال من عمر ميسرة المسجد الحديث من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

الذي يستزيد به إيماناً ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائده الزيد وينيله ما شرف من المنح وبريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان لا يخرج عنه إلا بنهذه وإطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه ولا يحصل بمقارنته وليس في إفشاء سرّ الولى ما يحصل به تناقض الإيمان اللهم إلا أن يريد بإفشاءه وقوع الكفر من السامع له فهذا عات متعذر وليس بولى ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لا محالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - ثم إنه من سب أحداً منهم على معنى ما يجد له من العداوة والبنضاء قيل له أخطأت وآمنت من غير تكفير وأنه أيعا فعل ذلك وسب رسول

الباب السابع في التواقل من الصلوات

اعلم أن ماعدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتبجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضلها ولم ينقل المواظبة عليه كاستنقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقاً فكانه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقاً والتطوع عبارة عن التبرع عن الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجملة زائد على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلامشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المعروفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها . واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب الكسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرار اليوم والليلة أو بتكرار الأسبوع أو بتكرار السنة فالجملة أربعة أقسام .

القسم الأول ما يتكرر بتكرار الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات

الحس وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتبجد

الأولى : راتبة الصبح وهي ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها (١) » ويدخل وقتها بطول الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله إلا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للربد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤها قبل الفرض فإن دخل المسجد وقدمت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة (٢) » ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلهما والصحيح أنهما آداء ما وقتاً قبل طلوع الشمس لأنهما تابعتان للفرض في وقته وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقينا آداء والمستحب أن يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب

الباب السابع

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبي هريرة .

الله صلى الله عليه وسلم
فهو كافر بالاجماع .

[سؤال] فان قيل

فما معنى قول سهل رحمه

الله تعالى ونسب إليه :

للإلهية سر لو انكشف

لبطلت النبوات

وللنبوات سر لو

انكشف لبطل العلم

وللعلم سر لو انكشف

بطلت الأحكام وجاء

في الإحياء على أثر هذا

القول وقائل هذا القول

إن لم يرد به إبطال

النبوة في حق الضعفاء

فما قالوا ليس بحق فان

الصحيح لا يقتض

والكامل من لا يطبق

نور معرفته نور ورعه

وهذا وإن لم يكن من

الأستلة المرسومة فهو

متعلق منها بما فرغ

من الكلام فيها آنفاً

ونظر إليه إذما أدى

إفشاءه إلى إبطال النبوة

والأحكام والعلم كفر .

فالجواب : أن الذي

قاله رحمه الله وإن كان

مستعجماً في الظاهر

فهو قريب المسلك ناد

للتأمل الذي يعرف

مصادر أغراضهم

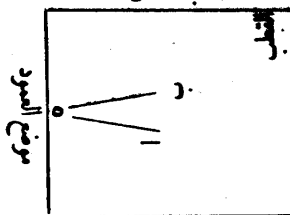
ومسالك أقوالهم الإلهية

فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة . الثانية : راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضا سنة مؤكدة وأربع قبلها وهي أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل (١) . وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعاً بعد الزوال يطيلهن ويقول إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل (٢) » رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرد به ودل عليه أيضا ما روت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت في الجنة وركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب (٣) » وقال ابن عمر رضي الله عنهما: حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات (٤) فذكر ما ذكرته أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فإنه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثني أخى حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصب مائلة إلى جهة الشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلأزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعاً أن الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكليف لا يرتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القلب الشمال بالليل ويضع على الأرض لوحاً مربعاً مستويًا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط مائلاً إلى أحد الضلعين ثم تنصب عموداً على اللوح نصباً مستوياً في موضع علامة هـ وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خط هـ ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازياً للضلع الشرقي والغربي غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فإذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقاً في وقت (١) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن الحديث ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي أيوب كان لا يدع أربعاً بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود وه مختصراً وت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٣) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة الحديث نك وصحح اسناده على شرط م ورواه م مختصراً ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٤) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات الحديث متفق عليه واللفظ لم ولم يقل في كل يوم .

ومن وصل إليه اليقين الذي لولاه لم يكن نبيا لا يخلو أن يصكون انكشافه من الله بما يطلع على القلوب من أنوار الشمس التي هي غائبة عنها بأن كانت القلوب ضعيفة طراً عليها من الدهش والاضلال والحيرة والتهيب ما يهبط العتول ويفقد الحس ويقطع عن الدنيا وما فيها وذلك لضعفه ومن انتهى إلى هذه الحالة فتبطل النبوة في حقه أن يعرفها أو يعقل ما جاء من قبلها إذ قد شغله عنها ما هو أعظم لديه منها وربما كان سبب موته لعجزه عن حمل ما يطرأ عليه كما حكى أن شاباً من سالكى طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد ولم يره من قبل فلما رآه انكشف له ذلك وكان في مقام الضعفاء من المريدين فلم يطبق حملاه فاته وإما أن يكون انكشافه من عالم به على وجه الخبر عنه فتبطل النبوة في حق

هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت المصرفة هذا القدر لا بأس بمعرفة في علم الزوال وهذه صورته .

جانف الشرق



جانف المغرب

الثالثة : راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر. روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعاً »^(١) « ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استجابة مؤكداً فإن دعوته تستجاب لمحاللة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر . الرابعة : راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبي بن كعب وعبدادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان المؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين^(٢) وقال بعضهم كنا نصل الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أننا صلينا^(٣) فيسأل أصليتم المغرب ، وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة لمن شاء »^(٤) وكان أحمد بن حنبل يصلهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما فتركهما وقال لمن صلاهما الرجل في بيته أوحى لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار في الأراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فإن كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم »^(٥) والأحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقت أداء ولكنه مكروه وأخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعقر رقبة وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعقرت رقتين . الخامسة : راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام^(٦) واختار بعض

(١) حديث أبي هريرة رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر دلت ح من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث عبادة أو غيره في ابتداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري إذا أذن لصلاة المغرب متفق عليه من حديث أنس لامن حديث عبادة وروى عبد الله بن أحمد في زيادات السند أن أبي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٣) حديث كنانة صلى الركعتين قبل المغرب حق يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا من حديث أنس (٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل (٥) حديث إذا أقبل الليل من ههنا الحديث متفق عليه من حديث عمر (٦) حديث عائشة كان يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام د

العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعبه المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (١) ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلامعنى التقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل » (٢) فإذا اختار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيها ذكرناه أن بعضها أكد من بعض وترك الأكيد أبعد لاسيما والفرائض تسكل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر السادسة : الوتر قال أنس ابن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد (٣) وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا (٤) وفي بعض الأخبار « إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه وصلى فوفقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر (٥) » وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصلا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة (٦) وثلاث (٧) وخمس (٨) وهكذا بالأوتار (٩) إلى إحدى عشرة ركعة (١٠) والرواية مترددة في ثلاث عشرة (١١) وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (١٢) وكانت هذه الركعات أعنى ما سمينا جملتها وترا صلاة بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الأوراد وفي الأفضل خلاف فقيل إن الإتيار بركعة فردة أفضل إذ صرح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الإتيار بركعة فردة توقيلا للموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصرح أن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون موزنا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو توتر قبل العشاء لم يصح (١)

(١) حديث الوتر ثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهما (٢) حديث الصلاة خير موضع أحمد وابن حبان وصححه من حديث أبي ذر (٣) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع الحديث ابن عدي في هجعة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٤) حديث كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا من حديث عائشة (٥) حديث إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه ثم صلى ركعتين الحديث حق من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف إليه ولا ذكر لها كم التكاثر (٦) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٧) حديث الوتر ثلاث تقدم (٨) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء إلا في آخرها (٩) حديث الوتر بسبع م دن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصل السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو في الذي قبله (١٠) حديث الوتر بإحدى عشرة أبوداود بإسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة الحديث (١١) حديث الوتر ثلاث عشرة تقدم في الذي قبله وللترمذي والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة زاد في رواية بركعتي الفجر (١٢) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس مرسل كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل

له واقعة لم يحتج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها بل ينتظر ما عود من كشف الحقائق بأخبار ملك أو ضرب مثل يفهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو إلقاء في روع فيعود ٧ معتزاته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه في عجائبها ولا لاحظا للملكوت ببصر قلبه ولا جاوز التخوم إلى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم أن الجنة أعلى النعيم وأن النار أقصى العذاب الأليم وأن النظر إليه منتهى الكرامات وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدرجات وأن منحه المعارف والعلوم أسنى الهبات ويرى أن العالم بأسره أخرجه من العدم الذي هو نفي محض إلى الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله الميقات فمن حق رميت ومتحرك وساكن وعالم

وجاهل وشقي وسعيد
وقرب وبعيد وصغير
وكبير وجليل وحقير
وغنى وفقير وأمور
وأمر ومؤمن وكافر
وجاحد وشاكرو ذكرو
وأثى وأرض وساء
ودنيا وأخرى وغصير
ذلك مما لا يحصى
والكل قائم به موجود
بقدرته وباق بعلمه
ومنته إلى أجله
ومصرف بمشيئته
وذلك على بالغ حكمته فما
أكل جهل من لا يحجته
به إلا إقدامه ولا من
يصرفه إلا استبداده
ولا ملكه إلا ملكه
فيعود المحدث قديما
والربوب ربا والمالوك
مالكا فيعود الخلق من
خلق الله كهم، تعالى الله
عن جهل الجاهلين
وتخييل المعنويين
وزيغ الزائغين .
[فصل] وأما حكم هذه
العلوم المكتوبة في
الطلب وسلوك هذه
المقامات، ورفق هذه
الدرجات واستفهام
هذه المخاطبات أي من
قبيل الواجبات
والندوبات أو المباحات

أى لا ينال فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم (١) كما ورد به الخبر وإلا فركعة فردة صحيحة
فى أى وقت كان وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به
وترا فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة فى نيته فى الركعتين نظر فإنه إن نوى بهما التهجيد أو سنة
العشاء لم يكن هو من الوتر وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا وإنما الوتر ما بعده ولكن الأظهر
أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنىان أحدهما أن يكون فى نفسه وترا
والآخر أن ينشأ ليكمل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث إلا أن
وتريته موقوفة على الركعة الثالثة وإذا كان هو على عزم أن يوترها بثالثة كان له أن ينوى بهما الوتر
والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرها وليستا وترا بأنفسهما ولكنهما
موترتان بغيرهما والوتر ينبئ أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجيد وسياق فضائل الوتر والتهجيد
وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد . السابعة : صلاة الضحى فالعاطبة عليها من عزائم
الأفعال وفواضله ، أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثمان ركعات روت أم هانئ أخت على بن
أبي طالب رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وحسنهن (٢) ولم
ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضى الله عنها فأنها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى
الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله سبحانه (٣) فلم تحدد الزيادة أى أنه كان يواطىء على الأربعة
ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى فى حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى
الضحى ست ركعات (٤) وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى
الضحى ستاً فى وقتين إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثانى من
أوراد النهار كما سيأتى وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع السماء من جانب الشرق صلى
أربعاً (٥) فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى إذا مضى من النهار
ربعه بازاء صلاة العصر فإن وقته أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى
على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب
وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة .
الثامنة : إحياء ما بين العشاءين وهى سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين العشاءين ست ركعات (٦) ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنها المراد بقوله عز وجل
(١) حديث الوتر خير من حمر النعم د ت ه من حديث خارجة بن حذافة إن الله أممكم بصلاة هى خير
لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره (٢) حديث أم هانئ صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وأحسنهن
متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهى منكورة (٣) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعاً
ويزيد ما شاء الله م (٤) حديث كان يصلى الضحى ست ركعات ك فى فضل صلاة الضحى من حديث
جابر ورجاله ثقات (٥) حديث كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس
وكانت فى ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعاً ت ن ه من حديث على كان نبي الله صلى الله
عليه وسلم إذا زالت الشمس من مطلقها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مفرها صلى
ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٦) حديث صلى
بين العشاءين ست ركعات ابن منده فى الضحى به وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن
ياسر بسند ضعيف وت وضعفه سن حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم
بها ينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنى عشرة سنة

- تتحافى جنوبهم عن المضاجع - وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوابين» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتسكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويفرس له بينهما غراسا لوطافه أهل الأرض لوسعهم» (٢) وسيأتى بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني ما يتكرر بتكرار الأسابيع

وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة ب فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات وأعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاء الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر» (٣) وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتزىل السجدة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله أن يقضى حاجته» (٤) . يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي ﷺ عشر مرات غفر الله تعالى له ذنوبه كلها» (٥) وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة ابن فلان بن فلان ليقيم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل فأقول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتزوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدبة يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلأأ» (٦) . يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم «من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند اتصاف النهار» (٧) وفي حديث آخر «عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب

فاعلم أن المستول عنه على ضربين أحدهما هو في حكم المبادئ والثاني في حكم النهايات فأما الذي هو في حكم المبادئ فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل المجهود وإفراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العبادة وذلك ما تضمنه أصول علم المعاملة مثل إخلاص التوحيد والصدق في العمل وعدم الإجحاف بالخوف والرجاء والزين بالصبر والشكر لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الأمر والنهي واجبة قال الله تعالى - فاتقوا الله ما استطعتم - وقد سبق التنبيه عليه. وأما الذي هو في حكم النهايات مثل انقلاب الهيئات والنظر بالتوفيق بحكم الموافقة والرضا بالانبات والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معاني التوحيد وسبر معاني التقرير وأوصاف أهل آيات اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومقامات ومنازل

يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تعلم ولو كان ذلك لما قيل للناظر السالك حين أراد الارتقاء إلى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال أرجع لا تخط رقاب الصديقين لكنها مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته وهي مراتب الصدق في العلم وبركات الاخلاص في العمل فمن لم يرث من علمه وعمله المفترض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه المعاني فليس في شيء من الحقيقة وإن كان حقا غير أن حاله معاول إمامفتون بدنياء أو محبوب بهواه وربك على كل شيء قدير .

[فصل] وأما لآي شيء ذكرت هذه العاوم بالاشارات دون الصارات والرموز دون قدهر يحات وبالتشابه من الألفاظ دون المحكمات وإن كان قد سبق هذا من

وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما فان مات إلى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة . يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء ثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفرك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقة وظلمته ورفع عنك شدايد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي » (١) . يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجبا وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعد ذلك من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة » (٢) . يوم الجمعة : روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله مامن عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصرى سبعة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا إلا كتب الله له مائتي حسنة ومعاينه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربع مائة درجة ومن صلى ثمانى ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومعاينه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة » (٣) . وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من دخل الجامع يوم الجمعة فصرى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » (٤) . يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمره ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء » (٥) . وأما الليالي . ليلة الأحد : روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ إلى الله ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح ولا عند ارتفاعه (١) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل يوم الأربعاء ثنتي عشرة ركعة الحديث أبو موسى المديني وقال رواه ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين (٢) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين بالحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا (٣) حديث علي بن عيسى عن مامن عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس الحديث لم أجده أصلا وهو باطل (٤) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصرى أربع ركعات الحديث المداقطنى في غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرفه وجهها غير هذا (٥) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى المديني في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا .

الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبشئ الله هز وجل يوم القيامة مع الأمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين^(١). ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل^(٢)» وهي تسمى صلاة الحاجة . ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . روى عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ولما أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبة من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله إلى الجنة^(٣)» . ليلة الأربعاء : روت فاطمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال «من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة^(٤)» وفي حديث آخر «ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ماشاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الأوليين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار» روت فاطمة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدا عنا ما هو أهله غفرله ذنوب سبعين سنة وكسبه براءة من النار^(٥)» . ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم «من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه

(١) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا . حديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة الحديث ذكره أبو موسى المديني بغير إسناد وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا (٢) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى المديني هكذا عن الأعمش بغير إسناد وأسنده من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر (٣) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبو موسى بغير إسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسنده من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكرة (٤) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين الحديث لم أجده فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المديني وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أي ليلة الأربعاء الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا . قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الأحد اثنتي عشرة ركعة الخ لم يكن بالأحياء ولعله بنسخته وكذا لم يخرجها تأمل

الشارع فيها له أن يتمتع به من كلف ويتألم من يعيد ولكن للعلم رجال مخصوصون فما بال من لم يجعل شارعا ولم يبعث لغير أن يسلك ذلك . والجواب عنه أن العالم هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم وإما وارث العلم لينتجمل بعمله ويحل فيه كحل النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وحكم الوارث فيما ورث حكم الموروث فبأورث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه امتثله وما لم يصل إليه فيه شيء كان له اجتباؤه فان أخطأ كان له أجر وإن أصاب كان له أجران ثم إن الوارث رأى النبي صلى الله عليه عليه وسلم يصيرح بعالم للمعاملات وأشار بما وراءها بما لا يفهم إلا أرباب التخصص كما قال الله عز وجل وما يعقلها إلا العالمون

فلم يكن للوارث عهد
عن حكم الوروث كما
حكى عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال
إني رويت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وعامر بن أحداهما هو
الذي بثنته فيكم، وأما
الثاني فلو بثنته لحزمت
السكين على هذا البلعوم
وأشار إلى حلقه وبعد
كل شيء في القدوة
بصاحب الشرع صلوات
الله عليه وسلامه النجاة
وفي اتباعه الفوز بحب
الله ويالله مع الجماعة
وفوق كل ذي علم عليم
وقد أفدناك من طرائف
ما عندنا وأهدينا إليك
من غرائب ما لدينا
وإلى الله يرد العلم عما
دق وجل وكثر وقل
وعظم وصغر وظهر
واستر وإعما ينطق
الإنسان بما أنطقه الله
تعالى وهو مستعمل
بما استعمله فيه إذ
كل ميسر لما خلق له
فاستنزل ما عند ربك
وخالفك من خير
واستجلب ما تم له منه
من هداية وبر براءة
السبع الثاني والقرآن

وإن كان عاقبهما وأعطاء الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء (١). ليلة الجمعة: قال جابر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم «من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة
الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها
وقيام ليلاها (٢)» وقال أنس قال النبي ﷺ «من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى
ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة
ثم أوتر ثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر (٣)» وقال صلى الله
عليه وسلم «أكثرُوا من الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الأزهري ليلة الجمعة ويوم الجمعة (٤)». ليلة السبت:
قال أنس قال رسول الله ﷺ «من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بى له قصر
في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يغفر له (٥)» .
القسم الثالث ما يتكرر بتكرار السنين

وهي أربعة: صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان . الأولى صلاة العيدين : وهي سنة مؤكدة
وشعار من شعائر الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور الأول : التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر
الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد وفي العيد
الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكل الأقاويل
ويكبر عقب الصلوات المفروضة وعقب النوافل وهو عقب الفرائض أكد . الثاني إذا أصبح يوم العيد
يغتسل ويترين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير
والعجايز التزين عند الخروج . الثالث أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر (٦) هكذا فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ﷺ «يأمر بأخراج العواتق وذوات الخدور (٧)» . الرابع المستحب
الخروج إلى الصحراء لإبكة وبيت المقدس فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم
الصحو أن يأمر الإمام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين . الخامس يراعى
الوقت فوق صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ووقت الدبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر
خطبتين وركعتين إلى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحية لأجل الدبح وتأخير صلاة الفطر

(١) حديث أبي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث أبو موسى المديني
وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (٢) حديث جابر من صلى
ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث باطل لأصله (٣) حديث أنس من صلى ليلة
الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات الحديث باطل لأصله
وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرآن
لبيت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت خمسة عشر
مرة وقال إبراهيم بن المظفر خمسين مرة آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه
أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكورة
وليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء والله أعلم (٤) حديث أكثروا على من الصلاة في الليلة الغراء
واليوم الأزهري طيب في الأوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد النعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن
حبان (٥) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم
أجد له أصلا (٦) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة
(٧) حديث كان يأمر بأخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية .

لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١). السادس: في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق وإذا بلغ الإمام المصلي لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادي مناد: الصلاة جامعة ويصلي الإمام بهم ركعتين يكبر في الأولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة ق في الأولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيري القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العبد قضاها: السابع أن يضحي بكبش «ضحي رسول الله ﷺ بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عني وعمن لم يضح من أمي» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً» (٣) قال أبو أيوب الأنصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطعمون (٤) وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق، وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب أن يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الأضحي ست ركعات (٥) وقال هو من السنة الثانية التراويح: وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثاً للجماعة ثم لم يخرج وقال «أخاف أن توجب عليكم» (٦) وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي فقبل إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فألحقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معاً ثم لم يصاوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم «فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت» (٧)

(١) حديث تعجيل صلاة الأضحي وتأخير صلاة الفطر الشافعي من رواية أبي الحويرث مرسلان أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن يجعل الأضحي وأخر الفطر (٢) حديث ضحي بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عني وعمن لم يضح من أمي متفق عليه دون قوله عني الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبي داود وت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٣) حديث من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٤) حديث أبي أيوب كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهله فيأكلون ويطعمون ت قال ت حسن صحيح (٥) قال سفيان الثوري من السنة أن يصلي بعد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد الأضحي ست ركعات لم أجده أصلاً في كونه سنة وفي الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا في قول الترمذي من السنة كذا وأما قول أبي التابع كذلك كالثوري فهو مقطوع (٦) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثاً ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم (٧) حديث فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلان ورواه ابن أبي شيبه في المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفاً

وروي

الغضيم التي أصرت بقراءتها في كل صلاة وهكذا عليك أن تعيدها في كل ركعة وأخبرك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها وفي هذا تنبيه بل نصريح بأن يكتر منها بما ضمنت من الفوائد وخصت به من الذخائر والعوائد بما لو سطر لكان فيه أوقار الجبال فافهم وانتبه واعقل ما خلقت له واعرف ما عد لك والله تعالى سبحانه حسيب من أراده وهادى من جاهد في سبيله وكاف من توكل عليه وهو الغنى الكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى المبادعة بين حيالات قلوب البشر أن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء ومراتب الفتن فيبيده بمجاري المقدورات وهو إله من ظهر وغر وإليه يرجع

وروى الله عليه قال « صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما إلا الله عز وجل » (١) وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه ، والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه فإن بعض التوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر ، وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة وكأن قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرأى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ، ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان . أما صلاة رجب : فقد روى بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرّات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فأنها تقضى » (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبعائة من أهل بيته من قد استوجب النار » فهذه صلاة مستحبة وإنما وردناها في هذا القسم لأنها تتكرر بتكرار السنين وإن كانت رتبته لا تبلغ رتبة التراويح و صلاة العيد لأن هذه الصلاة نقلها الأحاد ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمعون بتكرارها فأحببت إيرادها . وأما صلاة شعبان : فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصاون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجمعون فيها وفي سنن د بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة (١) حديث صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يعلمهما إلا الله ، أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل . يسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزاعي قال دخلت على يحيى فأسند لي حديثا فذكره إلا أنه قال في الأولى ألف وفي الثانية مائة (٢) حديث مامن أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب أورده رزين في كتابه وهو حديث موضوع

من أمره كغفر مجازي
الخلائق بعم أوسقر
والصلاة على سيدنا
محمد سيد البشر
وكافي الضرر وعلى
آله السادات الغرر
وسلم تسليما والحمد لله
رب العالمين .
تم كتاب الإملاء
في مشكلات الإحياء .
[كتاب عوارف
المعارف]
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله العظيم شأنه
القوى سلطانه الظاهر
إحسانه الباهر حجه
وبرهانه المحتجب
بالجلال والمنفرد
بالكمال والستردى
بالعظمة في الآباد
والآزال لا يصوره وهم
وخيال ولا يحصره حد
ومثال ذي العز الدائم
السرمدى والملك القائم
الديموى والقدره
المتع إدراك كنهها
والسطوة المستوعر
طريق استيفاء وصفها
نطقت الكائنات بأنه
الصانع المبدع ولاح من
صفحات بذرات الوجود
بأنه الخالق الختصر
وسم عقل الانسان

وربما صلوا جماعة روى عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة (١)

القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقف وهي تسعة : صلاة الحسوف والكسوف والاستسقاء ونحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن . الأولى صلاة الحسوف قال رسول الله ﷺ « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة (٢) » قال ذلك لممات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته . والنظر في كيفيةها ووقتها : أما الكيفية فإذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودى الصلاة جامعة وصلى الإمام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أو اثلهما أطول من أواخرها ولا يجهر فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزاء ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعق والتوبة وكذلك يفعل بحسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية . فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة ، وتفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يبطل سلطان الليل ولا تقوت بغروب القمر خاسفاً لأن الليل كله سلطان القمر فان انجلى في أثناء الصلاة آتتها مخففة ومن أدرك الركوع الثاني مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول . الثانية صلاة الاستسقاء : فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انتهارت قناة فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولاً بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم في اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان منتظمين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا (٣) » ولو خرج أهل الذمة أيضاً متميزين لم يمنعوا فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودى الصلاة جامعة فصلى بهم الإمام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلاً بتحويل الحال (٤) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل وه من حديث علي إذا كانت ليلة النصف من شعبان فتوموا ليلها وصوموا نهارها وإسناده ضعيف (٢) حديث إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الحديث أخرجه من حديث المغيرة بن شعبه (٣) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث حق وضعفه من حديث أبي هريرة (٤) حديث استدبار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء في الاستسقاء أخرجه من حديث عبد الله بن زيد المازني

بالعجز والنقصان والزم فسيحات الألسن وصف الحصر في حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تعززا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طامع البصيرة تعظيما وإجلالا ولم يجد من فرط الهيبة في قضاء الجبروت مجالا فعاد البصر كايلا والعقل غليلا ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه وتعذر على العقول تجديده وتكليفه ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضائرهم من مواهب الأنس مملوءة ومرأى قلوبهم بنور القدس مجلوة فتهيأت لقبول الإمداد القدسية واستعنت لورود الأنوار العلوية واتخذت من الأنفاس العطرية بالأذكار

جلالاً وأقامت على
الظلم والباطل من
التقوى حراساً وأشعلت
في ظلم البشرية من
اليقين نبراساً
واستحققت فوائد
الدينا ولداتها وأنكرت
مصابيد الهوى وتبعاتها
وامتطت غوارب
الغضب والرهوت
واستفرشت بعلوهمتها
بساط اللصوت
وامتدت إلى العالي
أعناقها وطمحت إلى
اللامع العلوي أحداقها
واتخذت من اللامع
الأعلى مسامراً ومحاوراً
ومن النور الأعز
الأقصى مناوراً ومحاوراً
أجساد أرضية بقلوب
سماوية وأشباح قرشية
بأرواح عرشية
نفوسهم في منازل
الخدمة سيارة وأرواحهم
في فضاء القرب طيارة
مذاهبهم في العبودية
مشهورة وأعلامهم
في أقطار الأرض
منشورة يقول الجاهل
بهم فتدوا وما فقدوا
ولكن سميت أحوالهم
فلم يدركوا وعلا
مقامهم فلم يملكوا

فيجعل أعلاه أسفله وما على اليقين على الشمال وما على الشمال على اليقين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أردبتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعها الثياب ويقول في الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا اللهم فامن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقايانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أديار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة وردة للظلم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات . الثالثة صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ماروي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى على جنازة حُفِظَتْ من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » (١) حتى قال عوف تمت أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبير الثانية فينبغي أن يراعى ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبير الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق فإنه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملاً والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنائز وتشجيعها مشهورة فلا نطيل بإيرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وإنما تصير نقلاً في حق من لم تعين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم تعين لأنهم بحملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كسفل لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركاً بكثرة المهمة والأدعية واشتاله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال غرقت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال تقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجه فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن رجل مسلم بموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله عز وجل » فيه (٢) وإذا شيع الجنائز فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فإذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك ردّ إليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم إن كان محسناً فاعف عنه وإن كان سيئاً فتجاوز عنه . الرابعة تحية المسجد : ركعتان فصاعداً سنة مؤكدة حتى أنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الأصغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل إذ المقصود أن لا يتخلوا ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياماً بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فإن دخل لعبور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله أنه لا تكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى (١) حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنائز اللهم اغفر لي وله وارحمي وارحمه وعافني وعافه الحديث مسلم دون الدعاء للمصلى (٢) حديث ابن عباس مامن رجل مسلم بموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م .

كانت بين بالجنان
 باثنين بقلوبهم عن
 أوطان الحدنان
 لأرواحهم حول العرش
 تطواف ولقلوبهم من
 خزائن البر إسعاف
 يتمتعون بالخدمة في
 الدايجر و يتلذذون من
 وهيج الطلب بظماً
 الهواجر تسأوا
 بالصاوات عن الشهوات
 وتعوضوا بحلاوة
 التلاوة عن اللذات
 يلوح من صفحات
 وجوههم بشر
 الوجدان ويتم على
 مكنون سرأثرهم
 نضارة العرفان لايزال
 في كل عصر منهم علماء
 بالحق داعون للخلق
 منحوا بحسن المتابعة
 رتبة الدعوة وجماعوا
 للتحقيق قدوة فلا يزال
 تظهر في الخلق آثارهم
 وترهب في الآفاق أنوارهم
 من اقتدى بهم
 اهتدى ومن أنكرهم
 ضل واعتدى فلهذا الحد
 على ملأها للعباد من
 بركة خواص حضرته
 من أهل الوداد والصلاح
 على نبيه ورسوله
 محمد وآله وأصحابه

«أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا؟ قال: هار كعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشفغني عنهما الوغد^(١)» فأقاد هذا الحديث فأتى إحداهما أن الكراهية مقصورة على صلاة لاسبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل إذ اختلفت العلماء في أن النوافل هل تقضى وإذا فعل مثل ما فاتته هل يكون قضاء وإذا اتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبأحرى أن تنتفى بدخول المسجد وهو سبب قوى ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسبابا . الفائدة الثانية : قضاء النوافل إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضی الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشر ركعة^(٢) وقد قال العلماء من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان المؤذن سكت ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهة ، نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم قال «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»^(٣) فيقصده به أن لا يفتري في دوام عمله وروت عائشة رضی الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها لماله مقتته الله عز وجل»^(٤) فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقتته الله تعالى بتركها لماله فلولا الوقت والابعد ناسلطت الملالة عليه . الخامسة ركعتان بعد الوضوء : مستحبتان لأن الوضوء قرينة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء . ويضيع السعي فالبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم «دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني إلى الجنة؟ فقال بلال لا أعرف شيئا إلا أتى لأحدث وضوءا إلا أصلى عقبيه ركعتين»^(٥) . السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه : روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين بمنعناك من الخروج وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين بمنعناك من دخول السوء»^(٦) وفي معنى هذا كل أمر يبدأ به ما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام^(٧) وركعتان

(١) حديث صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هار كعتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة كان يصلى ركعتين قبل العصر ثم إنه شغل عنهما الحديث (٢) حديث عائشة كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة الحديث م (٣) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل أخرجه من حديث عائشة (٤) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها لماله مقتته الله ورواه ابن السني في رياضة المتعبدین موقوفا على عائشة (٥) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني إلى الجنة الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين بمنعناك من الخروج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث حق في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم . قال بذكر حسبه عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الحراني في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن الله جاعله من ركعتيه خيرا قال ابن عدي وهو بهذا الاستناد منكرو وقال ح لأصل له (٧) حديث ركعتي الاحرام خ من حديث ابن عمر .

الأكرمين الأجداد .
ثم إن لما شارب لهدى
هؤلاء القوم وعقب
لهم علما بشرف
حالمهم وصحة طريقهم
البنية على الكتاب
والسنة للتحقق بهما
من الله الكريم النفل
والمنة حداني أن أذهب
عن هذه العصابة بهذه
الصباية وأؤلف أبوابا
في الحقائق والآداب
معربة عن وجهه
الصواب فيما اعتدوه
مشعرة بشهادة صريح
العلم لهم فيما اعتقدوه
حيث كثر المشبهون
واختلفت أحوالهم
وتسربل بهم المستترون
وفسدت أعمالهم
وسبق إلى قلب من
لا يعرف أصول سلفهم
سوء ظن وكاد لا يسلم
من وقعة فيهم وطعن
ظنا منه أن
حاصلهم راجع إلى
عبرد رسم وتخصصهم
عائد إلى مطلق اسم
ومما حضرنى فيه من
النية أن أكثر سواد
القوم بالاعتزاء إلى
طريقهم والاشارة إلى
أحوالهم وقد ورد من

عند ابتداء السفر^(١) وركعتان عند الرجوع من السفر^(٢) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله الرحمن الرحيم فهو أبطر»^(٣) الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد . الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر ومراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدائه الخروج من المنزل والدخول إليه فانه نوع سفر قريب . السابعة صلاة الاستخارة : فمن هم بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أوفى الاقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية فاتحة وقل هو الله أحد فإذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير أينما كان إنك على كل شيء قدير^(٤) رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال ﷺ «إذا هم أحدكم بأمر فليصل ركعتين ثم ليسم الأمر ويدعو بما ذكرنا» وقال بعض الحكماء من أعطى أربعة لم يمنع أربعة من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخير ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب . الثامنة صلاة الحاجة : (٥) فمن ضاق عليه الأمر ومستته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد أنه قال إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأمر الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد فإذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد ونكرم به سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول أسألك بمعاقد العز

(١) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره الحديب وهو ضعيف (٢) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبطر دنه حب في صحيحه من حديث أبي هريرة (٤) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٥) حديث ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتي عشرة ركعة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسنادين ضعيفين جدا فيهما عمرو بن هارون البلخي كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه ت . من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال ت حديث غريب وفي إسناده مقال .

من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكتابتك التامات العلامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلي على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التي لامعية فيها فيجيب إن شاء الله عز وجل قال وهيب بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها لسفهاكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل التاسعة صلاة التسبيح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يتخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام قال للعباس بن عبد المطلب «ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبك بشئ» إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قدمه وحديثه خطؤه وعمده سره وعلايته تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائماً عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها جالساً عشراً ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل في كل جمعة مرة فإن لم تفعل في كل شهر مرة فإن لم تفعل في السنة مرة^(١) وفي رواية أخرى: أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقتست أسماءك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقي كسابق عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعداً وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع عن الروايتين ثلثمائة تسبيحة فإن صلاها نهاراً فتسليمة واحدة وإن صلاها ليلاً فتسليمتين أحسن إذ ورد «أن صلاة الليل مثنى مثنى»^(٢) وإن زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شئ من هذه النوافل في الأوقات المكروهة إلا التحية المسجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لأن النهي مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الحسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ ليصل لأنه يصلي لأنه يتوضأ وكل محدث يريد أن يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا نوى صلى ركعتين تطوعاً كيلا تعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب الحسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاتي وفي صلاته يقول أصلي لوضوئي بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهية فلينقضه إن كان يجوز أن يكون في ذمته صلاة تطرق إليها خلل لسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأمانية التطوع فلا وجه لها في النهي في أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقي من مضاهة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم «إن الشمس تطلع ومعهما قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت قارنها فان استوت قارنها فاذا زالت قارنها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت قارنها»^(٣) ونهى عن الصلوات

(١) حديث صلاة التسبيح تقدم (٢) حديث صلاة الليل مثنى مثنى أخرجه من حديث ابن عمر (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعهما قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها الحديث ن من حديث عبد الله الصنابحي .

كثير سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل المنح عوارف المعارف والكتاب يستعمل على نيف وستين باباً والله العين . الباب الأول في منشأ علوم الصوفية . الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع . الباب الثالث في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى أتمودج منها . الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم فيها . الباب الخامس في ذكر ماهية التصوف الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم . الباب السابع في ذكر المتصوف والمتشبه . الباب الثامن في ذكر الملامق وشرح حاله . الباب التاسع في ذكر من اتقى إلى الصوفية وليس منهم . الباب

العاشر في شرح رتبة
 الشيخة . الباب
 الحادي عشر في شرح
 حال الخادم ومن يقشبه
 به . الباب الثاني عشر
 في شرح خرقة المشايخ
 الصوفية . الباب الثالث
 عشر في فضيلة سكان
 الربط . الباب الرابع
 عشر في مشاهة أهل
 الربط بأهل الصفة .
 الباب الخامس عشر
 في خصائص أهل
 الربط فيما يتعاهدونه
 بينهم . الباب السادس
 عشر في اختلاف
 أحوال المشايخ بالسفر
 والمقام . الباب السابع
 عشر فيما يحتاج المسافر
 إليه من الفرائض
 والنوافل والفضائل .
 الباب الثامن عشر في
 القدوم من السفر
 ودخول الرباط والأدب
 فيه . الباب التاسع
 عشر في حال الصوفي
 المتسبب . الباب
 العشرون في حال من
 يأكل من الفتوح .
 الباب الحادي
 والعشرون في شرح
 حال المتجسّد من
 الصوفية والمتأهل .

في هذه الأوقات ونبه به على العلة والثالث أنّ سالكى طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات في جميع الأوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه في تعطيل هذا الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر في الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شئ واحد استئصال وملل ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل ربت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فإن القلب يدرك من كل عمل منهما لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واطب على الشئ الواحد لتسارع إليه الملل فاذا كانت هذه أمور مهمة في النهى عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار أخريش في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والحسوف وتحية المسجد فأما ما ضعف عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النهى هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .
 كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين . يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

كتاب أسرار الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى الذي خلق الحيوان من نطفة تمي ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما ييسره من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبى وبين أن بفضله تركى من عباده من تركى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى .
 [أما بعد] فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - وقال صلى الله عليه وسلم «بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة»^(١) وشدد الوعيد على المقتصرين فيها فقال - والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب أليم - ومعنى الاتفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأحنف بن قيس كنت في نفر من قرىش فمر أبو ذر فقال بشر الكاثرين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى في أفتانهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه يوضع على حامة ندى أحدهم فيخرج من نفض كتفيه ويوضع على نفض كتفيه حتى يخرج من حامة نديه يتزلزل وقال أبو ذر انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآنى قال «هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، مامن صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا حامت يوم القيامة أعظم ما كانت وأمنه تنطحه بقرونها وتطوّه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابجى وهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم .

كتاب أسرار الزكاة

(٢) حديث بن الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر .

عليه أولاها حتى يقضى بين الناس^(١)» وإذا كان هذا التشديد محرّجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصاري على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدّى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول . الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها . الثاني آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة . الثالث : في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه . الرابع : في صدقة التطوّع وفضاها .

الفصل الأول: في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركا^ز والمعادن وزكاة العشر^مات وزكاة الفطر

النوع الأول : زكاة النعم

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حرم مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه. وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نعمًا سائمة باقية حولًا نصابًا كاملًا مملوكًا على الكمال. الشرط الأول كونه نعمًا فلا زكاة إلا في الأبل والبقر والغنم. أما الخيل والبغال والحمير والتولد من بين الأطباء والغنم فلا زكاة فيها. الثاني السوم فلا زكاة في معاوغة وإذا أسيمت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها. الثالث الحول قال رسول الله ﷺ «لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول» (٢) ويستثنى من هذا نتاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه لحول الأصول ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول. الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية المهرونة لأنه الذي حبر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة ماضى عند عودده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيابه إذ ألغى ما يفضل عن الحاجة الخامس كمال النصاب. أما الأبل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسين ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فإن لم يكن في ماله بنت مخاض فإن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادرًا على شراؤها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ثم إذا بلغت ستًا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فإذا صارت ستًا وسبعين ففيها بنتا لبون فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب في كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون. وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك في كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع. وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربع مائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة. وصدقة الخليطين كصدقة مالك الواحد في النصاب فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخططة الجوارح خططة الشيوع ولكن يشترط أن يكون حامضًا مبيعًا

(١) حديث أبي ذر انتهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلعن آري قال هم الأخسرون ورب الكعبة الحديث أخرجه م وخ (٢) حديث لازكاة في مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث علي بإسناد جيد وهو من حديث عائشة بإسناد ضعيف.

الباب الثاني والعشرون
في القول في السماع
قبولا وإثراء . الباب
الثالث والعشرون
في القول في السماع
ردا وإنكارا . الباب
الرابع والعشرون
في القول في السماع
ترغفا واستغناء . الباب
الخامس والعشرون
في القول في السماع
نأدبا واعتناء . الباب
السادس والعشرون
في خاصة الأربعية
التي يتعاهدها
الصوفية . الباب
السابع والعشرون
ذكر قسوح
الأربعية . الباب
الثامن والعشرون
في كيفية الدخول
في الأربعية . الباب
التاسع والعشرون
ذكر أخلاق الصوفية
وشرح الحلق . الباب
الثلاثون في ذكر
تفاصيل الأخلاق .
الباب الحادي
والثلاثون في الأدب
ومكانه من التصوف .
الباب الثاني والثلاثون
في آداب الحضرة لأهل
القرن . الباب الثالث

والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها .
الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره . الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية فيه . الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها . الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب . الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها . الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره . الباب الأربعون في أحوال الصوفية في الصوم والافطار . الباب الحادي والأربعون في آداب الصوم ومهامه . الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة . الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل . الباب الرابع والأربعون في ذكر آدابهم في اللباس وبياتهم ومقاصدهم فيه . الباب الخامس

معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون الرمي معا ويكون إزراء الفعل معا وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة ولا يحكم للخلطة مع الذمى والمكاتب ومهما نزل في واجب الأبل عن سنٍّ إلى سنٍّ فهو جائز ماله يجاوز بنت مخاض في النزول ولكن تضم إليه جبران السنّ لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما ولستين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السنّ مالم يجاوز الخدعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال ولا تؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللثام لثيمة ولا يؤخذ من المال الأكلولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال .

النوع الثاني زكاة العشرات

فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيأدونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر أن تكون ثمانمائة من تمر أو زبيباً لا رطباً وعنبا ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوخ كالبستان المشترك بين ورثة لجمعهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الخلطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسبح أو قناة فإن كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر فإن اجتماعه فالأغلب يعتبر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة يبيع بل يرخص في مثل هذا لل حاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وأن يشتد الحب ووقت الأداء بعد الحفاف .

النوع الثالث زكاة النقدين

فإذا تمّ الحول على وزن مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فيحسابه ولودرهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فيحسابه وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلي المحظور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على ملىء ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

النوع الرابع زكاة التجارة

وهي كزكاة النقدين وإنما يعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا فإن كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من نقد البلد وبه يقوم فإن كان مابه الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال قنية فلا يعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حولا كافى النتائج وأموال أسيرة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة هذا ، هو الأقيس .

النوع الخامس الركاز والمعدن

والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجز عليها في الاسلام ملك فعلى واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إعجاب الخمس يؤكد شبهه بالنعيمه واعتباره أيضا ليس ببعيد لأن مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين ، وأما المعدن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر وفي النصاب قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب بزكاة التجارة فإنه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين النقدين أيضا خروجاً عن شبهة هذه الاختلافات فإنها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

النوع السادس في صدقة الفطر

وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من بقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات (١) بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلاثون يخرج من جنس قوته أو من أفضل منه فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وإن اقتات حبوا بمختلفة اختار خيرا ومن أيها أخرج أجزاءه وقسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو في نفقته أعنى من يجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم «أدوا صدقة الفطر عمن تمونون» (٢) ويجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها أجزاءها وللزوج الاخراج عنها دون إذنها وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته أكده وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم (٣) فهذه أحكام فقهية لا بد للغنى من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتشكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار.

الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور : الأول : النية وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسنّ عليه تعيين الأموال فإن كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا : أعنى في قطع المطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية . الثانية : البدار عتق الحول

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون قطه من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد من تمونون قال هق إسناد غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم د من حديث أبي هريرة بسند صحيح وحبك ومححه ورواه ن حب بتقديم الزوجة على الولد وسيأتي .

والأربعون في ذكر فضل قيام الليل . الباب السادس والأربعون في الأسباب المعينة على قيام الليل . الباب السابع والأربعون في آداب الانتباه من النوم والعمل بالليل . الباب الثامن والأربعون في تقسيم قيام الليل . الباب التاسع والأربعون في استقبال النهار والأدب فيه . الباب العاشر في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات . الباب الحادي والعشرون في آداب الرشد مع الشيخ . الباب الثاني والعشرون في نعمته الشيخ مع الأصحاب والتلامذة . الباب الثالث والعشرون في حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر . الباب الرابع والعشرون في أداء حقوق الصحبة والأخوة في الله تعالى . الباب الخامس والعشرون في آداب لصحية والأخوة . الباب السادس والعشرون في معرفة الإنسان

نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك .
 الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها .
 الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما . الباب التاسع والخمسون في الإشارة إلى المقامات على الاختصار والابحاز .
 الباب الستون في ذكر إشارات المشايخ في المقامات على الترتيب .
 الباب الحادي والستون في ذكر الأحوال وشرحها . الباب الثاني والستون في شرح كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة إلى الأحوال . الباب الثالث والستون في ذكر كرشى من البدايات والنهايات وفتحها فهذه الأبواب تحررت بعون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقيهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق إشاراتهم ولطيف

في زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وإن أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتمجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانقضاء الحول ويجوز تعجيل زكاة حولين ومهما تجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتدت أو صار غنيا بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أو مات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة . الثالث : أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما أبعدته عن التحصيل فإن سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل للمحظوظ والأغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا إذ لاحظ للجمرة في وصول الحصى إليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقة وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لأن ما يعقل معناه فقد ساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في إحرامه « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا (١) » تنبيهها على أن ذلك إظهارا للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتناله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما عجل إليه ويحث عليه . القسم الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المصوب فلا جرم لا يعترف به فعله ونيته ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ المستحق أو يتبدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس . والقسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المساكين بالاستعداد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاها ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي رضي الله عنه فخط الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق إلى الأفهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في أن على المكلف تعبدا في تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قادم في حظ الفقير لكنه قادم في التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهاء ومن أوضحها أن الشرع أوجب في خمس من الإبل شاة فعدل من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى النقيدين والتقويم وإن قدر أن ذلك لقلة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وإن كانت الثياب والأمتعة كلها في معناها ، فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه . الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فإن أعين المساكين في كل بلدة تمتد إلى أموالها وفي النقل تخيب للظنون فإن فعل ذلك أجزاء في قول ولكن

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا . البزار والدارقطني في العلل من حديث أنس .

الخروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء في تلك البلدة . الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده : فإن استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين - الآية فإنه يشبه قول المريض إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التوزيع في التملك والعبادات ينبغي أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفون قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أعنى أبناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فإن وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسماً . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين أحاد الصنف فإن له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة إن وجد ثم لولم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفراً ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد فإن عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين ويسلم إليهم حتى يساهموا فيه فإن ذلك لا بد منه .

بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة

اعلم أن على مرید طريق الآخرة بركاته وظائف . الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعلت من مبادئ الإسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان . الأول : أن التلطف بكلمة الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بأفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبق للوحد محبوب سوى الواحد الفرد فإن المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يتجن به درجة الحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأمنون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتنحوا بتصدق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذى هو مرغوبهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - وذلك بالجهد وهو مساهمة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل والمساهمة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال أما على العوام يحكم الشرع بخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك فقال مثله وقال لأبي بكر رضى الله عنه ما بقيت لأهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلتيكما (١) فالصديق وفي تمام المصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله . القسم الثانى درجاتهم دون درجة هذا وهم المسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواقم الخيرات فيكون قصد في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التمتع وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهمما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقاً (١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله الحديث ذكره وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينكما ما بين كلتيكما .

اصطلاحاتهم فعلمهم كلها إنباء عن وجدان واعتزاه إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح المقال لأنها مواهب ربانية ومنافع حقانية استنزاهها صفاء السرائر وخلوص الضمائر فاستعصت بكنهها على الإشارة وطفحت على العبارة وتهادتها الأرواح بدلالة التشام والائتلاف وكرعت حقائقها من بحر الألطاف وقد انغرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من دقائق رسومهم . وقد قال الجنيد رحمه الله : علمنا هذا قد طوى ساطعه منذ كذا سنة ونحن نتكلم في حواشيه بدا هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بعلماء السلف وصالحى التابعين فكيف يتابع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين والله المأمول أن يقابل جهد القليل بحسن القول

سوى الزكاة كالنهي والشعي وعطاء ومجاهد . قال الشعبي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل - وآتى المال على حبه ذوى القربى - الآية واستدلوا بقوله عز وجل - وما رزقناهم ينفقون - وقوله تعالى - وأنفقوا مما رزقناكم - وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على الموصر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموصر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذلك بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يلزمه بذلك في الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا محتلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى - إن يسألوكوها فيحلفكم نبالوا - يحلفكم أى يستقصى عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال. المعنى الثاني التطهير من صفة البخل فإنه من المهلكات قال عليه السلام « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وسياق في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التفصيص منه وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال غلب الشئ لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة هذا المعنى طهيرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . المعنى الثالث شكر النعمة فإن الله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكرا لنعمة البدن والمالية شكرا لنعمة المال وما أحسن من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله . الوظيفة الثانية : في وقت الأداء ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة في الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلمنا بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم فإن ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين نصيبين من أصابع الرحمن فما أسرع قلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها إن كان يؤدّيها جميعا شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لنماء قرنته بضعاف زكاته وذلك كشهر المحرم فإنه أول السنة وهو من الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا (٢) ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول والأيام المعدودات وهي أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذى الحجة

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان ، الحديث أخرجه من حديث ابن عباس

والحمد لله رب العالمين .
الباب الأول في ذكر
مفشاء علوم الصوفية :
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
عبد القاهر بن عبد الله
ابن محمد السهروردي
إملاء من لفظه في
شوال سنة ستين
 وخمسمائة قال أنبأنا
الشريف نور الهدى
أبو طالب الحسين بن
محمد الزيني قال أخبرنا
كريمة بنت أحمد بن
محمد الروزي المجاورة
بمكة حرصها الله تعالى
قالت أخبرنا أبو الهيثم
محمد بن مكي الكشمي
قال أنبأنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف
الفربري قال أخبرنا
أبو عبد الله محمد بن
اسماعيل البخاري قال
حدثنا أبو كريب قال
حدثنا أبو أسامة عن
بريد بن أبي بردة عن
أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « إنما مثلي
ومثل ما بعثني الله به
كمثل رجل آتى قوما
فقال يا قومى إني رأيت

العشر الأول . الوظيفة الثالثة : الاسرار فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر » (١) وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة (٢) وقد روى أيضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرّا فإن أظهره نقل من السرّ وكتب في العلانية فإن تحدث به نقل من السرّ والعلانية وكتب رياء (٣) » وفي الحديث المشهور « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظلّ إلا ظله أحدهم رجل تصدّق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه (٤) » وفي الخبر « صدقة السرّ تطفي غضب الربّ (٥) » وقال تعالى - وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال ﷺ « لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان والمتحدث بصدقة يطلب السمعة والمعطى في ملأ من الناس يبني الرياء والإخفاء والسكوت هو الخلق منه (٦) » وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يلقبه في يد أعمى وبعضهم يلقبه في طريق الفقير وفي موضع جالسه حيث يراه ولا يرى المعطى وبعضهم كان يصرفه في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشي كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الربّ سبحانه واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشبهة مقصودة له حيط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف حب المال وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم لثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب في القبر أفعى من الأفاعي وهو مأمور بتضعيفها أو قتلها لدفع أذاها أو تخفيف أذاها فهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية فيقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية ولترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة في أن يخالف دواعي البخل ويحجب دواعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى وستأتى أسرار هذه المعاني في ربيع المهلكات . الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سرّه من داعية الرياء بالطريق الذي سند كره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل - إن تبدوا الصدقات فنعما هي - وذلك حيث يقتضى الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من

(١) حديث أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سرّ أحمد حب ك من حديث أبي ذر ولأبي داود من حديث أبي هريرة أي الصدقة أفضل قال جهد المقل (٢) حديث ثلاث من كنوز البر فذكر منها إخفاء الصدقة أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكرام من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرّا فإن أظهره نقل من السر الحديث الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه بأسناد ضعيف (٤) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٥) حديث صدقة السر تطفي غضب الرب طب من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهو في الشعب من حديث أبي سعيد كلاهما ضعيف والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة إن الصدقة لتطفي غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٦) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان لم أظفر به هكذا

الرياء

الجيش بمعنى وإلى أنا النذير العريبان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من فومه فأدلجوا فانطلقوا على مهالهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعى فاتبع ماجتبه ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق . معنى اجتاحتهم : استأصلهم ومن ذلك الجائحة التي تفسد الحمار . وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أخذت أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة أخرى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى

الرياء في الاظهار بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سرّه عن الرياء بقدر الامكان وهذا لأن في الاظهار عذر ثالث سوى المتن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستره فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره وهو كإظهار الفسق على من تستر به فانه محظور والتعجب فيه والاعتقاد بذكره منهى عنه فامان أظهره فأقامة الحد عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها ومثل هذا المعنى قال ﷺ «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له» (١) وقد قال الله تعالى - وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية - ندب إلى العلانية أيضاً لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال . الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقته بالمتن والأذى قال الله تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالمتن والأذى - واختلفوا في حقيقة المتن والأذى فقيل المتن أن يذكرها والأذى أن يظهرها وقال سفيان من فسد صدقته فقيل له كيف المتن فقال أن يذكره ويتحدث به وقيل المتن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعبره بالفقر وقيل المتن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره أو يؤخجه بالسئلة وقد قال ﷺ «لا يقبل الله صدقة منان» (٢) وعندى أن المتن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته ثم تفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعاه عليه وحقه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجائه من النار وأنه لو لم يقبله لبقى مرتين به فحقه أن يتقدم منه الفقير إذ جعل كفه نائباً عن الله عز وجل في قبض حق الله عز وجل قال رسول الله ﷺ «إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل» (٣) فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القايض تحت منته سفها وجهلاً فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه أما هو فأنما يقضى الذي لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمتن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسناً إلا إلى نفسه إما ببذل ماله إظهاراً لحب الله تعالى أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل أو شكرًا على نعمة المال طلباً للزهد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسناً إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسناً إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المتن وهو التحدث به وإظهاره وطلب الكفاية منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والتابعة في الأمور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك السر بالأظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منعه أمران : أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فإن ذلك يضيق الخلق لا محالة . والثاني رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حق لأن من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوى ألفاً فهو شديد الحق ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب في الدار الآخرة

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عد حب في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالأذى قبله بحديث لم أجده (٣) حديث إن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل قط في الأفراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه حق في الشعب بسند ضعيف

وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرًا لطلب المزيد وكيفما فرض
فالكراهية لوجهها وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء
لما استحق الفقير بل تبارك به وتمنى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بحسبانه عام
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «هم الأخسرون ورب الكعبة» فقال أبو ذر من هم قال هم الأكثرون
أموالا الحديث ثم كيف يستحق الفقير وقد جعله الله تعالى متجرة له إذ يكتسب المال بجهد ويستكثر
منه ويحتشد في حفظه بمقدار الحاجة وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي
يضره لو سلم إليه فالغنى مستخدم للسعي في رزق الفقير ويحيز عليه بتقليد المظالم والزام المشاق وحراسة
الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فاذن مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح
بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتقيضه الفقير حتى يخلصه عن عهده بقبوله منه اتنى الأذى
والتوبيخ وتطبيب الوجه وتبديل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ اللئ والأذى . فان قلت
فرويته نفسه في درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يتمحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه
محسنا . فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدوا له
عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل الصدقة فان زاد لم تخل صدقته
عن شائبة المنة لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك . فان قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب
أحد عنه فما دواؤه . فاعلم أنه دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في
فهم الوجوب وأن الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها متقلد
المنة فان الأفعال التي تصدر عن الأخلاق تصنع القلب بالأخلاق كما سيأتى أسرارها في الشطر الأخير من
الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويحمل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى
يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم ييسط كفه ليأخذ
الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا
إلى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعوه ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى تخلص
لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر
ابن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يدأوون قلوبهم ولا دواء من
حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن انعارف التي
ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه
الشرية من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم «ليس للرب
من صلاته إلا ما عقل منها» (١) وهذا كقوله ﷺ لا يتقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل - لا تبطلوا
صدقاتكم بالرق والأذى - وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط
لحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة . الوظيفة السادسة : أن يستصغر العظمة فانه إن
استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط الأعمال قال تعالى - ويوم نحين إذ أمحتكم
كثرتكم فلم نغن عنكم شيئا - ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل والمعصية كلما
استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتعتيله وستره
وليس الاستعظام هو الرق والأذى فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام
ولا يمكن فيه الرق والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل .

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها تقدم في الصلاة .

غايه وسلم فوجدتهم
كلخاذاً لأن قلوبهم
كانت واعية فصارت
أوعية للعلوم بما رزقت
من صفاء الفهم
أخبرنا الشيخ الامام
رضي الدين أبو الخير
أحمد بن اسمعيل
القزويني إجازة قال
أنبأنا أبو سعيد محمد
الجلي قال أنبأنا
القاضي أبو سعيد محمد
الفرخزادي قال أنبأنا
أبو اسحق أحمد بن
محمد الثعالبي قال أنبأنا
ابن فنجويه قال حدثنا
ابن حبان قال حدثنا
اسحق بن محمد قال
حدثنا أبي قال حدثنا
إبراهيم بن عيسى قال
حدثنا علي بن علي قال
حدثنا أبو حمزة الثمالي
قال حدثني عبد الله بن
الحسن قال حين نزلت
هذه الآية - وتعيها أذن
واعية - قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لمنى سألت الله سبحانه
وتعالى أن يجعلها أذنك
يا علي قال علي فما نسيت
شئ بعد وما كان لي
أن أقرى قال أبو بكر
الواسطي أذن الله

عن الله تعالى أمراره
وقال أيضا واعية في
معادنها ليس فيها غير
ما شهدته شيء فهي
الحالية عما سواه
فما اضطراب الطبايع
إلا ضرب من الجهل
فتأولب الصوفية واعية
لأنهم زهدوا في الدنيا
بعد أن أحكموا أساس
التقوى فباللغوى
زك نفوسهم وبالزهد
صفت قلوبهم فلما
عدموا شواغل الدنيا
بتحقيق الزهد انفتحت
مسام بواطنهم وسمعت
أذان قلوبهم وأعانهم
على ذلك زهدهم في
الدنيا فعلماء التفسير
وأئمة الحديث وفتاوى
الإسلام أحاطوا علما
بالكتاب والسنة
واستنبطوا منها
الأحكام وردوا الحوادث
المتجددة إلى أصول
من النصوص وحى الله
بهم الدين وعرف
علماء التفسير وجه
التفسير وعلم التأويل
ومذاهب العرب في
اللغة وغرائب النحو
والتصريف وأصول
النقص واختلاف

أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كاذكرنا
في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله
أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالمال لله عز وجل وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه
لبذله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو حق الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة
وأنه يبذله للشواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله
بامساك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئته من يطالب برز وديعة
فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل هو وبذل جميعه الأحب عند الله سبحانه وإما
لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل - فيحذفكم تبخؤا - الوظيفة السابعة :
أن يتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان الخرج
من شبهة فرما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي حديث أبان عن أنس بن مالك طوبى لعبد
أنفق من مال اكتسبه من غير معصية (١) وإذا لم يكن الخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ
قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد أثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم
إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه
وثوابه في الآخرة فليس يعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو أكل فأفنى
والذى يأكله قضاء وطرف في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الآخرة وقد قال الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه
تنفقون ولستم بأخذيذ إلا أن تفضوا فيه - أى لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الأغماض
فلا تؤثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم (٢) وذلك بأن يخرج الإنسان وهو من أهل
ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبدل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيبدل
ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون
فقال تعالى - ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا وقف بعض القراء
على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال - جرم أن لهم النار - أى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .
الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تركوه به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف
الشمالية فان في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة . الأولى : أن يطلب
الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام
تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى (٣) » وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكاً له في
طاعته باعانتك إياه وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين (٤) »
وفي لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى (٥) » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء
الصوفية دون غيرهم فقليل له لو عمت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لاهؤلاء قوم همهمهم
لله سبحانه فإذا طرقتهم فاقه تشنت هم أحدهم فلان أرد همة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى
(١) حديث أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية عدو البزار (٢) حديث سبق درهم
مائة ألف ن حب وصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى
دت من حديث أبي سعيد بلفظ لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم
الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك في البر والصلة من حديث أنى سعيد الحدرى قال ابن طاهر
غريب فيه مجهول (٥) حديث أضف بطعامك من يحبه الله ابن المبارك أنبأ ناجو يبر عن الضحاك مرسل .

من أن أعطى ألفاً ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ماسمت منذ زمان كلاماً أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حالاً وم بترك الخانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الخانوت فإن التجارة لا تضرم مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ممن مايتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخص بعروفه أهل العلم فقليل له لو عومت فقال إني لأعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفرغهم للعلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعاً واعد نعمة غيره عليك مغرماً ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف النعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلب الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله فهم اقوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة واتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذي لا ترد في الله عز وجل خالق البواعث ومهيجه ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للاتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه وإعانة مثل هذا العبد الواحد لا تضيق . وأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم « بعث معروفاً إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ مايقول فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا يعني نفسه فأجعل فلانا لا ينساك يعني بفلان نفسه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك (١) » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم « لرجل تب فقال أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله (٢) » ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه قومي فقبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لأفعلن ولا أحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر (٣) وفي (١) حديث بعث معروفاً إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ مايقول فلما أخذه قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحديث لم أجده أصلاً إلا في حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده في الصحابة أنه وصل الحدير من أبي الدرداء شيء فقال اللهم إنك لم تنس حديراً فأجعل حديراً لا ينساك وقيل إن هذا آخر لأصح له يكنى أبا جيرة وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن مريع بسند ضعيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومي فقبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث من حديث عائشة بلفظ فقال أبو بكر قومي فقبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أحمد الله لا إياك وللخيار تعليقا فقال أبو بكر قومي فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد ولا أحمدك ولكن أحمد الله ، وله وسلم فقالت لا ، أي قومي إليه فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله وللطبراني فقالت

وحو. الفقراء وصنفوا في ذلك الكتب فانسع بطر يقتهم علوم القرآن على الأمة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتفرّدوا بمعرفة الرواة وأسما الرجال وحكوا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويميز المعوج من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع في المسائل ومعرفة التعلييل ورد الفروع إلى الأصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة

ولما أبدت واستقام الدين
الحنيف وتفرغ وتواصل
المهدي النبوي
المستطوي فأنبت
أراضي قلوب العلماء
الكلأ والعشب بما
قبلت من مياه الحياة
من الهدى والعلم قال
الله تعالى - أنزل من
السماء ماء فسالت أودية
بقدرها - قال ابن
عباس رضي الله عنهما
الماء العلم والأودية
القلوب قال أبو بكر
الواسطي رضي الله عنه
خلق الله تعالى ذرة
صافية فلاحظها بعين
الجلال فذات حياة
منه فسالت فقال أنزل
من السماء ماء فسالت
أودية بقدرها فصفا
القلوب من وصول ذلك
الماء إليها . وقال ابن
عطاء أنزل من السماء
ماء هذا مثل ضربه
الله تعالى للعبد وذلك
إذا سال السيل في
الأودية لا يبق في
الأودية نجاسة
إلا كنسها وذهب بها
كذلك إذا سال النور
الذي قسمه الله تعالى
للعبد في نفسه لا يبق

لفظ آخر أنهار صلى الله عليها قالت لأبي بكر رضي الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحي وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى - وإذا ذكر الله وحده استمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الدين من دونه إذا هم يستشرون - ومن لم يصف باطنه عن رؤية
الوسائط إلا من حيث إنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتيق الله سبحانه في تصفية
توحيدته عن كدورات الشرك وشوائبه . الصفة الرابعة : أن يكون مستراحاً محتاجاً لا يكثر البلب
والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته و بقيت عادته فهو يتعيش في جلاب التجميل
قال الله تعالى - يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً - أي لا يلحون
في السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزّة بصبرهم وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة
ويستكشف عن مواطن أحوال أهل الخير والتجميل فتواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف
إلى المجاهرين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد
فيه معنى قوله عز وجل - للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله - أي حبسوا في طريق الآخرة بعلّة أو
ضيق معيشة أو إصلاح قلب - لا يستطيعون ضرباً في الأرض - لأنهم متصوصو الجناح مقيدو الأطراف
فهذه الأسباب كان عمر رضي الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان صلى
الله عليه وسلم يعطى العطاء على مقدار العيلة ^(١) وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة
العيال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم
وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى . قال علي رضي الله عنه لأن أصل أخا من إخواني بدرهم أحب
إليّ من أن تصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب إليّ من أن تصدق بمائة درهم ولأن
أصله بمائة درهم أحب إليّ من أن أعق رقبة والأصدقاء وإخوان الخير أيضاً يقدمون على المعارف كما
يتقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي
أن يطلب أعلها فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي النخيرة الكبرى والفضيلة العظمى
ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فيه أجزان وإن أخطأ فيه أجر واحد فإن أجره في الحال تطهيره
نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي
تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته
فإن قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل فإن أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الأول دون
الثاني فهذا يضاعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله أعلم .

الفصل الثالث في القايض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا الحر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلقاً نصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية
الذكورية في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمي ولا إلى مطلق
بحمد الله لا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، وله من
حديث ابن عمر فقال أبو بكر قومي فاحتضني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لأدنومنه
الحديث وفيه أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك ^(١) حديث كان يعطى العطاء
على مقدار العيلة لم أره أصلاً ولأبي داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان إذا أتاه النبي قسمه في يومه وأعطى الأهل حظين وأعطى العزب حظاً .

أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليهما فلنذكر صفات الأصناف الثمانية الصنف الأول الفقراء : والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قيص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فإن هذا غلو والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرج من الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف مالوقدر على كسب فإن ذلك يخرج عن الفقر فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشتري له آلة وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير وإن كان متفقا ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وإن كان متعبدا بمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة (١) » وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير . الصنف الثاني المساكين : والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فاسا وحبلًا وهو غنى والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أغنى ما يحتاج إليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا يخرج من المسكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في قطع الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كافتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا إلا مجرد التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آتية فلا تباع في الفطرة كأدوات الحياض وسائر المحترفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فإن كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال ما لا يحتاج إليه في السنة فهو مستغنى عنه فإن من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة فإذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداها . فإن قال إحداها أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما . قلنا اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفع وإن كان نسختان من علم واحد إحداها بسيطة والأخرى وجيزة فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبه بحسن هذا النظر على غيره فإن استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن (١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

فيه غفلة ولاظمة أنزل من السماء ماء يعنى قسمة النور فسالت أودية بقدرها يعنى في القلوب الأنوار على ما قسم الله تعالى لها في الأزل - فأما الزبد فيذهب جفاء - فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة - وأما ما يدفع الناس فيمكث في الأرض - تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير الحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا للممسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفا سالحا ولم يحفل بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادى قلبه

فسالت فيه مياه العلوم
 واجتمعت وصارت
 أخذات . قيل للحسن
 البصري هكذا قال
 الفقهاء فقال وهل
 رأيت فقيها قط
 إنما الفقيه الزاهد في
 الدنيا فالصوفية أخذوا
 حظا من علم الدراسة
 فأفادهم علم الدراسة
 العمل بالعلم فلما عملوا
 بماعلموا أفادهم العمل
 علم الوراثة فهم مع
 سائر العلماء في علومهم
 وتميزوا عنهم بعلوم
 زائدة هي علوم الوراثة
 وعلم الوراثة هو الفقه
 في الدين قال الله تعالى
 فلولوا نفر من كل فرقة
 منهم طائفة ليتفقهوا
 في الدين ولينذروا
 قومهم إذا رجعوا إليهم
 فصار الانذار مستفادا
 من الفقه والانذار
 إحياء النذر بماء العلم
 والإحياء بالعلم رتبة
 الفقيه في الدين فصار
 الفقه في الدين من
 أكل المراتب وأعلاها
 وهو علم الدائم الزاهد
 في الدنيا ألتقى الذي
 يبلغ رتبة الانذار
 بعلمه فورد العا

وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب
 في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريه إلى
 ما لا يريه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينبغي منها إلا الاحتياط
 والله أعلم . الصنف الثالث العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي
 ويدخل فيه المريف والكتائب والمستوفى والحافظ والنقال ولا يزداد واحد منهم على أجرة المثل فإن
 فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كل من مال المصالح . الصنف
 الرابع : المؤلف قلوبهم على الإسلام وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم
 تقريرهم على الإسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم . الصنف الخامس للكتائبون : فيدفع إلى السيد
 سهم الكتائب وإن دفع إلى الكتائب جاز ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعد عبدا له .
 الصنف السادس العارمون : والعارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير فإن استقرض
 في معصية فلا يعطى إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء
 فتنه . الصنف السابع الغزاة : الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزة فيصرف إليهم سهم وإن
 كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو . الصنف الثامن ابن السبيل : وهو الذي شخص من بلده ليسافر
 في غير معصية أو اجتاز بها فيعطى إن كان فقيرا وإن كان له مال ببلد آخر أعطى بقدر بلغته فإن
 قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والسكنة فيقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل
 يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز فإن
 لم يف به استرد وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار
 ما يصرف إلى كل واحد فسيأتى .

بيان وظائف القابض وهي خمسة

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكني همه ويجعل همومه مما واحدا
 فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى
 بقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلم على
 العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفى الحاجات فأكثر الأموال
 وصحبها في أيدى عبادته لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم فمنهم من أكثر
 ماله فتنه وبلية فأقحمه في الخطر ومنهم من أحبه حماء عن الدنيا كما يحمى المثلث مريضه فزوى
 عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب في الجمع والحفظ
 عليهم وفادته تنصب إلى الفقراء فيتجددون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها
 فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة حق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر
 ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كاسيأتى في كتاب الفقر تحقيقه
 وبيانه إن شاء الله تعالى فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة وتسكن نيته
 فيه أن يتقوى به على طاعة الله فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فإن استعان
 به على معصية الله كان كافرا لأنم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه . الثانية :
 أن يشكر المعطى ويدعوه له ويغنى عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرج عن كونه واسطة
 ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة

وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) وقد أثبت الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى - نعم العبد إنه أواب - إلى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكي عملك في عمل الأخيار وصلى على روحك في أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه » (٢) ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة للعطى الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لاتناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للعطى ملاحظة أسباب التصغير ويضره خلافه والأخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الوسطة واسطة فقد جهل وإنما المنكر أن يرى الوسطة أصلاً . الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حلّ تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم التورع عن الحرام فتوحاً من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإن فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ماسياتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك إذا عجز عن الحلال فاذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن موديه وهو حرام . الرابعة : أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا المقدار المباح ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذه بالكتابة والقرابة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجره المثل وإن أعطى زيادة أبى وامتنع إذ ليس المال للعطى حتى يتبرع به وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وإن كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وإن أخذ بالمسكنة فليُنظر أولا إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشبهة ومن حارم حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتقاد في هذا على قول الآخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا إلى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل ما يتم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث أن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخله لاهل قوت سنة (٣) فهذا أقرب ما يحدد به حد الفقير والمساكين

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت . وحسنه من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه الحديث د ن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ من صنع (٣) حديث آخر لاهله قوت سنة أخرجاه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة وللطبراني في الأوسط من حديث أنس كان إذا أدخل لاهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر .

واللهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من ارتواء ظاهره للدين والدين هو الانقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء اتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فبالتفرق في الدين يستولى الدبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بتزيين الجوارح بالانقياد في النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه بالعالم بمثابة البحر صارت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى بحرا موحجا . ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس

فظهر على نفسه الشريفة
نضارة العسل وريه
فتبدلت نموت النفس
وأخلاقها . ثم وصل
إلى الجوارح جدول
فصارت ريانة ناضرة
فلما استتم نضارة
وامتلاء ربا بعته الله
تعالى إلى الخلق فأقبل
على الأمة بقلب موج
بمياه العوام واستقبل
جداول الفهوم وجرى
من بحره في كل جدول
قسط ونصيب وذلك
القسط الواصل إلى
الفهوم هو الفقه في
الدين . روى عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال «ماعد
الله عز وجل بشيء
أفضل من فقه في الدين
ولفقيه واحد أشد على
الشیطان من ألف عابد
ولكل شيء عماد وعماد
هذا الدين الفقه» .
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
إملاء قال حدثنا سعيد
ابن حفص قال حدثنا
أبو طالب الزبي قال
أخبرتنا كريمة بنت
أحمد بن محمد المروزي

ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى . ومذاهب العلماء في قدرائنا أخذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية «أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال ^{عليه السلام} غداؤه وعشاؤه (١)» وقال آخرون يأخذ إلى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الغنى خمسون درهما أوقيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال «من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فسئل وما غناه قال خمسون درهما أوقيمتها من الذهب (٢)» وقيل راويه ليس بقوى وقال قوم أربعون لما روى عطاء بن يسار منقطعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال «من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال (٣)» وبالع آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى به طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره لأن هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه إذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من اقتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل أبوطلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم «اجعله في قرابتك فهو خير لك (٤)» فأعطاء حسان وأبا قتادة فئاظ من نخل لرجلين كثير مغن وأعطى عمر رضي الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئر لها فهذا ما حكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجوز إلى أن يشتري ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضا مائل إلى الاسراف والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضيق وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزء بالتوقيف فليس للجهل إلا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك (٥)» كما قاله صلى الله عليه وسلم إذ اثم حراز القلوب فإذا وجد القابض في نفسه شيئا مما يأخذه فليترك الله فيه ولا يترخص تعللا بالتقوى من علماء الظاهر فإن لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة . الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فإنه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فليقتص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فإنهم لا يراعون هذه القسمة إما الجهل وإما لتساهل وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتي ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

(١) حديث سهل بن الحنظلية في النهى عن السؤال مع الغنى فيسأل ما يغنيه فقال غداؤه وعشاؤه دحب بلفظ من سأل وله ما يغنيه فأما يستكثر من جرحهم الحديث (٢) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه النسائي والخطابي (٣) حديث عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال د ن من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلاً وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن ح ب من حديث أبي سعيد (٤) حديث لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم في الصلاة (٥) حديث استفت قلبك وإن أفتوك تقدم في العلم .

الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها بيان فضيلة الصدقة

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بتمر فأنها تسد من الجائع ونظفي الحطية كما يظفي الماء النار »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة »^(٢) وقال عليه السلام « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا كان الله أخذها بيمينه فبريها كبري أحكم فضيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء « إذا طبخت مرقعة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصهم منه بمعروف »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس »^(٦) وقال عليه السلام « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفي غضب الرب عز وجل » وقال صلى الله عليه وسلم « ما لذي أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة »^(٨) ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للعطى الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان »^(٩) وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك فقال إن عندى آخر قال أنفق على زوجتك قال إن عندى آخر قال أنفق على ولدك قال إن عندى آخر قال أنفق على خادمك قال إن عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به »^(١٠) وقال عليه السلام « لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس »^(١١)

(١) حديث تصدقوا ولو بتمر فأنها تسد من الجائع وتظفي الحطية كما يظفي الماء النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استترى من النار ولو بشق تمرة فأنها تسد من الجائع مسدها من الشيعان ولأبي يعلى والبخاري من حديث أبي بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فأنها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشيعان وإسناده ضعيف وللترمذي ون في الكبرى و ه في حديث معاذ والصدقة تطفي الحطية كما يظفي الماء النار (٢) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجه من حديث عدى بن حاتم (٣) حديث ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا الحديث خ تعليقا وم ت ن في الكبرى واللفظ له ه من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال لأبي الدرداء إذا طبخت مرقعة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبي ذر أنه قال ذلك له وما ذكره المصنف أنه قال لأبي الدرداء وهم (٥) حديث ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا بأسناد صحيح وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر (٧) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف إن الله لا يدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء (٨) حديث ما للعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث سئل أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (١٠) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا وقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك الحديث د ن واللفظ له وحب ك من حديث أبي هريرة وقد تقدم قبل يسير (١١) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة.

وقال

قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرني الفربري قال أخبرنا البخاري قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ولما أنا قاسم والله يعطى » قال الشيخ إذا وصل العسل إلى القلب انفتح بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشد من النقي ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرابي : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الأعرابي حسبي حسبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل . وروى عبد الله بن عباس : أفضل العباداة الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال - لهم قلوب لا يفقهون بها - فلما فقهوا علموا

وقال «ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «لو صدق السائل ما أفلح من رده»^(٢) وقال عيسى عليه السلام: من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام، وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين إلى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس للمسكين الذي ترده التمرة والتمران واللقمة واللقتان إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا»^(٤) وقال ﷺ «ما من مسلم يكسومسما إلا كان في حفظ الله عز وجل مادامت عليه منه رقعة»^(٥). الآثار: قال عروة بن الزبير لقد صدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لم رقع وقال مجاهد في قول الله عز وجل - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا - فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلمهم يعودون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبي الجعدان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وأنها لتفك لحي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة ترز جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتاب المرض وكتاب الصدقة وكتاب المصائب وروى مسندنا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضل لكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول - لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - والله يعلم أني أحب السكر وقال النخعي إذا كان الشيء لله عز وجل لا يسرق أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم الله عز وجل أشبعه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن كسا الله عز وجل كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم أغنياء لافقر فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأسا يشرب المور من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والسكنة على الخصوص ويقال إن الحسن مرتبه نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها درهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فإن الله عز وجل رضى في الحور العين بالفلس واللقمة.

بيان إخفاء الصدقة وإظهارها

قد اختلف طريقتا طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل ونحن نشير إلى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه. أما الاخفاء ففيه خمسة معان: الأول أنه أبقى للستر على الآخذ فان أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن

(١) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام العقيلي في الضعفاء من حديث عائشة (٢) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة قال العقيلي لا يصح في هذا الباب شيء ولا يطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٣) حديث كان لا يكل خصلتين إلى غيره الحديث الدارقطني من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك في البر مرسل (٤) حديث ليس للمسكين الذي ترده التمرة والتمران الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما من مسلم يكسومسما إلا كان في حفظ الله الحديث وحسنه وكه ومصحح إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف.

ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان أفتقه كانت نفسه أسرع إجابة وأكثر انقيادا للعالم الدين وأوفر حظا من نور اليقين فالعلم حجة موهوبة من الله القلوب والمعرفة تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم» أخبر أنه وجد القلب النبوي العلم وكان هاديا مهديا وعلمه صلوات الله عليه منهما ورائة معجونة فيه من آدم أبي البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الأسماء كلها والأسماء سمة الأشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال تعالى - علم الإنسان ما لم يعلم - فأدرك لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والفتنة والمعرفة والرافة واللفظ والحب والبغض والفرح والغم والرضا والغضب

الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف .
 الثاني أنه أسلم لقلوب الناس وأستهم فأنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويطنون أنه أخذ
 مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زبادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصياتهم عن
 هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السخيتاني إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يتحدث في جبراني
 حسداً وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين له هذا وعن إبراهيم
 التيمي أنه رأى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسنيه أخى خيشمة ولوعلت
 أن أهله علموا به ما قبلته . الثالث إعانة المعطى على إسرار العمل فإن فضل السر على الجهر في الاعطاء
 أكثر والاعانة على إتمام المعروف معروف والسكتان لا يتم إلا باثنين فهما أظهر هذا انكشف أمر
 المعطى ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فردده إليه ودفع إليه آخر شيئاً في السر فقبله فقيل له في ذلك
 فقال إن هذا عمل الأدب في إخفاء معروفه فقبلته وذلك أساء أدبه في عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض
 الصوفية شيئاً في الملا ففرد فقال له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان
 لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئاً كان رده في العلانية
 فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم أك عوناً لك على المعصية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك وقال
 الثوري لو علمت أن أحداً لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته . الرابع أن في إظهار الأخذ ذلاً
 وامتناً وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول إن في إظهاره
 إذلالاً للعلم وامتناً لأهله فما كنت بالذي أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله . الخامس الاحتراز
 عن شبهة الشراكة قال صلى الله عليه وسلم «من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها» (١) وبأن
 يكون ورقاً أو ذهباً لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم «أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه
 ورقاً أو يطعمه خبزاً» (٢) فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى في الملا مكروه لإبراء جميعهم ولا يتخلو
 عن شبهة فإذا انفراد سلم من هذه الشبهة : أما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة : الأول الاخلاص
 والصدق والسلامة عن تلبس الحال والمراة . والثاني إسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة
 والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء وإسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه
 أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً فانك لا تتخلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا فعلت
 ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل آفات نفسك أو رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق
 فذلك الذي يريد أخوك لأنه يزداد ثواباً بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتوَجَّرَ أنت إذ كنت سبب
 مزيد ثوابه . الثالث هو أن العارف لا ينظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد
 فاختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لانعياً بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية
 والاتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً على الواحد
 الفرد . حتى أن بعض الشيوخ كان كثير الليل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فأراد
 (١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء وطب
 في الأوسط وحق من حديث ابن عباس قال علق لا يصح في هذا المتن حديث (٢) حديث أفضل
 ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقاً أو يطعمه خبزاً عد وضعفه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند
 الله أن يقضى عن مسلم دينه أو يدخل عليه سروراً أو يطعمه خبزاً ولأحمد وت وصححه من حديث
 البراء من منح منحة ورق أو منحة لبن أو أهدى رفاقاً فهو كعتاق نسمة .

والكياسة ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتداء إلى الله تعالى بالنور الذي وهب له قال جى صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأمة بالنور الموروث والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والأرض بقوله - اتقيا طوعاً أو كرها قلنا أتينا طائعين - نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره الأرض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الأرض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين والكائنات تبع له وإلى هذا الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «كنت نبياً وآدم

بين الماء والطين «
وفي رواية «بين الروح والجسد» وقيل لذلك سمي أميا لأن مكة أم القرى وذرت أم الخليقة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضى أن يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن قيل الماء لما تموج رعى الزبد إلى السواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يحاذي تربته بالمدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حينه إلى مكة وتربته بالمدينة والاشارة فيها ذكرناه من ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما قال الله تعالى - وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم سرّيهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - ورد في الحديث «إن الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كهية الدر» استخرج الدر من مسام شعر آدم فخرج الدر

أن يظهر لهم فضيلة ذلك المر يد فأعطى كل واحد منهم حاجة وقال ليفرد كل واحد منكم بها وليدبحها حيث لا يراه أحد فأنفرد كل واحد وذبح إلا ذلك المر يد فانه ردّ الدجاجة فسألهم فقالوا فعاننا ما أمرنا به الشيخ فقال للشيخ المر يد مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال ذلك المر يد لم أقدر على مكان لا يراى فيه أحد فان الله يراى فى كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل . الرابع أن الاظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى - وأما بنعمة ربك فحدث - والكتبان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى - الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال ﷺ «إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه» (١) وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعانية فيها أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت في الملاءمة ثم اردد في السر والشكر فيه محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل» (٢) والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال ﷺ «من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فأنشؤا عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأوه» ولما قال المهاجرون في الشكر «يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاصمون الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال صلى الله عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة» (٣) فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا أنا لانحكم حكما بتا بأن الاخفاء أفضل في كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص فينبغي أن يكون المخاص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا يتخذ بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع أغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار مع أن له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الخداع في الاسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من خفض الجاه والمزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بعين الازدراء وإلى المعطى بعين النعم المحسن فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الحمسة التي ذكرناها ومعياري كل ذلك وحكمه أمر واحد وهو أن يكون تأمله بانكشاف أخذه الصدقة كتابا بانكشاف صدقة أخذه بعض نظرائه وأمثاله فانه إن كان يبني صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يتقى انتهاك السر أو إعانة المعطى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتدال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فقد قدره الخذر من هذه المعاني أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان إذلال العلم محذور من حيث إنه علم لامن حيث إنه علم ريد أو علم عمرو والغيبة محذورة من حيث إنها تعرض لعرض مصون لامن حيث إنها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ر بما يعجز الشيطان عنه وإلا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ وأما جانب الاظهار فيل الطبع إليه من حيث إنه تطيب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من المباليين في الشكر حتى يرغبوا في إكرامه وتفقدوه وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بأن يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه أحمد من حديث عمران بن حصين بسند صحيح وحسنه ت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدّم (٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عنهم الحديث وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا دن في اليوم والليلة وك صححه .

من السنة والاختفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الخير إلى المعطي ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطية ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون إلا من يخفى ولا يشكر فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعته هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة وإلا فهو مغرور . ثم إذا علم أن باعته السنة في الشكر فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فإن كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي أن يخفى ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم لو إذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه «ضر بتم عنقه لو سمعها ما أفلح» (١) مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثنى على قوم في وجوههم لثقتهم بيقينهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد «إنه سيد أهل الوبر» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه» (٣) وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم «إن من البيان لسحرا» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه» (٦) وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس . وقال أيضا ليوسف بن أسباط إذا أوليتك معروفا كنت أنا أسير به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكروا وإلا فلا تشكروا ودقائق هذه المعاني ينبغي أن يلاحظها من يراعى قلبه فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشامة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه إن تعلم مسئلة واحدة منه أفضل من عبادة سنة إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله وتتعطل وعلى الجلة فالأخذ بالملا والرد في السر أحسن المسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فإن أخذ الزكاة مزاحمة للساكنين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز (١) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح متفق عليه من حديث أبي بكرة بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية والله لو سمعها ما أفلح أبدا وفي سنده علي بن زيد بن جدعان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى (٢) حديث إنه سيد الوبر العنبري وطب وابن قانع في معاجمهم وحب في الثقات من حديث قيس بن عاصم المنقري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك (٣) حديث إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه . من حديث ابن عمر ورواه د في المراسيل من حديث الشعبي مرسل بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف و ك نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه وصحح إسناده (٤) حديث إن من البيان سحرا خ من حديث ابن عمر (٥) حديث إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير قط في العلل من رواية ابن المسيب عن أبي هريرة . وقال لا يصح عن الزهري وروى عن ابن المسيب مرسل (٦) حديث إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

وأما

تكروج العرق وقيل كان النسيم من بعض الملائكة فأضاف الفعل إلى المسبب وقيل معنى القول بأنه مسح أي أحصى كما نحصى الأرض بالمساحة وكان ذلك ببطن نعمان واد بحجب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب الدر وأجابوا ببلي كتب العهد في رق أبيض وأشهد عليه الملائكة وألقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الحبيبة من الأرض والعلم والهدى فيه معجونات فبعث بالعلم والمهدي موروثا له وموهوبا وقيل لما بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأبى حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضع أقدامه غفلت النفس عما مس قدم

وأما الصدقة خلاصاً فيها أوسع وقال قائلون يأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب ولترك الساكنين كلهم أخذ الزكاة لأتموا ولأن الزكاة لأمنة فيها وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ولأنه أخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعاً وأخذ الصدقة أخذ بالدين فإن الغالب أن التصديق يعطى من يعتقد فيه خيراً ولأن مرافقة الساكنين أدخل في الدلّ والسكنة وأبعد من التكبر إذ قد يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا يتميز عنه وهذا تنصيص على ذلّ الأخذ وحاجته والقول الحق في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية فإن كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة فإذا علم أنه مستحق قطعاً إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعاً فإذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لولم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فإن الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها في ذلك تكثير للخير وتوسيع على الساكنين وإن كان المال معرضاً للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضيق على الساكنين فهو غير الأمر فيهما يتفاوت وأخذ الزكاة أشدّ في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال والله أعلم .

كل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كتاب أسرار الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنّة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، وردّ أمله وخيب ظنه ، إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة وإن بقمعهما تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنّة ، والصلاة على محمد قائد الخلق وعمود السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة والعقول المرحجة وسلم تسليماً كثيراً [أما بعد] فإن الصوم ربيع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصوم نصف الصبر » (١) وبمقتضى قوله ﷺ « الصبر نصف الإيمان » (٢) ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزي به » (٣) وقد قال الله تعالى ﷻ « يا أيها الذين آمنوا صوموا » (٤) والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسى بيده لحالوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجل فالصوم لى وأنا أجزي به » (٥)

كتاب أسرار الصيام

- (١) حديث الصوم نصف الصبر وحسنه من حديث رجل من بني سليم و . من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث الصبر نصف الإيمان أبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن
- (٣) حديث كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعائة ضعف إلا الصيام الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة
- (٤) حديث والذي نفسى بيده لحالوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك

إبليس فسارته مأوى الشرّ وبعضهم يصل إليه قدم إبليس فمن تلك التربة أصل الأنبياء والأولياء وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسا قدم إبليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفراً حظه من العلم فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه إلى القلوب ومن نفسه إلى النفوس فوقعت المناسبة في أصل طهارة الطينة ووقع التأليف بالعارف الأول فكل من كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظاً من قبول ما جاء به فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من العلم حظاً وافراً وصارت بواطنهم أخاذات فاعلموا وعلموا كالأخاذ الذي يسقى منه ويرزع منه وجمعوا بين فائدة علم الدراسة وعلم الورائى بأحكام أسس التقوى ولما

وقال صلى الله عليه وسلم « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود بقاء الله تعالى في جزاء صومه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة (٤) » وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر (٥) » وقال وكيع في قوله تعالى - كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية - هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة المباحة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لأجل المبدأ شابه لي أنت عندى كبعض ملائكتي (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم « يقول الله عز وجل انظروا ياملائكتي إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي (٧) » وقيل في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - قيل كان عملهم الصيام لأنه قال - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغاً ويجازف جزافاً فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرافاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعنيين : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد . والثاني أنه قهر لعبد الله عز وجل فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال عليه السلام « إن الشيطان ليحرق من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (٨) » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها « داومي قرع باب الجنة قالت بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم بالجوع (٩) » وسيأتي فضل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربح المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسداً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففي قمع عبد الله نصرته

(١) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجه من حديث سهل بن سعد (٢) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٤) حديث نوم الصائم عبادة رويناه في أمالي بن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه سليمان بن عمرو النخعي أحد الكذابين (٥) حديث إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث وقال غريب و... وصححه على شرطهما من حديث أبي هريرة وصحح خ وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (٦) حديث إن الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث يقول الله تعالى للملائكة ياملائكتي انظروا إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي (٨) حديث إن الشيطان يحرق من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث صفية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٩) حديث قال لعائشة داومي قرع باب الجنة الحديث لم أجده أصلاً

ترك النفس انجلت مرايا قلوبهم بمصاقلها من التقوى فأنجلى فيها صور الأشياء على هيئتها وما هيئها فبان الدنيا بفتحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبت إلى بواطنهم أقسام العلوم انصباوا وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة . واعلم أن كل حال شريف نمزوه إلى الصوفية في هذا الكتاب هو حال المقرب والصوفي هو المقرب وليس في القرآن اسم الصوفي واسم الصوفي ترك ووضع للمقرب على ما سنفرد ذلك في باب ولا يعرف في طرف بلاد الإسلام شرقاً وغرباً هذا الاسم لأهل القرب وإنما يعرف للمتربين وكم من الرجال المقربين في بلاد المغرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لأنهم لا يستزبون برى الصوفية ولا مشاحة في الألفاظ فيعلم أنا نعى

لله سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى - إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - فالبدية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وقال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإنما التغيير تكثير الشهوات فهي مرغ للشياطين ومرعاهم فسادت مخسبة لم ينقطع ترددهم وماداموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات (١)» فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار حنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول .

الفصل الأول في الواجبات والسفن الظاهرة واللوازم بافساده

أما الواجبات الظاهرة فسته

الأول : مراقبة أول شهر رمضان وذلك بروية الهلال فان غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه وإذا روى الهلال ببلدة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب . الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلونوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة ولونوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع وهو الذي عنينا بقولنا مبيتة ولونوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولونوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم أو يستند إلى استحباب حال كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتihad كالمحبوس في المظمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتihad فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غدا إن كان من رمضان فان ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ وعمل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته ولونوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها . الثالث الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالقص والحجامة والاكتحال وإدخال الميل في الأذن والاحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ الثالثة وما يصل بعير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في المضمضة فلا يفطر إلا إذا بالغ في المضمضة فيفطر لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر أمانا أكل عمدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وإن بقي على حكم ظنه واجتihadه فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بنظر واجتihad . الرابع الإمساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أو احتمل فأصبح جنبا لم يفطر وإن طلع الفجر وهو غافل أهله فنزع في الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة .

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه

بالصوفية المقرين
فمشايخ الصوفية الذين
أساؤهم في الطبقات
وغير ذلك من
الكتب كلهم كانوا في
طريق المقرين
وعلمهم علوم أحوال
المقرين ومن تطمع
إلى مقام المقرين من
جملة الأبرار فهو
متصوف مالم يتحقق
بالحلم فإذا تحقق
بالحلم صار صوفيا
ومن عداها ممن تميز
بزي ونسب إليهم
فهو مشتبه - وفوق
كل ذي علم عليم - .
[الباب الثاني في
تخصيص الصوفية
بحسن الاستماع]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي إملاء
قال أنا أبو منصور
المقري قال أنا الامام
الحافظ أبو بكر
الخطيب قال أنا أبو
عمرو الهاشمي قال أنا
أبو علي المولوي قال أنا
أبو داود السجستاني
قال حدثنا مسدد قال
حدثنا يحيى بن شعبة
قال حدثني عمر بن

الخامس : الإمساك عن الاستمنااء وهو إخراج المني قصداً بجماع أو بغير جماع فإن ذلك يخطئ ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيئاً لو مال كالإبر به فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المني أفطرت قصيره .
السادس : الإمساك عن إخراج المني فالاستمنااء يفسد الصوم وإن ذرعه المني لم يفسد صومه وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لمعوم البلوى به إلا أن يشغله بعد وصوله إلى فيه فإنه يخطئ عند ذلك .

وأما لوازم الإفطار فأربعة

القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيهاً بالصائمين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكاف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالخائض تقضى الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقاً ومجموعاً .
وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع وأما الاستمنااء والأكل والشرب وماعداً للجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فإن أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فإطعام ستين مسكيناً مداً مداً .
وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الخائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ولا على المسافر إذا قدم مفطراً من سفر بلغ مرحلتين ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكلان مقبياً في أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائماً . وأما الفدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على ولديهما لكل يوم مدة تحنط لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مداً . وأما السنن فست : تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجلود في شهر رمضان لمسبق من فضائه في الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا دخل العشر الأخير طوى الفراش وشد المنزر ودأب وأدأب أهله ^(١) » أى أداموا النصب في العبادة إذ فيها ليلة القدر والأغلب أنها في أوتار وأشباه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف أولى فإن نذر اعتكافاً متتابعاً أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعبادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ في البيت ولا ينبغي أن يعرج على شغل آخر « كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا ماراً ^(٢) » وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح والأكل والنوم وغسل اليد في الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه « كان صلى الله عليه وسلم يذني رأسه فترجله عائشة رضى الله عنها وهي في الحجرة ^(٣) » ومهما خرج للعتكاف لقضاء حاجته فإذا عاد يذني أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أول عشرة أيام مثلاً والأفضل مع ذلك التجديد .

- (١) حديث كان إذا دخل العشر الأخير طوى الفراش الحديث متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المنزر . (٢) حديث كان لا يخرج إلا لحاجة ولا يسأل عن المريض إلا ماراً متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثاني رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٣) حديث كان يذني رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها .

سليمان من ولد عمر ابن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نصر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقهه وليس بفقير » أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى - ولو علم الله فيهم خيراً - لأسمعهم يقول بعضهم علامة الخير في السماع أن يسمع العبد بفشاء أوصافه ونعوته ويسمعه بحق من حق وقال بعضهم لوعلمهم أهلاً للسماع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوسواس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما عاينوا أن كلام الله تعالى ورسالاته إلى عباده وخطاباته إياهم رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا

الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص. أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كاسبق تفصيله. وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام. وأما صوم خصوص الخصوص فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا والآخرة فإن ذلك من زاد الآخرة ونيس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهارة لتدير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الوعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقرّبين ولا يطول النظر في تفصيلها قولاً ولكن في تحقيقها عملاً فإنه إقبال بكنه المهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتتمامه بستة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعهن الله فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه»^(١) وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والغيبة والكاذبة والنظر بشهوة»^(٢) . الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والغيبة والفحش والجفاء والخصومة والراء والإزاهة السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم «إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقلل إلى صائم إلى صائم»^(٣) وجاء في الخبر «أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادت أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه في الإفطار فأرسل إليهما قدحا وقال ﷺ : قل لهما قيثا فيه ما أكلتما فقامتا إحداها نصفه دما عبيطاً ولحماً غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأته ففجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما فعدت إحداها إلى الأخرى فجعلتا ينتابان الناس فهذا ما أكلتما من لحومهم»^(٤) . الثالث : كف السمع عن الاصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى - سماعون للكذب آكالون للسحت - وقال عز وجل - لولا إنباهم الربانيون والأحبار عن قولهم الانتم وأكلهم السحت - فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى - إنكم إذا مثلهم -

- (١) حديث النظرة سهم مسموم من سهام إبليس الحديث ك وصحيح إمامه من حديث حذيفة
- (٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الأزدي في الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب (٣) حديث الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائماً الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول .

من أبحر العلم بما
تتضمن من ظاهر
العلم وباطنه وجلبه
وخفيه وباباً من أبواب
الجنة باعتبار ما تنبه
أو تدعو إليه من
العمل ورأوا كلام
رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي لا ينطق
به عن الهوى إن هو
إلا وحى يوحى من
عند الله تعالى يتعين
الاستماع إليه فكان
من أهم ما عندنا
الاستعداد للاستماع
ورأوا أن حسن
الاستماع قرع باب
الملوك واستئصال
بركة الرغبات
والرهبات ورأوا أن
الوسواس أذنة تارة
من نار النفس الأمارة
بالسوء وقام يترامى
من نفت الشيطان
وأن الحظوظ العاجلة
والأقسام الدنيوية التي
هي منطاد الهوى ومثار
الردى بمثابة الخطب
الذي تزداد النار به
تأججا ويزداد القلب
به تحرجاً فرفضوا
الدنيا وزهدوا فيها
فلما انقطعت عن نار

النفس أحطابها، وفترت نيرانها، وقيل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهبثوا مواردها بصقاء الفهم فلما شهدوا سموا قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - قال الشبلي رحمه الله: موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يفتل عنه طرفه عين قال يحيى بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم بين بركة تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الاشتغال الفانية التي أقعدتك عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الغتاب والمستمع شريكان في الآثم» (١) الرابع: كف بقية الجوارح عن الآثم من اليد والرجل وعن السكره وكف البطن عن الشهوات وقت الإفطار فلامع للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام مم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم لتقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (٢) فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغبية وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثم . الخامس: أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه فإمن وعاء أقبض إلى الله عز وجل من بطن مليء من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاتته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الجوع وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عاداتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة ولم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجد وأوراده فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - ومن جعل بين قلبه وبين صدره غلالة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب مالم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل . السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من القربين أو يرد عليه فهو من المقيوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السائقون وخاب فيه المبطون أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال إني أعدده لسفر طویل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم . فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء

(١) حديث الغتاب والمستمع شريكان في الآثم غريب وللطبراني من حديث ابن عمر بسند صحيح نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ن . من حديث أبي هريرة .

الأغراض والأمراض

قال الحسين بن منصور

لمن كان له قلب لا يخطر

فيه إلا شهود الرب

وأنشد :

أنى إليك قلوبا طالما

هطلت

سحاب الوحي فيها

أبحر الحكم

وقال ابن عطاء قلب

لاحظ الحق بعين

التعظيم فذاب له

وانقطع إليه حماسواه

قال الواسطي : أى

لذكرى لقوم مخصوصين

لا سائر الناس لمن

كان له قلب أى فى

الأزل وهم الذين قال الله

تعالى فيهم - وأمن كان

ميتا فأحييناه - وقال

أيضا المشاهدة تذهل

والحجبة تفهم لأن الله

تعالى إذا تجلى لشيء

خضع له وخضع وهذا

الذى قاله الواسطي

صحيح فى حق أقوام

وهذه الآية تحكم

بخلاف هذا لأقوام

آخرين وهم أرباب

التحكيم - يجمع لهم

بين المشاهدة والفهم

فوضع الفهم محل

المحادثة والمكاملة وهو

صومه صحيح فامعناه. فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هى أضعف من هذه الأدلة التى أوردناها فى هذه الشروط الباطنة لاسيا الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكاليفات إلا ما يتيسر على عموم العاقلين على الدنيا الدخول تحته فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول والقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلص بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاقتداء باللائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكما انهمك فى الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكما تقع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة والملائكة مقرَّبون من الله عز وجل والذى يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا صرَّ الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلاتين عند العشاء مع الانهماك فى الشهوات الآخر طول النهار ولو كان مثله جدوى فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ولهذا قال أبو الدرداء يا حبيذا نوم الا كياس وفطرم كيف لا يعيرون صوم الحق وسهرهم والندرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجعله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكروه كمن غسل أعضائه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لا يحكامه الأصل وإن ترك الغسل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (١) . ولما تلا قوله عز وجل - إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - وضع يده على سمعه وبصره فقال : السمع أمانة والبصر أمانة (٢) » ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فليقل إلى صائم » أى إلى أودعت لسانى لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك فاذن قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشرها درجات ولكل درجة طبقات فإليك الحيرة الآن فى أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب .

الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع . أما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهى أوقات فاضلة « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه فى رمضان » (٣)

(١) حديث إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث فى الأمانة والصوم واسناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أبى هريرة دون قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث متفق عليه من حديث عائشة .

وفي الخبر « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ^(١) » لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . وقال صلى الله عليه وسلم « صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام ^(٢) » وفي الحديث « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام ^(٣) » وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ^(٤) ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أيما فأن وصل شعبان بربيع فإثر ^(٥) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ^(٦) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردها له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يصافى بشهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذوالحجة والمحرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة مرد وأفضلها ذوالحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والعدودات وذوالقعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج وفي الخبر « ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده وأهريق دمه ^(٧) » . وأما ما يتكرر في الشهر فأقول الشهر وأوسطه وآخره وأوسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما في الأسبوع : فالثلاثين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثر الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات . وأما صوم الدهر فإنه شامل للكل وزيادة للسالكين فيه طرق فمنهم من حكره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته والصحيح أنه إنما يكره لشئيين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله ^(٨) والآخر أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل

(١) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم م من حديث أبي هريرة (٢) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين الحديث لم أجده هكذا وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من الحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما (٣) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الأزدي في الضعفاء من حديث أنس (٤) حديث إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الأربعة من حديث أبي هريرة حب في صحيحه عنه إذا كان النصف من شعبان فأفطروا حتى يجيء رمضان وصححه ت (٥) حديث وصل شعبان بربيع مرة الأربعة من حديث أم سامة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان و دن نحوه من حديث عائشة (٦) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فأن غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال إسناده صحيح وك وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من عشر ذي الحجة الحديث ت . من حديث أبي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند خ من حديث ابن عباس ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء (٨) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر خ م من حديث عبد الله بن عمرو في حديث له لا صام من صام الأبد ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن النخعي

سمع القلب بموضع المشاهدة بصر القلب والسمع حكمة وفائدة والبصر حكمة وفائدة فمن هو في سكر الحال يغيب سمعه في بصره ومن هو في حال الصحو والتفكير لا يغيب سمعه في بصره لتلكه ناصية الحال ويفهم بالوعاء الوجودي المستعد لفهم المقال لأن الفهم مورد الإلهام والسمع والإلهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ إنشاء ثانيا للتمكن في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلشى عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز على عمر الفناء إلى مقام البقاء . وقال ابن سمنون إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهي ثلاثة أشياء فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد ثلث الأدب ومن تقتدر إلى ما لم يجد

من الأدب بسد
الاشتغال بما وجد
فقد وجد ثلث الأدب
والثالث امتلاء القلب
بالذي بدأ بالتفضل عند
الوفاء تفضلا فقد وجد
كل الأدب . قال محمد
ابن علي الباقر موت
القلب من شهوات
النفس فكما رفض
شهوات نال من
الحياة بقسطها فالسباع
للأحياء لالأموات
قال الله تعالى - إنك
لا تسمع الموتى - قال
سهل بن عبد الله القلب
رقيق تؤثر فيه الخطرات
الدمومة وأثر القليل
عليه كثير قال الله
تعالى - ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض
له شيطانافهوله قرين -
فالقلب عمال لا يفتر
والنفس بقطانة لا ترقد
فإن كان العبد مستمعا
إلى الله تعالى وإلا فهو
مستمع إلى الشيطان
والنفس فكل شيء
سد باب الاستماع فمن
حركة النفس وفي
حركتها بطرق
الشيطان . وقد ورد
« لولا أن الشياطين

الصوم حجرا على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فإذا لم يكن
شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيقت
عليه جهنم وعقد تسعين^(١) » ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر
بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة
لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت على مفاتيح خزائن
الدنيا وكنوز الأرض فردتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك إذا شبعet وأنضرع إليك
إذا جعت^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام صوم أخى داود كان يصوم يوما ويفطر
يوما^(٣) » ومن ذلك « منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو
يقول إني أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوما وأفطر يوما فقال إني أريد
أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لأفضل من ذلك^(٤) » وقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم
ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان^(٥) » بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس
بثلثه وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة
من الآخر فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من
الثلث وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية
القلب وتفريغ المهم لله عز وجل والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضى حاله
دوام الصوم وقد يقتضى دوام الفطر وقد يقتضى مزج الإفطار بالصوم وإذا فهم المعنى وتحقق
حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا
ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم
وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام^(٦) » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة
من القيام بحقوق الأوقات وقد ذكره العلماء أن يوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديرا
بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقضى القلب ويولد ردى المعادات ويفتح
أبواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين فهذا
ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله أعلم بالصواب .

تم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها
(١) حديث أبي موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد
ن في الكبرى وحب وحسنه أبو علي الطوسي (٢) حديث عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا
الحديث ت من حديث أبي أمامة بلفظ عرض على ربي ليجمع لي بطحاء مكة ذهابا . وقال حسن
(٣) حديث أفضل الصيام صوم أخى داود الحديث أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو
(٤) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وأفطر يوما الحديث أخرجه من حديثه
(٥) حديث ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان أخرجه من حديث عائشة (٦) حديث كان يصوم
حتى يقال لا يفطر الحديث أخرجه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من
حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا و يصوم حتى يظن أن لا يفطر منه
شيئا وكان لاتشاء تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته .

ما علمنا منها وما لم نعلم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله المعين لأرب غيرة وماتوفيق إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كتاب أسرار الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمانا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجبا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن الحج من بين أركان الإسلام ومباني عبادة العمر وختام الأمر وتام الإسلام وكل الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - وفيه قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا (١) » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدائها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى في الضلال وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفوائدها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل في ثلاثة أبواب .

الباب الأول : في فضائلها وفوائدها والبيت العتيق وجل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثاني : في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : في آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الأول وفيه فصلان : الفصل الأول : في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشدة الرحال إلى المساجد .

فضيلة الحج

قال الله عز وجل - وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام وعلى نبيينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى - ليشهدوا منافع لهم - قيل التجارة في الموسم والأجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله عز وجل - لأفعلن لهم صراطك المستقيم - أي طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليجتمع الناس منها وقال عليه السلام « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (٢) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « ما روى الشيطان في يوم أصفر ولا أدهر ولا أحقر ولا أغيط منه يوم عرفة (٣) » وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة (٤) »

كتاب أسرار الحج

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا عده من حديث أبي هريرة وت نحوه من حديث علي وقال غريب وفي إسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث ما روى الشيطان في يوم هو أصفر الحديث مالك عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كرز مرسل (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة لم أجده أصلا .

بحموم على قلوب
بن آدم لنظروا إلى
ملكوت السموات
وقال الحسين بصائر
البصريين ومعارف
العارفين ونور العلماء
الربانيين وطرق
السابقين الناجين
والأزلى والأبدوم بينهما
من الحدث لمن كان
له قلب أو ألقى السمع .
وقال ابن عطاء هو
القلب الذي يلاحظ
الحق ويشاهده ولا
يغيب عنه خطرة
ولا فترة فيسمع به بل
يسمع منه ويشهد به
بل يشهده فإذا لاحظ
القلب الحق بعين
الجلال فزع وارتعد
وإذا طالعه بعين
الجمال هدا واستقر
وقال بعضهم لمن كان
له قلب بصير يقوى
على التجريد مع الله
تعالى والتفريد له
حق يخرج من الدنيا
والخلق والنفس فلا
يشغل بغيره ولا يركن
إلى سواه فقلب الصوفي
مجرد عن الأكوان
ألقى سمعه وشهده
بصره فسمع السموات

وأبصر البصائر
 وشاهد المشهودات
 لتخلصه إلى الله تعالى
 واجتماعه بين يدي
 الله والأشياء كلها عند
 الله وهو عنده فسمع
 وشاهد فأبصر وسمع
 جملها ولم يسمع ويشاهد
 تفصيلها لأن الجمل
 تدرك لسعة عشرين
 الشهود والتفاصيل
 لا تدرك لضيق وعاء
 الوجود والله تعالى هو
 العالم بالجمل والتفاصيل
 وقد مثل بعض
 الحكماء تفاوت الناس
 في الاستماع وقال إن
 الباذر خرج ببذره
 فلما منه كفه فوقع
 منه شيء على ظهر
 الطريق فلم يلبث أن
 انحط عليه الطير
 فاخطفه ووقع منه
 شيء على الصفوان وهو
 الحجر الأملس عليه
 تراب يسير وندى قليل
 فثبت حتى إذا وصلت
 عروقه إلى الصفا لم
 تجد مساعدا تنفذ
 فيه فيس ووقع منه
 شيء في أرض طيبة
 فيها شوك نابت فثبت
 فلما ارتفع خنقه الشوك

وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المرابين أن
 إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص يعرفه فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين
 مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصده أخاف
 أن لا ينجيهم فيحزنني ذلك قال فما الذي أنحل جسمك قال صهيل الحيل في سبيل الله عز وجل
 ولو كانت في سبيلي كان أحب إلى قال فما الذي غير نونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا
 على العصية كان أحب إلى قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول
 يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم «من خرج من بيته
 حاجا أو معتمرا فأتى أجره إلى يوم القيامة ومن مات في إحدى الحرمين لم يعرض
 ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها
 وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «الحجاج والعمار وفد الله عز
 وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعا شفعا» (٣)
 وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام «أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله
 تعالى لم يغفر له» (٤) وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ينزل على
 هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للصليين وعشرون للناظرين» (٥)
 وفي الخبر «استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدون في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل
 تجدونه» (٦) ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر «من طاف أسبوعا حافيا
 حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ماسلف من ذنبه» (٧) ويقال إن الله عز
 وجل إذا غفر لعبده ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف إذا
 وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه «حج رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل - اليوم أكملت لكم دينكم
 (١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فأتى أجره إلى يوم القيامة
 ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة حق في الشعب بالشر الأول من
 حديث أبي هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف (٢) حديث
 حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجاه من حديث أبي هريرة
 الشطر الثاني بلفظ الحج المبرور وقال إن الحجة المبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة (٣) حديث
 الحجاج والعمار وفد الله وزواره الحديث ه من حديث أبي هريرة دون قوله وزواره ودون قوله إن
 سألوه أعطاهم وإن شفعا شفعا وله من حديث ابن عمر وسألوه أعطاهم ورواه حب (٤) حديث
 أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب في المتفق والمفترق وأبو منصور شهردار
 ابن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف (٥) حديث ينزل على
 هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة حب في الضعفاء وهق في الشعب من حديث ابن عباس بأسناد
 حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب وك من
 حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة وقال ك صحيح على شرط
 الشيخين (٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر
 غفر له ماسلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند ت ه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا
 فأحصاه كان كعتق رقبة لفظت وحسنه .

وأتعمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - (١) قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عشرين اثنين يوم عرفة ويوم الجمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » (٢) وروى أن علي بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا ابن موفق حجبت عني ؟ قلت نعم قال وليبت عني ؟ قلت نعم قال فاني أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فأدخلك الجنة والحلائق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء إن الحاج إذا قدموا مكة تلقى منهم الملائكة فسلموا على ركب الأبل وصافحوا ركب الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقاً وقال الحسن من مات عقب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفوره ولمن يستغفله في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الفزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألونهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وروى عن علي بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة تمت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدرى كم حج بيت ربنا عزوجل في هذه السنة ؟ قال لأدرى قال حج بيت ربنا ستائة ألف أتدرى كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت إذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا في ستة أنفس فلما أفضت من عرفة قت عند المشعر الحرام جعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيتئهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال أتدرى ماذا حكم ربنا عزوجل في هذه الليلة ؟ قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبني من السرور ما يبجل عن الوصف وعنه أيضا رضي الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت اللهم إني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجه قال فرأيت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لي يا علي تنسخي على وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجوود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم أقبل حجه قبلته .

فضيلة البيت ومكة المشرفة

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عزوجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستائة ألف فان نقصوا أكلهم الله عزوجل من الملائكة (٣) » وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر « إن الحجر الأسود ياقوته من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق (٤) »

(١) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول اليوم أكلت لكم دينكم الحديث أخرجه من حديث عمر (٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط (٣) حديث إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستائة ألف الحديث لم أجده أصلا (٤) حديث إن الحجر ياقوته من يواقيت الجنة وبعث يوم القيامة له عينان الحديث ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن و باقي الحديث رواه ت وصححه و ه وح ب و ك وصححه إسناداه من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس إن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصححه إسناداه ورواه ن ح ب ك من حديث عبد الله بن عمرو

فأفسده واختلط به
ووقع منه شيء
على أرض طيبة
ليست على طهر الطريق
ولا على الصفوان ولا
فيها شوك فنبت ونما
صالح فمثل البادر مثل
الحكيم ومثل البذر
كمثل صواب الكلام
ومثل ما وقع على طهر
الطريق مثل الرجل
يسمع الكلام وهو
لا يريد أن يسمعه فما
بليت الشيطان أن
يخطئه من قلبه
فينساه ومثل الذي وقع
على الصفوان مثل
الرجل يستمع الكلام
فيستحسنه ثم تفضي
الكلمة إلى قلب ليس
فيه عزم على العمل
فينسخ من قلبه ومثل
الذي وقع في أرض
طيبة فيها شوك مثل
الرجل يسمع الكلام
وهو ينوي أن يعمل
به فإذا اعترضت له
الشهوات قيدته عن
النهوض بالعمل فيترك
ما نوى عمله لغلبة
الشهوة كلززع يختنق
بالشوك ومثل الذي
وقع في أرض طيبة

مثل المستمع الذي ينوى عمله فيهمه ويعمل به ويحجب هواه وهذا الذي جانب الهوى واتهج سبيل المهدي هو الصوفي لأن للهوى حلاوة والنفس إذا تشربت حلاوة الهوى فهي تركز إليه وتستلذه واستلذاد الهوى هو الذي يخنى الثبت كالشوك وقلب الصوفي تازله حلاوة الحب الصافي والحب الصافي تعلق الروح بالحضرة الالهية ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الالهية بداعية الحب تستدبح القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى لأن حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتنبت من فوق الأرض مالها من قرار لكونها لا ترتقي عن حد النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء لأنها متأصلة في الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة

وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا (١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عليه وكان يطوف على الرحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن (٢) وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع (٣) ولولا آتي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نسيجه فالتفت إلى ورأته فرأى عليا كرم الله وجهه ورضي الله عنه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال طي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف؟ قال إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على النبوة كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم إيماننا بك وتصديقنا بكتابك ووفاء بعهدك وروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح «عمرة في رمضان كحجة ممي (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون ممي ثم آتى أهل مكة فأحشروا بين الحرمين (٥)» وفي الخبر «إن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برحمتك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام (٦)» وجاء في الأثر: إن الله عز وجل ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبلا الكعبة غفر له وكشف بعض الأولياء رضي الله عنهم قال إني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سد رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا آتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم رفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يابح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يدكر منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التي تتوقع ولادتها وفي الخبر «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة (٧)» وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله تعالى «إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخر به ثم أخرب الدنيا على أثره (٨)»

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا ، ون أنه كان يقبله كل مرة ثلاثا إن رآه خاليا (٢) حديث إنه كان يسجد عليه البزار وك من حديث عمر وصححه إسناده (٣) حديث قبله عمر وقال إني لأعلم أنك حجر أخرجاه دون الزيادة التي رواها علي ورواه بتلك الزيادة ك وقال ليس من شرط الشيخين (٤) حديث عمرة في رمضان كحجة ممي أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله ممي فهي عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة ممي ورواه ك بزادتها من غير شك (٥) حديث أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون ممي الحديث وحسنه وح من حديث ابن عمر (٦) حديث إن آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برحمتك يا آدم الحديث رواه الفضل الجندی ومن طريقه ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرق في تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس (٧) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار وحب و وصححه من حديث ابن عمر استمعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع في الثالثة (٨) حديث قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخر به ثم أخرب الدنيا على أثره ليس له أصل

فضيلة المقام بمكة حرمها الله تعالى وكرامته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة . الأول : خوف التبرم والأنس بالبيت فإن ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول يا أهل اليمن بمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت . الثاني : تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأماناً أى يشوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم : تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف : كم من رجل بحراسان وهو أقرب إلى هذا البيت عن يطوف به ويقال إن الله تعالى عبدا تطوف بهم الكعبة تقرباً إلى الله عز وجل . الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فإن ذلك مخطور وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع وروى عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر أصلى فسمعت كلاماً بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطائفين حولي من تفكيرهم في الحديث ولغوهم ولغوهم لأن لم ينتهوا عن ذلك لا تنفض انتفاضة يرجع كل حجر مني إلى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود رضى الله عنه ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى - ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم - أى أنه على مجرد الإرادة ويقال إن السيئات تضاعف بها كاتضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الإحاد في الحرم وقيل الكذب أيضاً وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنبا بركية أحب إلي من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف وخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أنه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض، وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا إن ترك المقام به أفضل أى بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم إما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيئات وكيف لا ولما عادر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبال الكعبة وقال «إنك خير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أني أخرجت منك لما خرجت»^(١) وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كاذكرناه .

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم «صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»^(٢) وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فإن الصلاة فيها بخمسائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة»^(٣)

(١) حديث إنك خير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك لما خرجت ت وصححه ون في الكبرى و . وح من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء (٢) حديث صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (٣) حديث ابن عباس صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده بمجملته هكذا و .

وقال

في أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القبر أن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشربها بالروح والقلب والنفس ويفسدها بكليته ويقول :

أشمت منك نسبا لست أعرفه

أظن لياء جرت فيك أردانا

فتعنه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول :

إن تأملتكم فكل عيون

أو تذكريكم فكل قلوب

قال الله تعالى - فيشر عبادي الذين يستمعون

القول فيتعنون أحسنه أولئك الذين هدام

الله وأولئك هم أولوا الألباب - قال بعضهم

اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي

صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المؤمنين

والجزء للذي في سائر

المؤمنين أحد
وعشرون سهما فسم
يساوي المؤمنون كلهم
فيه وهو شهادة أن
لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وعشرون
جزءا يتفاضلون فيها
على مقادير حقائق
إيمانهم قيل في هذه
الآية إظهار فضيلة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي الأحسن
ما يأتي به لأنه لما
وقعت له صحبة
التكئين ومقارنة
الاستقرار قبل خلق
الكون ظهرت عليه
الأنوار في الأحوال
كلها وكان معه أحسن
الخطاب وله السبق في
جميع المقامات ألتراه
صلى الله عليه وسلم
يقول نحن الآخرون
السابقون يعني
الآخرون وجودا
السابقون في الخطاب
الأول في الفضل في محل
القدس وقال تعالى
- يا أيها الذين آمنوا
استجبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحكيكم -
قال الجنيد تسما
روح ما دعاهم إليه

وقال صلى الله عليه وسلم «من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة» (٢) وما بعده البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن المقام بها للرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (٣) وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وماتين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا» (٤) والحديث إنما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بد إلا وفيه مسجد فلامع للرحلة إلى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تنسأوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكيفية إن شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك في غاية الإحالة فادجوز هذا لقبور الأولياء والعلماء والصلحاء في معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة أما المقام فالأولى بالمريد أن يلزم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهماسم له حاله في وطنه فإن لم يسلم في طلب من المواضع ما هو أقرب إلى الخول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له قال صلى الله عليه وسلم «البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأى موضع رأيته رفقا فأقم واحمد الله تعالى» (٥) وفي الخبر «من يورك له في شئ فليلزمه ومن جعلت معيشته في شئ فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه» (٦) وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال إلى بلد أملا فيه جرابي بدرهم وفي حكاية أخرى بلغني عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال فقلت وتفضل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم إذا سمعت برخص في بلد فاقصده فإنه أسلم لدينك وأقل لمحك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكي عنه أنه قال والله ما أدرى أي البلاد أسكن فقليل له خراسان فقال مذهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فإلشام قال يشار إليك بالأصابع أراد الشهرة قيل فالعراق قال بلدا الجابرة قيل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزم على المجاورة بمكة فأوصني قال أوصيك بثلاث لاتصلين في الصف الأول ولا تصحب قرشيا ولا تظهرن صدقة وإنما كره الصف الأول لأنه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيخلط بعمله التزين والتصنع.

من حديث ميمونة باسناد جيد في بيت المقدس اتوه فصولا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة في مسجدي بخمسين ألف صلاة وليس في إسناده من ضعف وقال الذهبي إنه منكر (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة من حديث أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ت ه من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٣) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٤) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب (٥) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيته رفقا فأقم أحمد والطبراني من حديث الزبير بسند ضعيف (٦) حديث من رزق في شئ فليلزمه ومن جعلت معيشته في شئ فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه ه من حديث أنس بالجملة الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو ينكر له .

الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

أما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه إن كان مميزا ويحرم عنه ولية إن كان صغيرا ويفعل به مايفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذوالقعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوبا على النكاح أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال بعقبه لاشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة : الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأها عن حجة الاسلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا شاة وتشتط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف ٧ ثم التذرع ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه . وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لم يملك حجة الاسلام فحج العمرة أو حجاج . وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما المباشرة وذلك له أسباب أما في نفسه فبالصحة وأما في الطريق فيأن تكون خضبة آمنة بلا بحر خطر ولا عدو قاهر . وأما في المال فيأن يجد نفقته ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وأن يملك ما يقضى به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة . وأما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأخير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع والابن إذا عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصربه مستطيعا لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزومه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فإن يسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وإن مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع الناس فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد عمت أن أكتب في الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه وبعضهم كان له جار موسرفات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فإني نركت قال الحج . وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة : الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والخلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المجبورة بالدم ست الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فضليه شاة والرمي فيه الدم قول واحد وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بعنى وطواف الوداع فهذه الأربعة يجزئ تركها بالدم على أحد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة ٧ (قوله في حالة الوقوف) هكذا بالنسخ وفي نسخة الشارح الرق وهي أظهر فان الرقيق إذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج انصرف حجه للقضاء ولا يجزيه عن حجة الاسلام تأمل اه مصححه .

فأسرهم إلى محو العلائق المشغلة وهجموا بالنفوس على معانقة الحذر وتجرعوا حرارة المكابدة وصدقوا الله في للعامة وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر ما يطلبون وسجنوا همهم عن التفات إلى مذكور سوى وليهم فحيوا حياة الأبد بالحى الذى لم يزل ولا يزال . وقال الواسطى رحمه الله تعالى حياتها تصفيتها عن كل معلول لفظا وفعلما وقال بعضهم استجبوا لله بسرا تركم وللرسول بطواهركم فحياة النفوس بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة القيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير . وقال ابن عطاء في هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه : أولها إجابة التوحيد والثاني إجابة التحقيق . والثالث إجابة التسليم

والرابع إجابة التقريب
فالاستجابة على قدر
السع والسع من
حيث الفهم والفهم على
قدر المعرفة بقدر
الكلام والمعرفة بالكلام
على قدر المعرفة والعلم
بالمسك ووجوه الفهم
لا تنحصر لأن وجوه
الكلام لا تنحصر قال
الله تعالى - قل لو كان
البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل
أن تنفذ كلمات ربي -
فله تعالى في كل كلمة
من القرآن كلماته التي
ينفذ البحر دون نفاذها
فكل الكلام كلمة
نظرا إلى ذات التوحيد
وكل كلمة كلمات نظرا
لسعة العلم الأزلي .
حدثنا شيخنا أبو
النجيب السهروردي
قال : أنبأنا الرئيس
أبو طي بن نبهان قال
أنا الحسن بن شاذان
قال أنا دعلج بن أحمد
قال أنا أبو الحسن
ابن عبيد العزيز
البغوي قال أنا أبو
عبيد بن القاسم بن
سلام قال حدثنا
حجاج عن حماد بن

الأهل الأفراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتصم وأفضل
الحل لأحرام العمرة الجمرات ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على الفرد دم إلا أن يتطوع . الثاني القرآن
وهو أن يجمع فيقول بليك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتنسج العمرة تحت
الحج كما ينسج الوضوء تحت الفسل لأنه إذا طاف وسى قبل الوقوف بعرفة فسمعه محسوب من النسيك
وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط الطواف الفرض في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة إلا أن
يكون مكيا فلا شيء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة . الثالث التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة
ويتحلل بمكة ويجمع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمعا إلا بخمس شرائط .
أحدها أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقتصر فيها الصلاة .
الثاني أن يقدم العمرة على الحج . الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج . الرابع أن لا يرجع إلى
ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لأحرام الحج . الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد
فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر
متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة
تتابعاً أو متفرقا وبدل دم القرآن والتمتع سواء والأفضل للأفراد ثم التمتع ثم القرآن . وأما محظورات
الحج والعمرة فستة : الأول اللبس للقميص والسرراويل والخف والعمامة بل ينبغي أن يلبس إزارا
ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبين فان لم يجد إزارا فسرراويل ولا بأس بالمنطقة والاستغلال
في الحمل ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فان إحرامه في الرأس وللرأة أن تلبس كل محيط بعد
أن لا تستر وجهها بما يماسه فان إحرامها في وجهها . الثاني الطيب فليجنب كل ما يبعده العقلاء
طيبا فان طيب أوليس فعليه دم شاة . الثالث الخلق والقلم وفيهما القدية أعنى دم شاة ولا بأس
بالكحل ودخول الحمام والقص والحجامة وترجيل الشعر . الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول
وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شيء وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . الخامس
مقدمات الجماع كالقبلة والملاسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمنا
ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينعقد . السادس قتل صيد البر أعنى ما يؤكل أو هو
متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الحلقة وصيد
البحر حلال ولا جزاء فيه .

الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة حمل

الجملة الأولى في السير من أول الخروج إلى الأحرام وهي ثمانية

الأولى في المال : فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد النظام وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تزمه
نفقته إلى وقت الرجوع وردة ما عنده من الودائع ويستحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه
لدهابه وإيابه من غير تقدير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق
بشيء قبل خروجه ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكثرها فان أكرى فليظهر
للكرى كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه . الثانية في الرفيق : ينبغي
أن يلتزم رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانته وإن جبن شجعه
وإن عجز قواه وإن ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتزم
أدعيتهم فان الله تعالى جاعل في أدعيتهم خيرا ، والسنة في الوداع أن يقول : أستودع الله دينك

الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة

وأما تلك وخواتيم عملك^(١) وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر «في حفظ الله وكشفه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت»^(٢) . الثالثة في الخروج من الدار : يبنى إذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين أولاً يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم أنت صاحب السفر وأنت الحليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حجاج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة القلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك . الرابعة : إذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل عني اللهم إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقاً إلى لقاءك فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجائي فأكفي ما أمهي وما آهمني به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهي للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه . الخامسة في الركوب : فإذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري كله إليك وتوكلت في جميع أموري عليك أنت حسي ونعم الوكيل فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور السادسة في النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحصى النهار ويكون أكثر سيرة بالليل قال عليه السلام «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار»^(٣) «وليقطل نومه بالليل حتى يكون عوناً على السير ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين عنى شراً رهم فإذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فأذا جئ عليه الليل يقول يا أرض ربني وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسد وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد والبلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . السابعة في الحراسة : يبنى أن يحتاط بالنهار فلا

(١) حديث استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك دت وصححه . ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفراً ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا

(٢) حديث كان عليه السلام يقول لمن أراد سفراً في حفظ الله وكشفه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عندت وحسنه دون قوله في حفظ الله وكشفه (٣) حديث عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار د من حديث أنس دون قوله ما تطوى بالنهار وهذه الزيادة في الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسل .

ملحة عن طي بن زيد
من الحسن برفعه إلى
النور صلى الله عليه
وسلم قال «ما نزل من
القرآن آية إلا وله
ظهر ويطن ولكل
حرف حد ولكل حد
مطلع» قال فقلت يا أبا
سعيد ما المطلاع قال
يطلع قوم يعملون
به قال أبو عبيد
أحسب أن قول الحسن
هذا إنما ذهب إلى
قول عبد الله بن
مسعود قال أبو عبيد
حدثني حجاج عن
شعبة عن عمرو بن
مرة عن مرة عن
عبد الله بن مسعود
قال : ما من حرف أو
آية إلا وقد عمل بها
قوم أولها قوم سيعملون
بها فالمطلع الصعد
يصعد إليه من معرفة
عامه فيكون المطلاع
الفهم يفتح الله تعالى
عن كل قلب بما
يرزق من النور
واختلف الناس في معنى
الظهر واليطن قال
قوم الظهر لفظ القرآن
واليطن تأويله وقيل
الظهر صورة القصة

عما أخسر الله تعالى
عن غضبه على قوم
وعقابه إياهم فظاهر
ذلك إخبار عنهم
وباطنه عظة وتنبية
لمن يقرأ ويسمع من
الأمة وقيل ظاهره
تنزيله الذي يجب
الإيمان به وباطنه
وجوب العمل به وقيل
ظهيره تلاوته كما أنزل
قال الله تعالى - ورتل
القرآن ترتيلا وبطنه
التدوير والتفكير
فيه قال الله تعالى -
كتاب أنزلناه إليك
مبارك ليتبروا آياته
وليتذكروا الأولياء -
وقيل قوله لكل
حرف حد أي في
التلاوة لا يجاوز
المصحف الذي هو
الامام وفي التفسير
لا يجاوز المسموع
للمنقول وفرق بين
التفسير بالتأويل
فالتفسير علم نزول الآية
وشأنها وقصتها
والأسباب الذي نزلت
فيها وهذا محظور على
الناس كافة القول فيه
إلا بالسمع والأثر وأما
التأويل فصرف الآية

يمشي منفردا خارج القافلة لأنه ربما يقتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فإن نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره (١) لأنه ربما استنقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والأحب في الليل أن يتناوب الرفيقان في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر (٢) فهو السنة فإن قصده عدو أو سبغ في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتي بالخير إلا الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولادون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانها لك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإيمانك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين . الثامنة : مهما على نشرا من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال : سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت .

الجملة الثانية في آداب الاحرام من الميقات إلى دخول مكة وهي خمسة

الأول : أن يغتسل وينوي به غسل الاحرام أعنى إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة . الثاني : أن يفارق الثياب المخيطة ولبس ثوبي الاحرام فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام ، فقد روي بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعماله قبل الاحرام (٣) . الثالث : أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحته إن كان راكبا أو يبدأ بالسير إن كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو إفا إذا كان أراد ويكون مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وإن زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيدك والرباء إليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . الرابع : إذا انعقد إحرامه بالتلبية للذكورة فيستحب أن يقول اللهم إني أريد الحج فيسره لي وأعني على أداء فرضه وتقبله مني اللهم إني نويت أداء فريضتك في الحج فأجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارضيت وقبلت منهم اللهم (١) حديث كان إذا نام في أول الليل افترش ذراعه وإذا نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه في كفه أحمد وث في الشرائع من حديث أبي قتادة بأسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقي والحميدي إلى م ولم أره فيه (٢) حديث تناوب الرفيقين في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر حق من طريق ابن إسحق من حديث جابر في حديث فيه فقال الأنصاري للمهاجري أي الليل أحب إليك أن أكفيكه أوله أو آخره فقال بل أكفي أوله فأضطجع المهاجري الحديث والحديث عند أبي داود ولكن ليس فيه قول الأنصاري للمهاجري (٣) حديث رؤية وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت : كأنما أنظر إلى وبيص المسك الحديث .

فيسرلى أداء ما نويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحى وشعرى ودمى وعصى وعظمى وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المحيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل فليحفظها . الخامس : يستحب تجديد التلبية فى دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يسمع حلقه ولا ينهر فانه لا ينادى أصم ولا غابيا (١) كما ورد فى الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة فانها مظنة للناسك : أعنى المسجد الحرام ومسجد الحيف ومسجد الميقات وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شئ قال « لبيك إن العيش عيش الآخرة (٢) » .

الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة إلى الطواف وهى ستة

الأول أن يغتسل بذى طوى لدخول مكة . والاغتسالات المستحبة السنونة فى الحج تسعة . الأول : للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ولا غسل لرمى جمره العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافى رضى الله عنه فى الجديد الغسل لطواف الزيارة وطواف الوداع فتعود إلى سبعة . الثانى : أن يقول عند الدخول فى أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فخرم لحى ودمى وشعرى وبشرى على النار وأمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من نية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها (٣) فالتأسي به أولى وإذا خرج خرج من نية كدى بضم الكاف وهى النية السفلى والأولى هى العليا . الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فيقل : لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت إذا ذا الجلال والاکرام اللهم إن هذا بيتك عظمت وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برآ وكرامة اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعدنى من الشيطان الرجيم . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبه وليقل : بسم الله والله ومن الله وإلى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك ولىرفع يديه وليقل اللهم إنى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم إنى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جنتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب لمرضااتك . السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيتته

(١) حديث إنكم لاتنادون أصم ولا غابيا متفق عليه من حديث أبى موسى (٢) حديث كان إذا أعجبه شئ قال : لبيك إن العيش عيش الآخرة الشافى فى المسند من حديث مجاهد مرسل بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال إنما خير ما خيرا الآخرة (٣) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من نية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من النية العليا التى بالبطحاء الحديث .

إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه يوافق الكتاب والسنة فالتساويل يختلف باختلاف حال المؤول على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى لاقتران وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله ابن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همه أن يصنى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه فالصوفى بكل الزهد فى الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة فى التلاوة مطلع جديد وفهم عتيق وله بكل فهم عمل جديد ففهمهم يدعو إلى العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر فى معانى الخطاب فمن

اشهدلى بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يرجع على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يحد الناس في المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف .

الجملة الرابعة في الطواف

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لغيره فينبغي أن يراعى أموراً ستة . الأول : أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والحث في الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطجع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط رداءه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبيه الأيسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفاً على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويستغل بالأدعية التي سنذكرها . الثاني : إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتنح عنه قليلاً ليكون الحجر قدماه فيمصر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قربا من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الأسود قديتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يتبدى الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأقول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام إبراهيم عليه السلام : اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرّم لحى ودمى على النار وأمنى من أهوال يوم القيامة واكفى مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر في الأهل والمال والولد فإذا بلغ اليزاب قال اللهم أظننا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم اسقني بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبداً فإذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيًا مشكوراً وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فإذا بلغ الركن اليمني قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة الحيا والممات وأعوذ بك من الحزى في الدنيا والآخرة ويقول بين الركنين اليمنى والحجر الأسود اللهم ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فإذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفر لي برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط . الرابع : أن يرمل في ثلاثة أشواط ويمشي في الأربعة الأخيرة على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الإسراع في المشي مع تقارب الخطأ وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد أولاً قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة (١) والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال للمشركون إنه يقدم عليكم قوم كسوهتم حتى يشرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة الحديث وأما الاضطباع

الفهم على من العلم حمل
والعلم والعمل يتناولان
فيه وهذا العمل آتفا
إعنا هو عمل القلوب
وعمل القلوب غير حمل
القالب وأعمال القلوب
للطفها ومصادقتها
مشاكلة للعالم لأنها
نيات وطويات
وتعلقات روحية
وتأذبات قلبية
ومساحرات سرية وكلا
أتوا بعمل من هذه
الأعمال رفع لهم علم
من العلم وأطلعوا على
مطلع من فهم الآية
جديد ويخالف سرى
أن يكون المطلع ليس
بالوقوف بصفاء الفهم
على دقيق المعنى وغامض
السرى في الآية ولكن
المطلع أن يطلع عند
كل آية على شهود
المتكلم بها لأنها
مستودع وصف من
أوصافه ونعت من
نوعه فتتجدد له
التجليات بتلاوة الآيات
وسماعها ويصير له
مراء منبهة عن عظيم
الجلال ولقد نقل عن
جعفر الصادق رضى
الله عنه أنه قال لقد

فليخرج إلى حاشية المطاف وليرمل ثلاثاً ثم يقرب إلى البيت في الزدحم وليس أر بها وإن أمكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الأحب وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني يستحب من سائر الأركان وروى «أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليماني (١)» ويقبله (٢) ويضع خده عليه (٣) ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصار في الركن اليماني على الاستلام أغنى عن المس باليد فهو أولى . الخامس إذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليتزق بالبيت وليتعلق بالأستار ويلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يارب البيت العتيق أعنتق رقيق من النار وأعزني من الشيطان الرجيم وأعزني من كل سوء وقنني بما رزقتني وبارك لي فما آتيتني اللهم إن هذا البيت بينك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيراً في هذا الموضع وليصل على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيراً وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى أقرا لربي بذنوبي . السادس إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة أن يصلي لكل سبع ركعتين (٤) وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز (٥) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي والآخرة والأولى واعصمني بالطائفك حتى لأعصيك وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حبيبي إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني إلى الاسلام فثبتني عليه بالطائفك وولاتك واستعملني لطاعتك وطاعة رسولاك وأجرتني من مضلات النتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف فروى ده ك ومحمه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليماني متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود الحديث ولهما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن (٢) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا آتي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك وللبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله في التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليماني قبله (٣) حديث وضع الخد عليه قط ك من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليماني الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور (٤) حديث الزهري مضت السنة أن يصلي لكل أسبوع ركعتين ذكره خ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعاً إلا صلى ركعتين وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين (٥) حديث قرأه صلى الله عليه وسلم بين أسابيع ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عقي في الضعفاء وابن شاهين في أماليه من حديث أبي هريرة

بحسب الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحمد لله الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود المتكلم . وقد نقل عن جعفر الصادق أيضاً أنه خر مغشياً عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها فالصوفي لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضراً شهيداً يرى لسانه أو لسان غيره في التلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمع الله منها خطابه إياه بأنني أنا الله فإذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه إلى الله صار سمعه بصره وبصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك أن الله تعالى

قال صلى الله عليه وسلم «من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة (١)» وهذه كيفية الطواف والواجب من جملة بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يتدبى بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لأعلى الشاذروان ولا في الحجر وأن يوالى بين الأشواط ولا يفرقها تفرقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهنات .

الجملة الخامسة في السبي

فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذة الضلع الذي بين الركن اليماني والحجر فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة (٢) . وابتداء السبي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحبة فينبغي أن لا يتخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسبي وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بحمده كماها على جميع نعمه كماها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين - فسيحان الله حين تسمون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنشقرون - اللهم إني أسألك لعنانا دائما ويقينا صادقا وعلمنا نافعنا وقلبا خاشعا ولسانا ذا كرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويتدبى السبي وهو يقول: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشى على هيئة حتى ينتهى إلى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام فإذا بقي بينه وبين محاذة الميل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى إلى الميلين الأخضرين ثم يعود إلى الهيئة فإذا انتهى إلى المروة صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السبي مرة واحدة فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسبي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسبي وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى فينبغي أن لا يعيد السبي بعد الوقوف ويكتفى بهما ركنا فإنه ليس من شرط السبي أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سبي أن يقع بعد طواف أى طواف كان .

وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفي إسنادهما عبد السلام بن أبى الحبوب منكر الحديث

(١) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة ت وحسنه ون ه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ ه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة والبيهقي في الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٢) حديث أنه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبى هريرة أتى الصفا فعلا عليه حتى نزل إلى البيت

خاطب الدر بقوله - ألسنت بر بكم - فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم نزل الدرات تنقلب في الأصلاب وتنقل إلى الأرحام قال الله تعالى - الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين - يعنى قلب ذرتك فى أصلاب أهل السجود من آباءك الأنبياء فما زالت تنقل الدرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة و بعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلمتها بالقلب فى الأطوار فإذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بأن يصيره صوفيا صافيا لا يزال يرقيه فى رتب الزكية والتحلية حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة إلى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجن الحكمة فيصير سماعه - ألسنت بر بكم - كشفا وعيانا وتوحيده وعرفاته تبياناً وبرهاناً وتقدرياً له ظم الأطوار فى أواضع الأنوار . قال

الجملة السادسة في الوقوف وما قبله

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرماً إلى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغد ومنها إلى عرفة لأقامة فرض الوقوف بعد الزوال إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي أن يخرج إلى منى ملياً ويستحب له المشي من مكة في المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه والمشي من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وأكد فإذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على ثبيرسار إلى عرفات ويقول : اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعداها من سخطك اللهم إليك غدوت وإياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فأجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل فإذا أتى عرفات فليضرب خبائه بخمرة قريباً من المسجد فثم ضرب رسول الله ﷺ قبته (١) وبخمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن في الأذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الامام مع تمام إقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصلاة وراح إلى الموقف فليقف بعرفة ولا يقف في وادي عرفة وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخبراته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلاً للقبلة راكباً وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتلهيل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبى تارة ويكبت على الدعاء أخرى وينبى أن لا ينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الخلط في الهلال فهو الحزم وبه الأمن من الذوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دماً لأجل القوات ثم يقضى العام الآتي وليكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) إلا وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعو به فليقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بخمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبته من شعر تضرب له بخمرة الحديث (٢) حديث الدعاء المأثور في يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث ت من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال حسن غريبوه من حديث علي قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كلهم نقول وخيراً مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآتي ولك رب تراثي اللهم إني أعوذ بك من شر ما ينجي به الريح وقال ليس بالقوى اسناده وروى المستغفرى في الدعوات من حديثه بإصل إن أكثر دعاء من قبلي يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نوراً وفي قلبي نوراً اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري

بعضهم أما أذكر خطاب ألت بربكم إشارة منه إلى هذا الحال فإذا تحقق الصوف بهذا الوصف صار وقته سرمداً وشهوده مؤبداً وصاحبه متوالياً متجسداً يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع . قال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر . وقال بعضهم تعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال التكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت إلى الجواب والاقبال بالوجه والنظر إلى التكلم والوجه قال الله تعالى لنبيه عليه السلام حو لا تسجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقال لا تحرك به لسانك لتسجل به هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لآمله على الصلابة حتى تتدبر

معانيه حتى تكون
أنت أول من يخلص
بفرائبه وبجائبه وقيل
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا نزل عليه
جبريل عليه السلام
وأوحى إليه لا يفتر من
قراءة القرآن مخافة
الانفلات والنسيان
فنهأ الله تعالى عن
ذلك أي لا تعجل
بقراءته قبل أن يفرغ
جبرائيل من إلقائه
إليك وقد تكون
مطالعة العلوم وأخبار
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمعنى السماع
ويحتاج الطالب للعلوم
والأخبار وسير أهل
الصلاح وحكاياتهم
وأشواع الحكم والأمثال
التي فيها نجاة من
عذاب الآخرة أن
يكون في ذلك كله
متأدبا بآداب حسن
الاستماع لأنه نوع من
ذلك وكما أن القلب
استعد بحسن الاستماع
بإزهاة والتفوق حتى
أخذ من كل ما فيه
أحسنه فيكون آخذا
بالمطالعة من كل شيء
أحسنه ومن الأدب

له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي
نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وليلق
اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرا عما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآتي
وإليك نواي اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك
من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما يهب به الريح ومن شر بوائق الدهر اللهم
إني أعوذ بك من تحول عافيتك وجفأة نعمتك وجميع سخطك اللهم اهْدني بالهدى واغفر لي في
الآخرة والأولى يا خير مقصود وأسنى منزول به وأكرم مستول مالهيه أعطني العشية أفضل ما أعطيت
أحدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين اللهم يارفع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الأرضين
والسموات ضجت إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار
البلاء إذا نسيت أهل الدنيا اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرى وعلائي ولا تخفى عليك
شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل الشفيق المعترف بذنبي أسألك مسئلة المسكين
وأتهل إليك ابتهاج المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضعيف وأدعوك من خضعت لك رقبته وقاضت
لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رءوفا رحما يا خير
المستولين وأكرم المعطين إلهي من مدح لك نفسه فاني لأتم نفسي إلهي أخرست للعاصي لساني فإني
وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الأمل إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تنبني لي عندك جاها ولا الاعتذار وجهها
ولكنك أكرم الأكرمين إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبغيني ورحمتك
وسعت كل شيء وأنا شيء وأنا شيء إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي
يا كريم إلهي أنت أنت وأنا أنا وأنا العواد إلى الذنوب وأنت العواد إلى المغفرة إلهي إن كنت لا ترحم
إلا أهل طاعتك فإني من يفزع المذنبون إلهي تجنبني عن طاعتك عمدا وتوجهني إلى معصيتك
قصدا فسبحانك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حقي
عني وفقرتي إليك وغناك عني إلا غفرت لي يا خير من دعاء داع وأفضل من رجاء راج بحرمة
الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضى
الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فيما تمنيت إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمته فلا تحرمني الرجاء
الذي عرفته إلهي ما أنت صانع العشية بمدمرك بذنبي خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع
إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتل إليك في الغفر عنه طالب إليك
نجاح حوائجه راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فياملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن
فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك اللهم إليك خرجنا وبفنائك أنحنأ وإياك أملنا وما عندك
طلبنا ولا حسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأثقال الذنوب هربنا
ولبيتك الحرام حجبنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعي ويا من
ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يوق ولا حاجب يرشي يا من لا يزداد على كثرة السؤال
اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وقسوة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج
في النهار وشر ما يهب به الريح ومن شر بوائق الدهر وإسناده ضعيف وروى الطبراني في المعجم الصغير
من حديث ابن عباس قال كان معاذا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم إنك ترى
مكاني وتسمع كلامي وتعلم سرى وعلائي ولا تخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير فذكر
الحديث إلى قوله يا خير المستولين ويا خير المعطين وإسناده ضعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف
وفي بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقيدا بمؤلف عرفة .

إلا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج لإتفلا وإحسانا اللهم إني جعلت لكل ضيف قري ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج نوايا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ولكل متوسل إليك عفوا وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا إلهنا تابع النعم حتى اطمانت الأنفس بتناجيع نعمك وأظهرت العبر حتى نطق الصوامت بحجبتك وظهرت المنى حتى اعترفت أولياؤك بالتقصير عن حقك وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك إذا أساءت عبادك حامت وأمهلته وإن أحسنوا تفضلت وقبلت وإن عصوا سترت وإن أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أقبلنا إليك قربت وإذا ولينا عنك دعوت إلهنا إني قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين - قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف - فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وإنا نشهد لك بالتوحيد محبتين ولحمد بالرسالة مخلصين فأغفر لنا بهذه الشهادة سوائف الأجرام ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل في الإسلام إلهنا إني أحببت التقرب إليك بعق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالفضل فاعتقنا وإنك أمرتنا أن تصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فأعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار . وليكثر من دعاء الحضرة عليه السلام وهو أن يقول يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشبهه عليه الأصوات يا من لا تغلظه السائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يرميه إلحاح الملحين ولا تنجره مسئلة السائلين أذنتنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليدع بمابدا له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ولينلج في الدعاء وليعظم المسئلة فإن الله لا يتعاضمه شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا تردنا لجمع من أجلى وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم .

الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمي والتحر والخلق والطواف

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل وإيضاع الأبل كما يعتاده بعض الناس فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى عن وجيف الخيل وإيضاع الأبل وقال: اتقوا الله وسبروا سيرا جميلا لا تطشوا ضعيفا ولا تؤذوا مسكنا» (١) فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لأن المزدلفة من الحرام فليدخله بغسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسألك حوائجهم مؤتلفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيتهم ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافله المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فإن ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف إيقاعها في الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فاذا جاز أن يؤدي النوافل مع الفرائض بقيم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أدائها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من

(١) حديث نهى النبي عن وجيف الخيل وإيضاع الأبل نك وصححه من حديث أسامة بن زيد عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس في إيضاع الأبل وقال ك ليس البر بإيجاف الخيل والإيل والبخاري من حديث ابن عباس فإن البر ليس بالإيضاح .

في المطالعة أن العبد إذا أراد أن يطالع شيئا من الحديث والعلم يعلم أنه قد تكون مطالعة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فتستروح بالمطالعة كما تتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتفقد المتفطن نفسه في ذلك ولا يستحلى مطالعة الكتب إلى حد يأخذ ذلك من وقته ويراعى الإفراط فيه فاذا أراد مطالعة كتاب أو شيء من العلم لا يبادر إليه إلا بعد التثبت والانابة والرجوع إلى الله تعالى وطلب التأييد من رحمة الله تعالى فيه فإنه قد يرزق بالمطالعة ما يكون من مزيد حاله ولو قدم الاستخارة تلك كان حسنا فإن الله تعالى يفتح عليه باب الفهم والتفهيم موهبة من الله زيادة على ما يتبين من صورة العلم فالعلم صورة ظاهرة وبسر باطن وهو الفهم والله تعالى نبيه على

شرف الفهم بقوله
 - ففهمناها سليمان
 وكلا آتينا حكما وعلما -
 أشار إلى الفهم بمزيد
 اختصاص وتميز عن
 الحكم والعلم قال الله
 تعالى - إن الله يسمع
 من يشاء - فإذا كان
 السمع هو الله تعالى
 يسمع تارة بواسطة
 اللسان وتارة بما يرزق
 بمطالعة الكتب من
 اتفان فصار ما يفتح
 الله تعالى بمطالعة
 الكتب على معنى
 ما يرزق من السموع
 ببركة حسن الاستماع
 ليتفقد العبد حاله
 في ذلك ويتعلم علمه
 وأدبه فانه باب كبير
 من أبواب الخير وعمل
 صالح من أعمال المشايخ
 والصوفية والعلماء
 الزاهدين المتبتلين
 لاستفتاح أبواب
 الرحمة والمزيد من كل
 شيء ينفع سلوك الآخرة
 [الباب الثالث في بيان
 فضيلة علوم الصوفية
 والاشارة إلى آموذج
 منها]
 حدثنا شيخنا شيخ
 الاسلام أبو النجيب

هذا مفارقة النفل للفرض في جواز أدائه على الراحة لما أوامنا إليه من التبعة والحاجة ثم عكست تلك الليلة
 بمزدلفة وهو بيت نيك ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم وإحياء هذه الليلة
 الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم إذا اتصف الليل بأخفى المتأهب للرحيل ويزود الحصى
 منها ففها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانه قادر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فر بما يسقط منه
 بعضها ولكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم ليغسل بصلاة الصبح وليأخذ في المسير حتى
 إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الأسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام
 والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمدنا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال
 والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي إلى موضع يقال له وادي محسر فيستحب له أن يحرك
 دابته حتى يقطع عرض الوادي وإن كان راجلا أسرع في المشي ثم إذا أصبح يوم النحر خاض التلبية بالتكبير
 فيلى تارة ويكبر أخرى فينتهي إلى منى ومواقع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا يشغل له
 معهما يوم النحر حتى ينتهي إلى جملة العقبة وهي على عين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في
 سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف
 مستقبل القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرمى سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير
 ويقول مع كل حصاة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابتك واتباعا لسنة
 نبينا فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى
 عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير أن
 يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له تخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم
 الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدي إن كان معه والأولى أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله
 والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل منى كانت قبلة من خليك إبراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم
 بالبقرة ثم بالشاة وأفضل من مشاركة سنة في البدنة أو البقرة والضأن أفضل من المعز قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم «خير الأضحية الكبش الأقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء» (١) وقال أبو هريرة
 البيضاء أفضل في الأضحية من دم سوداوين وليأكل كل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحى بالعرجاء
 والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع في الأنف والأذن
 للمطعم منهما والعصب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق والخرقاء من أسفل
 والمقابلة المخروقة الأذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنق أي لامخ فيها من الهزال
 ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويتدنى بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين
 المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بهاسية وارفع لي بها
 عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والأصلع يستحب له إمرار الموصى على رأسه ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد
 حصل له التحلل الأول وحل له كل المحذورات إلا النساء والصيد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه
 وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر
 وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أي وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام
 فلا تحل له النساء إلى أن يطوف فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكفاية ولم يبق إلا رمي
 أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف
 (١) حديث خير الأضحية الكبش د من حديث عبادة بن الصامت وت من حديث أبي أمامة قال ت

مع الركعتين كاسبق في طواف القدوم فإذا فرغ من الركعتين فليسهج كما وصفنا إن لم يكن سى حد طواف القدوم وإن كان قد سى فقد وقع ذلك ركناً فلا ينبغي أن يعيد السى . وأسباب التحلل ثلاثة الرى والحلق والطواف الذى هو ركناً ومهما أتى بأثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهى خطبة وداع رسول الله ﷺ فى الحج أربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر^(١) وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقب الزوال وكلها أفراد إلا خطبة يوم عرفة فانهما خطبتان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للبيت والرى فبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس فى غد يقرون بمنى ولا ينفرون فإذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرى وقصد الجرة الأولى التى تلى عرفة وهى على عين الجادة ويرى إليها سبع حصيات فإذا تعداها انحرف قليلاً عن عين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلاً على الدعاء ثم يتقدم إلى الجرة الوسطى ويرى كرمى الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جرة العقبة ويرى سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبعث تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فإذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رعى فى هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كالיום الذى قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شئ عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه البيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى أحداً وعشرين حجراً كاسبق وفى ترك البيت والرى إراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٢) ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام فى مسجد الخيف فإن فضله عظيم فإذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالحصب من منى ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقة^(٣) فهو السنة رواء جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فإن لم يفعل ذلك فلا شئ عليه .

الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع

من أراد أن يعتزم قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كاسبق فى الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوى العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة رضى الله عنها ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فإذا فرغ حلق رأسه وقد غريب وعفير يضعف فى الحديث^(١) حديث الخطبة يوم النحر وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم خ من حديث أبى بكره خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفى حديث علقه خ ووصله . من حديث ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع^(٢) حديث زياره البيت فى ليالى منى والبيت بمنى د فى المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالى منى قال د وقد أسند قلت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الاسناد ولأبى داود من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالى أيام التشريق^(٣) حديث نزول الحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقوده رقة خ من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة الحديث .

المهروردي رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن الصوفي قال أنا عبد الرحمن بن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا بقيقه عن الأحوص ابن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبي عليه السلام عن الشر فقال «لا تسألوني عن الشر وسألوني عن الخير يقولها ثلاثاً ثم قال إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء» فالعلماء أدلاء الأمة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية ونقباء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى فى خلقه وأطباء العباد وجهاندة الملة الحنيفية وحملات عظيم الأمانة فهم أحق الحلق بحقائق التقوى وأحوج

تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتبار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربى فكيف أراها أهلا لأن أطأهما بيت ربى وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه وليرتومنه حتى يتصلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم «ماء زمزم لما شرب له»^(١) أى يشفى ما قصده .

الجملة التاسعة في طواف الوداع

مهما عثر له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينبجز أولا أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كاسبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فإن كنت رضية عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدى عن بيتك هذا أو انصرافى إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا بيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أحصني العافية في بدنى والعصمة في ديني وأحسن من قلبي وارزقني طاعتك أبدا ما بقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لاتجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها

قال صلى الله عليه وسلم «من زارني بعد وفاتى فكأنما زارني في حياتي»^(٢) وقال عليه السلام «من وجد سعة ولم يقد إلى فقد جفاني»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «من جاءني زائرا لايهمه إلا زيارتي كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا»^(٤) فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليفتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب ويلبس أنظف ثيابه فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلى بحجب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغبر المسجد وليجتهد أن يصلى في المسجد

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرک من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن القطان سلم منه فإن الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد ابن هشام الرورى (٢) حديث من زارني بعد وفاتى فكأنما زارني في حياتى الطبرانى والدارقطنى من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يقد إلى فقد جفاني ابن عدى والدارقطنى في غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرنى فقد جفانى وذكره ابن الجوزى في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس اه عذر (٤) حديث من جاءني زائرا لايهمه إلا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

لا يوافق الكتاب
والسنة وما هو مستفاد
منهما أو معين على
فهمهما أو مستند
إليهما كائنا ما كان
فهو رذيلة وليس
بفضيلة يزداد الانسان
به هوانا ورذيلة في
الدنيا والآخرة فالعلم
الذي هو فريضة لا يسع
الانسان جهله على
ما حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب قال
أنا الحافظ أبو القاسم
الستلمى قال أنا
الشيخ العالم أبو القاسم
عبد الكريم ابن هوازن
القشيري قال أنا
أبو محمد عبد الله
ابن يوسف الأصفهاني
قال أنا أبو سعيد ابن
الأعرابي قال حدثنا
جعفر بن عامر
السكري قال حدثنا
الحسن بن عطية
قال حدثنا أبو
عائكة عن أنس
ابن مالك قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « اطلبوا
العلم ولو بالصين فان
طلب العلم فريضة
على كل مسلم » .

الأول قبل أن يزداد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدير القبلة ويستقبل
جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس
من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك
يا رسول الله السلام عليك يا بني الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة
الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام
عليك يا ماضي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا حاضر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام
عليك يا طاهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا كرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام
عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر
السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك
وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى
أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى
عليك كلما ذكرك الله اذكرون وكما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل
وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحدا من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرتنا بك من العمية
وهذا نأبئك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه
وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت
أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم
وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم
يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبي بكر رضى الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع
ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول السلام عليك يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين في أمته بعده بأمر الدين فبعض في ذلك
آثاره وتعملان بسنته فجزاك الله خير ما جزى وزيرى نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل
وليحمده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم إنك قد قلت وقولك الحق ولو أنهم إذ ظلموا
أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحما اللهم إننا قد سمعنا قولك وأطعنا
أمرنا وقصدنا نبيك متشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تابيتنا من زللتنا معترفين
بخطايانا وتقصيرنا فقب اللهم علينا واشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلة عندك وحقه عليك اللهم اغفر
لنهارين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن
حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء المستطاع لقوله ﷺ « ما بين
قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي (١) » ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع
يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة (٢) ويستحب له

(١) حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق عليه من
حديث أبي هريرة وعبد الله بن زيد (٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على
رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زبالة في تاريخ المدينة أن طول رمانتي المنبر
التي كان يمسكها صلى الله عليه وسلم بيديه الكرمتين إذا جلس شرب وأصبعان .

واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الأعمال لأن الاخلاص مأمور به كما أن العمل مأمور به قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين - فالاخلاص مأمور به وخذع النفس وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تخرب مبادئ الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضا حيث كان الاخلاص فرضا وما لا يصل العبد إلى الفرض إلا به صار فرضا وقال بعضهم معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر هي أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضا حتى يصح الفعل من العبد لله . وقال بعضهم هو طلب علم الوقت . وقال سهل بن عبد الله هو طلب

أن يأتي أحدا يوم الخميس ويحضر قبور الشهداء فيصلى الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضر قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه أيضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ويصلى في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويحضر قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله ﷺ فذلك كله بالبقيع ويستحب له أن يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصلى فيه لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلى فيه كان له عدل عمرة (١)» ويأتي قبر أريس يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها (٢) ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد والمشاهد ويقال إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها (٣) وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركاً به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم (١) حديث من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة النسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بإسناد صحيح (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل في بئر أريس لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه نزل في بئر البصة وبئر غرس كما سيأتي عند ذكرها (٣) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار . قلت وهي بئر أريس وبئر حرا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل . وحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال جلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث . وحديث بئر حرا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه بئر حرا وكانت مستقبله المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث . وحديث بئر رومة رواه تان من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن وفي رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بالثمن فابتعتها فجعلتها للفقير والفقر وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الأسلمي قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القرية بعد الحديث . وحديث بئر غرس رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال اتبوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولان ماجه بإسناد جيد مرفوعا إذا أنامت فاغسلوا في سبع قرب من بئر بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار بإسناد ضعيف مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبرق فيها وغسل منها حين توفي . وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية أنه يستقي لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال ت حسن للطبراني من حديث أبي أسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة ورويناه أيضا في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة

قال صلى الله عليه وسلم «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة» (٢) ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فليستحب أن يأتي القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة في سفره . ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة في المسجد فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولاً ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزاري بزيارته وأحميني في سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالماً يا أرحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلّى فيها وهي عشرون موضعا .

فصل في سنن الرجوع من السفر

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» (٣) وفي بعض الروايات «وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون» فينبى أن يستعمل هذه السنة في رجوعه وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً ثم يرسل إلى أهله من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بقتة فذلك هو السنة (٤) ولا يبنى أن يطرق أهله ليلاً فإذا دخل البلد فليقتصد المهجد أولاً وليصل ركعتين فهو السنة (٥) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا دخل بيته قال توباً لربنا أو بآياتنا أو بآياتنا أو بآياتنا أو بآياتنا فلا رواه ابن عدى من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه يومئذ فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فإن اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرًا وخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره في البصة وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث بئر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار في مسنده أو من بئر السقيا ولأحمد من حديث علي خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتنوني بوضوء فلما توضأ قام الحديث . وأما بئر جمل ففي الصحيحين من حديث أنس الجهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل الحديث وصله خ وعلقه م والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقدروى الدارمى من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه صبراً على سبع قرب من آبار شق الحديث وهو عند خ دون قوله من آبار شق (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة تقدم في الباب قبله (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر ومأزاه في آخره في بعض الروايات من قوله لكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون رواه الهاملى في الدعاء بأسناد جيد (٤) حديث إرسال المسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بقتة لم أجده في ذكر الأرسال وفي الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا للدخول فقال أمهوا حتى ندخل ليلاً أى عشاءى تخلصت الشحنة وتستحد المغيبة (٥) حديث صلاة ركعتين في المسجد عند القدوم من السفر تقدم في الصلاة

علم الحال يعني حكم حاله الذي بينه وبين الله تعالى في دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقد ورد «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث إنه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزاد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذي يكتسب بالصحة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد للقرن بين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقويهم بطريقهم ويرشدتهم بهم فهم وراثت علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين . وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يد عملاً يجعل الله عليه فذلك فلا يجوز له أن يصلى ربه

ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمة وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللاهوا والخوض في المعاصي فإذ ذلك علامة الحج للبرور بل علامته أن يعود زاهدا في الدنيا راعبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهي عشرة

الأول : أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى في خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للزهوة وأغنيائهم للتجارة وفقراؤهم للسئلة وقراؤهم للسمعة (١) » وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي يتصور أن تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسيما إذا كان متجربا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لاليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه (٢) » ولست أقول لا تحمل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فإن الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر « مثل الذي يغزو في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرا (٣) » فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فإنه يأخذ ليطمئن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بتليبس حالها عليهم . الثاني : أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادقون من المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين في الطريق فإن تسليم المال إليهم إغانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كإغانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إغانة الظلمة فإن هذه بدعة أحدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ منه وأنامضطر فإنه لو قعد في البيت أوجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زى الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه إلى حالة الاضطرار . الثالث : التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا إسراف

الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

(١) حديث إذا كان في آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للزهوة وأغنيائهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث أنس بإسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمق للزهوة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للسئلة وقراؤهم للرياء والسمعة (٢) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه حق من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث مثل الذي يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرا ابن عدي من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن

إذ هو جاهل فيها له وعليه في ذلك فيراجع عالميا سأل عنه ليحييه على بصيرة ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل . وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول إن طريقه النقل . وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والانقياد في الاسلام ولا يحبك في صدره شيء فهو سالم فإن حاك في صدره شيء أو توسوس بشيء يقدح في العقيدة أو باطل يشبه لا تؤمن غائلتها أن تجرّه إلى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن ينهيه طريق الصواب . وقال الشيخ أبوطالب المكي رحمه الله فهو علم الفرائض الخمس التي بنى عليها الاسلام لأنها افترضت على المسلمين

بل على الاقتصاد وأعنى بالاسراف التمتع بأطياب الأطعمة والترفيه بشرب أنواعها على عادة المترفين فأما كثرة البذل فلاسرف فيه إذ لاخير في السرف ولاسرف في الخير كاقيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحجاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له يا رسول الله ما البر الحجاج؟ فقال طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) الرابع: ترك الرفث والفسوق والجدال كأنطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وخش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعى إلى المحظور محظور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال المهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى وقيل مى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه. الخامس: أن يحج ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج المشى بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم، قيل وما حسنات الحرم؟ قال الحسنة بمائة ألف والاستحباب في المشى في الناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه في الطريق وإن أضاف إلى المشى الاحرام من دورة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمرو بن وهب مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل - وآتوا الحج والعمرة لله - وقال بعض العلماء الركوب أفضل لمسافيه من الاتفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضرر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتعام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغي أن يفصل ويقال من سهل عليه المشى فهو أفضل فان كان يضعف ويؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل كما أن الصوم للمسافر أفضل وللرخص مالم يفرض إلى ضعف وسوء خلق. وسئل بعض العلماء عن العمرة أمشى فيها أو يكتري حمارا بدرهم فقال إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالركب أفضل من المشى وإن كان المشى أشد عليه كالأغنياء فالمشى له أفضل فساكنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكاري. عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كانت لاتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس وتقضات المال فإذ كره غير بعيد فيه. السادس: أن لا يركب إلا زاملة أما الحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذرو فيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فان الحمل يؤذيه والثاني اجتناب زى المترفين المتكبرين «حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رجل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم» (٢)

(١) حديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، فقيل له ما بر الحج ؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام أحمد من حديث جابر بإسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الإسناد (٢) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رجل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم الترمذى في الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف .

وإذا كان عمها فرضا صار علم العمل بها فرضا وذكر أن علم التوحيد داخل في ذلك لأن أوّلها الشهادتان والاخلاص داخل في ذلك لأن ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسع مسامحته من وكل ما تقيت من الأقاويل أكثرها ما يسع السلم جهله لأنه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر المسلمين على الجهل بهذه الأشياء ولو كانت هذه الأشياء فرضت عليهم لعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميلى في هذه الأقاويل إلى قول الشيخ أبي طالب أكثر وإلى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح

وطاف على الرحلة لينظر الناس إلى هديه وشماله (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « خذوا عني مناسككم » (٢) «
وقيل إن هذه الحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها فروى شفيان الثوري عن أبيه أنه قال
برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات
ورواحل ومارأيت في جميعهم إلا محملين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزي والمحمل
يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج .
السابع أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر
فيكتب في ديوان التكبرين المترفين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد
أمر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاختفاء (٣) ونهى عن التنعم والرفاهية (٤) في حديث فضالة بن عبيد
وفي الحديث « إنما الحاج الشعث الثفت (٥) » ويقول الله تعالى انظروا إلى زوار يبق قد جاء وفي شعنا
غبرا من كل فج عميق (٦) « وقال تعالى - ثم ليقضوا نفثهم - والثفت الشعث والأغبرار وقضاؤه بالخلق
وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد اخولقوا واخشوشنوا
أى البسوا الخلقان واستعملوا الحشونة في الأشياء وقد قيل زين الحبيج أهل اليمن لأنهم على هيئة
التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يجتنب الحجرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت
على العموم فقد روى « أنه ﷺ كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فمرحت الابل فنظر إلى أكسية حمر
على الأقتاب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحجرة قد غلبت عليكم (٧) قالوا فقمنا إليها ونزعناها
عن ظهورها حتى شرد بعض الابل . الثامن أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن
حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود
وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا ظهور دوابكم كراسي (٨) »
ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية بروحها بذلك فهو سنة (٩) وفيه آثار عن السلف .
وكان بعض السلف يكثرى بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا
إلى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لافي ميزان المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها

(١) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٢) حديث خذوا عني مناسككم م ن واللفظ
له من حديث جابر (٣) حديث الأمر بالشعث والاختفاء البغوى والطبراني من حديث عبد الله بن
أبي حنيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشوشنوا واتصلوا وامشوا حفاة وفيه
اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أنى هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث فضالة بن عبيد في النهي
عن التمتع والرفاهية وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الإرفاق ولأحمد من
حديث معاذ إياك والتمتع الحديث (٥) إنما الحاج الشعث الثفت ت ه من حديث ابن عمر وقال غريب
(٦) حديث يقول الله تعالى انظروا إلى زوار يبق قد جاءوا شعنا غبرا من كل فج عميق الحاكم
وصححه من حديث أنى هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله
ابن عمرو (٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فمرحت الابل فنظر
إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال أرى هذه الحجرة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع
ابن خديج وفيه رجل لم يسم (٨) حديث لاتخذوا ظهور دوابكم كراسي أحمد من حديث سهل
ابن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٩) حديث النزول
عن الدابة غدوة وعشية برحها بذلك الطبراني في الأوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر في السفر مشى ورواه البيهقي في الأدب وقال مشى قليلا وناقته نقاد

مالاتطبق طول به يوم القيامة. قال أبو الرداء ليعبر له عند الموت يا أيها البعير لا تخصني إلى ربك فاني لم أكن أحملك فوق طاقتك وعلى الجملة في كل كبد حراء أجر فليبرأ حق الدابة وحق المكارى جميعا وفي نزوله ساعة تروى الدابة ومروى قلب المكارى قال رجل لابن المبارك احملى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى أستأمر الجبال فاني قد اكترت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيرا يسيرا . التاسع أن يتقرب باراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويجهد أن يكون من محبين النعم ونفيسه وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى - ذلك ومن يعظم شعائر الله - إنه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجهد ولا يكته وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والأضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلاهمنا وأنفسه عند أهله وروى ابن عمر «أن عمر رضي الله عنهما أهدى بخنية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشتري بئنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها (١) » وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيتها بجمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أو قل «وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال الحج والشج (٢) » والحج هو رفع الصوت بالتلبية والشج هو تحريك البدن وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما عمل آدمي يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا (٣) » وفي الخبر «لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «استجدوا هداياكم فانها مطاياكم يوم القيامة (٥) » . العاشر أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ذلك فإن ذلك من دلائل قبول حجه فإن المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبع مائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه نواب (١) حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجبية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بئنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها أخرجه د وقال أنحرها (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال الحج والشج . ت واستغربه و . وك وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبي بكر وقال الباقر أي الحج أفضل (٣) حديث عائشة ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه دما الحديث وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال خ إنه مرسل ووصله ابن خزيمة (٤) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا . ك وصححه البيهقي من حديث زيد بن أرقم في حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفي رواية للبيهقي بكل قطرة حسنة قال خ لا يصحج وروى أبو الشيخ في كتاب الضحايا من حديث علي أما لأنها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك يقولها لفاطمة (٥) قوله استجدوا الحج هذا الحديث لم يخرج له العراقي وهو ليس في نسخة الشرح فلعله لم يكن في نسخته اه مصححه .

الشائج من الصوفية
وعلماء الآخرة
الزاهدين في الدنيا
شعروا عن ساق الحجة
في طلب العلم المقترض
حتى عرفوه وأقاموا
الأمر والنهي وخرجوا
من عهدة ذلك بحسن
توفيق الله تعالى فلما
استقاموا في ذلك
متابعين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
حيث أمره الله تعالى
بالاستقامة فقال تعالى
- فاستقم كما أمرت
ومن تاب ممل - فتح
الله عليهم أبواب العلوم
التي سبق ذكرها . قال
بعضهم من يطبق مثل
هذه المخطبة
بالاستقامة إلا من أيد
من المشاهدات القوية
والأنوار البينة والآثار
الصادقة بالتثبيت يرهان
عظيم كما قال تعالى
- ولولا أن ثبتناك - ثم
حفظ في وقت المشاهدة
ومشاهدة الخطاب وهو
للزمن بمقام القرب
والخطاب على بساط
الأنس محمد صلى الله
عليه وسلم وبعد ذلك
خو ط ب قوله فاستقم

كما أمرت - ولولا هذه المقامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها . قيل لأبي حفص أي الأعمال أفضل قال الاستقامة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول «استقيموا ولن تحصوا» وقال جعفر الصادق في قوله تعالى فاستقم كما أمرت أي افتقر إلى الله بصحة العزم ورأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام . قال قلت يا رسول الله روى عنك أنك قلت شييتي سورة هود وأخواتها فقال نعم قال فقلت له ما الذي شريك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطوبأ بتحقيق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المترقبون منهم الله تعالى من

فلا يضيع منه شيء عند الله عز وجل ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصي وأن يبدل باخوانه البطالين إخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغلبة بمجالس الذكر واليقظة بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكير لأمرها ومعانيها من أول الحج إلى آخره

اعلم أن أول الحج الفهم أعنى فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الرحلة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الأمور تذكرة للتذكير وعبرة للعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفظن فلنر من إلى مفاتيحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه . أما الفهم . فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتزهد عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلال الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا الله عز وجل اللذات الحسنة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال - ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون - فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياسة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم : أبذلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف (١) يعني الحج « وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون (٢) » فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى ونصبه مقصدا لعباده وجعل ماحواليه حرما لبيته تفخيا لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضع على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعنا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتزويده عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رفهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة إرفاق ووجهه مذهبهم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات السعي

(١) حديث لمثل عن الرهبانية والسياسة فقال بطلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبو داود من حديث أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله أئذن لي في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله رواه الطبراني بلفظ إن لكل أمة سياحة وسياسة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الباطن في تحريم العدو وللبهيق في الشعب من حديث أنس رهبانة أمتي الجهاد في سبيل الله وكلاهما ضعيف والتردد وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

ورعى الجار وأمثال هذه الأعمال فلاحظ للنفس ولا أنس للطبع فيها ولا اعتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فان كل ما أدرك للعقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا (١) » ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعداد وكان ما لا يمتدنى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تفتنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الدهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى. وأما الشوق : فأنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له وأن من قصد البيت في الدنيا جذير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة فيمعبده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تنهيا لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحاله بقصورها وأنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزعت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لاحالة هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فبالحرى أن يشاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل . وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وإن من طلب عظميا خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وإن من أخفى الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمة والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه وإخلاصه باجتنب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . وأما قطع العلائق : فمعناه رد المظالم والتوبة الخاصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعق بتلايبه ينادى عليه ويقول له إلى أين توجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أو لا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد المعاصي فإردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهره فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء وآخرها إلا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقد رآن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فان المسافر وماله لم يخطر إلا من وفى الله سبحانه وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يتقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تقدم في الزكاة .

ذلك بقسط ونصيب ثم ألهمهم طاب التهوض بواجب حق الاستقامة ورأوا الاستقامة أفضل مطلوبه أشرف مأمور .

قال أبو علي الجورجاني كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة في طلب الكرامة توربك يطلب منك الاستقامة وهذا الذي ذكره أصل كبير في الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلب وذلك أن المجتهدين والمتعبدين سمعوا يسير الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات فأبدا نفوسهم لانتزال تنطلق إلى شيء من ذلك ويحبون أن يرزقوا شيئا من ذلك ولعل أحدهم يبقى مكسرا القلب متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يكشف عن شيء من ذلك ولو علموا سر ذلك لمان عليهم الأمر فيه فيعلم أن الله سبحانه وتعالى قد

يفتح على بعض
المجاهدين الصادقين من
ذلك بابا والحكمة
فيه أن يزداد بما يرى
من خوارق العادات
وآثار القدرة يقينا
فيقوى عزمه على
الزهد في الدنيا
والخروج من دواهي
الهوى وقد يكون
بعض عباده يكشف
بصرف اليقين ورفع
عن قلبه الحجاب
ومن كوشف بصرف
اليقين استغنى بذلك
عن رؤية خوارق
العادات لأن المراد منها
كان حصول اليقين
وقد حصل اليقين فلو
كوشف هذا الرزوق
صرف اليقين بشئ
من ذلك ما زداد يقينا
فلا تقتضى الحكمة
كشف القدرة
بخوارق العادات
لهذا الوضع لاستغنائه
وتقتضى الحكمة
كشف ذلك للآخر
لموضع حاجته فكان
هذا الثاني يكون أم
استعدادا وأهلية من
الأول حيث رزق
حاصل ذلك وهو

وإليه المصير فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر . وأما الزاد : فليطلبه من
موضع حلال وإذا أحسن من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبق من طول السفر ولا يتغير
ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ما عده
مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول
منازل السفر ويبقى وقت الحاجة متجبرا محتاجا لاحتياجه له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى
الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير . وأما الراحة : إذا
أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه
المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنائز التي يحمل عليها فان أمر الحج
من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ولنظرا يصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك
السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنائز قبل
ركوبه للجمل وركوب الجنائز مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في
أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحته ويهمل أمر السفر المستيقن . وأما شراء
ثوب الإحرام : فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فإنه سرتدى ويتزر بثوب الإحرام عند القرب
من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن
لأحالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد
الموت إلا في زي مخالفي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كافي الكفن .
وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر
لا يضاها أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ما ذيريد وأن يتوجه وزيارته من يقصد وأنه متوجه إلى ملك
الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق
وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي غم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بقاء البيت
عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول
والقبول لا إدلالا بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء
لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته النية في الطريق لقي الله عز وجل
وافدا إليه إذ قال جل جلاله - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
أجره على الله - . وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات : فليتذكر فيها ما بين الخروج
من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع
الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات
ومن انفراد عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكرهته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله
متزودا لمخاوف القبر . وأما الإحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل
فارج أن تكون مقبولا وأخشى أن يقال لك لالبك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا
وعن حولك وقوتك متبرئا على فضل الله عز وجل وكرمه متكلانا وقت التلبية هو بداية الأمر وهي
عمل الخطر قال سفيان بن عيينة حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته
أصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فليل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقال لي
لالبك ولا سعديك فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتره ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد
ابن أبي الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني رضى الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا

فأخذته النشبة ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مرظامة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكرى فاني أذكر من ذكرى منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغني أن حج من غير حله ثم لي قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك ولتذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه منقسمين إلى مقرين ومقوتين ومقبولين ومردودين ومترددون في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا . وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى وآمن وألبرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خاطبا ومستحقا للقت وليكن رجاءه في جميع الأوقات غالبا فالكرم عظيم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وذمام المستجير اللأذ غير مضيع . وأما وقوع البصر على البيت : فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقتدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه وأرج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبيغته إياك هذه الرتبة والإحافه إياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة . وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه باللائكة المقرئين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يتبدى الذكر لإمته ولا تختم إلا به كما يتبدى الطواف من البيت وتختم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك تلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة فان طواف اللائكة به كطواف الأنس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم ^(١) والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض الكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى . وأما الاستسلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعته فمن غدر في المبايعه استحق العقاب وقد روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «الحجر الأسود عين الله عز وجل في الأرض يصفح بها خلقه كما يصفح الرجل أخاه» ^(٢) . وأما التعلق بالكعبة والاتصاف بالملتزم : فليكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمعاسة ورجاء التحسين عن النار في كل جزء من بدنك لاقى البيت وتسكن نيتك في التعلق بالستر إلا الحاج في طاب مقترنه رسؤال الأمان كالمذهب المتعلق بتياب من أذن إلى التضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر عين الله في الأرض يصفح بها خلقه الحديث تقدم في العلم من حديث عبد الله بن عمرو .

سرف اليقين حير واسطة من رؤية قدرة فان فيه آفة وهو العجب فأغنى عن رؤية شيء من ذلك فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهي كل الكرامة ثم إذا وقع في طريقه شيء من ذلك جاز وحسن وإن لم يقع فلا يبالي ولا ينقص بذلك وإنما ينقص بالاخلال بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا لأنه أصل كبير للطلابين فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر العلوم التي أشار إليها المتخصصون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها في باب إن شاء الله تعالى .

ومسلم اليقين وعلم الإخلاص رستم النفس ومعرفتها ومعرفته أخلاقها وطمع النفس

ومعرفتها من أمر
علوم القوم وأقوم
الناس بطريق
المقربين والصوفية
أقومهم بمعرفة النفس
وعلم معرفة أقسام
الدنيا ووجود دقائق
الهوى وخفايا شهوات
النفس وشرها وشرها
وعلم الضرورة ومطالبة
النفس بالوقوف على
الضرورة قولاً وفعلًا
ولبساً وخلعاً وأكلًا
ونوماً ومعرفة حقائق
التوبة وعلم خفي
الذنوب ومعرفة سيئات
هي حسنات الأبرار
ومطالبة النفس بترك
ما لا يعني ومطالبة
الباطن بمحصر خواطر
المعصية ثم بمحصر
خواطر الفضول ثم علم
المراقبة وعلم ما يقدح
في المراقبة وعلم المحاسبة
والرعاية وعلم حقائق
التوكل وذنوب التوكل
في توكله وما يقدح في
التوكل وما لا يقدح
والفرق بين التوكل
الواجب بحكم الإيمان
وبين التوكل الخاص
المختص بأهل العرفان
وعلم الرضا وذنوب

إليه ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعضو وبذل الأمن في المستقبل . وأما السرى
بين الصفة والروية في فناء البيت : فانه يضاهى تردد العبد بقاء دار الملك جاتيا وذاها مرة بعد أخرى
إظهارا للخلاص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري
ما الذي يقضى به لذلك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن
يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى وليتذكر عند ترده بين الصفا والمروة ترده بين كفتي الميزان
في عرصات القيامة ولينهل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر ترده بين الكفتين
ناظرا إلى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والفقران . وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بما ترى
من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر
اقتفاء لهم وسرا يسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطعمهم
في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة
والابتهال إلى الله عز وجل فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالإجابة فالوقوف شريف
والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب الفريزة من أوتاد الأرض ولا
ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب فإذا اجتمعت مهمهم
وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتمدت إليه أعناقهم وشخصت
نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظن أنه يجب أمهم ويضيع سعيهم
ويدخر عنهم رحمة تفرمهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى
لم يغفر له وكان اجتماع المهم والاستظهار بجواردة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هوس
الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرا رحمة الله سبحانه مثل اجتماع المهم وتعاون القلوب في
وقت واحد على صعيد واحد . وأما رمي الجمار : فاقصده الانقياد للأمر بإظهار اللزق والعبودية وانتهاضا
لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له
إبليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حبه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل
أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فذلك رماه وأما
أنافليس يعرض لى الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفترعز منك
في الرمي ويخيل إليك أنه فعل لافائدة فيه وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به فطرده عن نفسك بالجد
والتشهير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك في الظاهر ترى الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة
ترى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما
له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه . وأما ذبح الهدى : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم
الامتثال فأكل الهدى وأرج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار (١) فهكذا ورد الوعد
فكلما كان الهدى أكبر وأجزأؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم . وأما زيارته المدينة : فإذا وقع بصرك
على حيطانها فتذكر أنها البدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته
وأنها داره الدار شرع فيها فرض ربه عز وجل وسننه وجاهد عدوه وأظهر بهاديه إلى أن توفاه الله
عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيره القامحين بالحق بعده رضى الله عنهما ثم مثل في نفسك مواقع
(١) حديث أنه يعتق بكل جزء من الأضحية جزءا من المضي من النار لم أقف له على أصل وفي كتاب
الصالحين لأبي الشيخ من حديث أبي سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما تقدم
من ذنوبك بقوله لفاطمة وإسناده ضعيف .

مقام الرضا وعلم الزهد
وتحديده بما يلزم من
ضرورته وما لا يقدح
في حقيقته ومعرفة
الزهد في الزهد ومعرفة
زهد ثالث بعد الزهد
في الزهد وعلم الانابة
والالتجاء ومعرفة
أوقات الدعاء ومعرفة
وقت السكوت عن
الدعاء وعلم المحبة
والفرق بين المحبة
العامة المفسرة بامتثال
الأمر والمحبة الخاصة
وقد أنكر طائفة من
علماء الدنيا دعوى
علماء الآخرة المحبة
الخاصة كأنكر والرضا
وقالوا ليس إلا الصبر
وانقسام المحبة الخاصة
إلى محبة الذات وإلى
محبة الصفات والفرق
بين محبة القلب ومحبة
الروح ومحبة العقل
ومحبة النفس والفرق
بين مقام المحب والمحبوب
والمريد والمراد ثم علوم
المشاهدات كعلم الهيبة
والأنس والقيض
والعسط والفرق بين
القيض والهمم والبسط
والنشاط وعلم الفناء
والبقاء وتفاوت أحوال

أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وأنه مامن موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع
أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينته ووجل وتد كرمشيه وتخطيه في سكتها وتصوّر
خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره
تعالى حتى قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمة ولو يرفع صوته فوق صوته ثم تذكر
مامن الله تعالى به على الذين أدركوا محبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسّفك على ما فاتك
من محبته وصحبة أصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وإنك من رؤيته
في الآخرة على خطر وأنك ربما لالتراء بالإبحسرة وقد حيل بينك وبينه قبوله إليك بسوء عمالك كما قال
صلى الله عليه وسلم «يرفع الله إلى أقواما فيقولون يا محمدا محمد فأقول يارب أصحابي فيقول إنك لا تدري
ما أحدنوا بعدك فأقول بعدا وسحقا^(١)» فإن تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن
أن يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محبته ولبعظم مع ذلك رجائك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه
بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لحض
حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما
فاتتك رؤيته فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة فإذا بلغت المسجد فاذا ذكر أنها العرصة
التي اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله
سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيًا وميتًا فليعظم أملك في الله سبحانه
أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعًا معظما وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب
كل مؤمن كما حكى عن أبي سفيان أنه قال حج أويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف
على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ففشى عليه فلما أفاق قال أخرجوني فليس
يلد لي بل فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون . وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغي أن
تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه
الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ما لا بين
يديه فكذلك فافعل فإن السن والتقييل للشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك
وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في البعد
بأرائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم «أن الله تعالى وكل بقبره
ملكًا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته^(٢)» هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن
وقطع البوادي شوقا إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهد الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد
قال صلى الله عليه وسلم «من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرين^(٣)» فهذا جزاؤه في الصلاة
عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببذنه ثم أتت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي
صلى الله عليه وسلم للنبر ومثل في قلبك طلعت البهية كأنها على المنبر وقد أجدر به المهاجرون والأنصار
رضى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق
بين من حضره وبين من لم يحضره

(١) حديث يرفع إلى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدنوا
بعدك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد
(٢) حديث إن الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته ن ح ك
من حديث ابن مسعود بلفظ إن الله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام (٣) حديث
من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرين من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو .

الفناء والاستقرار
والتحلي والجمع والفرق
واللوامح والطوائع
والبسوادي والصحو
والسكر إلى غير ذلك
لواتساع الوقت ذكرناها
وشرحناها في مجلدات
ولكن العمر قصير
والوقت عزيز ولولاهم
الفسلة لاضاق الوقت
عن هذا القدر أيضا
وهذا المختصر المؤلف
يحتوي من علوم القوم
على طرف صالح نرجو
من الله الكريم أن
ينفع به ويجعله حجة
لنا لاحجة علينا وهذه
كلها علوم من ورأيناها
علوم عمل بمقتضاها
وظفر بها علماء الآخرة
الزاهدون وحرم ذلك
علماء الدنيا الراغبون
وهي علوم ذوقية
لا يكاد النظر يسل إليها
إلا بذوق ووجدان
كالعلم بكيفية حلاوة
السكر لا يحصل
بالوصف فمن ذاقه
عرفه وينشك عن
شرف علم الصوفية
ورهاد العلماء أن العلوم
كلها لا يتعد تحصيلها
مع محبة الدين والاحلال

في القيامة يترك وبينه فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرفا إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاها وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه إبليس لعنه الله فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

تم كتاب أسرار الحج يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن .

كتاب آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذي لا يانيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بمغايه من القصص والأخبار واتضح به سلوك النهج القويم والصراط المستقيم بمغايه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبابة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره البين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقض عجائبه ولا تنتهي غرائبها لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة التردد هو الذي أرشد الأولين والآخرين ولماسمه الحج لم يلبشوا أن ولوا إلى قومهم منذرين - فقالوا إننا سمعنا قرأنا عجبا يهدي إلى الرشدا فآمنوا به ولن نشرك بربنا أحدا - فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى - إننا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والحفاظة على مغايه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لابد من بيانه وتفصيله وتنكشاف مقاصده في أربعة أبواب . الباب الأول : في فضل القرآن وأهله . الباب الثاني : في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث : في الأعمال الباطنة عند التلاوة . الباب الرابع : في فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته

فضيلة القرآن

قال عليه السلام « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لاني ولأملك ولا غيره (٢) »

كتاب آداب تلاوة القرآن

الباب الأول في فضل القرآن وأهله

(١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله طيب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٢) حديث مامن شفيع أعظم منزلة عند الله من القرآن لاني ولأملك ولا غيره رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلًا للطبراني من حديث ابن مسعود القرآن شافع مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة أقرموا القرآن فانه يحیی . يوم القيامة شفيعا لصاحبه

وقال صلى الله عليه وسلم «لو كان القرآن في إهاب مامسته النار (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم أيضا «إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لأسنة تنطق بهذا (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومستلقي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين (٥)» وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوما وهم به راضون (٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «أهل القرآن أهل الله وخاصته (٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقليل يارسل الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت (٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «لله أشد أذنا إلى قاري القرآن من صاحب القينة إلى قينته (٩)» الآثار : قال أبو أمامة الباهلي : اقرءوا القرآن ولا تفرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن. وقال ابن مسعود إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا اقرءوا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنة أما إني لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف وقال أيضا . لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن أدرجت النبوة بين جنبه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي إذا سمع (١) حديث لو كان القرآن في إهاب مامسته النار الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل ابن سعد وأحمد والدارمي والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدي والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف (٢) حديث أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس وإسنادها ضعيف (٣) حديث إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه خ من حديث عثمان ابن عفان (٥) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومستلقي أعطيته ثواب الشاكرين ت من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مستلقي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف (٦) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث تقدم في الصلاة (٧) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته ن في الكبرى و ه ك من حديث أنس بإسناد حسن (٨) حديث إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث لله أشد أذنا إلى قاري القرآن من صاحب القينة إلى قينته ه ح ب ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد .

بحقائق التقوى وربما كان محبة الدنيا عوناً على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجلبت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى إذا استنشرت حصول ذلك بحصول العلم أجات إلى تحمل الكلف ومهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعالوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى - واتقوا الله ويعلمكم الله - جعل العلم ميراث التقوى وغير عالوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فعمل فضل علم علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب إلا لأولى الأبواب وأولوا الأبواب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس بصف إلى

الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعه قط وقال الفضيل بن عياض
يدنى حامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلقاء فمن دونهم فينبى أن تكون حوائج
الحاق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع
من يسهو ولا يأنسو مع من يأنسو ولا يفتخروا بالقرآن وقال سفيان الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل
الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله
عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويروى «أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وقال اقرأ على القرآن فقرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى -
الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر
وما يقول هذا بشرا^(١)» وقال الحسن والله مادون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ
خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختمه بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي
ثم مات من ليله ختمه بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماههنا
أحد نستأنس به فهدى إلى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال على بن أبى طالب رضى الله
عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البليغ السواك والصيام وقراءة القرآن .

في ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلغنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر
وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة
الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط
ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولكلاي وقال ابن الرماح ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب
القرآن يستأثرون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبى لحامل القرآن أن يعرف
بأيله إذا الناس ينامون وبهاره إذا الناس يفرطون ويحزنه إذا الناس يفرحون ويبكاه إذا الناس
يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبى لحامل القرآن أن
يكون مستكينا لينا ولا ينبى له أن يكون جافيا ولا عماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديثا وقال
صلى الله عليه وسلم «أكثر منافق هذه الأمة قراؤها^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «اقرأ القرآن
مانهاك فإن لم ينهك فلست تقرؤه^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما آمن بالقرآن من استحل
محارمه^(٤)» وقال بعض السلف إن العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها
وإن العبد ليفتتح سورة فتلغنه حتى يفرغ منها فقبل له وكيف ذلك فقال إذا أحل حلالها
وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء إن اتعبد ليتلو القرآن فيلغنه نفسه
(١) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على القرآن فقرأ عليه - إن الله
يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن
أسفله لمغذوق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشرا ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد ورواه
البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة
وكذا ذكره ابن اسحق في السيرة شجوه (٢) حديث أكثر منافق أمقى قراؤها أحمد من حديث
عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٣) حديث اقرأ القرآن مانهاك فإن لم ينهك
فلست تقرؤه طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث ما آمن بالقرآن من
استحل محارمه ت من حديث صهيب وقال ليس إسناده بالقوى .

(٣٦ - إحياء - أول)

الزهاد لأنهم أعقل
الخلق . قال سهل بن
عبد الله التستري
للعقل ألف اسم ولكل
اسم منه ألف اسم
وأول كل اسم منه
ترك الدنيا . حدثنا :
الشيخ الصالح أبو الفتح
محمد بن عبد الباقي
قال أنا أبو الفضل
أحمد بن أحمد قال
أنا الحافظ أبو نعيم
الأصفهاني قال حدثنا
محمد بن أحمد بن محمد
قال حدثنا العباس
ابن أحمد الشاشي قال
حدثنا أبو عقيل
الوصافي قال أنا عبد الله
الخواص وكان من
أصحاب حاتم قال دخلت
مع أبي عبد الرحمن
حاتم الأصم الرى ومعه
ثلثائة وعشرون رجلا
يريدون الحج وعليهم
الصوف والزمرانقات
ليس معهم جراب
ولاطعام فدخلنا الرى
على رجل من التجار
متنسك يحب المتقشفين
فأضافنا تلك الليلة فلما
كان من الغد قال لحاتم
يا أبا عبد الرحمن ألك
حاجة فاني أريد أن

وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحل وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسهط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما : لقد عشنا دهرنا طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وبزجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأت رجلاً يؤتى أحدكم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره ثم الدقل ^(١) وقد ورد في التوراة يا عبيدي أمانتحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تعشى فتعدل عن الطريق وتقعده لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته إليك انظروكم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبيدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصني إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومات إليه أن كفت وهذا ما مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى أجمعتنى أهون عندك من بعض إخوانك .

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة

الأول في حال القارئ وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إماماً وإماماً جالساً مستقبلاً القبلة مطرقاً رأسه غير متربع ولا متكى ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جالساً وحده كجاءه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فأنت على الكل ولكن قدم القيام في الذكركم ثم القعود ثم الذكركم مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء غفم وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فغشعر حسنة وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل . الثاني في مقدار القراءة ، وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم واليلة مرة وبعضهم مرتين واثنتين بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهِه» ^(٢) وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترنيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع ^(٣) وكذلك

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث تقدمنا في العلم .

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة

(٢) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهِه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ت (٣) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في كل أسبوع متفق عليه من حديثه .

أعود فقيهاً ثابهاً وعليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة فأنا أيضاً أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فقال سر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاءوا إلى الباب فإذا باب مشرف حسن فبقي حاتم متفكراً يقول باب عالم على هذا الحال ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دارقوراء وإذا بزة ومنعة وستور وجمع فبقي حاتم متفكراً ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه فإذا بفرش وطيشة وإذا هو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة فقعد الرازي يسأله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن أقعد فقال لا أقعد فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وما هي قال مسألة أسألك عنها قال سألني قال فتم فاستو جالساً حتى أسألكها فأمر غلامه فأسندوه فقال له حاتم علمك

هذا من أين جئت به
قال الثقات حدثوني
به قال عمن قال عن
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال وأصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عمن قال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال ورسول الله من
أين جاء به قال عن
جبرائيل قال حاتم ففيا
أداه جبرائيل عن
الله وأداه رسول الله
إلى أصحابه وأداه
أصحابه إلى الثقات
وأداه الثقات إليك
هل سمعت في العلم من
في داره أمير أو منعه
أكثر كانت له المنزلة
عند الله أكثر قال
لا قال فكيف سمعت
قال من زهد في الدنيا
ورغب في الآخرة
وأحب للساكنين ووقتم
لآخرته كان له عند الله
المنزلة أكثر قال حاتم
فأنت بمن اقتديت بالنبي
وأصحابه والصالحين أم
بفرعون وتمررد أول
من نبى بالجص والآجر
يا إماماء البوء مثلكم
يراه الجاهل الطالب

كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يحتمون القرآن في كل جمعة كهتمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضى الله عنهم في الحتم أربع درجات الحتم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والحتم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا وكأنه مبالغة في الاختصار كما أن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث والأحب أن يتختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدها ويجعل ختمة بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدها ليستقبل أول النهار وأول الليل بتختمته فان الملائكة عليهم السلام تصلى عليه إن كانت ختتمته ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة التردد والتأمل . الثالث في وجه القسمة : أما من ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرآن أحزابا (١) فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطله إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالنسكجوت إلى ص وليلة الأربعاء بتزويل إلى الرحمن ويتختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفضل من ق إلى آخره فهكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرءونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قيل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء فاسوى هذا محدث . الرابع في الكتابة : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحرمة وغيرها فانها تزيين وتبين وصحة عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء وروى عن الشعبي وإبراهيم كراهية النقط بالحرمة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحسنا للباب وتشوقا إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييرا وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كاقيل في إقامة الجماعات في التراويح إنها من محدثات عمر رضى الله عنه وانها بدعة حسنة إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاديفضي إلى تغييرها وبعضهم كان يقول أقرأ في المصحف المنقوط ولا نقطه بنفسى وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن مجرّدا في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآية فقاوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والقواطع قال أبو بكر الهذلي سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال ومائة طها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال أما إعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيتة

(١) حديث تحزيب القرآن على سبعة أجزاء د ه من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه طرأ على حزبي من القرآن قال أوس فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحد عشر وثلاث عشرة وحزب المفضل وفي رواية لطبراني فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزى القرآن فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا وإسناده حسن .

للدنيا الراغب فيها
فيقول العالم على هذه
الحالة لا أكون أنا
شراً منه وخرج من
عنده فإزداد ابن
مقاتل مرضاً فبلغ أهل
الرى ما جرى بينه
وبين ابن مقاتل
فقالوا له يا أبا عبد الرحمن
يقزون عالم أكبر شأناً
من هذا وأشاروا به إلى
الطنافسى قال فسار
إليه متعمداً فدخل
عليه فقال رحمك الله
أنا رجل أعجمى أحب
أن تعامى أول مبتدئ
دينى ومفتاح صلاحى
كيف أتوضأ للصلاة
قال نعم وكرامة يا غلام
هات إناء فيه ماء فأتى
بإناء فيه ماء فقعد
الطنافسى فتوضأ ثلاثاً
ثلاثاً ثم قال هكذا
فتوضأ فقعد فتوضأ
حاتم ثلاثاً ثلاثاً حتى إذا
بلغ غسلى الذراعين
غسل أربعا فقال له
الطنافسى يا هذا
أسرفت فقال له حاتم
فيماذا قل غسلت
ذراعيك أربعا قال
حاتم يا سبحان الله أنا فى
كف ماء أسرفت وأنت

يقراً في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل إن الحجاج هو الذى أحدث ذلك وأحضر القراء
حق عتدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخر .
الخامس الترتيل : هو المستحب في هيئة القرآن لأنا سنبين أن المقصود من القراءة التفكير والترتيل
معين عليه ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هي نعت
قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (١) وقال ابن عباس رضى الله عنه لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها
وأندبرها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذمة ، وقال أيضاً لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة
أندبرها أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديراً وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة
فكان قيامهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء
واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فإن المعجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة
أيضاً الترتيل والثبوت لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذمة
والاستعجال . السادس البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتلوا
القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتبا كوا » (٢) وقال عليه السلام « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » (٣)
وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لى بإصالح هذه القراءة
فأين البكاء وقال ابن عباس رضى الله عنهم إذا قرأتهم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا
فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وإما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن
ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحزنوا » (٤) ووجه
إحضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره
وزواجره فيحزن لاهياله ويبكى فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك
على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصاب . السابع أن يراعى حق الآيات : فإذا مر بآية
سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالى ولا يسجد إلا إذا كان على
طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة وأقله أن يسجد
بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التى قرأها
مثل أن يقرأ قوله تعالى - خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون - فيقول اللهم
اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك
أولى أوليائك وإذا قرأ قوله تعالى - ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً - فيقول اللهم
اجعلنى من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة
من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة
عند السجود فإذا تطهر يسجد وقد قيل فى كمالها أن يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود
ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو
بهيد فانه ورد الأمر فى السجود فليتبع فيه الأمر وتكبير الهوى أقرب للبداية وماعدا ذلك ففيه بعد
(١) حديث نعتت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هي نعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً
دون ت وقال حسن صحيح (٢) حديث اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتبا كوا . من حديث
سعد بن أبى وقاص بإسناد جيد (٣) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن خ من حديث أبى هريرة
(٤) حديث إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحزنوا أبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث
ابن عمر بسند ضعيف

في هذا الجمع كله لم
تسرف فلم الطنافسى
أنه أراد بذلك ولم يرد
منه التعلم فدخل البيت
ولم يخرج إلى الناس
أربعين يوماً وكتب
تجار الرى وقزوين
ماجرى بينه وبين
ابن مقاتل والطنافسى
فلما دخل بغداد اجتمع
إليه أهل بغداد فقالوا
له يا أبا عبد الرحمن أنت
رجل الكن أنجى
ليس يكلمك أحد إلا
وقطعت قال مى ثلاث
خصال بهن أظهر على
خصمى قالوا أى شىء
هى قال أفرح إذا أصاب
خصمى وأحزن إذا
أخطأ وأحفظ نفسى
أن لا أجهل عليه فبلغ
ذلك أحمد بن حنبل
فجاء إليه وقال سبحانه
الله ما أعقله فلما دخلوا
عليه قالوا يا أبا
عبد الرحمن ما السلامة
من الدنيا قال حاتم يا أبا
عبد الله لا تسلم من
الدنيا حتى يكون معك
أربع خصال قال أى
شىء هى يا أبا عبد الرحمن
قال تغنى للقوم جهلهم
وتغنى جهلك عنهم

ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموماً . الثامن أن يقول
في مبدأ القراءة : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - رب أعوذ بك من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن يحضرون - وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من
القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب
العالمين وأستغفر الله الحى القيوم وفى أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح وسبح وكبر وإذا مر بآية
دعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمرجئ سأل وإن مر بمخوف استعاذ بفعل ذلك بلسانه أو بقلبه
فيقول سبحانه الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه
إلا سبح (١) ، فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن اللهم ارحمى بالقرآن
واجعله لى إماماً ونوراً وهدي ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته
آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين (٢) . التاسع فى الجهر بالقراءة : ولا شك
فى أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد
من صوت فأقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو
محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإمرار ما روى أنه صلى الله عليه
وسلم قال « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفى لفظ آخر
« الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة » (٣) وفى الخبر العام « فضل عمل السر
على عمل العلانية سبعين ضعفاً » (٤) وكذلك قوله عليه السلام « خير الرزق ما يكتفى وخير الله كراخى » (٥)
وفى الخبر « لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء » (٦) وسمع سعيد بن المسيب
ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان
حسن الصوت فقال لغلامه اذهب إلى هذا المصلى فره أن يخفض من صوته فقال الغلام إن المسجد
ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلى إن كنت تريد الله عزوجل بصلاتك
فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فاتهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً فسكت عمر بن عبد العزيز
وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر
(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب إلا تعوذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح م
مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمى
بالقرآن واجعله لى إماماً وهدي ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى
تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين رواه أبو منصور المظفر بن الحسين
الأرجاني فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الشئائل كلاهما من طريق أبى ذر الهروى من
رواية داود بن قيس معضلاً (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر
على صدقة العلانية قال وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة
د ن ت وحسنه من حديث عتبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل
العلانية بسبعين ضعفاً البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكتفى وخير
الله كراخى أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص (٦) حديث لا يجهر بعضكم على بعض
فى القراءة بين المغرب والعشاء رواه أبو داود من حديث البياضى دون قوله بين المغرب والعشاء
والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وبعدها وفيه الحرث الأعور وهو ضعيف

ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم مع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم «إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بالقراءة فإن الملائكة وعمر الدار يستمعون قراءته ويصاون بصلاته» (٢) «ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم مختلفي الأحوال فرأى على أبي بكر رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذى أناجيه هو يسمعى ومر على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقف الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيات من هذه السورة وآيات من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخطط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم: كلكم قد أحسن وأصاب (٣). فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الأسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضا تتعلق بغيره فالخير المتعدى أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ولأنه يطرد النوم ورفع الصوت ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطل غافل فينشط بسبب نشاطه ويشاق إلى الخدمة فتى حضره شئ من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتضاعف أجورهم فإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصاحف أفضل إذ يزيد في العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه وقد قيل الحقة في المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضا عبادة وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرءون في المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضى الله عنه في السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعي شغلكم الفكر عن القرآن إلى لأصل العتمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح. العاشر تحسين القراءة وترتيبها بترديد الصوت من غير تعطيل مفرد بغير النظم فذلك سنة قال ﷺ «زينوا القرآن بأصواتكم» (٤) وقال عليه السلام «ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن» (٥) «وقال صلى الله عليه وسلم «ليس منامن لم يتغن بالقرآن» فقل أراد به الاستغناء وقيل أراد به التزم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك في الصحيحين من حديث عائشة أن رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورائتي وأنا أسمع قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضا إنما أعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٢) حديث إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمر الدار يستمعون إلى قراءته ويصاون بصلاته رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسي في المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع (٣) حديث مروره صلى الله عليه وسلم بأبي بكر وهو يخافت ويعمر وهو يجهر وبلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم في الصلاة (٤) حديث زينوا القرآن بأصواتكم ذكره حبك وصححه من حديث البراء بن عازب (٥) حديث ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبي هريرة لفظ ما أذن الله لشيء ما أذن لشيء يتغن بالقرآن زاد من لني حسن الصوت وفي رواية له كاذنه لني يتغن بالقرآن.

وتبذل لهم شيتك وتكون من شيتهم أيضا فإذا كان هذا سلمت ثم سار إلى المدينة. قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ذكر بكلمة إنما فيتق العلم عمن لا يخشى الله كما إذا قال إنما يدخل الدار بغدادي يتق دخول غير البغدادي الدار فلاح لعلماء الآخرة أن الطريق مسدود إلى أنصبه المعارف ومقامات القرب إلا بالزهد والتقوى. قال أبو يزيد رحمه الله لأصحابه بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن أقول لا إله إلا الله ما قدرت عليه قيل ولم ذلك قال ذكرت كلمة فلتها في صباى فجاءتني وحشة تلك الكلمة فمنعتني عن ذلك وأعجب من يذكر الله تعالى وهو متصف بشئ من صفاته فبصافه التقوى وكال الزهادة يصير العبد واسخا في العلم. قال الواسطي: الراسخون في العلم هم

الذين رسخوا بأرواحهم
في غيب الغيب في سر
السر فعرفهم ما عرفهم
وخاضوا في بحر العلم
بأنفسهم لطلب الزيادات
فانكشف لهم من
مدخور الخزان ما لمحت
كل حرف من الكلام
من الفهم وعجائب
الخطاب فنطقوا بالحكم
وقال بعضهم الراسخ من
اطلع على محل المراد من
الخطاب وقال الخراز:
هم الذين كملوا في جميع
العلوم وعرفوها واطلعوا
على هم الخلاق كلهم
أجمعين وهذا القول
من أبي سعيد لا يعني
به أن الراسخ في العلم
ينبغي أن يقف على
جزئيات العلوم ويكمل
فيها فان عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه
كان من الراسخين في
العلم ووقف في معنى قوله
تعالى - وفاكهة وأبا -
وقال ما لأب ثم قال
إن هذا إلا تكلف
ونقل أن هذا الوقوف
في معنى الأب كان من
أبي بكر رضي الله تعالى
عنه وإنما عني بذلك
أبو سعيد ما يفسر أوله

ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتاً منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلاً ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله (١) واستمع صلى الله عليه وسلم أيضاً ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلاً ثم قال ﷺ «من أراد أن يقرأ القرآن غضا طرياً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود «اقرأ على» فقال يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم: إني أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعيناً رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان (٣) واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لخبرته لك تحييراً (٤) ورأى هيثم القاري رسول الله ﷺ في المنام قال فقال لي أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيراً وفي الخبر: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن. وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكراً ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة إلى قوله عز وجل - ولله كلاله أ كبر - وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة (٥)» وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع.

الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى . فالأول : فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بتخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه فليتنظر كيف لطف بتخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنهه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسامع الكلام - رش ولا ترى وتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسامع كلامه كما لم يطق الجبل

(١) حديث كان ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتاً منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلاً ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله . من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات (٢) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلاً ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا طرياً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد أحمد بن في الكبرى من حديث عمرو بن مسعود أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله ﷺ قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قال حسن صحيح (٣) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله أقرأ أو عليك أنزل فقال إني أحب أن أسمعه من غيري الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث استمع إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات أحمد بن حنبل في حديث أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع.

الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة

مبادئ تحليله حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقاتوه ما أطاقوه حتى يأتي إمرأفيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بأذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأنى بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان وتنبهته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمله فهمه فقال الملك أرايت ما تأتى به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكميم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطيور ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه و يديع نظمهم فزولوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصالها مقادهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائحة بهم من النقر والصفر والأصوات القرية من أصواتها لكي يطيقوا حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكالصفات فصاروا يمارجعو بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفر الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة الخفية في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم تعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد البشر تكرم وتز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحياه أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كملك المحبوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس العزيرة الظاهرة مكنون عنصرها كالنجوم الزاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذي من سقى منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لاتليق بعلم المعاملة فينبغي أن يقتصر عليه . الثاني : التعظيم للتكلم فالتقارير عند البداية بتلاوة القرآن ينبى أن يحضر في قلبه عظمة التكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال - لا يمسه إلا المطهرون - وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولالليل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبى جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم التكلم ولن تحضره عظمة التكلم مالم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر ببالة العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما من الجن والانس والدواب والأشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نعمته وسطوته إن أنعم بفضله وإن عاقب ببعده وأنه الذى يقول هؤلاء إلى الجنة ولأبلى هؤلاء إلى النار

كلامه بآخره وهو قوله اطاعوا على همم الخلائق كاهم لأن التقي حق التقوى والزاهد حق الزهادة في الدنيا صفا باطنه وانجلت مرآة قلبه ووقعت له محاذاة شئ من اللوح المحفوظ فأدرك بصفاء الباطن أمهات العلوم وأصولها فيعلم منتهى أقدام العلماء في علومهم وفائدة كل علم والعلوم الجزئية متجزئة في النفوس بالتعليم والممارسة فلا يغنيه علمه الكلى أن يراجع في الجزئ أهله الذين هم أوعيته فنفس هؤلاء امتلأت من الجزئ واشتغلت به وانقطعت بالجزئ عن الكلى ونفوس العلماء الزاهدين بعد الأخذ بما لا بد لهم منه في أصل الدين وأساسه من الشرع أقبلوا على الله وانقطعوا إليه وخاصت أرواحهم إلى مقام القرب منه فأفاضت أرواحهم على قلوبهم أنوارا تهبأت بها قلوبهم لادراك

العلوم فأرواحهم ارتقت
عن حد إدراك العلوم
بمكوفها على العالم الأزل
وتجردت عن وجود
يصلح أن يكون وعاء
للعلم وقلوبهم بنسبة
وجهها الذي يلي
النفوس صارت أوعية
وجودية تناسب وجود
العلم بالنسبة الوجودية
فتألفت العلوم وتألفتها
العلوم بمناسبة انفصال
العلوم باتصالها بالروح
المحفوظ والمعنى
بالانفصال اتقاشها
في اللوح لا غير
وانفصال القلوب عن
مقام الأرواح لوجود
انجذابها إلى النفوس
فصار بين المنفصلين
نسبة اشتراك موجب
للتألف فحصلت العلوم
لذلك وصار العالم
الرباني راسخا في العلم
أوحى الله تعالى في
بعض الكتب المنزلة
يا بني إسرائيل لا تقولوا
العلم في السماء من
ينزل به ولا في تخوم
الأرض من يصعد به
ولا من وراء البحار
من يعبر فيأتي به
العلم مجعول في قلوبكم

ولا أبالي وهذا غاية العظمة والتعالى فبالتمسك في أمثال هذا يحضر تعظيم التكلم ثم تعظيم الكلام .
الثالث : صور القلب وترك حديث النفس قبل في تفسيره - يا يحيى خذ الكتاب بقوة - أي يجد واجتهاد
وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف المهمة إليه عن غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت
القرآن تحت نفسك بشئ فقال أوشى أحب إلى من القرآن حتى أحدث به نفسي وكان بعض
السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن العظم
للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه في القرآن ما يستأنس به القلب إن كان
التالي أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في منزلة ومتفرج والدي يتفرج في
المنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل إن في القرآن ميادين و بساين ومقاصير وعرائس وديابيح
ورياض وخانات فالملات ميادين القرآن والراءات بساين القرآن والحامات مقاصير والمسبحات
عرائس القرآن والحاميات ديايح القرآن والمفصل رياضه والحانات ماسوى ذلك فإذا دخل القارئ
الميادين وقطف من البساين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيح ونزه في الرياض وسكن
غرف الحانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره . الرابع : التدبر
وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه
وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن في الترتيل لأن الترتيل في الظاهر ليمكن
من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه : لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا
لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل
الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية
كلامه وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية فأرها إمامه فهذا وسواس فقد روى
عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقل في أمر الدنيا فقال لأن تحتلف في
الاستئنة أحب إلى من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقف بين يدي ربي عز وجل وإني كيف أنصرف
فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله
بهم ديني ولكن يمنعه به عن الأفضل ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين عنه فما استطع
الله ذلك عندنا ويروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة (١) ولما
رددتها صلى الله عليه وسلم لتدبره في معانيها وعن أبي ذر قال «قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية
يرددناها - إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم (٢) - الآية» وقام تيمم الدار ليلة بهذه الآية - أم حسب
الذين اجتروا السبت - الآية وقام سعيد بن جبيرة ليلة يردد هذه الآية - وامتازوا اليوم أيها المجرمون -
وقال بعضهم إنني لأفتنح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم
يقول آية لا تفهمها ولا يكون قلبي فيها لأعد لها ثوابا. وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال إنني لأتلو
الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها وعن بعض
السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة
ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات
تدبره وتفتيشه وكان هذا أيضا يقول أفت نفسي مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجاعة ومشاهدة ومساهمة.

(١) حديث أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر المروزي في معجمه
من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبي ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا
ليلة بآية يرددناها - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ن ه . بسند صحيح .

الخامس التفهم : وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار . أما صفات الله عز وجل فمكتوبة تعالى - ليس كمثل شيء - وهو السميع البصير - وكقوله تعالى - الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - فالتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتهم بعمان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين وإليه أشار على - رضي الله عنه بقوله ما أسر - إلى - رسول الله ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما في كتابه فليكن حرصا على طلب ذلك التفهم (١) وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أمورا لا تفتق بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها . وأما أفعاله تعالى فكذلك خلق الله موات والأرض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لأنه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات و بطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم الكاشفة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله عز وجل - أفرأيت ما تحرون ، أفرأيت ما تعنون ، أفرأيت الماء الذي تشربون أفرأيت النار التي تورون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرق والماء بل يتأمل في الماء وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى مظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى مظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع . وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فإذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والرسل إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئا وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق . وأما أحوال المكذبين : كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استئثار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغترى بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لانهائية له وإنما الكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب (١) حديث على - ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه ن من رواية أبي جحيفة قال سألتنا عليا فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبدا فهما في كتابه الحديث وهو عند البخاري بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس في القرآن وفي رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولأبي داود والنسائي فقلنا هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس قال لا إلا ما في كتابي هذا الحديث ولم يذكر التفهم في القرآن .

نادبوا بين يدي
بآداب الروحانيين
وتخلقوا إلى بأخلاق
الصدقين ظهر العلم
من قلوبكم حتى يغبطكم
أو يغمركم فالتأدب
بآداب الروحانيين
حصر النفوس عن
تقاضى جبلاتها وقمعها
بصرح العلم في كل
قول وفعل ولا يصح
ذلك إلا لمن علم وقرب
ونطرق إلى الحضور
بين يدي الله تعالى
فيتحفظ بالحق للحق
أخبرنا شيخنا
أبو النجيب عبد القاهر
السهروردي بإجازة قال
أخبرنا أبو منصور بن
خبرون بإجازة قال أنا
أبو محمد الحسن بن علي
الجوهري بإجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس قال حدثنا
أبو محمد يحيى بن صاعد
قال حدثنا الحسين بن
الحسن المروزي قال أنا
عبد الله بن المبارك قال
أنا الأوزاعي عن
حسان بن عطية بلغني
أن شداد بن أوس
رضي الله عنه نزل
منزلا فقال اتسونا

مبين - قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً - ولذلك قال على رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح باب فهم الاستقصاء فلا مطنع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات - دخل في قوله تعالى - ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم - والطابع هو الموانع التي سدد كرها في موانع الفهم وقد قيل: لا يكون المرید مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه القصص من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد . السادس : التخلي عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال عليه السلام «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت (١)» ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم أربعة : أولها أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بأخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراءة ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخارجه فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبس . ثانياً أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه فان لمع برق على بعد و بدا له معنى من المعاني التي تبين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حيلة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباع منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها التعصبون للذاهب والقوها إليهم فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجاباً وهو منتهى المطالب وهذا التقليد قد يكون باطلاً فيكون مانعاً كمن يعتقد في الاستواء على العرش التحكك والاستقرار فان خطرله مثلاً في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجرت إلى كشف ثنائيات وتوابع ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقاً ويكون أيضاً مانعاً من الفهم والكشف لأن الحجة التي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد . ثالثاً أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبراً ومبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداء وهو كالحث على المرأة فيمنع جليلة الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب أكثر من وكما كانت الشهوات أشد تراكبا كانت معاني الكلام أشد احتجاباً وكما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه فالقلب مثل المرأة والشهوة مثل الصدا ومعاني القرآن مثل الصور تترامى في المرأة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصفيل الجلاء للمرأة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا عظمت أمق الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي (٢) » قال الفضيل يعني حرره وفهم القرآن

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت تقدم في الصلاة .
(٢) حديث إذا عظمت أمق الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرمت

بالسفره نعبف بها
فأنكر منه ذلك فقال
ما تكست بكلمة منذ
أسلمت إلا وأنا أخطمها
ثم أزمها غير هذه
فلا تحفظوها على فثل
هذا يكون التأديب
بآداب الروحانيين
مكتوب في الإنجيل
لا تنظروا على ما تعلموا
حتى تعملوا بما قد علمتم
وقد ورد في خبر عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن
الشيطان ربما يسوفكم
بالعلم قلنا يا رسول الله
كيف يسوفنا بالعلم قال
يقول اطلب العلم ولا
تعمل حتى تعلم فلا يزال
العبد في العلم قاتلاً
والعمل مسوقاً حتى
يموت وما عمل . وقال
ابن مسعود رضى الله
عنه ليس العلم بكثرة
الرواية إنما العلم بالحشية
وقال الحسن إن الله
تعالى لا يعبا بذى علم
ورواية إنما يعبا بذى
فهم ودراية فعلم الوراثة
مستخرجة من عم
الدراسة ومثال علوم
الدراسة كالمثل الخالص
السائق للشاربين

وقد شرط الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكير فقال تعالى - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقال عز وجل - وما يتذكر إلا من ينيب - وقال تعالى - إنما يتذكر أولو الألباب - فالذي أثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب . رابعا أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد نبأ بمقعدة من النار فهذا أيضاً من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأى في الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبداً فهما في القرآن وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه . السابع التخصيص وهو أن يقتدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً فقدر أنه النهي والمأمور وإن سمع وعداً أو وعيداً فكتمل ذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من نضاعيفه ما يحتاج إليه فها من قصة في القرآن إلا وساقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ولذلك قال تعالى - ما ثبت به فؤادك - فليقتدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لا يتطرق لنصر الله تعالى وكيف لا يقتدر هذا القرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى - واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به - وقال عز وجل - لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون . وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الأحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فله ولسائر الناس فليقتدر أنه المقصود قال تعالى - وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ - قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كله الله وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كأيقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أنتنا من قبل ربنا عز وجل بهوده تدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسُنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول مازرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض وقال قتادة لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى - هوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً . الثامن : التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال . ووجدت نصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الحشية أغاب الأحوال على قلبه فإن التضييق غاب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المعمره والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نبيلها كقوله عز وجل - وإنى لفار - ثم أتبع ذلك بأربعة شروط - لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى - وقوله تعالى - والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - ذكر أربع شروط وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال تعالى - إن رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فقدر بأن يكون حاله الحشية والحزن ولذلك قال الحسن - والله ما أصبح اليوم عبدي تلو القرآن يؤمن به إلا كمن حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكته وكثر نصبه وشغله بركة الوحي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلاً من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم .

ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فالعلم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن والمائية في اللبن جسم قام به روح الدهنية والمائية بها القوام قال الله تعالى - وجعلنا من الماء كل شئ حياً - وقال تعالى - أو من كان ميتاً فأحييناه - أى كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالاسلام فالأحياء بالاسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللإسلام علوم وهي علوم مباني الاسلام والاسلام بعد الايمان نظراً إلى مجرد التصديق ولكن للإيمان فروع بعد التحقق بالاسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد تنال للتوحيد والمعرفة والمشاهدة . وللإيمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الاسلام علوم اللسان وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف

عام فالوصف العام علم
اليقين وقد يتوصل إليه
بالنظر والاستدلال
ويشترك فيه علماء
الدينامع علماء الآخرة
وله وصف خاص
يختص به علماء
الآخرة وهي السكينة
التي أزلت في قلوب
المؤمنين ليزدادوا إيماناً
مع إيمانهم فعلى هذا
جميع الرتب يشملها
اسم الإيمان بوصفه
الخاص ولا يشملها
بوصفه العام فيالنظر
إلى الوصف الخاص
اليقين ومراتبه من
الإيمان وإلى وصفه
العام اليقين زيادة على
الإيمان والمشاركة
وصف خاص في اليقين
وهو عين اليقين وفي
عين اليقين وصف
خاص وهو حق اليقين
حق اليقين إذن فوق
المشاركة وحق اليقين
موطنه ومستقره في
الآخرة وفي الدنيا منه
لمح يسر لأهله وهو
من أعز ما يوجد من
أقسام العلم بالله لأنه
وجدان صاصر عم
الصوفية وزهاد العلماء.

وقلت راحته وبطالته . وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والمواظف فلم نجد شيئاً أرق
للقلوب ولا أشد استجلاً للحنن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة
الآية التلاوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشرط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسع
ووعود المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله
واستغماراً لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذا كرم الله عز وجل ولدا
وصاحبة يفض صوتته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقاتلهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه
شوقاً إليها وعند وصف النار ترتعد في انصه خوفاً منها « ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود
اقرأ على » (١) قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على
هؤلاء شهيداً سرأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن » وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استفرقت
قلبه بالكلية ولقد كان في الحائفين من خرم مغشياً عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات
فمثل هذه الأحوال يخرجها عن أن يكون حاكياً في كلامه فإذا قال - إني أخاف إن عصيت ربي عذاب
يوم عظيم - ولم يكن خائفاً كان حاكياً وإذا قال - عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - ولم
يكن حاله التوكل والإجابة كان حاكياً وإذا قال - ولنصبرن على ما آذجنونا - فليكن حاله الصبر
أو العزيمة عليه حتى يجد حلالة التلاوة فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان
حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى - ألا لعنة الله على الظالمين - وفي
قوله تعالى - كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وفي قوله عز وجل - وهم في غفلة معرضون -
وفي قوله - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفي قوله تعالى - ومن لم يتب
فأولئك هم الظالمون - إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلاً في معنى قوله عز وجل - ومنهم أميون
لا يعلمون الكتاب إلا أماني - يعني التلاوة المجردة وقوله عز وجل - وكأين من آية في السموات
والأرض يرمون عليها وهم عنها معرضون - لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض
ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها ولذلك قيل إن من لم يكن متصفاً بأخلاق القرآن فإذا قرأ
القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تنب إلى ومثال العاصى إذا
قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو
مشغول بتخر بيها ومقتصر على دراسة كتابه فلهذا لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء
واستحقاق اللقت ولذلك قال يوسف بن أسباط إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت اللقت
فأعدت إلى التسيب والافتقار والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل - فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا
به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون - ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن ما اتلفت
عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم فقوموا عنه » (٢) قال
الله تعالى - الذين إذا ذكرا لله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون -
وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى » (٣)

(١) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ على الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث اقرأوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم فقوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثاني دون قوله ولانت جلودكم (٣) حديث إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى . بسند ضعيف

وقال صلى الله عليه وسلم «لا يسمع القرآن من أحد أشبهى من يخشى الله عز وجل» (١) فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به وإلا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فاتهررتي وقال جعلت القرآن على عملا اذهب فأقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا بأمرك وبماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فاتتهى إلى قوله عز وجل - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - (٣) قال يكنى هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو فقيه . وإنما العزير مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشمه يوم القيامة أعمى - وبقوله عز وجل - كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - أى تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فإن المقصر في الأمر يقال إنه نسى الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فخط اللسان تصحيح الحروف

(١) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشبهى من يخشى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم العافى في كتاب فضائل القرآن (٢) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفاً لعله أراد بالمدينة وإلا فقد روينا عن أبي زرعة الرازى أنه قال قبض عن مائة ألف وأربعين ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القرآن في عهده في الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين ألفاً من الأنصار وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومي وزاد بن أبي شيبه كالمصنف من رواية الشعبي مرسل وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الأنباري بسنده إلى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف وللمتقدمي وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً وهم ذوعدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مامعه من القرآن فأتى على رجل من أحدتهم سناً فقال مامعك يا فلان ؟ قال مئى كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٣) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فاتتهى إلى قوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - فقال يكفى هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه د في الكبرى وحبك وصححه من حديث عبد الله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يا رسول الله الحديث وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا زلت حق فرغ منها فقال الرجل والذي بعثك بالحق لأز يد عليها أبداً ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرويحل أفلح الرويحل ولأحمد ون في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبي لأبالي أن لا أسمع غيرها

سبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرناه من علم الوراثة والدراسة علمهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والایمان الذي هو الأساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن ففضيلة الانسان بفضيلة العلم وورثته الأعمال على قدر الحظ من العلم وقد ورد في الخبر «فضل العالم على العابد كفضلي على أمي» والاشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والسراء والطلاق والعناق وإما الاشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون العدد عالماً بالله تعالى ذا عين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين محققو اليقين ودقائق المعرفة وقد كان علماء

التابعين فيهم من هو
أقوم بعلم الفتوى
والأحكام من بعضهم .
روى أن عبد الله بن
عمر كان إذا سئل عن
شيء يقول سلوا سعيد
ابن السبب وكان
عبد الله بن عباس يقول
سلوا جابر بن عبد الله
لوزل أهل البصرة
على فتياه لوسمهم
وكان أنس بن مالك
يقول سلوا مولانا
الحسن فإنه قد حفظ
ونسينا فكانوا يردون
الناس إليهم في علم
الفتوى والأحكام
ويعلمونهم حقائق
اليقين ودقائق المعرفة
وذلك لأنهم كانوا
أقوم بذلك من التابعين
صادقهم طراوة الوحي
المنزل وغمرهم غزير
العلم الحمل والمفصل
فتلقى منهم طائفة مجلّة
ومفصلة وطائفة مفصلة
دون مجلّة والمحمل أصل
العلم ومفصله المكتسب
بطهارة القلوب وقوة
الفراسة وكال الاستعداد
وهو خاص بالخواص
قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم

بالتربيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتصاف والتأثر بالأزجار والاثمار فاللسان يرتل والعقل
يترجم والقلب يتعطف . التاسع الترقى ، وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لامن
نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العقدة كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر
إليه ومستمع منه فيكون حاله عندهذا التقدير السؤال والتلقى والتضرع والابتهاال . الثانية أن يشهد
بقلبه كأن الله عز وجل براه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه وإحسانه فقامه الحياء والتعظيم
والاصفاء والفهم . الثالثة أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى تعلق
الانعام به من حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصورا لهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق
بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين ومقابلته درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو
درجات العاقلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز
وجل لحلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال أيضا وقد سأله عن حالة لحقته في الصلاة حتى خرم غشا
عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت
جسمي لمعينة قدرته في مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت
أقرأ القرآن فلا أجده حلاوة حتى تلوته كأنني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على أصحابه ثم
رفعت إلى مقام فوقه كنت أنلوه كأنني أسمع من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمع من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعما لأصبر عنه
وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لوطهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها
بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة
وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد متمثلا لقوله عز وجل - ففروا إلى
الله - ولقوله تعالى - ولا تجعلوا مع الله إلها آخر - فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت
إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الحق بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل
شيء إلا الله عز وجل . العاشر التبري : وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والاتفات إلى نفسه بعين
الرضا والتزكية فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين
والصديقين فيها ويتشوّف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين
شهد على نفسه هناك وقد تراءى المخاطب خوفا وإشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم
إني أستغفرك لظلمي وكفري وقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله عز وجل - إن الإنسان لظالم
كفار - وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعوا أستغفر الله عز وجل
من قصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد
البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراها ومن شهد
القرب في العبد مكره بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في العبد أسفل مما هو فيه ومهما كان
مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في
قراءته كشف له سر الملكوت قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخاه أن يفطر
عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له وعدتني أنك تفطر عندي فأخلفت فقال
لولا ما عادي معك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت العتمة قلت أو تر قبل أن أجيئك لأنني
لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر
من الجنة فازلت أنظ إليها حتى أصبحت وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم

الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف حيث يتلو آيات الرجاء ويقلب على حاله الاستبشار فتكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة والالطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقارنها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل .

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال ﷺ «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»^(١) وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المقصرين المنسوين إلى التصوف في تأويل كلمات في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ما قاله أهل التفسير فمافهم في فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصح ذلك فمافهم قوله صلى الله عليه وسلم «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» فاعلم أن من زعم أن لافهم للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم^(٢) قال على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة للنقولة فما ذلك الفهم وقال ﷺ «إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا»^(٣) ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فمافهماء وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وتريد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة^(٤) لا يكون إلا للتدبر باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخريين فليتبدر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلية في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لانهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظر واختلف فيه الخلائق في النظريات والمقولات في القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فكيف ينبت بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث الأخبار والآثار الدالة على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم تقدم قول على في الباب قبله إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه (٣) حديث إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم في قواعد العقائد (٤) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم في الباب قبله .

أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - وقال تعالى - قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة - فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة فنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبيلتها فليتها بنار الانذار والموعظة والحدار ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قربية منها فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة أجاب بها الأبرار وهي الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة بالحكمة أجاب بها المقرون وهي الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة وإشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقائقية والتعريفات الربانية أجابوا بأرواحهم وقلوبهم ونفوسهم

فصارت متباينة الأقال
إجابته نفسا ومتباينة
الأعمال لإجابته قلبا
والتحقق بالأحوال
إجابته روحا فاجابة
الصوفية بالكل وإجابة
غيرهم البعض . قال
عمر رضى الله عنه :
رحم الله تعالى صبيبا .
لو لم يخف الله لم يصبه
بعض لو كتب له كتاب
الأمان من النار حمله
صرف المعرفة بظيم
أمر الله على القيام
بواجب حق العبودية
أداء لما عرف من حق
العظمة فاجابة الصوفية
إلى الدعوة لإجابة
الحبة للحبوب على
الذادة وذهاب العسر
وإجابة غيرهم على
السكادة والمجاهدة
وهذه الاجابة يظهر
مع الساعات أثرها
في القيام بحقائق
الاستقامة والعبودية
قال الله تعالى فأما من
أعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره
لليسرى - قال بعضهم
أعطى الدارين ولم ير
شيئا واسقى اللغو
والسبائات وصدق

«اقرأوا القرآن واتمسوا غرائبه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم في حديث على كرم الله وجهه «والذى
بعثنى بالحق نبيا لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون
إلى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه نبأ من كان قبلكم ونبا ما أتى بعدكم
وحكم ما بينكم من خالفه من الجارية قصه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل
وهو حبل الله المتين ونوره اللبين وشفاهه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعموج
فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقض عجايبه ولا يتخلقه كثرة التردد» (٢) الحديث وفي حديث حذيفة
« لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فاذا
تأمرنى إن أدركت ذلك تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأعدت عليه
ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة» (٣)
وقال على كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع
العلوم كلها وقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا
كثيرا - يعنى الفهم في القرآن . وقال عز وجل - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما - سعى
ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم
والعلم فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن النقول من ظاهر
التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونهيه
عنه (٤) صلى الله عليه وسلم وقول أبى بكر رضى الله عنه أى أرض تقلنى وأى سماء تظلىنى إذا
قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهى عن تفسير القرآن بالرأى
فلا يخفى إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم والمراد
به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه :
أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومستندا إليه وذلك
عما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل
ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة
رضى الله عنهم . والثانى أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل
مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا
لرد الباقي فتبين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف
التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقبل إن الر هي حروف من الرحمن وقيل إن
الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون
(١) حديث اقرأوا القرآن واتمسوا غرائبه ، ابن أبى شيبه في الصنف وأبو يعلى الموصلى والبيهقى
في الشعب من حديث أبى هريرة بلفظ أعربوا وسنده ضعيف (٢) حديث على والذى بعثنى بالحق
لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فاذا
كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من كان قبلكم الحديث بطوله هو عند ت دون ذكر
افتراق الأمة بلفظ ألا إنها ستكون فتنة مضلة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه
نبأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وإسناده مجهول (٣) حديث حذيفة في الاختلاف
والفرقة بعده فقلت ما تأمرنى إن أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه الحديث دن في الكبرى
وفيه تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات (٤) حديث النهى عن تفسير القرآن بالرأى غريب .

الكل مسموعاً . والثالث أنه صلى الله عليه وسلم «دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (١) فان كان التأويل مسموعاً كالتأويل وحفظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك . والرابع أنه قال عز وجل - لعلمه الذين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطاً ومعلوم أنه وراء السماع . وجملته مانقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الحيال فيبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحتة عقله . وأما النهى فانه ينزل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له في الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولولم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لايلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالأدى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتمة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه مأثر به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم «تسحروا فان في السحور بركة» (٢) ويزعم أن المراد به التسحر بالدكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل - اذهب إلى فرعون إنه طغى - ويشير إلى قلبه ويوحى إلى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغدير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى . والوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأى فالنقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط . والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى حمل منها ليستدل بها على أمثالها . يعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولاً ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البالوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الأثر كمن كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لابد منها للفهم وما لابد فيه من السماع فنون كثيرة منها الإيجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى - وآتينا نوحاً الناقة مبصرة فظلموا بها معنا - آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدركها أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم وقوله تعالى - وأشر بواقي قلوبهم العجل بكفرهم - أى حب العجل لحذف الحب وقوله عز وجل إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات أى ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى لحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح (١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل تقدم في الباب الثانى من العلم (٢) حديث تسحروا فان في السحور بركة تقدم في الباب الثالث من العلم.

بالحسنى أقام على طلب الزلقى والآية قيل تزلت في أبى بصكر الصديق رضى الله عنه ويلوح في الآية وجه آخر أعطى بالمواظبة على الأعمال واتقى الوسوس والمواجس وصدق بالحسنى لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره للعسرى نفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والأنس وأما من يخل بالأعمال واستغنى امتلاً بالأحوال وكذب بالحسنى لم يكن في الملوكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسره للعسرى نستد عليه باب اليسر في الأعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبده سوءاً سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهراً وباطناً كان حظهم من العلم أوفر ونصيبهم من المعرفة أكمل فكانت أعمالهم أزكى وأفضل جاء رجل

إلى معاذ قال أخبرني
عن رجلين أحدهما مجتهد
في العبادة كثير العمل
قليل الذنوب إلا أنه
ضعيف اليقين يتوره
الشك قال معاذ
ليحبطن شكه عمله قال
فأخبرني عن رجل قليل
العمل إلا أنه قوي
اليقين وهو في ذلك
كثير الذنوب فسكت
معاذ فقال الرجل والله
لئن أحبط شك
الأول أعمال بره
ليحبطن يقين هذا
ذنوبه كلها قال فأخذ
معاذ بيده وقال ما رأيت
الذي هو أفاقه من هذا
وفي وصية لقمان لابنه
يا بني لا تستطاع العمل
إلا باليقين ولا يعمل البر
إلا بقدر يقينه ولا يقصر
عامل حتى يقصر يقينه
فكان اليقين أفضل
العلم لأنه أدعى إلى
العمل وما كان أدعى
إلى العمل كان أدعى
إلى العبودية وما كان
أدعى إلى العبودية
كان أدعى إلى القيام
بحق الربوبية وكان
الحظ من اليقين والعلم
بالله للصوفية والعلماء

١٠١ وقوله تعالى - واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها - أي أهل القرية وأهل العير فالأهل
فيهما محذوف مضمر وقوله عز وجل - ثقلت في السموات والأرض - معناه خفيت على أهل السموات
والأرض والشيء إذا خفي ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم في مقام على وأضرر الأهل وحذف وقوله تعالى
- وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون - أي شكر رزقكم وقوله عز وجل - آتينا ما وعدتنا على رسلك -
أي على السنة رسلك حذف الألسنة وقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - أراد القرآن وما سبق له
ذكر وقال عز وجل - حتى توارت بالحجاب - أراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله تعالى - والذين
اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقيم بونا إلى الله زلفى - أي يقولون ما نعبدهم وقوله عز وجل - قال
هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - معناه
لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله - قل كل من عند
الله - وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المتقلب كقوله تعالى - وطور سينين - أي طور
سيناء سلام على آل ياسين أي على إلياس وقيل إدر يس لأن في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين ومنها
المكرر القاطع لوصول الكلام في الظاهر كقوله عز وجل - وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن
يتبعون إلا الظن - معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن وقوله عز وجل - قال الملأ
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين
استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل - ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما وأجل مسمى - معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لازما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى
- يسألونك كأنك حفي عنها - أي يسألونك عنها كأنك حفي بها وقوله عز وجل - لهم مغفرة ورزق
كريم - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق - قل
الأنفال لله والرسول - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - أي فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض
بمخرجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل
حق تؤمنوا بالله وحده - لإقول إبراهيم لأبيه الآية. ومنها اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو
حرف أما الكلمة فكأشياء والقرين والأمة والروح ونظائرها قال الله تعالى - ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء - أراد به النفقة بممارزق وقوله عز وجل - وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم
لا يقدر على شيء - أي الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل - فان اتبعني فلا تنسأني عن شيء - أراد
به من صفات الربوبية وهو العالوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يتبدى بها العارف في أوان الاستحقاق
وقوله عز وجل - أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون - أي من غير خالق فر بما يتوهم به أنه يدل على أنه
لا يخلق شيء إلا من شيء. وأما القرين فكقوله عز وجل - وقال قرينه هذا مالدي عتيد ألقيا في جهنم
كل كفار - أراد به الملك الموكل به وقوله تعالى - قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان - أراد به
الشیطان. وأما الأمة فتطلق على ثمانية أوجه الأمة الجماعة كقوله تعالى - وجد عليه أمة من الناس
يسقون - وأتباع الأنبياء كقولك نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ورجل جامع للخير يقتدى به
كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة قاتنا لله - والأمة الدين كقوله عز وجل - إنا وجدنا آباءنا على
أمة - والأمة الحين والزمان كقوله عز وجل - إلى أمة معدودة - وقوله عز وجل - واذكر بعد أمة -
والأمة القامة يقال فلان حسن الأمة أي القامة، وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال صلى الله
عليه وسلم «يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده» (١) والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد .
(١) حديث يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده ن في الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء

الراهدين فان بذلك فضلهم وفضل علمهم . ثم إلى أمور مسئلة يستبين بها المعتبر فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقعد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقعد فوقه فأنعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يظن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج إلى الدواوة ولا يفكر في منشأ هذا المرض ولو علم أن هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر وإظهاره ذلك إلى الفصل تكبر حيث تكبر صار فعلا به تكبر الزاهد لا يميز نفسه بشئ دون

والروح أيضا ورد في القرآن على معان كثيرة فلا تطول بإيرادها وكذلك قديع الإبهام في الحروف مثل قوله عز وجل - فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا - فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي الموريات أي أثرن بالحوافر نقعا . والثانية كناية عن الاغارة وهي الغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فأغاروا بجمعهم وقوله تعالى - فأثرلناه للناس - يعني السحاب - فأخرجناه من كل الثمرات - يعني الماء - وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر . ومنها التدرج في البيان كقوله عز وجل - شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - إذ لم يظهر به أنه ليل أو نهار وبأن بقوله عز وجل - إنا أنزلناه في ليلة مباركة - ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - ور بما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لا يخفى فيه إلا النقل والسماح فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلفظ العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماح والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فاذا سمعه في موضع آخر مال برأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثير معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لأسرار المعاني كالسبق فاذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال - ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى - فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه إثبات للرمي ونفيه وهما متضادان في الظاهر مالم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماء الله عز وجل وكذلك قال تعالى - قاتلهم يذهبهم الله بأيديكم - فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المذهب وإن كان الله تعالى هو للقلب بتحرريك أيديهم فامعنى أمرهم بالقتال حقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يخفى عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد إضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل - ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى - ولعل العمرلوا نفق في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بعقمانه ولواحقه لا نقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن إلا وتحققها حوج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراخين في العلم من أسرار به قدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لانهاية لما فتتند الأبحر قبل أن تنفذ كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يخفى عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده «أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (١) أنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قر به فأندرج القرب الأول فيه ففرق إلى الدات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قر به بما استحياه من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لأحصى ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا بنت أبي بكر باسنادين جيدين (١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة .

المسلمين ولا يرى نفسه
في مقام تمييز عجزها
بمجلس فالصوفي العالم
مخصوص عجز ولوقتر
له أن يتلى بمثل هذه
الواقعة وينعصر من
تقديم غيره عليه وترفعه
يرى النفس وظهورها
ويروى أن هذا داء
وأنة إن استرسل فيه
بالاصفاء إلى النفس
وانصارها صار ذلك
ذنب حاله فيرفع في
الحال داءه إلى الله تعالى
ويشكو إليه ظهور
نفسه ويحسن الانابة
ويقطع دابر ظهور
النفس ويرفع القلب
إلى الله تعالى مستقيماً
من النفس فيشغله
اشتغاله بروية داء
النفس في طلب دوائها
من الفصكر فيمن
قصد فوقه وربما
أقبل على من قد
فوقه بمزيد التواضع
والانكسار تكفيرا
لذنب الوجود وتداويا
لدائه الحاصل فتبين
بهذا الفرق بين
الرجلين فلذا اعتبر
المعتبر وتفقد حال نفسه
في هذا المقام يرى

وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك
كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول
إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورد لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم. ثم كتاب آداب
التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين
وعلى آل محمد وصحبه وسلم. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه.

كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة راقته العامة رحمة الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى - فاذكروني
أذكركم - ورضيهم في السؤال والدعاء بأمره فقال - ادعوني أستجب لكم - فأطعم الطمع والعاصي
والهدائي والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله - فاني قريب أجيب دعوة
الداع إذا دعى - والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفياه وسلم تسليما كثيرا .
[أما بعد] فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى
ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل
في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد
الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المنفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر
أبواب خمسة . الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائده جملة وتفصيلا . الباب الثاني : في فضيلة
الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث : في أدعية
مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها . الباب الرابع : في أدعية منتخبة محدوفة الاسناد من الأدعية
المأثورة . الباب الخامس : في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث .

الباب الأول في فضيلة الذكر وفائده على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار
ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى - فاذكروني أذكركم - قال ثابت البناني
رحمه الله إنني أعلم متى يذكركني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني
وقال تعالى - اذكروا الله ذكرا كثيرا - وقال تعالى - فإذا أنصتتم من عرفات فاذكروا الله عند الشعر
الحرام واذكروه كأهداكم - وقال عز وجل - فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو
أشد ذكرا - وقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم - وقال تعالى - فإذا قضيتُم
الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر
والبحر والسفر والحضر والنفي والفقر والمرض والصحة والسر والعلاية وقال تعالى في ذم المنافقين - ولا
يذكرون الله إلا قليلا - وقال عز وجل - واذكروا ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو
والأصال ولا تكن من الغافلين - وقال تعالى - ولذكر الله أكبر - قال ابن عباس رضي الله عنهما وجهان
أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى
غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة
الحضراء في وسط المشيم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالقاتل بين الفارين »

كتاب الأذكار والدعوات

الباب الأول في فضيلة الذكر

(١) حديث ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط المشيم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما عمل ابن آدم من عمل أتجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل » (٣) . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تصبح ونمسي وليس عليك خطيئة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملته وإذا تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا مشى إلى هرولت إليه » (٧) يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله من حملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله » (٨) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائماً » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل من شغلته ذكرى عن مسألي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » (١٠) .

حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال في وسط الشجر الحديث (١) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت في شفتاه هـ حب من حديث أبي هريرة وك من حديث أبي الدرداء وقال صحيح الاسناد (٢) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أتجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبي شيبه في المصنف والطبراني من حديث معاذ باسناد حسن (٣) حديث من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبي شيبه في المصنف والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عند ت بلفظ إذا مررت بر ياض الجنة فارتعوا وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٤) حديث سئل أي الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب في الدعاء والبيهقي في الشعب من حديث معاذ (٥) حديث أنس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح ونمسي وليس عليك خطيئة أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف (٦) حديث لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً رويناه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كانوا ابن عبد البر في التمهيد (٧) حديث قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من حملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه متفق عليه من حديث أبي هريرة أيضاً (٩) حديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم الحديث ت هـ ك وصحح إسناده من حديث أبي الدرداء (١٠) حديث قال الله تعالى من شغلته ذكرى عن مسألي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين خ في التاريخ والبراز في المسند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن

نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبي المناصب الدنيوية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له ولو أكثرنا تصوير المسائل لتبرهن فضيلة الـاهدين ونقصان الراغبين لأورث الملل وهذه من أوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفائس علومهم وشراف أحوالهم والله الموفق للصواب .

[الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف

طريقهم]

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروي قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياق قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد الهبوبي قال أنا أبو يحيى محمد بن عيسى الترمذي قال مدتنا مسلمة بن حاتم

الأنصاري قال حدثنا

محمد بن عبد الله

الأنصاري عن أبيه

عن علي بن زيد عن

سعيد بن المسيب قال

قال أنس بن مالك

رضي الله عنه قال لي

رسول الله صلى الله

عليه وسلم «يا بني إن

قدرت أن تصبح وتغيب

وليس في قلبك غش

لأحد فافعل ثم قال يا بني

وذلك من سنن ومن

أحياء سنن فقد أحياني

ومن أحيائي كان مني

في الجنة» وهذا أتم

شرف وأكمل فضل

أخبره الرسول صلى

الله عليه وسلم في حق

من أحياسته فالصوفية

هم الذين أحيوا هذه

السنة وطهارة الصدور

من الفل والفش عماد

أمرهم وبذلك ظهر

جوهرهم وبان فضلهم

ولما قدروا على إحياء

هذه السنة ونهضوا

بواجب حقها لزهدهم

في الدنيا وتركها لأربابها

وطلايها لأن مشارف الفل

والفش محبة الدنيا

ومحبة الرفعة والمنزلة

عند الناس والصوفية

وأما الآثار : فقد قال الفضيل بلغنا أن الله عز وجل قال عبدي اذكرني بعد الصبح ساعة و بعد العصر ساعة أ كفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكر الله عز وجل بين نفسك ومحادثته وأنيسه وقال الحسن الله ذكر أن : ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروي « إن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا إذا ذكر الله عز وجل » وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكر الله سبحانه فيها ، والله تعالى أعلم .

فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جلس قوم مجلساً يذكر الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكروا الله تعالى فيمن عنده (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من قوم اجتمعوا يذكر الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بذلت لكم سيئاتكم حسنات (٢) » وقال أيضاً ﷺ « ما قعد قوم مقعداً لم يذكر الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة (٣) » وقال داود صلى الله عليه وسلم : إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الدارين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها عليّ » وقال صلى الله عليه وسلم « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي مجلس من مجالس السوء (٤) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا اجتمع قوم يذكر الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوماً يذكر الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوماً يذكر الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بيتكم فيجثون فيحفون بهم إلى السماء

الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضعفاء وفي الثقات أيضاً (١) حديث ما جلس قوم مجلساً يذكر الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكروا الله فيمن عنده م من حديث أبي هريرة (٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكر الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بذلت سيئاتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس (٣) حديث ما قعد قوم مقعداً لم يذكر الله ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وحسنه من حديث أبي هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرج له ولده وكذلك لم أجده له إسناداً (٥) حديث أبي هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق الحديث الطبراني في المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة أو انقطاع

فيقول الله تبارك وتعالى أي شيء تركتم عبادة يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أي شيء يتعبدون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله إني أشهدكم أنني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردم إنما جاء حاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم (١) .

فضيلة التهليل

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك (٣) » وقال عليه السلام « مامن عبد توحاً فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كآني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا لأبي هريرة « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فأنها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالحا صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك (٦) »

(١) حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة وحده وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله الحديث تقدم في الباب الثاني من الحج (٣) حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث مامن عبد توحاً فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم في الطهارة (٥) حديث ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور الحديث أبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فأنها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالحا صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك ، قلت وصية أبي هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفري في الدعوات ولو جعلت لا إله إلا الله وهو معروف من حديث أبي سعيد مرفوعا لو أن السموات السبع وعمارهن غيры والأرضين السبع في كفة مالت بهن لا إله إلا الله رواه ن في اليوم واليلة وحب وك وصححه

زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم الزايل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس في قلوبهم غش لأحد فقول القائل كنست بأرواحهم الزايل إشارة منه إلى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا يستد باب الغش والنيل وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقهاء من أصحابنا وقع على أن معنى كنست بأرواحهم الزايل أن الإشارة بالزابل إلى النفوس لأنها مأوى كل رجس ونجس كالزبللة وكنسها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية أرواحهم في محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويذهب عنها المذموم

من القلوب والنفوس والحق
والحسد فكانها
تكس بنور الروح
وهذا المعنى صحيح
وإن لم يرد القائل بقوله
ذلك . قل الله تعالى
في وصف أهل الجنة
- ونزعنا ما في صدورهم
من غل - إخوانا على
سرر متقابلين - قال
أبو حفص كيف يبق
القل في قلوب اتلفت
بالله وانفتحت على محبته
واجتمعت على مودته
وأنت بذكره إن
تلك قلوب صافية من
هواجس النفوس
وظلمات الطباع بل
كلت بنور التوفيق
فصارت إخوانا فالخاق
حجابهم عن القيام
بأحياء سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
تولوا وفعلا وحالاصفات
نفوسهم فاذا تبدلت
نعت النفس ارتفع
الحجاب وصحت المتابعة
ووقعت الموافقة في كل
شيء مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجبت
المحبة من الله تعالى
عند ذلك قال الله تعالى
- قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم

وقال صلى الله عليه وسلم «لوجاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له ذلك» (١) وقال
صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة لقن الوقي شهادة أن لا إله إلا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت
يارسول الله هذا للوقي فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هي أهدم وأهدم» (٢) وقال صلى الله
عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «لندخلن الجنة
كلكم إلا من أبي وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يارسول الله من الذي يأتي ويشرد
عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله» (٤) فأكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فانها
كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى
وهي بمن الجنة» وقال الله عز وجل - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - فقيل الإحسان في الدنيا قول لا إله
إلا الله والآخرة الجنة وكذا قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وروى البراء بن عازب أنه
صلى الله عليه وسلم قال «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نسمة» (٥) وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدر كذا أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله» (٦)

(١) حديث لوجاء حامل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ .
وللترمذي في حديث لأنس يقول الله يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك
بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة . ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أنس يلوب ماجزاء من هلال
مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع (٢) حديث يا أبا هريرة
لقن الوقي شهادة أن لا إله إلا الله فانها تهدم الذنوب الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من
طريق ابن المقرئ من حديث أبي هريرة وفيه موسى ابن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من
حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في المحضرين من حديث الحسن مرسل (٣) حديث
من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف (٤) حديث
لندخلن الجنة كلكم إلا من أبي وشرد على الله شرود البعير على أهله البخاري من حديث أبي
هريرة كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي . زادك ومحبها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال
البخاري قالوا يارسول الله ومن يأتي قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي ولا بن عدى
و بن يعلى والطبراني في الدعاء من حديث أكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه
ابن وردان أيضا ولأبي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمير التميمي مرسل إذا قلت لا إله إلا الله
وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في الشمايل من حديث ابن مسعود
في إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة للمستجاب لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص ولا بن عدى من
حديث ابن عمر في إجابة المؤذن دعوة الحق والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمرو كلمة الإخلاص لا إله
إلا الله الحديث للطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله والطبراني
في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه في قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا إله
إلا الله وله عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا إله إلا الله ولا بن عدى والمستغفر من حديث أنس
من الجنة لا إله إلا الله ولا يصح شيء منها (٥) حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٦) حديث عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده

وقال صلى الله عليه وسلم «من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا في الجنة» وروى «إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أنت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها» (١) «وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ أنه قال «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتمر أربعة أنفس من ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم» (٢) «وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي غفر له أو دعا استجيب له فان توشأ وصلى قبلت صلاته» (٣).

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار

قال صلى الله عليه وسلم «من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» (٤) وقال ﷺ «من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» (٥) وروى «أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تولت عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يارسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع النجم إلى أن تصلى الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا قال العبد الحمد لله ثلاث مائة بين السماء والأرض فإذا قال الحمد لله الثانية ثلاث مائة بين السماء والسماء السابعة إلى الأرض السفلى فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعطى» (٧) «قال رفاعة الزرقى «كنايوما نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه في المستدرک وإسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الاحياء (١) حديث إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أنت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إليها أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتمر أربعة أنفس من ولد اسمعيل متفق عليه (٣) حديث عبادة بن الصامت من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله الحديث رواه خ (٤) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م من حديث أبي هريرة (٥) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال تولت عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون الحديث المستغفر في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا يعرف له أصلا في حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمر وأن نوحا قال لابنه آمرك بلا إله إلا الله الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وإسناده صحيح (٧) حديث إذا قال العبد الحمد لله ثلاث مائة بين السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ثلاث مائة بين السماء السابعة إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه غريب بهذا اللفظ لم أجده

الله - حصل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أوفرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى .. وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا - ثم اتبعوه في أهملهم من الجسد والاجتهاد في العبادة والتهجد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا بركة المتابعة في الأقوال والأفعال التخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصفح والعفو والرافة والشفقة والمداواة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهبة والتعظيم والرضا والصبر

والزهد والتوكل
فاستوفوا جميع أقسام
المتابعات وأحيوا سنته
بأقصى الغايات . قيل
لعبد الواحد بن ريد
من الصوفية عندك؟
قال القائمون بقولهم
على فهم السنة
والعاكفون عليها
بقلوبهم والعصمون
بسيدهم من شرفوسهم
هم الصوفية وهذا
وصف تام وصفهم به
فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دائم
الافتقار إلى مولاه حتى
يقول لا تسكني إلى
نفسى طرفة عين
أكلأنى كلاءة الوليد
ومن أشرف ماظهر به
الصوفي من متابعة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا الوصف
وهو دوام الافتقار
ودوام الالتجاء ولا
يتحقق بهذا الوصف
من صدق الافتقار
إلا عباد كوشف باطنه
بصفاء المعرفة وأشرق
صدره بنور اليقين
وخلص قلبه إلى بساط
القرب وخلصه بلادة
المسامرة فبقيت نفسه

قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال من التمسك آتفا قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يندرونها أيهم يكتبها أولا (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الباقيات الصالحات هن لآله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» (٣) رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده ينعتقون حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهم أولا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به» (٤) وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس» (٥) وفي رواية أخرى زاد لاحول ولا قوة إلا بالله وقال صلى الله عليه وسلم «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت» (٦) رواه سمرة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملأ الميزان من السما والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموقبها أو مشتر نفسه فمعتقها» (٧) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (٨) وقال أبو ذر رضي الله عنه «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفى الله سبحانه لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (٩) وقال

(١) حديث رفاعة الزرقى كناية ما صلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه خ .
(٢) حديث الباقيات الصالحات هن لآله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ن في اليوم والليلة وحبك وصحبه من حديث أبي سعيد ون ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) حديث ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند حسن ون في اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٤) حديث النعمان بن بشير الذي يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتحميده وتهليله وتحميده ينعتقون حول العرش له دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبه الحديث هو ك وصحبه على شرط م (٥) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وزاد في رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الأول ولست تفرق في الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال للنبي صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أغنى القوم وهو مرسل جيد الاسناد (٦) حديث سمرة بن جندب أحب الكلام إلى الله أربع الحديث رواه م (٧) حديث أبي مالك الأشعري الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان الحديث رواه م وقد تقدم في الطهارة (٨) حديث أبي هريرة كلتان خفيفتان على اللسان الحديث متفق عليه (٩) حديث أبي ذر أى الكلام أحب إلى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون

أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ^(١) » فإذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة وإذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ^(٢) » وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله ﷺ « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليلة صدقة وتكبير صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ووضع أحدكم النخلة في في أهله فهي له صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر ^(٣) » وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كأنقول وينفقون ولا تنفق فقال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعده إن الإمان قال مثل قولك تسبيح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعين وثلاثين ^(٤) » وروى بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكم بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فانهما مستنطقات ^(٥) » يعني بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح ^(٦) وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بالله ومن قاله عند الموت لم تحسه النار ^(٧) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ف قيل كيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة ^(٨) »

قوله سبحان الله العظيم (١) حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله الحديث ن في اليوم والليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالوا في ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة (٢) حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ت وقال حسن ون في اليوم والليلة وحب وك وقال صحيح على شرط م وصححه (٣) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي الحديث رواه م (٤) حديث أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كأنقول وينفقون ولا تنفق الحديث رواه ه إلا أنه قال قال سفيان لأدري أينهن أربع ولأحمد في هذا الحديث وتحمد أربعين وثلاثين واستادها جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبر أربعين وثلاثين كاذر المصنف (٥) حديث بسرة عليكم بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالأنامل فانهما مستنطقات د ت ك باسناد جيد (٦) حديث ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح قلت إنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص ك رواه د ن ت وحسنه وك (٧) حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي الحديث ت وقال حسن ون في اليوم والليلة وه ك وصححه (٨) حديث مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة الحديث م إلا أنه قال أو يحط كاذر المصنف وقال حسن صحيح

وقال

بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شروحي بمشابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت العالمين وشيكة الرجوع سريعة الانقلاب فأنه تعالى بكمال لطفه عرفها إلى الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها وكأنها جعلت سوطا للعبد تسوقه لمعرفة بضرها مع اللحظات إلى جناب الاتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يخلو الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يخلو عن ربه أدنى ساعة وربط معرفة الله تعالى فيها ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ك ربط معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذي يقوم باحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفي العالم بالله الزاهد في الدنيا المتمسك من

التقوى بأونق العرى
ومن الذي يهتدى
إلى فائدة هذه الحال
غير الصوى فدوام
اقتدار إلى ربه تمسك
بجنت الحق ولياذبه
وفي هذا الليذاستغراق
الروح واستتباع القلب
إلى محل الدعاء وفي
انجذاب القلب إلى محل
الدعاء بلسان الحال
والكون فيه نبو
النفس عن مستقرها
من الأقسام العاجلة
وزولها إليها في مدارج
العلم محفوفة بحراسة
الله تعالى ورعايته
والنفس المدبرة بهذا
التدبير من حسن
تدبير الله تعالى مأمونة
الفائلة من الغل والغش
والحقد والحسد وسائر
الذمومات فهذا حال
الصوفي . ويجمع جل
حال الصوفية شيان :
هما وصف الصوفية
واللهما الإشارة بقوله
تعالى - الله يجتبي إليه
من يشاء ويهتدى
إليه من ينيب - فقوم
من الصوفية خصوا
بالاجتهاد الصرف
وقوم منهم خصوا

وقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله بن قيس أيا أباموسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لاجول ولاقوة إلا بالله ^(١) » وفي رواية أخرى « ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش لاجول ولاقوة إلا بالله » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لاجول ولاقوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يصبح رضى الله ربا وبالسلام دينا وبالقرآن إماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة ^(٣) » وفي رواية من قال ذلك رضى الله عنه . وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت فإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت وإذا قال لاجول ولاقوة إلا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى لاسبيل لكم إليه . فان قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها . فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم العامة أن المؤثر النافع هو الذي يكر على الدوام مع حضور القلب فأما الله كره باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الأخبار ما يدل عليه أيضا ^(٤) وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية ولذا ذكر أول وآخر فأوته يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأنس والحب فان الريد في بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل فان وفق للداومة أنس به وانفرد في قلبه حب المذكور ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات أن تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أو لاصار مضطرا إلى كثرة الذكر آخر بحيث لا يصبر عنه فان من أحب شيئا أكثر من ذكره ومن أكثر ذكره كثر شغفه وإن كان تكلفا أحبه فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يمر الأنس بالذكر والحب له ثم يتمتع الصبر عنه آخر فيصير الموجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التمتع إلا من الأنس والحب ولا يصدر الأنس إلا من الداومة على المكابدة والتكليف مدة طويلة حتى يصير التكليف طبعيا فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أولا ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف * هي النفس ما عودتها تتعود * أى ما كلفتها أولا يصير لها طبعها آخر ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله وماسوى الله

(١) حديث يا عبد الله بن قيس أيا أباموسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لاجول ولاقوة إلا بالله متفق عليه (٢) حديث أبى هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لاجول ولاقوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم ن في اليوم واللييلة وك من قال سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولاقوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من قال حين يصبح رضى الله ربا الحديث د ن في اليوم واللييلة وك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث نوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد ابن المرزبان ضعيف جدا (٤) حديث الدال على أن الله كره القلب لاه قليل الجدوى ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبى هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه .

عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدعن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوه فعمظت غبطته وتخلص من الدجن الذي كان ممنوعا فيه عما به أنسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فأتركه» (١) أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك ينفى في حقه بالموت فسكر من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وإعنا في الدنيا بالموت في حقه إلى أن تنفى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذه العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويرقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يبعث مافي القبور ويحصل مافي الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عدما منع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لامن عالم الملكوت وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ «القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة» (٢) وبقوله صلى الله عليه وسلم «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر» (٣) وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين «يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا» (٤) فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأني يجيبون وقد جيفوا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ما أتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا» والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم «أرواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش» (٥) وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطالب الحقة ونعني بالحقة وذاع الدنيا والقعود على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريد لها حياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فأتركه مفارقه تقدم في الكتاب السابق من العلم (٢) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر من حديث ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا - الآية قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ت أما إنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منبج صرح برفعه في مسنده (٤) حديث ندائه لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم إني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا من حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ه من حديث كعب بن مالك إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ إيمانسة المؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح

بالمداية بشرح مقدمة الانابة فالاجتناب المحض غير مطلق بكسب العبد وهذا حال المحبوب الراد يبادئه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتهاده وفي هذا أخذ بطائفة من الصوفية رعت الحجب عن قلوبهم وبادروا سطوع نور اليقين فأنار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال باللذات والعيش فيها قرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون للذادة النازل بهم من صفو العرفان، تحمل وعيد فرعون فقالوا - إن نؤثرك على ما جاءنا من البينات - قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرياح العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكرا وقالوا آمنا برب العالمين . أخبرنا أبو ندعة طاهر بن

أبي الفضل إجازة

قال أنا أبو بكر أحمد

ابن علي بن خلف

إجازة قال أنا

عبد الرحمن السلي

قال سمعت منصورا

يقول سمعت أبا موسى

الزقاق يقول سمعت

أبا سعيد الخزاز يقول

أهل الخالصة الذين هم

الرادون اجتباهم مولا

وأكل لهم النعمة وهيا

لهم الكرامة فأسقط

عنهم حركات الطلب

فصارت حركاتهم في

العمل والخدمة على

الألفة والذكر والتنم

بمناجاته والانفراد

بقره وبهذا الاسناد

إلى أبي عبد الرحمن

السلي قال سمعت على

ابن سعيد يقول سمعت

أحمد بن الحسن المحصي

يقول سمعت فاطمة

العسروفة بجورية

تلميذة أبي سعيد تقول

سمعت الخزاز يقول

المراد محمول في حاله

معان على حركاته وسعيه

في الخدمة مكفي مصون

عن الشواهد والنواظر

وهذا الذي قاله الشيخ

أبو سعيد هو الذي

أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالحير قال إن الله عز وجل أحيا أباك فأقعد بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمنى على يا عبدي ما شئت أعطيك فقال يارب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى فقال عز وجل سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون (١) » ثم القتل سبب الحاجة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربحا عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استوى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الحاجة فإن القلب وإن أُلزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يتخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعثره فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحس بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل ما نال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك (٢) كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها - بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إلا فهذا الشهيد قاتل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواء ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعد حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار (٣) وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله محملا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للقال . فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الحاجة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير متلفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه فهذه مرامز إلى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم العاملة .

الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية للآخرة

وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي - وقال تعالى - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - وقال تعالى - وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال عز وجل

(١) حديث ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالحير قال إن الله أحيا أباك وأقعد بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمنى على الحديت وقال حسن وه ك وصحح إسناده من حديث جابر (٢) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك متفق عليه من حديث أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل للغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣) حديث تفضيل لا إله إلا الله على سائر الأذكار وقال حسن ون في اليوم والليلة وه من حديث جابر

الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله

قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أيادعوا فله الأسماء الحسنى - وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ - ادعوني أستجب لكم (١) » - الآية وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة (٢) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يتخير له (٤) » وقال أبو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج (٥) » .

آداب الدعاء وهي عشرة

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى - وبالأسماء يستغفرون - وقال صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له (٦) » وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال سوف أستغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقبل إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل إليه إني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء . الثاني : أن يقتنم الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها . وقال مجاهد إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « الصائم لا ترد دعوته (٨) » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع المهم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النعمان بن بشير إن الدعاء هو العبادة أصحاب السنن وك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مخ العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لانعرفه إلا من حديث ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب وه حب ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يتخير له الديلمي في الفردوس من حديث أنس وفيه روح ابن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد وخ في الأدب والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد إما أن تعجل له دعوته وإما أن يتخير له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ت في اليوم والليلة وت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عسدي وابن القطان ورواه في اليوم والليلة بأسناد آخر جيد وحب وك وصححه (٨) حديث الصائم لا ترد دعوته ت وقال حسن وه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه

المشبه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالكثرة من النوافل وقد رأوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ولم يعلموا أن الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم بدائيات المرادين فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا بالحال فطرحوا نوافل الأعمال فأما المرادون فتبقى عليهم الأعمال والنوافل وفيها قرّة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذي أوضحناه أحد طريقى الصوفية فأما الطريق الآخر طريق المرادين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - فطلبوا بالاجتهاد أولا قبل الكشف قال الله تعالى - والذين جاهدوا

فينا تهنئينهم سبلنا -
 يدرجهم الله تعالى في
 مدارج الكسب بأنواع
 الرياضات والمجاهدات
 وسهر الليالي وطمأ
 المواجهات وتأنج فيهم
 نيران الطلب وتجب
 دونهم لوامع الأرب
 يتقبلون في رمضاء
 الإرادة وينخلعون
 عن كل مألوف وعادة
 وهي الانابة التي شرطها
 الحق سبحانه وتعالى
 لهم وجعل الهداية
 مقرونة بها وهذه
 الهداية أنفا هداية
 خاصة لأنها هداية إليه
 غير الهداية العامة التي
 هي الهدى إلى أمره
 ونهيه بمقتضى المعرفة
 الأولى وهذا حال
 السالك المحب المريد
 فكانت الانابة غير
 الهداية العامة فأثمرت
 هداية خاصة واهتدوا
 إليه بعد أن اهتدوا له
 بالمكابدات غلصوا
 من مضيق العسر إلى
 فضاء اليسر وبرزوا
 من وهج الاجتهاد إلى
 روح الأحوال فسبق
 اجتهادهم كشوفهم
 والمرادون سبق

«أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجدا فأكثروا فيه من الدعاء» (١) وروى ابن عباس
 رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إني نهيته أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما
 الركوع فعظموا فيه الرب تعالى وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قرن أن يستجاب لكم» (٢). الثالث:
 أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم «أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس» (٣) وقال
 سلمان قال رسول الله ﷺ «إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردّها
 صفرا» (٤) وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم «كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير
 بأصبعه» (٥) وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مرّ على إنسان يدعو ويشير بأصبعه
 السبائتين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد (٦) أي اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضي الله عنه
 ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغل بالأغلال ثم يني أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله
 عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه (٧) وقال ابن
 عباس كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما ممالي وجهه (٨) فهذه هيئتا اليد ولا يرفع بصره
 إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم «ليتني أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أولتخطفن
 أبصارهم» (٩) الرابع: خفض الصوت بين الخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعري قال قدمنا
 مع رسول الله ﷺ فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم «يا أيها
 الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم» (١٠) وقالت
 عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها (١١) - أي بدعائك وقد أثنى الله
 عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال - إذا نادى ربك دعاء خفيا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم
 تضرعا وخفية - الخامس: أن لا يتكلف السجدة في الدعاء فإن حال الداعي يني أن يكون حال متضرع
 (١) حديث أبي هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدا فأكثروا من الدعاء رواه م (٢) حديث
 ابن عباس إني نهيته أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا الحديث م أيضا (٣) حديث جابر أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس م دون
 قوله يدعو فقال مكانها واقفا ون من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو
 ورجاله ثقات (٤) حديث سلمان إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردّها
 صفرا دت وحسنه وهك وقال إسناده صحيح على شرطهما (٥) حديث أنس كان يرفع يديه حتى
 يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه م دون قوله ولا يشير بأصبعه والحديث متفق عليه لكن
 مقيد بالاستسقاء (٦) حديث أبي هريرة مرّ على إنسان يدعو بأصبعه السبائتين فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أحد أحد ن وقال حسن وهك وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عمر كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب
 وك في المستدرک وسكت عليه وهو ضعيف (٨) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا
 ضم كفيه وجعل بطونهما ممالي وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف (٩) حديث ليتني أقوام
 عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أولتخطفن أبصارهم م من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء
 في الصلاة (١٠) حديث أبي موسى الأشعري يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب
 متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذي ذكره المصنف لأبي داود (١١) حديث عائشة في قوله تعالى
 - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها - أي بدعائك متفق عليه .

والتكاف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم «سيكون قوم يعتدون في الدعاء» (١) وقد قال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين » قيل معناه التكاف للأسجاع والأولى أن يجاوز الدعوات المأثورة فإنه قديعتدى فدعائه فيسأل مالا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضى الله عنه إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدبرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال ﷺ «إياكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» (٢) وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومرة بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبارك أشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيديدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فمادونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك . واعلم أن المراد بالسجع هو التكاف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والإفنى الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكافئة كقوله صلى الله عليه وسلم «أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقرين بالشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد» (٣) وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل . السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى - إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا ورغباً ورهباً - وقال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية - وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه» (٤) السابع : أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم «لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسئلة فإنه لا مكره له» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور د ه ح ك من حديث عبد الله بن مغفل
(٢) حديث إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل غريب بهذا السياق والبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت أصحاب رسول الله ﷺ لا يفعلون إلا ذلك وه ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكواامل وفيه وأسألك الجنة إلى آخره
(٣) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقرين بالشهود والركوع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى سي الحظ (٤) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس إذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فإني أحب أن أسمع صوته وللطبراني من حديث أبي أمامة إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدي فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فإني أحب أن أسمع صوته وسندها ضعيف (٥) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسئلة فإنه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة
(٦) حديث إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء ح ك من حديث أبي هريرة .

ادعوا

كشوفهم اجتهدهم
أخبرنا الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي قال أنا
أبو الفضل أحمد بن
أحمد قال أنا الحافظ
أبو نعيم الأصفهاني قال
ثنا محمد بن الحسين بن
موسى قال سمعت محمد
ابن عبد الله الرازي
يقول سمعت أبا محمد
الجريري يقول سمعت
الجنيد رحمه الله عليه
يقول ما أخذنا التصوف
عن الثقل والقال
ولكن عن الجوع
وترك الدنيا وقطع
المأوفات والمستحسنتات
فقال محمد بن خفيف
الارادة سمو القلب
لطلب المراد وحقيقة
الارادة استدامة الجد
وترك الراحة وقال
أبو عثمان المريد الذي
مات قلبه عن كل شيء
دون الله تعالى فيريد
الله وحده ويريد
قربه ويشتاق إليه
حتى تذهب شهوات
الدنيا عن قلبه لشدة

«ادعوا الله وأتمم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله عزوجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل^(١)» وقال سفيان بن عيينة لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عزوجل أجاب دعاء شر الحاق إبليس لعنه الله - إذ قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين - . الثامن : أن يلج في الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعا ثلاثا وإذا سأل ثلاثا^(٢) وينبغي أن لا يستبطى^{*} الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فإذا دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كرميا^(٣)» وقال بعضهم إني أسأل الله عزوجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو الاجابة وسألت الله تعالى أن يوفقي لترك ما لا يعني وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سأل أحدكم ربه مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال^(٤)» . التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله عزوجل فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحته بقول سبحان ربّي العلي الأعلى الوهاب^(٥) وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عزوجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا سألتم الله عزوجل حاجة فابتدؤا بالصلاة علىّ فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداها ويردّ الأخرى^(٦)» رواه أبو طالب المكي . العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عزوجل بكنه المهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروى عن كعب الأبحر أنه قال أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببني إسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عزوجل إلى موسى عليه السلام أني لا أستجيب لك ولان معلك وفيكم غم فقام فقال موسى يارب ومن هو حق نخرجه من بيننا فأوحى الله عزوجل إليه يا موسى أنهاكم عن النيمة وأكون غاما فقال موسى لبني إسرائيل توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النيمة فتأبوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث . وقال سعيد بن جبيرة قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبني إسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أولنؤذنه قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء فقال أقتل أوليائه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من

(١) حديث ادعوا الله وأتمم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من حديث أبي هريرة وقال غريب وك وقال مستقيم الاسناد تفرّد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنّه ضعيف في الحديث (٢) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ثلاثا وإذا سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٣) حديث يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال البيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف (٥) حديث سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحته وقال سبحان ربّي العلي الأعلى الوهاب أحمد وك وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد الجاني ضعفه الجمهور (٦) حديث إذا سألتم الله حاجة فابتدؤا بالصلاة علىّ فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطى إحداها ويردّ الأخرى لم أجده مرفوعا وإنما هو موقوف على أبي الدرداء .

شوقه إلى ربه وقال أيضا عقوبة قلب المردين أن يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات إلى أضدادها فهذان الطريقان يجتمعان أحوال الصوفية ودونها طريقان آخران ليسا من طرق التحقق بالتصوّف . أحدهما مجذوب أبقى على جذبه مارد إلى الاجتهاد بعد الكشف والثاني مجتهد متعبد ماخلص إلى الكشف بعد الاجتهاد وللصوفية . في طريقهما باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن أن يبلغ غرضا أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور . أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي ابن خاف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت

للمزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لومثيتهم إلى بأقدامكم حتى تحق ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكمل السنتكم عن الدعاء فإني لأجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا للظلم إلى أهلها ففعلوا ففطروا من يومهم . وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وترفعون إلى أ كفا قد سفكم بها السماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني إلا بعدا . وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بجلة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلقنا من خلقك ولاغى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال يامعشر من حضر ألسنم مقربين بالاساءة فقالوا اللهم نم فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول - معالي الحسنين من سبيل - وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك إلا لثقتنا اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال إنكم تستبطلون المطر وأنا أستبطل الحجارة وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقي فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المفازة إلا الواحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ما علمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة فنظرت إليها بعيني هذه فلما جاوزتني أدخلت أصبى في عيني فارتزعتها وأتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى تؤمن على دعائك قال فدعا فتجلت السماء سحابا ثم صبت فسقوا . وقال يحيى النعماني أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاخترأوا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم اللهم إنك أنزلت في توراةك أن نغفو عن ظلمنا اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا . وقال الثاني اللهم إنك أنزلت في توراةك أن نعتق أرقابنا اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم إنك أنزلت في توراةك أن لاترد للمساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمي منعنا الفيت فخرجنا نستسقي فاذا نحن بمعذون المجنون في المقابر فنظر إلى فقال يا عطاء أهدأ يوم النشور أوبعث ما في القبور فقلت لا ولكننا منعنا الفيت فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب ساوية فقلت بل بقلوب ساوية فقال هيهات يا عطاء قل للتبهرجين لاتتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال إلهي وسيدى ومولاي لاتهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسرا المسكون من أمماتك وماوارت الحجب من آ لائك إلاماسقيتنا ماء غدقا فراتا تحيى به العباد وتروى به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلق الزاهدون والعابدون إذ ملأهم أجاجوا البطون
أسهروا الأعين العلية حيا فانقضى ليلهم وهم ساهرون
شغلهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعنا خيش قد انزرا بإحداها وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جاني فسمعتة يقول إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد خبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك يا حليذا أنا يا من لا يعرف عباده منه إلا الجليل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة

نصر بن أبي نصر
يقول سمعت قسيًا غلام
الزقاق يقول سمعت
أبا سعيد السكري يقول
سمعت أبا سعيد الخزاز
يقول كل باطن يخالفه
ظاهر فهو باطل وكان
يقول الجنيد رحمه الله
علمنا هذا مشتبك
بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم من أمر
السنة على نفسه قولا
وفلا نطق بالحكمة
ومن أمر الهوى على
نفسه قولا وفلا نطق
بالبدعة . حكى أن
أبا يزيد البسطامي
رحمه الله قال ذات يوم
لبعض أصحابه قم بنا
حتى ننظر إلى هذا
الرجل الذي قد شهر
نفسه بالولاية وكان
الرجل في ناحيته مقصودا
ومشهورا بالزهد
والعبادة فضينا إليه
فلما خرج من بيته قصد
للسجد رمى بزاقة نحو
القبلة فقال أبو يزيد
انصرفوا فانصرف

الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك جئت إلى الفضيل فقال مالي أراك كشيئا فقلت أمر سبقتنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخرّ مغشيا عليه وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه في القوم إليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضية فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغيائك قبل أن يقتطوا فيهلكوا فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال فاتم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى - إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما - وروى أنه صلى الله عليه وسلم « جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال ﷺ إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أما رضى يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عشرة ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلت عليه الملائكة ماضى حتى فليقل عند ذلك أولئك (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بي أكرمهم على صلاة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصل على (٤) » وقال ﷺ « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة (٥) » وقال ﷺ « من صلى على من أمي كتبه عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يسمع الأذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي (٧) » وقال رسول الله ﷺ « من صلى على »

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال إنه جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أما رضى يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرة ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة ن وجب من حديث أبي طلحة باسناد جيد (٢) حديث من صلى على صلت عليه الملائكة ماضى فليقل عند من ذلك أولئك (٣) حديث إن أولى الناس بي أكرمهم على صلاة ن من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وجب (٤) حديث بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصل على قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا ون وجب من حديث أخيه الحسن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ن من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح (٥) حديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة ن . حبك وقال صحيح على شرط ن من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبي حاتم في العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر (٦) حديث من صلى على من أمي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ن في اليوم واليلة من حديث عمرو ابن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفع بها عشر درجات، وله في السير وابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر محو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات (٧) حديث من قال حين يسمع الأذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي البخاري من حديث جابر دون ذكر الاقامة والشفاعة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال النداء

ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين وسئل خادم النبي رحمه الله ماذا رأيت منه عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلى أن وضئى للصلاة فوضأته فنسيت تحليل لحيته فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته ينخلها . وقال سهل بن عبد الله كل جسد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعى حالا على غير هذا الوجه فمدع مفتون كذاب [الباب الخامس في ماهية التصوف] أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل في كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف

في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام (٢) » وقال عليه السلام « ليس أحد يسلم على إلإرد الله على روعي حتى أرد عليه السلام (٣) » و « قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد (٤) » وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحق الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أجعل طاعتك طاعته فقال عز وجل - من يطع الرسول فقد أطاع الله - بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنوب فقال تعالى - عفا الله عنك لم أذنت لهم - بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل - وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم - الآية، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فإذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فإذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فإذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك الدراع لانا كنى فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بثلث لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهره وأدى وجهه وكسرت ربا عيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لولم تجالس إلا كفؤا لك ما جالسنا ولولم تنكح وللمستغفرى في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن علي العمري في اليوم والليلة من حديث أبي الدرداء ذكر الصلاة فيه وله والمستغفرى في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وتقبل شفاعته في أمته وسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على محمد صلوا الله على الوسيلة وفيه فمن سأل الوسيلة حلت عليه الشفاعة (١) حديث من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفرى في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام تقدم في آخر الحجج (٣) حديث ليس أحد يسلم على إلإرد الله على روعي حتى أرد عليه السلام د من حديث أبي هريرة بسند جيد (٤) حديث قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث متفق

الشيخ أبي عبيد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم ابن أحمد بن محمد ابن رجاء قال ثنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال ثنا عثمان ابن سعيد قال ثنا عمر ابن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » فالفقراء كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه . قال روي التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالقرآن والافتقار والتحقق بالبدل والإشارة وترك التعرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا علاقة . وقال :

إلا كفؤا لك ما نكحت إلينا ولولم تؤا كل إلا كفؤا لك ما واكتنا فلتد والله جالسنا ونكحت إلينا وواكتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليه وسلم (١). وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي أمانتم الصلاة على في كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا الصلوة وسلمت عليه وروى عن أبي الحسن قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بم جوزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال صلى الله عليه وسلم جوزي عني أنه لا يوقف للحساب .

فضيلة الاستغفار

قال الله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - وقال علقمة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذن عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - الآية وقوله عز وجل - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيم - وقال عز وجل - فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا - وقال تعالى - والمستغفرين بالأسحار - وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم

عليه من حديث أبي حميد الساعدي (١) حديث عمر في حين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والاسراء به على البراق إلى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالأبطح وكلام الشاة المسمومة وأنه دعى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وأنه لبس الصوف وركب الحمار وأردفت خلفه ووضع طعامه بالأرض ولعن أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى فحديث حين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر وحديث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الاسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح وحديث كلام الشاة المسمومة رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع وحديث أنه دعى وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد وحديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبي من الأنبياء ضربه قومه وحديث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد وحديث ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلًا وللبخاري من حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك (٢) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة أنه كان يكثر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده دون قوله إنك أنت التواب الرحيم (٣) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب دن في اليوم والليلة وه ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان .

معروف بصريح
التصوف الأخذ
بالحقائق والبأس عما
في أيدي الخلائق فمن
لم يتحقق بالفقر لم
يتحقق بالتصوف .

وسئل الشبلي : عن
حقيقة الفقر فقال
أن لا يستغنى بشئ
دون الحق . وقال
أبو الحسين النوري
نعت الفقير السكون
عند العدم والبذل
والإيثار عند الوجود .

وقال بعضهم إن الفقير
الصادق ليحترز من
الغنى حذر أن يدخل
عليه الغنى فيفسد
فقره كما أن الغنى يحترز
من الفقير حذر أن
يدخل عليه الفقر
يفسد عليه غناه .

وبالاسناد الذي سبق
إلى أبي عبد الرحمن
قال سمعت أبا

عبد الرحمن الرازي .
يقول سمعت مظفرا
القرميسيني يقول
الفقير الذي لا يكون
له إلى الله حاجة قال

سبعين مرة (١) « هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى إنني لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا (٣) » وقال عليه السلام في حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف (٤) » وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلي فقلت « يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأين أنت من الاستغفار فاني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (٥) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن التوبة من الذنب التدم والاستغفار (٦) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقيّم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير (٧) » وقال علي رضي الله عنه كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعتني الله عز وجل بما شاء أن ينفعني منه وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلقتني فإذا حلف صدقته قال وحديثي أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ثم تلا قوله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - (٨) » الآية . وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكدة سوداء في قلبه فان تاب إلى الله فاستغفر الله وآتوب إليه في اليوم سبعين مرة خ من حديث أبي هريرة إلا أنه قال أكثر من سبعين وهو في الدعاء للطبراني كما ذكره المصنف (٩) » حديث إنه ليغان على قلبي حتى إنني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة م من حديث الأغر (١٠) » حديث من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبي سعيد وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافي . قلت الوصافي وإن كان ضعيفاً فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ في التاريخ دون قوله حين يأوي إلى فراشه وقوله ثلاث مرات (٤) » حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب . قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود وك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) » حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلي الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن في اليوم والليلة و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) » حديث عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله فإن التوبة من الذنب التدم والاستغفار متفق عليه دون قوله فإن التوبة الخ وزاد أوتوبني إليه فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه وللطبراني في الدعاء فان العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له (٧) » حديث كان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي متفق عليه من حديث أبي موسى واللفظ لمسلم (٨) » حديث علي عن أبي بكر ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت .

ومعته يقول سأل
أبا بكر المصري عن
الفقير فقال الذي
لا يملك ولا يملك (قوله)
لا يكون له إلى
الله حاجة (معناه)
أنه مشغول بوظائف
عبوديته تام الثقة
ربه عالم بحسن كلاءته
به لا يحوجه إلى رفع
الحاجة لعلمه بعلم الله
بحاله فيرى السؤال في
البين زيادة ، وأقوال
الشافعية تنوع معانيها
لأنهم أشاروا فيها إلى
أحوال في أوقات دون
أوقات وتحتاج في
تفصيل بعضها من
البعض إلى الضوابط
فقد تذكر أشياء
في معنى التصوف
ذكر مثلها في معنى
الفقر وتذكر أشياء
في معنى الفقر ذكر
مثلها في معنى التصوف
وحيث وقع الاشتباه
فلا بد من بيان فاصل
فقد تشبه الاشارات
في الفقر بمعاني الزهد
تارة وبمعاني التصوف

تارة ولا يقين للمسترشد بعضها من البعض . فنقول التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالصوف اسم جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا وإن كان زاهدا وفقيرا . قال أبو حفص التصوف كله آداب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب . ووردود من حيث يرجو القبول . وقال أيضا حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لو خشع قلبه لحشعت جوارحه» . أخبرنا الشيخ رضى الدين أحمد بن إسماعيل بإجازة

ونزع واستغفر صقل قلبه منها فإن زاد زادت حتى تغلف قلبه (١) فذلك الزان الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك (٢)» وروت عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال «اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لى فيقول الله عز وجل أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يأخذ بالذنوب ويغفر الذنب عبدى اعلم ما شئت فقد غفرت لك (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما أصبر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة (٥)» وقال ﷺ «إن رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لى ربا يارب فأغفر لى فقال الله عز وجل قد غفرت لك (٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفرله وإن لم يستغفر (٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى يا عبداى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفرله غفرت له ولا أبالى (٨)» وقال ﷺ «من قال سبحانه ظلمت نفسى وعمت سوء فأغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كدب النمل (٩)» وروى «إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك لى وأبوء على نفسى بذنى فقد ظلمت نفسى واعترف بذنى فأغفر لى ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا يغفر الذنوب جميعا إلا أنت (١٠)» الآثار : قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل إن أحب عبداى إلى المتحابون بحبى والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت (١) حديث أبى هريرة إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه الحديث وصححه ون فى اليوم واللييلة وه حبك (٢) حديث أبى هريرة إن الله ليرفع العبد الدرجة فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواه أحمد بإسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا وفيه على ابن زيد بن جدهان مختلف فيه (٤) حديث إذا أذنب العبد فقال اللهم اغفر لى يقول الله أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يأخذ بالذنوب ويغفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٥) حديث ما أصبر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة دت من حديث أبى بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوى (٦) حديث إن رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لى ربا يارب اغفر لى فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقف له على أصل (٧) حديث من أذنب فعلم أن الله قد اطلع عليه غفرله وإن لم يستغفر الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله يا عبداى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفرله غفرت له ولا أبالى ت ه من حديث أبى ذر وقال ت حسن وأصله عند م بلفظ آخر (٩) حديث من قال سبحانه ظلمت نفسى وعمت سوء فأغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه وإن كانت كدب النمل البيهقى فى الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولن لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الدر ذنوبا غفرها الله لك فذكره بزيادة لا إله إلا أنت فى أوله وفيه ابن لميعة (١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت الحديث خ من حديث شذاد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسى واعترف بذنى ودون قوله ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت ودون قوله جميعا

أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركهم وصرفت العقوبة عنهم. وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دائكم فالدنوب وأما دوائكم فالاستغفار. وقال على كرم الله وجهه العجب من يهلك ومعه النجاة قيل وماهى قال الاستغفار وكان يقول مألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقننى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خيثم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقول اللهم اغفرلى وتب على وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار لا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحها الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفارى مع إصرارى للؤم وإن تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحب إلى بالنم مع غناك عفى وكم أتبغض إليك بالمعاصى مع فقرى إليك يا من إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله تعالى . اللهم إني استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك بخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستغنت بها على معصيتك وأستغفرك بإعالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيت به فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملاء أؤخلاء وسر وعلانية بإحليم ويقال إنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام .

الباب الثالث فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب

أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة

فنها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثنى العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته مسجيا وهو فى بيت خالتي ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح قال « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملى وتلم بها شعى وترد بها الفتن عني وتصلح بهادى وتحمض بها غائى وترفع بها شاهدى وتركى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بهار شدى وتعصمنى بهام من كل سوء اللهم أعطنى إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنال الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم إني أنزل بك حاجتى وإن ضعف رأى وقلت حيلتى وقصر عملى وافتقرت إلى رحمتك فأسألك بأكافى الأمور وبأشافى الصدور كما تحب بين البحور أن تحبى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فإني أرغب إليك فيه وأسألكه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسالما لأوليائك تحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإنا إلى المراجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ذى الجبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الحلود مع المقر بين الشهداء والركم السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحانه الذى

الباب الثالث فى أدعية مأثورة

قال أنا الشيخ أبو المظفر عبد النعم قال أخبرنى والذى أبو القاسم القشيري قال سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفي يقول سمعت عبد الله بن على يقول سئل أبو محمد الحريري عن التصوف فقال الدخول فى كل خلق سقى والخروج عن كل خلق دنى فاذا عرف هذا المعنى فى التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله هذا وصف الصوفية والله تعالى سبحانه قراء وسأوضح معنى يفتقر الحال به بين التصوف والفقر نقول الفقير فى فقره

لبس العز وقال به سبحانه الذي تعطف بالجهد وتكرم به سبحانه الذي لا يدنى التسبيح إلا له سبحانه ذي الفضل والتم سبحانه ذي العزة والكرم سبحانه الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشرى ونورا في لحي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقی ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا (١) .

دعاء عائشة رضي الله عنها

قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين (٢) » .

دعاء فاطمة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة ما يمنعك أن تسمي ما أوصيك به أن تقول: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لتسكني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله (٣) » .

دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلكم وروحك وبثورة موسى وأنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيت أوقضاء قضيت أوسائل أعطيت أغنى أفقرته أوفقر أغنيته أوزال هديته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذي بئنت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعضمتك وكبرياتك وبنور وجهك الكريم أن ترزقني القرآن والعلم به وتخلطه بلحمي ودمي وسمي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لاحول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين (٤) » .

(١) حديث ابن عباس اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملتي وتلم بها شعني الحديث وقال غريب ولم يذكر في أوله بعث العباس لابنه عبد الله ولانومه في بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني (٢) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم الحديث . وك وصححه من حديثها (٣) حديث يا فاطمة ما يمنعك أن تسمي ما أوصيك به أن تقول يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لتسكني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله في اليوم والليلة وك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلكم الحديث في الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية

تمسك به متحقق
بفضله يؤثره على
الفنى متطلع إلى
ما تحقق من العوض
عند الله حيث يقول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يدخل فقراء
أمتي الجنة قبل الأغنياء
بنصف يوم وهو خمسمائة
عام » فكلما لاحظ
العوض الباقي أمسك
عن الحاصل الفاني
وعانى الفقر والقلة
وخشى زوال الفقر
لنفوات الفضيلة والعوض
وهذا عين الاعتلال في
طريق الصوفية لأنه
تطلع إلى الأعواض
وترك لأجلها والصوفي
يترك الأشياء
للا أعواض الموعودة
بل للاحوال الموجودة
فانه ابن وقته وأيضا
ترك الفقير الحظ
العاجل واغتنامه
الفقر اختيار منه
وإرادة والاختيار
والارادة علة في حال
الصوفي لأن الصوفي
صار قائما في الأشياء

دعاء بريدة الأسلمى رضى الله عنه
روى أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه
ثم لم ينسهن إياه أبدا قال فقل . بلى يا رسول الله قال قل : اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ
إلى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضى الله عنى اللهم إني ضعيف فقوتى وإني ذليل فأعزنى وإني
فقير فأغننى يا أرحم الراحمين (١) » .

دعاء قبيصة بن الحارق

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « علمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بها فقد كبر سنى ومحجرت عن
أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فانك إذا قلتهم أمنت من النعم
والجذام والبرص والفالج وأما آخرتك فقل اللهم اهدنى من عندك وأفض على من فضلك وانشر على
من رحمتك وأنزل على من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم أما إنه إذا وفى بهن عبد يوم القيامة
لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء (٢) » .

دعاء أبى الدرداء رضى الله عنه

« قيل لأبى الدرداء رضى الله عنه قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت فى محلتها فقال ما كان الله ليفعل
ذلك فقل له ذلك ثلاثا وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حين
دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك فقل له ما ندرى أى قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : من يقول هؤلاء الكلمات فى ليل أو نهار لم يضره شئ * وقد قلتهم وهى اللهم أنت
ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا
اللهم إني أعوذ بك من شرفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) » .

دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام

كان يقول إذا أصبح اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك
وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم
ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم

كان يقول اللهم إني أصبحت لأستطيع دفع ما أكره ولأملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيرى
وأصبت مرتها بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت به عدوى ولا تسؤنى صديقى ولا تجعل مصيبتى
فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى يا حي يا قيوم .

عبد الملك بن هارون بن عبثة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أنعم
القرآن ويتفلت منى فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبى بكر .
(١) حديث يابريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه الحديث لك من حديث بريدة
وقال صحيح الاسناد (٢) حديث إن قبيصة بن الحارق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى
كلمات ينفعنى الله بها فقد كبرت سنى وعجزت الحديث ابن السنن فى اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو
عند أحمد فى السند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٣) حديث قيل لأبى الدرداء
أحرق دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء ضعيف

بارادة الله تعالى لابرادة
نفسه فلا يرى فضيلة
فى صورة فقر ولا فى
صورة غنى وإنما يرى
الفضيلة فيما يوقفه الحق
فيه ويدخله عليه
ويعلم الاذن من الله
تعالى فى اندخول فى
الشئ * وقد يدخل فى
صورة سعة مباينة للفقر
بإذن من الله تعالى
ويرى الفضيلة حينئذ
فى السعة لمكان الاذن
من الله فيه ولا يفسح
فى السعة والدخول فيها
للصادقين إلا بعد
إحكامهم علم الاذن وفى
هذا منزلة للأقدام
وباب دعوى للتدعين
وما من حال يتحقق به
صاحب الحال إلا وقد
يحكيه راكب الحال
لهلاك من هلك عن
بينه ويحيا من حيا
عن بينه فاذا اتضح
ذلك ظهر الفرق بين
الفقر والتصور وعلم
أن الفقر أساس
التصور وبه قوامه
على معنى أن الوصول

دعاء الحضر عليه السلام

يقال إن الحضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات: بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والفرق والسرقة إن شاء الله تعالى .

دعاء معروف الكرخي رضى الله عنه

قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن قلت أكتبها لي قال لا ولكن أرددها عليك كما رددتها عليّ بكر بن خنيس رحمه الله : حسبي الله لديني حسبي الله لديناي حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بنى عليّ حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند المسئلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقدروى عن أبي الدرداء أنه قال «من قال في كل يوم سبع مرات - فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا» .

دعاء عتبة الغلام

وقد روى في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات: اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأخيار والمرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

دعاء آدم عليه الصلاة والسلام

قالت عائشة رضى الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبني ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم إنك تعلم سرى وعلائق فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبتني عليّ والرضا بما قسمته لي يا ذا الجلال والإكرام فأوحى الله عز وجل إليه إني قد غفرت لك ولم يأتني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهومومه ونزعنا الفقر من بين عينيّه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدّها .

دعاء عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله تعالى يمجّد نفسه كل يوم ويقول إني أنا الله رب العالمين إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم إني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم إني أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد إني أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور إني أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شيء وإني يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الباري الصور الكبير المتعال المقنن القهار الحليم الكريم أهل الشفاء والمجد أعلم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخلق (١)» وذكر قبل كل كلمة إني أنا الله لا إله إلا أنا كما أوردناه (١) حديث طيّ إن الله تعالى يمجّد نفسه كل يوم فيقول إني أنا الله رب العالمين إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم الحديث بطوله لم أجده أصلا .

إلى ربّ التصوف طريقه الفقر لا على معنى أنه يلزم من وجود التصوف وجود الفقر . قال الجيد رحمة الله عليه: التصوف هو أن يمتك الحقّ عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذي ذكرناه من كونه قائما في الأشياء بالله لا بنفسه والفقر . والزاهد مكوثان في الأشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما مجتهدان مبلغ علمها والصوفي متم لله نفسه مستقل لعلمه غير راكن إلى معاومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه . قال ذو النون المصري رحمة الله عليه الصوفي من لا يتعبه طلب ولا يزحجه سلب وقال أيضا الصوفية آثروا الله تعالى على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء . فكان من إشارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم

في الأول فمن دعا بهذه الأسماء فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المختبين الذين يجاورون محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبين صلوات الله عليهم في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .
دعاء ابن العتمر وهو سليمان التيمي وتسيبحاته رضى الله عنه

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال؟ قال رأيت تسيبحات ابن العتمر من الله عز وجل بمكان وهي هذه : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق ومل ما خلق ومل ما هو خالق ومل سمواته ومل أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ماضى وعدد ما هم ذا كروه فيما بقى في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشمّ نفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره .

دعاء إبراهيم بن آدم رضى الله عنه

روى إبراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى : مرحبا بيوم الزيد والصبح الجديد والكتاب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا فيه ما نقول بسم الله الحميد الحميد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الآلهة جاحدا وإلى الله فقيرا وعلى الله متكللا وإلى الله منيبا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملته عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسي فاغفرلى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيدك أنا لك وإليك أستغفرك وآتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا رويًا سائغا هنيا لانظما بعده أبدا واحشونا في زمرة غير خزايا ولا ناكسين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمنا من فتن الدنيا ووفقنا لما نحب وترضى وأصلح لى شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وإن كنت ظالما سبحانك يا حي يا عظيم يا باري يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها وسبحان من سبحت له الحيتان بلفاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وتثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك،

وإرادة الله على إرادة نفوسهم . قيل لبعضهم من أصعب من الطوائف قال الصوفية فإن للقيح عندهم وجهان للعاذير وليس للكبير من العمل عندهم وقع يرفعونك به فتعجبك نفسك وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لأن الزاهد يستعظم الترك ويستطيع الأخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم . وقال بعضهم الصوفي من إذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان يكون مع الأحسن والفقير والزاهد لا يميزان كل التمييز بين الخلقين الحسنين بل يختاران من الأخلاق أيضا ما هو أدعى إلى الترك والخروج عن شواغل الدنيا كما كان في ذلك بعلمهما والصوفي هو السديين الأحسن من

سبحانك يا حي يا قيوم يا عليم يا حليم سبحانه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحي وتُميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير .

الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله يستحب للريد إذ أصبح أن يكون أحب أورداه الدعاء كالمسياني ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من المريدين لحرق الآخرة المقدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيادعاه فقل في مفتتح دعواتك (١) أعقاب صلواتك (٢) سبحان ربّي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً (٣) ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه (٤) وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي (٥) اللهم لا تؤمني مكررك ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسي ذكرك ولا تجعلني من الغافلين (٦) وقل اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) ثلاث مرات وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت (٨) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم وشوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرّة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يعتدي عليّ أو أكسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره (٩)

الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربّي العلي الأعلى الوهاب تقدّم في الباب الثاني في الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير متفق عليه من حديث الغيرة بن شعبة (٣) حديث رضيت بالله رباً الحديث تقدّم في الباب الأول من الأذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه د ت ومحمّحه و ك ومحمّحه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعتي وأقل عثرتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح (٦) حديث اللهم لا تؤمني مكررك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسي ذكرك ولا تجعلني من الغافلين رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولني غيرك وإسناده ضعيف (٧) حديث اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت خ من حديث شداد بن أوس وقد تقدّم (٨) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات د ن في اليوم والليلة من حديث أبي بكره وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٩) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء الحديث

عند الله بصدق التجاهه وحسن إجابته وحظ قربه ولطيف ولوجه وخروجه إلى الله تعالى لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته قال رويم التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد وقال عمرو بن عثمان المكي التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو أولى في الوقت وقال بعضهم التصوف آوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التكلف وبذل الروح وقال سهل بن عبد الله الصوفي من صفات الكدر امتلاء من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر دسئل بعضهم عن التصوف

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليا وقلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفر لك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب (١) اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فانك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد (٢) اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعما لا ينفد وقرّة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنة الخلد (٣) اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب عليّ وتغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مقتون (٤) اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرّة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين (٥) اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا والآخرة (٦) اللهم املاّ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحبّ إلينا من سواك واجعلنا أخشى لك من سواك (٧) اللهم اجعل أوّل يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوّله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكملة ومغفرة (٨) إلى قوله أودنيا لا يغفر أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد (١) حديث اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد الحديث إلى قوله وأنت علام الغيوب ت ن ك وصححه من حديث شداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (٢) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث إلى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (٣) حديث اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعما لا ينفد وقرّة عين الأبد الحديث ن في اليوم والليلة و ك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرّة عين الأبد وقال صحيح الاسناد و ن من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد وأسألك نعما لا يبيد وقرّة عين لا تنقطع (٤) حديث اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات الحديث إلى قوله غير مقتون ت من حديث معاذ اللهم إني أسألك فعل الخيرات الحديث . وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحة (٥) حديث اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي الحديث إلى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به (٦) حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك الحديث ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختم مجلسه بذلك (٧) حديث اللهم املاّ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا الحديث إلى قوله واجعلنا أخشى لك من سواك لم أقف له على أصل (٨) حديث اللهم اجعل أوّل يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوّله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكملة عبيد بن حميد في المنتخب والطبراني من حديث ابن أوفى بالشرط الأوّل فقط إلى قوله نجاحا واسناده ضعيف .

فقال نصفية القاب
عن موافقة البرية
ومفارقة الأخلاق
الطبيعية وإخماد صفات
البشرية ومجانبة
الدواعي النفسانية
ومنازلة الصفات
الروحانية والتعلق
بعلوم الحقيقة واتباع
الرسول في الشريعة .
قال ذوالنون المصري
رأيت ببعض سواحل
الشام امرأة فقلت من
أين أقبلت قالت من
عند أقوام تتجافى
جنوبهم عن المضاجع
فقلت وأين تربدين
قالت إلى رجال لا تلهمهم
تجارة ولا بيع عن
ذكر الله فقلت صفهم
لي فأنشأت :
قوم همومهم بالله قد
علقت
فما لهم هم تسمو إلى
أحد
فطلب القوم مولاهم
وسيدهم
ياحسن مطلبهم للواحد
الصمد

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء للملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه (١) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (٢) اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين (٣) اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٤) نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه (٥) اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبحملك على اغف عف إنك أنت الفقار الحليم وبعلمك في ارفق في إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لي ملكي نفسي ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار (٦) سبحانه اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربى ولا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) اللهم ألهمني رشدي وقى شر نفسي (٨) اللهم ارزقني حلالا لاتعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني (٩) أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافة في الدنيا والآخرة (١٠) يا من لا تنصره الذنوب ولا تنقصه (١) حديث الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته الحديث إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته إلى آخره وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٢) حديث اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم في الباب الثاني (٣) حديث اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجموعا وخ من حديث أبي سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وحب قطك هق من حديث ابن مسعود اللهم صل على محمد النبي الأمي ون من حديث جابر وابنه المقام المحمود الذي وعدته وهو عند دخ بلفظ وابنه مقاما محمدا قال قط إسناده حسن وقال ك صحيح وقال هق في المعرفة اسناده صحيح (٤) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقف له على أصل (٥) حديث نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه وطب من حديث أم سلمة أنه كان يدعو هؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إني أسألك فوائده الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لأعلم روى عنه إلاموسى بن عتبة (٦) حديث اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم وبحملك على اغف عف الحديث إلى قوله إنك الملك الجبار لم أقف له على أصل (٧) حديث سبحانه اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنت ربى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت هق في الدعوات من حديث على دون قوله ذنبي إنك أنت ربى وقد تقدم في الباب الثاني (٨) حديث اللهم ألهمني رشدي وقى شر نفسي ت من حديث عمران ابن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لحصين وقال حسن غريب ورواه ن في اليوم والليلة وك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث اللهم ارزقني حلالا لاتعاقبني فيه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني ك من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه وأخلف على كل غائبة لي بخير وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه (١٠) حديث اللهم إني أسألك العفو والعافية وحسن اليقين في الدنيا والآخرة ن

ما إن تنازعهم دينا ولا شرف
من الطعام والذات والولد
ولا لبس ثياب فاقني أنق
ولا لروح سرور حل في بلد
إلا مسارعة في إثر منزلة
قد قارب الخطر فيها
بعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية
وفي الشوامخ تلقام مع العدد
وقال الجنيد: الصوفى كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل ملبح
وقال أيضا هو كالأرض يطوؤها البر والفاجر
وكالسحاب يظل كل شيء كالقطر يسقي كل شيء وأقوال المشايخ في ماهية التصوف
تزيد على ألف قول ويطول نقلها وتذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الألفاظ

المغفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا إنا نسمعنا مناديا ينادي للإيمان إلى قوله عز وجل إنك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا إلى آخر السورة (١) رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (٢) رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا (٣) . أنواع الاستعاذة المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر (٤) اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طبع ومن طبع في غير مطعم ومن طمع حيث لا مطعم (٥)

من حديث أبي بكر الصديق بلفظ سلوا الله العافاة فإنه لم يوث أحد بعد اليقين خيرا من العافاة وفي رواية لليحيى سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية (١) حديث يامن لا نضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف (٢) حديث رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ده باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي قال رجل من بني سامة هل بقي علي من بر أبي شي قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما الحديث ولأبي الشيخ حب في الثواب والمستغفر في الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رده الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفي صحيح حب من حديث أبي سعيد أيمار رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليت في دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانهاز كاه (٣) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين أحمد من حديث أم سامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سئ في بطن السيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر خ من حديث سعد بن أبي وقاص (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع وطمع في غير مطعم ومن طمع حيث لا مطعم أحمد ك من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد .

وان الخلف متقاربة المعاني . فنقول الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على كل هذه التصفية دوام اقتقاره إلى مولاه فبدوام الاقتقار ينقي من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها بصيرته الناقدة وفرت منها إلى بره فبدوام تصفيته جمعيته وبمحركة نفسه تفرقه وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى - كونوا قوامين لله شهداء بالقسط - وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كله اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوف والسرفه إلى أن الروح مجذوبة إلى

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقل لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فإنه شس الضجيع ومن الحيانة فإنها تبست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والمهرم ومن أن أردد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة الحيا والممات اللهم إنا نسألك قلوبا آواهة محبته منيبي في سبيلك اللهم إني أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار^(١). اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الهم والفقر وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت في تطالب الدنيا^(٢). اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم^(٣). اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء^(٤). اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء^(٥). اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال^(٦). اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر لساني وقلبي وشر مني^(٧). اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول^(٨). اللهم إني أعوذ بك من التسوة والغفلة والعيالة والدالة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام^(٩).

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقل لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال إلا أنه ورد مفردا في أحاديث جيدة الأسانيد (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الهم والفقر إلى قوله وأعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا دن ك وصحح إسناده من حديث أبي اليسر واسمه كعب ابن عمر بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا وتقدم من عند البخاري الاستعاذة من فتنة الدنيا (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم قلت هكذا في غير نسخة علمت وإعما هو علمت وأعمل كذا رواه م من حديث عائشة ولأبي بكر بن الضحاك في الثمائل في حديث مرسل في الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعلم وشر ما لم أعلم (٤) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال دن ك وقال صحيح الإسناد من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفي رواية للنسائي من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة في حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال (٧) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر لساني وقلبي وشر مني دن ت وحسنه ك وصحح إسناده من حديث سهل بن حميد (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول دن ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٩) حديث اللهم إني أعوذ بك من التسوة والغفلة والعيالة والدالة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام دن مقتصرين على الأربعة الأخيرة وك بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين.

الحضرة الالهية يعني
أن روح الصوفي
متطلعة منجذبة إلى
موطن القرب وللنفس
بوضعها رسوب إلى
علمها وانقلاب على
عقبها ولا بد للصوفي
من دوام الحركة بدوام
الافتقار ودوام الفرار
وحسن التفقد لموانع
إصابات النفس ومن
وقف على هذا المعنى
يجد في معنى الصوفي
جميع المتفرق في
الاشارات [الباب
السادس في ذكر
تسميتهم بهذا الاسم]
أخبرنا الشيخ
أبو ذرعة طاهر بن
محمد بن طاهر قال
أخبرني والدي قال أنا
أبو علي الشافعي بمكة
حرسها الله تعالى قال
أنا أحمد بن إبراهيم
قال أنا أبو جعفر محمد
ابن إبراهيم قال أنا
أبو عبد الله الخزومي
قال ثنا سفيان عن
مسلم عن أنس بن
مالك قال كان رسول

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن لجأة نعمتك ومن جميع سخطك (١).
اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وقتنة النار وعذاب القبر وقتنة القبر وشرقتة النقي وشرقتة الفقر
وشرقتة المسيح البجال وأعوذ بك من المغم والمأثم (٢). اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب
لا يتشبع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من شر الهم وقتنة الصدر (٣). اللهم إني أعوذ بك
من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء (٤). وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين.

الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الحلاء
والخروج منه وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة فإذا خرجت إلى المسجد فقل: اللهم اجعل في قلبي نورا وفي
لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل خلفي نورا واجعل أمامي نورا واجعل من فوق نورا
اللهم أعطني (٥) نورا وقل أيضا اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك (٦)
فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن
تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يفر الذنوب إلا أنت فان خرجت من المنزل لحاجة فقل
بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي (٧) بسم الله الرحمن الرحيم لاحول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بسم الله التكلان على الله (٨) فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله
فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي واقترح لي أبواب رحمتك (٩)

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ولجأة نعمتك ومن جميع سخطك
م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وقتنة النار وعذاب القبر وقتنة
القبر وشرقتة النقي وشرقتة الفقر وشرقتة المسيح البجال وأعوذ بك من المأثم والمغم متفق عليه
من حديث عائشة (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يتشبع وصلاة لا تنفع ودعوة
لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وقتنة الصدر م من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث اللهم
إني أعوذ بك من قلب لا يتشبع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها وصلاة لا تنفع وشك
أبوالعتمر في سماعه من أنس وللنسائي بإسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث وأعوذ بك وود من
حديث أنس اللهم إني أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر (٤) حديث اللهم إني أعوذ
بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء ن كمن حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم.

الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

(٥) حديث القول عند الخروج إلى المسجد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا الحديث متفق
عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا
إليك الحديث من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد حسن (٧) حديث القول عند الخروج من
المنزل لحاجة بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي أصحاب السنن من حديث
أم سلمة قالت حسن صحيح (٨) حديث بسم الله الرحمن الرحيم لاحول ولا قوة إلا بالله التكلان
على الله م من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال بسم الله
فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف (٩) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل
على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي واقترح لي أبواب رحمتك م من حديث فاطمة ابنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت حسن وليس بإسناده يمتثل لمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد إذا دخل
أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وزاد في أوله فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم.

الله صلى الله عليه وسلم
يجيب دعوة العبد
ويركب الحمار ويلبس
الصوف فمن هذا
الوجه ذهب قوم إلى
أنهم سموا صوفية نسبة
لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم
اختاروا لبس الصوف
لكونه أرفق ولكونه
كان لباس الأنبياء
عليهم السلام . روى
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« مرة بالصخرة من
الروحاء سبعون نبيا
حفاة عليهم العباء
يؤمنون البيت الحرام »
وقيل إن عيسى عليه
السلام كان يلبس
الصوف والشعر
ويأكل من الشجر
ويبيت حيث أمسى .
وقال الحسن البصري
رضي الله عنه لقد
أدركت سبعين بدرية
كان لباسهم الصوف
ووصفهم أبو هريرة
وفضالة ابن عبيد فقالا
كانوا يحرقون من
الجوع حتى تحسبهم

وقدم رجلك اليمنى في الدخول فإذا رأيت في المسجد من يبيع أو يتنازع فقل لأريج الله تجارتك (١) وإذا رأيت من يشذ ضالة في المسجد فقل لأردها الله عليك أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فإذا أصليت ركعتي الصبح فقل بسم الله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء إلى آخره (٣) كما أوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فإذا ركعت فقل في ركوعك : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربي خشع سمي وبصري وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين (٤) وإن أحببت فقل سبحان ربي العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبح قدوس رب الملائكة والروح (٦) فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٧) وإذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوّره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجدك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت على نفسي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٨) أو تقول سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات (٩) فإذا فرغت من الصلاة فقل اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت إذا الجلال والإكرام (١٠) وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها فإذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (١١) فإذا دخلت السوق فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (١٢) بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بمينا

(١) حديث القول إذا رأى من يبيع أو يتنازع في المسجد لأريج الله تجارتك ت وقال حسن غريب ون في اليوم والليلة من حديث أنى هريرة (٢) حديث القول إذا رأى من يشذ ضالة في المسجد لأردها الله عليك م من حديث أنى هريرة (٣) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٤) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت الحديث م من حديث على (٥) حديث القول فيه سبحان ربي العظيم ثلاثا د ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٦) حديث القول فيه سبح قدوس رب الملائكة والروح م من حديث عائشة (٧) حديث القول عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أنى سعيد الخدري وابن عباس دون قوله سمع الله لمن حمده فهى في اليوم والليلة للحسن بن على العمري وهى عند م من حديث ابن أنى أوفى وعند م من حديث أنى هريرة (٨) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث على اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت على نفسي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٩) حديث سبحان ربي الأعلى ثلاثا د ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (١٠) حديث القول إذا فرغ من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت إذا الجلال والإكرام م من حديث نوبان (١١) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ن في اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن (١٢) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير من حديث عمر وقال غريب وك وقال صحيح على شرط الشيخين .

الأعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى أن بعضهم كان يرقى في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه النيث وقال بعضهم إنه ليؤذني ربح هؤلاء أما يؤذيك ربحهم يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكان اختيارهم للباس الصوف لتركههم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة واستغراقهم في أمر الآخرة فلم يتفرغوا للاذنفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصرافهمهم إلى أمر الآخرة وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص ولما كان حلم بين سير وطير لتقلبهم في الأحوال وارتقاؤهم من عال إلى أعلى منه

فاجرة أو صفقة خاسرة (١) فإن كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك من حرامك وأثني بفضلك
 عن سواك (٢) فإذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير
 ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (٣) وإذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا يأتي
 بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله (٤) وإذا رأيت الهلال فقل اللهم أهله
 علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ربي
 وربك الله (٥) ويقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك (٦) اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر
 وأعوذ بك من شريوم الخشر (٧) وتكبر قبله أو لا ثلاثا وإذا هبت الريح فقل اللهم إني أسألك خير
 هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به (٨) وإذا
 بلغك وفاة أحد فقل إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لنقلبون اللهم اكسبه في المحسنين واجعل
 كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله (٩)

(١) حديث بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر
 ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بمينا فاجرة أو صفقة خاسرة ك من حديث بريدة وقال أقر بها
 لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان
 الأسدي مختلف فيه (٢) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك
 ت وقال حسن غريب وك وقال صحيح الاسناد من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث الدعاء إذا
 لبس ثوبا جديدا اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من
 شره وشر ما صنع له د ت وقال حسن ون في اليوم والليلة من حديث أبي سعيد الخدري ورواه ابن السني
 بلفظ النصف (٤) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب
 بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ابن أبي شبة وأبو نعيم في اليوم والليلة وه في الدعوات من
 حديث عروة بن عامر مرسل ورسله وثقات وفي اليوم والليلة لابن السني عن عقبة بن عامر فجعله مسندا
 (٥) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة
 والاسلام ربي وربك الله الدارمي من حديث ابن عمر إلا أنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه
 وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير واليه في الدعوات من حديث قتادة مرسل
 كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٦) حديث هلال خير ورشد آمنت بخالقك د
 مرسل من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال
 خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاث مرات وأسندته الدار قطني في الأفراد والطبراني في الأوسط من
 حديث أنس وقال د وليس في هذا من النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٧) حديث
 اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شريوم الخشر ابن أبي شبة وأحمد في
 مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوي عنه حدثني من لائهم
 (٨) حديث القول إذا هبت الريح اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به
 ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ت وقال حسن صحيح ون في اليوم والليلة من حديث
 أبي بن كعب (٩) حديث القول إذا بلغه وفاة أحد إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لنقلبون اللهم
 اكسبه من المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا
 بعده واغفر لنا وله ابن السني في اليوم والليلة وح من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة
 فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون وسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين

وتقول

لا يقيدهم وصف ولا
 يحبسهم نعت وأبواب
 المريد علموا وحال عليهم
 مفتوحة بواطنهم
 معدن الحقائق وجمع
 العلوم فلما تعذر تقديم
 بحال تقديم لتنوع
 وجدانهم وتجنس
 من يدهم نسبوا إلى
 ظاهر اللبسة وكان
 ذلك أبين في الإشارة
 إليهم وأدعى إلى حصر
 وصفهم لأن لبس
 الصوف كان غالبا على
 المتقدمين من سلفهم
 وأيضا لأن حالهم حال
 المقر بين كاسيق ذكره
 ولما كان الاعتناء إلى
 القرب وعظم الإشارة
 إلى قرب الله تعالى أمر
 صعب يعز كشفه
 والإشارة إليه وقعت
 الإشارة إلى زيهم ستر
 لحالهم وغيره على عزيز
 مقامهم أن تكسر
 الإشارة إليه وتتداوله
 الألسنة فكان هذا
 أقرب إلى الأدب
 والأدب في الظاهر
 والالطن والقل والفعل

وتقول عند التصديق - ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم - وتقول عند الحسران - عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون - وتقول عند ابتداء الأمور - ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا . رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري - وتقول عند النظر إلى السماء - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار . تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - وإذا سمعت صوت الرعد فقل سبحانه من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته (١) فإن رأيت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك (٢) قاله كعب فإذا أمطرت السماء فقل اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا (٣) اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب (٤) فإذا غضبت فقل اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم (٥) فإذا خفت قوما فقل اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم (٦) فإذا غزت فقل اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل (٧) وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكركني بخير (٨) فإذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وإذا أبطأت فقل الحمد لله على كل حال (٩) وإذا سمعت أذان المغرب فقل اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي (١٠) وإذا أصابك هم فقل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهي (١١) واخلقه في عقبه في الغابر بن واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه (١) حديث القول إذا سمع صوت الرعد سبحانه من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته مالك في الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا (٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقال غريب بن في اليوم واللييلة من حديث ابن عمر وابن السني بإسناد حسن (٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال اللهم اجعله صيبا نافعا وه سيبا بالسين أوله ون في اليوم واللييلة اللهم اجعله صيبا هنيئا وإسنادها صحيح (٤) حديث اللهم اجعله سبب رحمة ولا تجعله سبب عذاب ن في اليوم واللييلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا (٥) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ابن السني في اليوم واللييلة من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث القول إذا خاف قوما اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم دن في اليوم واللييلة من حديث أبي موسى بسند صحيح (٧) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري بك أقاتل دن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرني الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم واللييلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف (٩) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات تقدم في الدعاء (١٠) حديث القول إذا سمع أذان المغرب اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي دن وقال غريب وك من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الحرائط في مكارم الأخلاق والحسن بن علي العمري في اليوم واللييلة (١١) حديث القول إذا أصابه هم اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك الحديث أحمد وحبك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م إن سلم من إرسال عبد الرحمن

عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو أن نستتم إلى اللبسة تنفي عن تقلاهم من الدنيا وزهدهم فيا تدعو النفس إليه بالهوى من اللبوس الناعم حتى أن المبتدى المريد الذي يؤثر طريقهم ويحب الدخول في أمرهم بوطن نفسه على التقشف والتقليل ويعلم أن لما كؤل أيضا من جنس اللبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدى والاشارة إلى شيء من حالهم في تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات فكان تسميتهم بهذا أنفع وأولى وأيضا غير هذا المعنى مما يقال لهم سما صوفية لذلك يتضمن دعوى وإذا قيل سما صوفية للبسم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان أبعد من

قال صلى الله عليه وسلم « ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يارسول الله أفلا تعلمها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها » وإذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه بريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبائه على الأرض ثم رفعها وقال بسم الله تر به أرضنا بريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا (١) » وإذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي يتألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر (٢) فإذا أصابك كرب فقل لا إله إلا الله العليّ الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم (٣) فإن أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين (٤) ثم قل اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إني لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك (٥) اللهم باسمك أحيا وأموت (٦) اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فائق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر (٧) اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة (٨) باسمك ربي وضعت جنبي فأغفر لي ذنبي (٩) اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك (١٠) اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك عن أبيه فانه مختلف في سماعه من أبيه (١) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله تر به أرضنا بريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث وضع يده على الذي يألم من جسده ويقول بسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر سبع مرات م من حديث عثمان بن أبي العاص (٣) حديث دعاء الكرب لا إله إلا الله العليّ الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث عليّ (٥) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك النسائي في اليوم والليلة من حديث عليّ وفيه انقطاع (٦) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت خ من حديث حذيفة وم من حديث البراء (٧) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فائق الحب والنوى الحديث إلى قوله وأغننا من الفقر م من حديث أبي هريرة (٨) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها الحديث إلى قوله إني أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٩) حديث باسمك ربي وضعت جنبي فأغفر لي ذنبي ن في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبي هريرة باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فأغفر لها وقال خ فارحمها وإن أرضيتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (١٠) حديث اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك ت في الثمائل من حديث ابن مسعود وهو عنده من حديث حفصة بلفظ تبع وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه .

الدعوى كان أليق بحالهم وأيضا لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأولى فالقول بأنهم سموا صوفية للبسم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع ويقرب أن يقال لما أتروا الدبول والحول والتواضع والانكسار والتخفي والتوازي كانوا كالخزقة الملقاة والصوفة الرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال صوفي نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفي نسبة إلى الكوفة وهذا ما ذكره بعض أهل العلم والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد . أخبرنا أبو زرعة طاهر عن

والجاء ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا منجأ ولا منجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت^(١) ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك تقرّني إليك زلي وتبعدني من سخطك بعدا أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي^(٢) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور^(٣) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله^(٤) أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين^(٥) اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير^(٦) اللهم إني أسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نتجرع فيه سوءا أو نجرح إلى مسلم فإنك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى^(٧) اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه^(٨)

(١) حديث اللهم إني أسألت نفسي إليك وفوضت أمري إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٢) حديث اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك تقرّني إليك زلي وتبعدني من سخطك بعدا أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابعدنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وتدعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائي كما رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء (٣) حديث القول إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور خ من حديث حذيفة وم من حديث البراء (٤) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبراني في الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والجل والقوة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شيء لله رب العالمين وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيها لله وإسنادهما ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله (٥) حديث أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين في اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبيزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبيزى عن أبي كعب مرفوعا (٦) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير أصحاب السنن وحب وحسنه ت إلا أنهم قالوا وإليك النشور وابن السني وإليك المصير (٧) حديث اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نتجرع فيه سوءا أو نجرح إلى مسلم الحديث لم أجد أوله وت من حديث أبي بكر في حديث له وأعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن تقترف على أنفسنا سوءا أو نجرح إلى مسلم رواه د من حديث أبي مالك الأشعري بإسناد جيد (٨) حديث اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أقض عني الدين وأغنني من الفقر وقوتني على الجهاد في سبيلك، وللدارقطني في الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر

أبيه قال أنا عبد الرزاق
ابن عبد الكريم قال
أنا أبو الحسن محمد بن
محمد قال ثنا أبو علي
اسماعيل بن محمد قال ثنا
الحسن بن عرفة قال ثنا
خلف بن خليفة عن
حميد بن الأعرج عن
عبد الله بن الحرث عن
عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم: يوم كلم الله تعالى
موسى عليه السلام كان
عليه جبة صوف
وسراويل صوف
وكساء صوف وكهمن
صوف ونعلاء من جلد
سمار غير مذكى. وقيل
سموا صوفية لأنهم في
الصف الأول بين يدي
الله عز وجل بارتفاع
همهم وإقبالهم على
الله تعالى بقلوبهم
ووقوفهم بسرائرهم بين
يديه وقيل كان هذا
الاسم في الأصل صفوى
فاستثقل ذلك وجعل
صوفيا وقيل سموا
صوفية نسبة إلى الصفة

بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله (١) رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير- (٢) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول آمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) وإذا نظر في المرأة الحمد لله الذي سمى خلقه فعده وكرم صورة وجهه وحسنها وجعلني من المسلمين (٤) وإذا اشترى خادماً أو غلاماً أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه (٥) وإذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وإذا قضيت الدين فقل للقضى له بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال صلى الله عليه وسلم «إنما جزاء السلف الحمد والأداء» (٧)

هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبي مالك الأشعري اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهدايه وبركته أعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده وسنده جيد وللحسن بن علي المعمر في اليوم والليلة من حديث ابن مسعود اللهم إني أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والحديث عند م في النساء خير ما في هذه الليلة الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضاً (١) حديث بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله عد في الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال يلتقي الخضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالمومم بمن فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسي أمسه الله من العرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسيطان والحية والعقرب أوردته في ترجمة الحسين بن رزين قال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر (٢) حديث رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً تقدم في الباب الأول (٣) حديث القول عند النساء مثل الصباح إلا أنك تقول آمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ اعتصم من شر الثقلين الحديث وفيه وإن قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهيعة ولاحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن في حديث إن جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث وإسناده جيد ومسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء اللهم إني أعوذ بك من شرفسى ومن شر كل دابة الخ الحديث وقد تقدم في الباب الثاني (٤) حديث القول إذا نظر في المرأة الحمد لله الذي سمى خلقه فعده وكرم صورة وجهه وحسنها وجعلني من المسلمين الطبراني في الأوسط وابن السني في اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث القول إذا اشترى خادماً أو دابة اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه د ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٦) حديث التهنة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير د ت ه من حديث أبي هريرة قال ت حسن صحيح (٧) حديث الدعاء لصاحب الدين إذا قضى الله دينه بارك الله لك في أهلك ومالك

للمهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم - للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يسئطعون ضرباً في الأرض - الآية وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحين لله وفي الله كأصحاب الصفة وكانوا نحواً من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً في الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالتهار وبالليل يشتغلون

فهذه أدعية لا يستغنى المريد عن حفظها وماسوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة . فان قلت فمافائدة الدعاء والقضاء لامرء له . فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كأن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى - خذوا حذركم - وأن لا يسقي الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير هو القدر الذى قدر الخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدره سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم فى الدعاء من الفائدة ما ذكرناه فى الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الدعاء مخ العبادة» (١) والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملة فان الانسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تخرج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل وينع من نسيانه وأما الغنى فسبب للبطر فى غالب الأمور فان الانسان ليطنى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورد من جملة الأذكار والدعوات والله الموفق للخير وأما بقية الدعوات فى الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فتأتى فى مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . نجز كتاب الأذكار والدعوات بكتابه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربح العبادات نفع الله به المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر فى القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلقا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذى بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا فى عبادة الله غدوة وغشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما فى الدين هاديا وسراجا منيرا .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لالاستقروا فى منابها ليتخذوها منزلا فيترودوا منها إذا يحملهم فى سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدھا ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سيرا السفينة براكبها فالناس فى هذا العالم سفر وأول منازلهم المهدي وآخرها الحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحلہ وشهوره فراسخه إنما جزاء السلف الحمد والأداء ن امن حديث عبد الله بن أبى ربيعة قال استقرض منى النبي صلى الله عليه وسلم أر بعين ألفا فجاءه مال فدفعه إلى قال فذكره وإسناده حسن (١) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم فى الباب الأول .

كتاب الأوراد وفضل إحياء الليل

بالعبادة وتعلم القرآن
وتلاوته وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يؤاسيهم ويبحث الناس
على مواساتهم ويجلس
معهم ويأكل معهم
وفيهم نزل قوله تعالى -
ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه وقوله
تعالى - واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي - ونزل
فى ابن أم مكتوم قوله
تعالى - عبس وتولى
أن جاءه الأعمى -
وكان من أهل العفة
فعوتب النبي صلى الله
عليه وسلم لأجله وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا صاحفهم
لا ينزع يده من أيديهم
وكان يفرقهم على أهل
الجددة والسعة بيعت
مع واحد ثلاثة ومع
الآخر أربعة وكان
سعد بن معاذ يحمل
إلى بيته منهم ثمانين
يطعمهم . وقال
أبو هريرة رضى الله

وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رموس أمواله وشهواته وأغراضه قطع طريقه وورجه الفوز بقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من أنفاسه حتى ينقض في غيب طاعة تقربه إلى الله زلنى متعرض في يوم التغابن لعينة وحسرة مالمها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب المائل شر الوفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرار الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسمي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا الفهم بذكر بابين .

الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار . الباب الثاني : في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به . الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وإن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بدوام الدنيا وشهواتها والاجترار منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السكامة والملال لتصبر على فن واحد من الأسباب العينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى غفلة واحد أظهرت الملل والاستئثار وأن الله تعالى لا يعلى حق تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزير بالانتقال لذتها وتعظم بالذلة رغبته وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فذلك تقدم الأوراد قسمة مختلفة فالدكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها الباطنة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فاني يتقوامان والطبع لأحدهما مرجح إذا الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب وتجرد . وأما الرد إلى العبادات فتسكتف ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن ترجع كفة حسناته وتنقل موازين خيرات غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى خلطه لا صالحا وآخر سيئا فأمره محط ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واتبعه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لا تحرب عباده إليه وأرضهم درجة لديه . إن لك في النهار سبعا طويلا وأدبار السجود . وقال تعالى . وإن كراهم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا . وقال تعالى . وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود . وقال سبحانه . وسبح بحمديك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم . وقال تعالى . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلا . وقال تعالى . ومن آناه الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى . وقال عز وجل . وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات

الباب الأول في فضيلة الأوراد

هذه لقد رأيت سبعين
من أهل الصفة
يصلون في ثوب
واحد منهم من لا يبلغ
ركبته فاذا ركع أحدهم
قبض بيديه مخافة أن
تبدو عورته . وقال
بعض أهل الصفة جئنا
جماعة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقلنا
يا رسول الله أحرق
بطوننا التمر فسمع
بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فصعد
المنبر ثم قال ما بال أقوام
يقولون أحرق بطوننا
التمر أما علمتم أن هذا
التمر هو طعام أهل
المدينة وقد واسونا به
وواسيناكم بما واسونا
به والذي نفس محمد
بيده إن منذ شهرين
لم يرتفع من بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
دخان الخبز وليس لهم
إلا الأسودان الماء
والتمر . أخبرنا الشيخ
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي في كتابه
قال أنا الشيخ أبو بكر

يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباد الله وماذا وصفهم فقال تعالى - أمن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون - وقال تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا - وقال عز وجل
- والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما - وقال عز وجل - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأصباح
هم يستغفرون - وقال عز وجل - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وقال تعالى - ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - فهذا كله بين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة
الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباد الله إلى الله
الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى » (١) وقد قال تعالى - الشمس والقمر بحسبان -
وقال تعالى - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم
قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وقال تعالى - والقمر قدرناه منازل - وقال تعالى - وهو الذي جعل لكم
النجوم لتبهتوا بها في ظلمات البر والبحر - فلا تظن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان
منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بهما مقادير
الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة بذلك عليه قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - أى يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات
في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - وأما الفضل
المتبني هو الثواب والمغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

بيان أعداد الأوراد وترتيبها

اعلم أن أوراد النهار سبعة فباين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس
إلى الزوال وردان وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان وما بين العصر إلى المغرب وردان والليل ينقسم
إلى أربعة أوراد وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل إلى
طلوع الفجر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به . فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى
طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال - والصبح إذا تنفس -
وتمدحه به إذ قال - فائق الصباح - وقال تعالى - قل أعوذ برب الفلق - وإظهاره القدرة بقبض
الظل فيه إذ قال تعالى - ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وهو وقت قبض ظل الليل يسط نور الشمس
وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وبقوله
تعالى - فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - وقوله عز وجل - ومن آناء الليل
فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى - وقوله تعالى - واذا كراهم ربك بكرة أصيلا - . فأما ترتيبه
فليأخذ من وقت انقباضه من النوم فاذا انقبض فينبغي أن يبتدىء بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب
المصوات وليلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالاً لأمر الله تعالى واستعانة به على
عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل
أولا رجلاه اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج

(١) حديث أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله الطبراني وك
وقال صحيح الاسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباد الله

ابن زكريا الطريثيني
قال أنا الشيخ أبو عبد
الرحمن السلسي قال
حدثنا محمد بن محمد بن
سعيد الأتصاطي قال
حدثنا الحسن بن يحيى
بن سلام قال حدثنا
محمد بن علي الترمذي
قال حدثني سعيد بن
حاتم البلخي قال حدثنا
سهل بن أسلم عن
خالد بن محمد عن أبي
عبد الرحمن السكري
عن يزيد النحوي عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهم « قال
وقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم طاعى
أهل الصفة فرأى فقرهم
وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال أيسروا يا أصحاب
الصفة فمن بقى منكم
على النعت الذي أتم
عليه اليوم راضيا بما
هو فيه فانه من رفقاى
يوم القيامة » وقيل :
كان منهم طائفة
بخراسان يأتون إلى
الكهوف والمغارات
ولا يسكنون القرى

ثم يستاك على السنة كاسبق ويتوضأ مراعيًا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قمتنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعنى السنة في منزله (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء أداها في البيت أو المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول: اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخر الدعاء (٢) ثم يخرج من البيت متوجهًا إلى المسجد ولا يفتي دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسئ إلى الصلاة سعيًا بل يمشي وعليه السكينة والوقار (٣) كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد (٤) ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كاسبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاهما في البيت ويشغل بالدعاء المذكور بعدهما وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرًا للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يفسل بالصبح (٥) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الصبح «من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعي عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمره مبرورة» (٦) وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فقلت بأهريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلاة العشاء فقال أبشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى (٧) أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرده وقاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال «ألا تصليان قال عليّ فقلت يا رسول الله إنما أنفсна بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعتة وهو منصرف يضرب نغده ويقول وكان الإنسان أكثر شئء جدلا (٨) ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار

(١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك الحديث تقدم (٣) حديث المشي إلى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث الدعاء المأثور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار (٥) حديث التغليس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث أنس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعي عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة لم أجده أصلا بهذا السياق وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى المغرب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمره متقبلة (٧) حديث أبي هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حديث عليّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرده وقاطمة وهما نائمات فقال ألا تصلون قال عليّ فقلت يا رسول الله إنما أنفсна بيد الله الحديث متفق عليه .

والذين يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم الفار ينسبونهم إلى المأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم جوعية والله تعالى ذكر في القرآن طوائف الخير والصالح فسمى قوما أبرارا وآخرين مقرر بين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتعل على جميع للفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين . ونقل عن الحسن البصري رحمه الله عليه أنه قال رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذ وقال لي أربيع دوانيقي يكفيني مامي ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء

والنسب إلى أن تمام الصلاة فيقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وآتوب إليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم صلى الفريضة مراعيًا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والتقوية فإذا فرغ منها قعد في السجدة إلى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما ستره فقد قال عليه السلام «لأن أقعد في مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة النداء إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب»^(١) وروى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس ، وفي بعضها ويصلي ركعتين»^(٢) أي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال : يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما»^(٣) وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكير أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حيناً ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله عليه السلام وهو قوله سبحانه ربني العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»^(٤) ثم يبدأ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من مجملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه. وأما الأذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثاً وسبعاً وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل أكثره أكثر والأوسط الأصدق أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أدومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع الدوام أفضل وأشد تأثيراً في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصبّ دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة. الأولى : قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير»^(٥). الثانية : قوله سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

(١) حديث لأن أقعد في مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب من حديث أنس وتقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين أي بعد الطلوع من حديث جابر ابن سمرة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمره تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ابن المبارك في الزهد هكذا مرسل (٤) حديث كان يفتتح الدعاء سبحانه ربني العلي الأعلى الوهاب تقدم (٥) حديث الفضل في تكرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير تقدم من حديث أبي أيوب تكرارها عشرًا دون

وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يصرف قديماً وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى الماتين من الهجرة العربية لأن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابياً لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سعى تابعياً ثم لما تقدم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطاع الوحي السماوي وتواري النور المصطفوي واختلفت الآراء وتنوعت الأنحاء وتفرّد كل ذي رأي برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت

ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١) . الثالثة : قوله سبح قدوس رب الملائكة والروح (٢) .
الرابعة : قوله سبحان الله العظيم وبحمده (٣) . الخامسة : قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله
إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة (٤) . السادسة : قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي
لما مننت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٥) . السابعة : قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين (٦) .
الثامنة : قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (٧) .
التاسعة : اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (٨) .

قوله يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير فأنها في اليوم واليلة للناسي من حديث أبي ذر دون
قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند
الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين وللطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر
وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف

(١) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله
ن في اليوم واليلة وحبك وصحبه من حديث أبي سعيد الخدري استكثر من الباقيات الصالحات
فذكرها (٢) حديث تكرار سبح قدوس رب الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكررة لكن
عند من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها في ركوعه وسجوده وقد تقدم
ولأبي الشيخ في الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة
والروح (٣) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبي هريرة من قال ذلك
في يوم مائة مرة خطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر (٤) حديث تكرار أستغفر الله الذي
لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة المستغفري في الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد
الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولفظه وآتوب إليه
وفيه ضعف وهكذا رواه من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثا وللبخاري من حديث أبي هريرة
لأنى لأستغفر الله وآتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبراني أكثر ولمسلم من حديث
الأعرابي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الأحاديث في الباب الثاني من الأذكار
(٥) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك لم أجد تكرارها
في حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع (٦) حديث تكرار لا إله إلا الله
الملك الحق المبين المستغفري في الدعوات والخطيب في الرواة عن مالك من حديث علي من قالها في يوم
مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به النفي واستقرع به باب الجنة وفيه
الفضل بن غانم ضعيف ولأبي نعيم في الحلية من قال ذلك في كل يوم وثلاثة مائة مرة لم يسأل الله فيهما
حاجة إلا أقضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علي (٧) حديث تكرار بسم الله الذي
لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم أصحاب السنن وابن حبان وك وصحبه
من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسي لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح
ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي قال ت حسن صحيح غريب (٨) حديث تكرار اللهم صل على محمد
عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الفافقي في فضائل
القرآن من حديث ابن أبي أوفى من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره
وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبراني من حديث أبي
الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة وفيه انقطاع

الجهالات وحسن
حجباها وكثرت العادات
وتملك أربابها
وتزحرفت الدنيا وكثر
خطاها تفرّد طائفة
بأعمال صالحة وأحوال
سنية وصدق في العزّة
وقوة في الدين وزهدوا
في الدنيا وعسبتها
واغتنموا العزلة
والوحدة واتخذوا
لنفوسهم زوايا
يجتمعون فيها تارة
وينفردون أخرى
أسوة بأهل السفه
تاركين للأسباب
متبقلين إلى رب
الأرباب فآتمروا لهم صالح
الأعمال سقى الأحوال
وتنبأ لهم صفاء الفهوم
لقبول العلوم وصار لهم
بعد اللسان لسان و بعد
العرفان عرفان و بعد
الايمن إيمان كما قال
حارثة أصبحت مؤمنا
حقا حيث كوشفت
برتبة في الايمان غير
ما يتعاهدها فصار لهم
بمقتضى ذلك علوم
يعرفونها وإشارات

العاثية : قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون^(١) فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرها واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد^(٢) وآية الكرسي^(٣) وخاتمة البقرة^(٤) من قوله آمين الرسول وشهد الله^(٥) وقل اللهم مالك الملك الآيتين^(٦) وقوله تعالى - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - إلى آخرها^(٧)

(١) حديث تكرار أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسي كان تلك الميزة وقال حسن غريب ولا بن أبي الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجبر من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك يا خالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون والحديث عند أبي داود وحسنه وك وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله ابن عمرو (٢) حديث فضل سورة الحمد من حديث أبي سعيد بن العلى أنها أعظم السور في القرآن وم من حديث ابن عباس في الملك الذي نزل إلى الأرض وقال للنبي ﷺ أبشر بنورين أو تبتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته (٣) حديث فضل آية الكرسي م من حديث أبي بن كعب يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم الحديث وخ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجيء الشيطان إليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقك وهو كذوب (٤) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٥) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الاسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لى عنده وديعة جاء به يوم القيامة فقيل له عبيد هذا عهد إلى عهد وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبيد الجنة وفيه عمر بن المختار روى الأباطيل قاله ابن عدى وسرأتى حديث على بعده (٦) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآيتين المستغفري في الدعوات من حديث على أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الاسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كتن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن عاصم وفى ترجمته ذكره حب فى الضعفاء وقال موضوع لأصل له والحارث يروى عن الانبياء الموضوعات - قلت وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ون وروى له خ تعليقا (٧) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طب في الداء من حديث أنس بسند ضعيف علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر

يتعاهدونها فحروا
لنفوسهم اصطلاحات
تشير إلى معان يعرفونها
وتعرب عن أحوال
يجدونها فأخذ ذلك
الحلف عن السلف حتى
صار ذلك رسما مستمرا
وخبرا مستقرا في كل
عصر وزمان فظهر
هذا الاسم بينهم
وتسموا به ومما به
فلاسم صحتهم والعلم بالله
صفتهم والعبادة حليتهم
والتقوى شعارهم
وحقائق الحقيقة
أسرارهم نزاع القبائل
وأصحاب الفضائل سكان
قباة الغيرة وقطان
ديار الحيرة لهم مع
الساعات من إمداد
فضل الله مزيد ولطيب
شوقهم يتأجج ويقول
هل من مزيد اللهم
احشرنا في زمرةهم
وارزقنا حالاتهم والله
أعلم .
[الباب السابع في ذكر
التصوف والمقشبه به]
أخبرنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب

وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق إلى آخرها (١) وقوله سبحانه الحمد لله الذي لم يتخذولدا (٢) الآية وخمس آيات من أول الحديد (٣) وثلاث من آخر سورة الحشر (٤) وإن قرأ المسبغات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال يا كرز أقبل مني هذه الهدية فاتممت الهدية فقلت يا أخى ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها إبراهيم التيمي قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه إياها قال بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتجديد فجاءني رجل فسلم على وجلس عن يميني فلم أرفى زماني أحسن منه وجهه ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحاً منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت في أي شيء مجئني فقال جئتني للسلام عليك وحبالك في الله وعندى هدية أريد أن أهديك لك فقلت ما هي قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل في وبيهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يامولانا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات وانظر أن لاتدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم (٥) فقلت أخبرني بشوَاب ذلك فقال إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فأسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءت فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسألت الملائكة حديثا وفي آخره فقل حسبى الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم العافقي في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هداما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بمجديدة وهو ضعيف (١) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لم أجده فيه حديثا يخصها لكن في فضل سورة الفتح مارواه أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وهو حديث موضوع (٢) حديث فضل الحمد لله الذي لم يتخذولدا الآية أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذي لم يتخذولدا الآية كلها وإسناده ضعيف (٣) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد ذكر أبو القاسم العافقي في فضائل القرآن من حديث علي إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقرا خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله سعلیم بذات الصدور - ومن آخر سورة الحشر من قوله - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل - إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل في كذا وتدعو بما تريد (٤) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة (٥) حديث كرز بن وبرة من أهل الشام عن إبراهيم التيمي أن الخضر علمه المسبغات العشرة وقال في آخرها أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته .

فقلت

للسهروردي إجازة قال أنا الشيخ أبو منصور ابن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا محمد بن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الأصفهاني قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا العتيم بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال « جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين السائل عن الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا آتى

أحب الله ورسوله
فقال النبي عليه الصلاة
والسلام: الرء مع من
أحب أو أنت مع
من أحببت قال
أنس فما رأيت
المسلمين فرحوا بشيء
بعد الاسلام فرحهم
بهذا فالتشبه بالصوفية
ما اختار التشبه بهم
دون غيرهم من
الطوائف إلا لمحبة
إياهم وهو مع تقصيره
عن القيام بما هم فيه
يكون معهم لموضع
إرادته ومحبة وقد
ورد بلفظ آخر أوضح
من الخبر الذي
رويناه في المعنى
روى عبادة بن
الصامت عن أبي ذر
الفقاري قال قلت
«يا رسول الله الرجل
يحب القوم ولا
يستطيع أن يعمل
كعملهم قال أنت
يا أباذر مع من أحببت
قال قلت فاني أحب
الله ورسوله قال فانك
مع من أحببت قال

فقلت لمن هذا فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأتاني
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب
فسلم عليّ وأخذ بيدي فقلت يا رسول الله الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر
صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو ريس الأبدال وهو من جنود الله تعالى
في الأرض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم يرمثل الذي رأيت في مناحي هل يعطي شيئا مما
أعطيته فقال والذي بعثني بالحق نبيا إنه ليعطي العامل بهذا وإن لم يرنى ولم ير الجنة إنه ليغفر له جميع
الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من
السيئات إلى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله
شقيا وكان إبراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فبهذه وظيفة
القرءة فإن أضاف إليها شيئا مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فإن القرآن جامع
لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كاذر ناضله وآدابه في باب التلاوة . وأما الأفكار فليكن
ذلك إحدى وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكير من ربع المنجيات ولكن
جماعه ترجع إلى فنيين : أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره
ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر
تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في نفسه وفي
معاملته للمسلمين . الفنى الثانى فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر
آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عابها أو في عقوباته ونعماته لتزيد معرفته
بقدره الإله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكير فيها
على بعض الخلق دون البعض وإمنا نستقصى ذلك في كتاب التفكير ومهما تسير الفكر فهو أشرف
العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين : أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة
والكشف . والثانى زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه
وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم
ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى
وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الذكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد
جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر
على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن
فيهما فليس محبته له كمحبة للشاهد وليس الخبر كالمعاينة فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان
الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدى ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور
جميلة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة
الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنهه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من
الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولانهاية لجمال حضرة الربوبية ولالحجبها وانما عدد
حجبها التي استحقت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا قال
صلى الله عليه وسلم «إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره (١)»
وتلك الحجب أيضا مرتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو

(١) حديث إن لله سبعين حجابا من نور الحديث تقدم في قواعد العقائد .

في الأول أصغرها ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في ترقيه وقال - فلما جئ عليه الليل - أى أظلم عليه الأمر - رأى كوكبا - أى وصل إلى حجاب من حجب النور فغير عنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام المضيئة فإن أحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فلما يضل العوام لا يضل الخليل عليه السلام والحجب المسماة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - الآية ولنتجاوز هذه المعاني فأنها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا بالكشف التابع للفكر الصافي وقل من يفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك أيضا مما تغزرفأئدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الأربعة أعنى الدعاء والدكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة الريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار (١) وهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به . الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان إحداها صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وأن الأولى أن يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلى أربعاً أو ستاً أو ثمانياً إذا رمضت الفصل وضحت الأقدام بحر الشمس فوق الركعتين هو الذى أراد الله تعالى بقوله - يسبحن بالضحى والاشراق - فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازات البحارات والغبارات التي على وجه الأرض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال - والضحى والليل إذا سجى - « وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصل (٢) » فلذلك نقول إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقت الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطول نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتي الاشراق تقع في مبتدئ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقتها (٣) » فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا راعى بالتقريب . الوظيفة الثانية في هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض (١) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عندهم في جأوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالدكر وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (٢) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصل طم من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عندهم دون ذكر الاشراق (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقتها تقدم في الصلاة .

فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم « فحجة المتشبه بإيهم لا تكون إلا لتبته روحه لما تنبته له أرواح الصوفية لأن محبة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون بجاذب الروح غير أن المتشبه تعوق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك والمتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك ببقاء شئ من صفات نفسه عليه للمتشبه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالتشبه صاحب إيمان والإيمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمه الله عليه الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستعربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم

وتشيع جنازة ومعاونة على برّ وتقوى وحضور ومجلس علم وما يجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فلن لم يكن شئ من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قمتها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات للتطوّع بها إن شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسماً خامساً من جملة وظائف هذا الوقت لمن أرادها أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها و بعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر. الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضياً صلاة الضحى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر فإذا مضت ثلاث أخرى فالغروب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب إلا أن الضحى لم تفرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم يخفف عنهم . الوظيفة الرابعة : في هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران : أحدهما الاشتغال بالكسب وتدير المعيشة وحضور السوق فإن كان تاجراً فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فبصحة وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب في كل يوم لقوته فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليترود لآخرته فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشدّ والتمتع به أدم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، فقد قيل لا يوجد المؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لا بدّ له منها وقلّ من يعرف القدر فيها لا بدّ منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بدّ أنه لا بدّ لهم منه وذلك لأن الشيطان يعدم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يعدم مغفرة منه وفضلاً فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه . الأمر الثاني : القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فإن كان لا يقوم بالليل لكن لولم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدّث معهم فالنوم أحبّ له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في النوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم وكم من عابد أحسن أحواله النوم وذلك إذا كان يرأى بعبادته ولا يتخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري رحمه الله كان يعجبهم إذا تفرّغوا أن يناموا طلباً للسلامة فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فإن ذلك من فضائل الأعمال وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرّغ لخدمة ربه عند إعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فإن الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معاني قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر - أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما . الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فإذا كان قد توصاً قبل الزوال وحضر المسجد فهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقيم إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده الله تعالى بقوله - وحين تظهرون -

وأشاراتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه والإيمان بذلك إيمان بالقدرة وقد أنكر قوم من أهل الملّة كرامات الأولياء والإيمان بذلك إيمان بالقدرة ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خصه الله تعالى بزيادة عنايته فالتمسبه صاحب إيمان والمتصوف صاحب علم لأنه بعد الإيمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرهما والصوفي صاحب ذوق فلمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي وللتشبه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لا بدّ أن يكشفه علم بحال أعلى مما هو فيه فيكون في الحال الأول صاحب ذوق وفي الحال الذي كوشف به

ويصل في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينها بتسليمة واحدة (١) وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء أنه يصلها بتسليمة واحدة ولكن طعن في تلك الرواية ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل ويفضل بتسليمة (٢) وهو الذي صحته الأخبار وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من المثني أو أربعاً من المثاني فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغي أن يدعها ثم يصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت . الورد الخامس : ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشغلاً بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفاً فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للصليين دويًا كدوي النحل من التلاوة فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهما فاليست أفضل في حقه فأحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعاً فإن نام هذا القدر بالليل فلامعنى للنوم بالنهار وإن نقص منه مقداراً استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثالث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلا من يتعود السهر تدريجاً فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الأصال التي ذكرها الله تعالى إذ قال - والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدق والأصال - وإذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات . الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معني الآية وهو المراد بالأصال في أحد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض والأفضل في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة . الورد السابع : إذا اصفرَّت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه أنها فيها تفتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع لي فيها عمل صالح ده من حديث أبي أيوب وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس (٣) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى دو ح من حديث ابن عمر .

صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكة فيكون في حال الدوق صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى - إن الأبرار لنعيم على الأرائك ينظرون - وصف الأبرار ووصف شراهم ثم قال سبحانه وتعالى - ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون - فكان لشرب الأبرار مزج من شراب المقربين وللمقربين ذلك صرفاً فالصوفي شراب صرف وللتصوف من ذلك مزج في شربه وللتشبه المتصوف فالصوفي سبق إلى مقام الروح من بساط القرب والمتصوف بالنسبة إلى الصوفي كالمترهد بالنسبة إلى الزاهد لأنه تفعل وتعمل وتسبب إشارة إلى ما بقي

عليه من وصفه فهو
مجتهد في طريقه سائر
إلى ربّه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
«سير واسبق المفردون
قبيل من المفردون
يا رسول الله ؟ قال
المستهترون بذكر الله
وضع الذكر عنهم
أوزارهم فوردوا القيامة
خفافاً» فالصوفي في مقام
المفردين والتصوّف في
مقام السائرين واصل
في سيره إلى مقار القلب
من ذكر الله عزّ وجل
ومراقبته بقلبه وتلذّذه
بنظره إلى نظر الله
إليه فالصوفي في مقار
الروح صاحب مشاهدة
والتصوّف في مقار القلب
صاحب مراقبة والمُنشِبِ
في مقاومة النفس
صاحب مجاهدة
وصاحب محاسبة قتلوين
الصوفي بوجود قلبه
وتلّوين التصوف
بوجود نفسه والمُنشِبِ
لأتالوين له لأن التالوين
لأرباب الأحوال
والمُنشِبِ مجتهد سالك

(١) حديث لابورك لى في يوم لا أزداد فيه خيرا تقدم في العلم في الباب الأول إلا أنه قال علما بدل خيرا
(٢) حديث سئل عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال
عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بلاغات النهار وتذهب آخره قال المصنف أسنده ابن أبي
الزناد ١ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بالياء المثناة من تحت
رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا
أبو العلاء العنبري عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين
فانها تذهب بلاغات أول النهار ومهذبة آخره وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني
وامم أبي زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش ولابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت في الصلاة
بين المغرب والعشاء والحديث عندت وحسنه بلفظ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة .
١ قول العراقي ابن أبي الزناد هي نسخة وقعت له وإلا ففي النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فلي تأمل اه مصححه .

ينام بين العشاءين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وسأني فضل إحياء ما بين العشاءين في الباب الثاني . وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أو لا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تحلل كلام ولا شغل ثم يصلى أر بعا يطيلها ثم يصلى إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له وإن كان المسجد قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته إن لم يكن عزمه العكوف في المسجد وإن عزم على العكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمناً من التصنع والرياء . الورد الثاني : يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حدنومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال والليل وما وسق أى وما جمع من ظلمته وقال إلى غسق الليل فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور : الأول أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات أر بعا قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أر بعا ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخرا البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخرا الحشر وغيرها . والثاني أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه أكثر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهما من الليل (١) والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ أو يشغل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فأخر الليل أفضل ثم ليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يسّ وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة (٢) فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى في ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك (٣) والزمر والواقعة وفي رواية الزمر وبنى إسرائيل (٤) وفي أخرى أنه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية (٥) وكان العلماء (١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وانه أكثر ما صلى به النبي صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بأقل من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وم كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولهما أيضاً ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة (٢) حديث إكشاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يسّ وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه وحب من حديث جندب من قرأ يسّ في ليلة ابتغاه وجه الله غفر له وت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بنى إسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبي هريرة من قرأ حمّ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك قال غريب ولأبى الشيخ في الثواب من حديث عائشة من قرأ في ليلة ألم تنزيل ويسّ وتبارك الذي بيده الملك واقتربت كثر له نورا الحديث ولأبى منصور المظفر بن الحسين الغزنوى في فضائل القرآن من حديث على يا على - أكثر من قراءة يسّ الحديث وهو منكر وللحارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ - ورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً وت من حديث ابن عباس شيبتي هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ في كل ليلة السجدة وتبارك الملك وت تقدم في الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ في كل ليلة الزمر وبنى إسرائيل ت وتقدم أيضاً (٥) حديث كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن آية أفضل من ألف آية د وت وقال حسن ون في الكبرى من حديث عرابض بن سارية .

يجعلونها

لم يصل بعد إلى الأحوال والكل تجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى - ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات - قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد ابن عاصم الأنطاكي رحمه الله الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكلّ هذه الأقوال قريبة التناسب

من حال الصوفي
والتصوف والتشبه
وكلامهم من أهل الفلاح
والنجاح تجمعهم دائرة
الاصطفاء وتؤلف بينهم
نسبة التخصيص بالمنح
والعطاء . أخبرنا
الشيخ العالم رضى
الدين أبو الخير أحمد
ابن اسمعيل القزويني
إجازة قال أنا أبو سعد
محمد بن أبي العباس
قال أنا القاضي محمد بن
سعيد قال أنا أبو اسحق
أحمد بن محمد بن
إبراهيم قال أخبرني
الحسين بن محمد بن
فنجويه قال حدثنا
أحمد بن محمد بن رزمة
قال حدثنا يوسف بن
عاصم الرازي قال
حدثنا أبو أيوب سليمان
ابن داود قال حدثنا
حصين بن نمير عن أبي
ليلى عن أخيه عن
أسامة بن زيد رضى
الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال
في قوله تعالى - فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم

يجعلونها سنا فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى إذ في الخبر «أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الأعلى، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الأعلى»^(١) وقل يا أيها الكافرون والاخلص^(٢) فإذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات . الثالث الوتر وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضى الله عنه: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر^(٣) وإن كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركة»^(٤) وقالت عائشة رضى الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر^(٥) وقال على رضى الله عنه الوتر على ثلاثة أنحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعنى أنه يصير وترًا بامضى وإن شئت أوترت بركة فإذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغى أن ينقض^(٦) وروى مطلقا أنه عليه السلام قال «لا وتران في ليلة»^(٧) ولمن يتردد في استيقاظه تल्पف استحسنة بعض العلماء وهو أن يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت وألهاكم^(٨) لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وإفراد العبادة لله تعالى فقل إن استيقظ قائما مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار ماضيا شفعًا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كاذب لكونه ربما يخطر أنهما لو شفعتا ماضى لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافعا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله عليه السلام إتيانه قبلهما وإعادة الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتها وتربعناهما فيحسب وترًا إن لم يستيقظ وشفعًا إن استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب للأنكة والروح جالت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روى «أنه صلى الله عليه وسلم مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة»^(٩) وقد قال «للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد»^(١٠) وذلك يدل على صحة النافذة تأمنا . الوتر الثالث النوم ولا بأس أن يعد ذلك

(١) حديث كان يحب سبح اسم ربك الأعلى أحمد واليزار من حديث على بسند ضعيف (٢) حديث كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلص د ن ه من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس (٣) حديث أبي هريرة أوصاني رسول الله عليه السلام أن لا أنام إلا على وتر والمعنى عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركة متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر متفق عليه (٦) حديث النهى عن نقض الوتر قال المصنف صح فيه نهى قلت وأما صح من قول عابد بن عمرو وله صحبة كإرواه من قول ابن عباس كإرواه حق ولم يصح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة (٧) حديث لا وتران في ليلة د ت وحسنه ون من حديث طلق بن علي (٨) حديث الركعتين بعد الوتر جالسا تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٩) حديث مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا (١٠) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد خ من حديث عمران بن حصين

في الأوراد فانه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل: إن العبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله (١) وفي الخبر «إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش (٢)» هذا في العوام فكيف بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية فانهم يكشفون بالأمرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح (٣)» وقال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل؟ فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم وأحتسب في نومي ما أحتسب في قومتي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك (٤).

وآداب النوم عشرة: الأول الطهارة والسواك. قال عليه السلام «إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم يتم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق (٥)» وهذا أر يديه طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب. الثاني أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها (٦)» وإن لم تتيسر له الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكير في آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال عليه السلام «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له مائة نعمة وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى (٧)». الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض في النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يتراوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت المفاجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم. الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سلم القلب لجميع المسامين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذكر الله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شعاره ملك الحديث حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا (٢) حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي البرداء وهق في الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طبر في الأوسط من حديث علي مامن عبد ولا أمة تنام فتشغل نومها إلا عرج بروحه إلى العرش فالذي لا يستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكتب هو ضعيف

(٣) حديث نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قلت المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم في الصوم

(٤) حديث قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل؟ فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأتفوق القرآن تفوقا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم وأحتسب في قومتي فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى وليس فيه أنها ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أفقه منك وإنما زاد فيه طب فكان معاذ أفضل منه (٥) حديث إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم (٦) حديث أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم في الطهارة (٧) حديث من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له مائة نعمة وكان نومه صدقة من الله عليه

مقصود وهنهم سابق بالخيرات - كلهم في الجنة قال ابن عطاء الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذي يحب الله من أجل العقي والسابق هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفي فالمتنبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير. سمعت شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالي ونحن بأصهبان يريد منه الحرقة فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى يكلمك في معنى الحرقة ثم احضر حتى ألبسك الحرقة قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الحرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الحرقة وجبن

«من أوى إلى فراشه لا ينوى ظم أحد ولا يحقد على أحد غفله ما اجترم (١)». الخامس أن لا يتنعم بتهديد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض الساف يكره التهديد للنوم ويرى ذلك تكلف وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليها نرد وكانوا يرون ذلك أرقا لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد السادس أن لا ينام ما يغلبه النوم ولا يتكاف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكاهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وإن غلبه النوم عن الصلاة والدكر وصار لا يدري ما يقول فليتم حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر «لا تكابدوا الليل (٢)» وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فلانة تصلى بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بجبل فنهى عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد (٣)» وقال عليه السلام «تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لن يمل حتى تملاوا (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «خير هذا الدين أيسره (٥)» وقيل له صلى الله عليه عليه وسلم «إن فلانا يصلى فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سني فمن رغب عنها فليس مني (٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله (٧)» السابع أن ينام مستقبلا القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصه إلى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن . الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربني وضعت جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات (٨) ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها وقوله تعالى - وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو إلى قوله لقوم يعقلون - يقال إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام إلى قوله قريب من الحسين ..

ن هـ من حديث أبي الدرداء بسند صحيح (١) حديث من أوى إلى فراشه لا ينوى ظم أحد ولا يحقد على أحد غفله ما اجترم ابن أبي الدنيا في كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يهيم بظلم أحد غفله ما اجترم وسنده ضعيف (٢) حديث لا تكابدوا الليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفي جامع سفيان الثوري موقوفا على ابن مسعود لا تغالبوا هذا الليل (٣) حديث قيل له إن فلانة تصلى فإذا غلبها النوم تعلقت بجبل فنهى عن ذلك الحديث متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملاوا متفق عليه من حديث عائشة بلفظ اكلفوا (٥) حديث خير هذا الدين أيسره أحمد من حديث محجن ابن الأدرع وتقدم في العلم (٦) حديث قيل له إن فلانا يصلى ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سني فمن رغب عنها فليس مني ن من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سني الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سني فليس مني وهي متفق عليها من حديث أنس (٧) حديث لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله خ من حديث أبي هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا والبيهقي من حديث جابر إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يصح إسناد (٨) حديث الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبي الحديث إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات

أن يلبسها كاخبر الشيخ
بما تجدد عند الطالب
من قولي له فاستحضرني
وعاتبني على قولي له ذلك
وقال بعثته إليك حتى
تكلمه بما يزيد رغبته
في الحرقة فكلمته بما
فترت عزيمته ثم الذي
ذكرته كله صحيح
وهو الذي يجب من
حقوق الحرقة ولكن
إذا أزمنا المتبدى
بذلك نفر وعجز عن
القيام به فتحن نلبسه
الحرقة حتى يتشبه
بالقوم ويتبرئ بزيهم
فيقرب ذلك من
محالهم ومحالهم
وبركة محالته معهم
ونظرة إلى أحوال القوم
وسيرهم يحب أن يسلك
مسلكهم ويصل
بذلك إلى شيء من
أحوالهم ويوافق هذا
القول من الشيخ أحمد
الغزالي ما أخبرنا شيخنا
رحمه الله قال أنا
عصام الدين عمر بن
أحمد الصغار قال أنا
أبو بكر أحمد بن علي بن

وآخر بنى إسرائيل قل ادعوا الله الآيتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفله و يقرأ المعوذتين و ينفض يمين في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكلا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة . التاسع أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى -الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها - وقال -وهو الذي يتوفاكم بالليل- فسماه توفيا وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لاتناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولاشاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تتم فكما أنك تنام كذلك تموت وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فاتها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليك»^(٢) الدعاء إلى آخره كاذ كرناه في كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا ولينجقق أنه يتوفى على ماهو الغالب عليه ويحشر على مايتوفى عليه فان المرء مع من أحب ومع ما أحب . العاشر الدعاء عند التنبيه فليقل في تيقظاته وتقليباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»^(٣) وليجتهد أن يكون آخر ما يجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلزم القلب في هاتين الحالتين إلا ماهو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تنكشف عن باطن القلب وإنما استحبت هذه الأذكار لتستجر إلى القلب إلى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ . الورد الرابع : يدخل بمضى النصف الأول من الليل إلى أن يبق من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد المجود والمجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال - والليل إذا سجي - أى إذا سكن وسكونه هدوه في هذا الوقت فلا تبق عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجي إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أسمع فقال جوف الليل »^(٤) وقال داود صلى الله عليه وسلم لمهى

(١) حديث قراءة المعوذتين عند النوم ينفض يمين في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث تقدم في الدعوات دون وضع الخد على اليد وتقدم من حديث حفصة (٣) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ابن السنى وأبو نعيم في كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة (٤) حديث سئل أى الليل أسمع قال جوف الليل د ت وصححه من حديث عمرو بن عبسة .

خلف قال أبا الشيخ عبد الرحمن السلى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن يعقوب يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه ويرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع بالمبتدى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدى الطالب . حكى عن بعضهم أنه صحبه طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة العاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا لنظر المبتدى إليه والتأهب بأدبه والاعتناء به في عمله وهذا هو الرفق الذى مادخل في شيء إلا زانه فالتشبه الحقيقي له لإيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة

وحاسبة . ثم يصير متصوفاً صاحب مراقبة ثم يصير صوفياً صاحب مشاهدة فأما من ثم يتطلع إلى حال المتصوف والصوفي بالنسبة ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة في الزى والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لأنه غير محاك لهم بالدخول في بداياتهم فاذن هو متشبه بالمتشبه يعتزى إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشق بهم جلسهم وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » . أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد بن أبي عاصم قال ثنا إبراهيم بن محمد

إني أحب أن أنعبد لك فأى وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه يادود لاتقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر » (١) يعنى الباقي وفي آخر الليل وردت الأخبار بهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا (٢) وغير ذلك من الأخبار وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءاً كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلاً القبلة ويقول الله أكبر كبيراً والمجد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثم يسبح عشراً ويحمد الله عشراً ويهلل عشراً وليقل الله أكبر ذوالملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت للقدم وأنت المؤخر لإله إلا أنت (٣) اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها (٤) اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لا يهدنى لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت (٥) أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المقتدر الدليل فلا تجعلى بدعائك رب شقياً وكن بى رءوفاً رحماً يا خير المسؤولين وأكرم المعطين (٦)

(١) حديث سئل أى الليل أفضل قال نصف الليل الغابر أحمد وحسب من حديث أبى ذر دون قوله الغابر وهو في بعض طرق حديث عمرو بن عبسة .

(٢) الأخبار الواردة في اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن

في آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا

أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقي فهي آثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجريري قال قال داود ياجبريل أى الليل أفضل قال ما أدري غير أن العرش يهتز من السحر وفي رواية له عن الجريري عن سعيد بن أبى الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجر وله من حديث أبى الدرداء مرفوعاً إن الله تبارك وتعالى لينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل يفتتح الذكر في الساعة الأولى وفيه ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن الحديث وهو مثله (٣) حديث القول في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (٤) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسي تقواها الحديث (٥) حديث اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت م من حديث طى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٦) حديث أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الدليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة تقدم في الحج .

وقالت عائشة رضي الله عنها «كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (١)» ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولاً ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة (٢) وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة (٤)» وقال «صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل (٥)» وأكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة (٦) وقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل . الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال - وبالسحار هم يستغفرون - قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أباه الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره (٧) في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان ثم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له ثم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال إن نفسك عليك حقا وإن لضيقت عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال فأتيا النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السجود وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فإذا طلع الفجر انقضت أورد الليل ودخلت أورد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى - ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم - ثم يقرأ - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة - إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهي على عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احفظ عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واحفظها عني وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبتدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعبادة مريض وشهود جنازة في الخبر

(١) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه م (٢) حديث أنه صلى بالليل أولاً ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد بن خالد الجهني (٣) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله ﷺ في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر د ه باسناد صحيح (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٥) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٦) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أكثر ما صح عنه تقدم (٧) حديث زار سلمان أباه الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان ثم فنام الحديث وفي آخره فقال صدق سلمان خ من حديث أبي جحيفة .

الشافعي قال ثنا علي بن أحمد قال ثنا علي بن علي المقدسي قال ثنا محمد ابن عبد الله بن عامر قال ثنا إبراهيم بن الأشعث قال ثنا فضيل ابن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبعون مجالس الدكر فإذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى عنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي ؟ قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيذا فيقول

«من جمع بين هذه الأربعة في يوم غفرله» (١) وفي رواية دخل الجنة فان أنفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضى اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بجرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم «الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس» (٢) ولقوله صلى الله عليه وسلم «اتقوا النار ولو بشق تمر» (٣) ودفعت عائشة رضي الله عنها إلى سائل عنبية واحدة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ما لكم إن فيها لما قيل ذكر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك ما سأله أحد شيئا فقال لا ولكن إن لم يقدر عليه سكت (٤) وفي الخبر «يصبح ابن آدم وعلى كل سلامي من جسده صدقة يعني المفضل وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا فأمر بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإمطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله أو تجتمع لك ذلك كله» (٥).

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلم أن المريد لحث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فانه إما عابد وإمام عالم وإمام متعلم وإمام أول وإمام حترف وإمام واحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره . الأول : العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أوراده مذكوره ، نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو في القراءة أو في التسبيحات فقد كان في الصحابة رضي الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم واللييلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضى اليوم أو اللييلة في التفكير في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقبلا بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا وفي كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم واللييلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وخمسمائة وعشرة فراسخ فان قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد . فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر النواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تركية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فاذا أحسن بملاحة منه فليتنقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كما سبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن اللال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضا تختلف ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا وأحسن لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روى عن إبراهيم بن آدم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت

- (١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض وشهود جنازة في يوم غفرله وفي رواية دخل الجنة من حديث أبي هريرة ما اجتمع في امرئ إلا دخل الجنة (٢) حديث الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس تقدم في الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمر تقدم في الزكاة (٤) حديث ما سأله أحد شيئا فقال لا إن لم يقدر عليه سكت م من حديث جابر وللبرار من حديث أنس أو يسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامي من جسده صدقة الحديث م من حديث أبي ذر .

ما يسألوني ؟ قالوا
يا ألوئك الجنة فيقول
وهل رأوها قالوا
لا فيقول كيف لورأوها
قالوا لو رأوها كانوا
أشد لها طلبا وعليها
أكثر حرصا قالوا
ويتعوذون من النار
فيقول وهل رأوها
قالوا لا فيقول كيف
لو رأوها قالوا كانوا
أشد منها تعوذا وأشد
فرارا فيقول أشهدكم
أني قد غفرت لهم
فيقول الملك فمنهم فلان
ليس منهم إنما جاء
لحاجة فيقول تبارك
وتعالى هم الجلساء
لا يشقى جلسهم فلا
يشقى جلس الصوفية
والمتشبه بهم والمحب
لهم .
[الباب الثامن في ذكر
اللامق وشرح حاله]
قال بعضهم اللامق
هو الذي لا يظهر خيرا
ولا يضر مشرا وشرح
هذا هو أن اللامق
تشربت عروقه طم
الاخلاص وتحقق

قلت فما اسمك قال مهلهياثيل قلت فثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمض حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الختان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقفا فيلازمه وأياما وجد القلب عنده وفتح له فيه خبر فليواظب عليه . الثاني : العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد بخلاف ترتيب العابد فإنه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والافادة ويحتاج إلى مدة لها لامحالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات وروايتها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعلم والتعليم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولولم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وإنما نعى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويهديهم في الدنيا أو العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فإن استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي أن يخص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار في الافادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر وتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهوم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها إلا في وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقراءة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فإن المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يتجاوز جزء من النهار عن عمله بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب أوراد العلم . الثالث : المتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة والتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والتعليم في كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات في حديث أبي ذر رضي الله عنه «أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعبادة ألف مريض (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها

(١) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تقدم في العلم .

بالصدق فلا يحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله . أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل المقدسي إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي إجازة قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد وسألته عن الاخلاص ما هو قال سمعت علي بن إبراهيم وسألته عن الاخلاص ما هو قال سمعت محمد بن جعفر الحصاف وسألته عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن بشار عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن علي الجهمي عن الاخلاص ما هو قال سألت عبد الواحد ابن زيد عن

فقيه يارسول الله ومارياض الجنة قال خلق الله (١) وقال كعب الأحبار رضى الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى إمارة إمارة وكل ذى سوق سوقه. وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهمامة فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلاتفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء. وقال رجل للحسين رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على خلق الله فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكينة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ما نسأل عمن أبيح لها الجنة بخذافيرها قال وبذلك قالت بمجالسة أهل الذكر، وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكى السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب على حب الدنيا. الرابع: المحترف الذى يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغى أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته بل يواظب على التسيبحات والأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فإنه لا يعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغى أن يعود إلى ترتيب الأوراد وإن داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التى ذكرناها لأن العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتنجد إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر. الخامس الوالى مثل الامام والقاضى والمتولى لينظر في أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقوم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله عنه يفعله إذ قال مالى وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسى وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فائده وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه. السادس: الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى أصبح وهمومه هم واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شئ إلا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يقتصر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحد وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لائح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا يحرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلاتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى - لعلكم تذكرون - ففروا إلى الله وتحقق فيهم قوله تعالى - وإذا اعتزلتموه وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته - وإليه الإشارة بقوله - إني ذاهب إلى ربي سيهدين - وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهرًا طويلا فلا ينبغي أن يغتر المرید بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر

(١) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها الحديث تقدم في العلم .

الاخلاص ما هو قال
سألت الحسن عن
الاخلاص ما هو قال
سألت حذيفة عن
الاخلاص ما هو قال
« سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
الاخلاص ما هو قال
سألت جبرائيل عن
الاخلاص ما هو قال
سألت رب العزة عن
الاخلاص ما هو قال
هو سر من سرى
استودعته قلب من
أحببت من عبادى »
فاللامتية لهم مزيد
اختصاص بالتسك
بالاخلاص يرون كتم
الأحوال والأعمال
ويتلذذون بكنمها حتى
لو ظهرت أعمالهم
وأحوالهم لأحد
استوحشوا من ذلك
كما يستوحش العاصي
من ظهور معصيته
فاللامق عظم وقع
الاخلاص وموضعه
وتمسك به معتدا به
والصوفى غاب في

عن وظائف عبادته فذلك علامته. أن لا يهيج في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا تزجيه هواجم الأحوال ولا تستفزّه عظامم الأشغال وأنّى ترزق هذه الرتبة لكلّ أحد فيتين على الكفاية ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - فكلمهم مهتدون و بعضهم أهدى من بعض وفي الخبر «الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة (١)» وقال بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل فكلّ مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله فاذن الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلمهم على الصواب - أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب - وإنما يتفاوتون في درجات القرب في أصله وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبد لهم له فمن عرفه لم يعبد غيره . والأصل في الأوراد في حق كلّ صنف من الناس المداومة فإن المراد منه تغيير الصفات الباطنة وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وإنما يترتب الأثر على المجموع فإذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بشأن وثالث على القرب انتهى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فانه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير فبالغ ليلة في التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه ولهذا السرق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ » (٢) . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت: كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبتته (٣) . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عوّده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله (٤) » وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تداركا لما فاتته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لافي المسجد كيلا يقتدى به (٥) روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فان قلت فهل لغيره أن يقتدى به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية ؟ . فاعلم أن المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من الملل لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره . ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

(١) حديث الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ابن شاهين واللالكائي في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهم دخل الجنة وقال الطبراني والبيهقي ثلاثمائة وثلاثون وفي إسناده جهالة (٢) حديث أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبتته رواه م (٤) حديث من عوّده الله عبادة فتركها ملالا مقتته الله تقدّم في الصلاة وهو موقوف على عائشة (٥) حديث شغله الوفد عن ركعتين فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر في منزله متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ما تركهما حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما ولا يصليهما في المسجد مخافة أن يشغل على أمته ، والله الموفق للصواب .

إخلاصه عن إخلاصه.

قال أبو يعقوب

السوم، متى شهدوا

في إخلاصهم الاخلاص

احتاج إخلاصهم إلى

إخلاص وقال ذوالنون

ثلاث من علامات

الاخلاص استواء الدم

والمدح من العامة

ونسيان رؤية الأعمال

في الأعمال وترك

اقتضاء نواب العمل في

الآخرة أخبرنا أبو زرعة

إجازة قال أنا أبو بكر

أحمد بن علي بن خلف

إجازة قال أنا أبو

عبد الرحمن قال سمعت

أبا عثمان المغربي يقول:

الاخلاص ما لا يكون

لنفس فيه حظ بحال

وهذا إخلاص العوام

وإخلاص الخواص

ما يجري عليهم لاهم

فتبدو منهم الطاعات

وهم عنها بمعزل ولا يقع

لهم عليها رؤية ولا بها

اعتداد فذلك إخلاص

الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحيائها
وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل
فضيلة إحياء ما بين العشاءين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة ^(١) ». قال الراوي لأدري من ذهب أوفضة « ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروت أم سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر ^(٢) » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغفر له بينهما غراسا لوطافه أهل الدنيا لو سمعهم ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر رضي الله عنه إذا تكثرت قصورنا يارسول الله فقال الله أ أكثر وأفضل أو قال أ طيب ^(٤) » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا وقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله - أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله لله ما في السموات وما في الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ^(٥) » وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر. وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال قلت للخضر عليه السلام علمني شيئا أعمله في كل ليلة

الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل

(١) حديث عائشة إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار في كتاب الصلاة ورواه الطبراني في الأسط مختصرا وإسناده ضعيف (٢) حديث أم سلمة عن أبي هريرة من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر ه بلفظ اثنين عشرة سنة وضعفت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأحبار كما رواه أبو الوليد الصفار ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى وسنده ضعيف (٣) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبني له قصرين في الجنة لم أجده أصلا من هذا الوجه وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر (٤) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر إذا تكثرت قصورنا يارسول الله الحديث ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسلا (٥) حديث أنس من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا وقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد الحديث أبو الشيخ في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف .

الخواص وهذا الله
فضله الشيخ أبو عثمان
المغربى بفرق بين
الصوفي والملاحق لأن
الملاحق أخرج الخلق
عن عمله وحاله ولكن
أثبت نفسه فهو مخلص
والصوفي أخرج نفسه
عن عمله وحاله كما
أخرج غيره فهو مخلص
وشتان ما بين المخلص
المخلص والمخلص قال
أبو بكر الزقاق نقصان
كل مخلص في إخلاصه
رؤية إخلاصه فإذا
أراد الله أن يخلص
إخلاصه أسقط عن
إخلاصه رؤيته
لا خلاصه فيكون مخلصا
لا مخلصا قال أبو سعيد
الحراز رياء العارفين
أفضل من إخلاص
المريدين ومعنى قوله
إن إخلاص المريدين
معلول برؤية الإخلاص
والعارف منزّه عن
الرياء الذي يبطل

فقال إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصلياً من غير أن تسلم أحداً وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة - وقل هو الله أحد ثلاثاً فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تسلم أحداً وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستوجالساً وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب أن تعلمني من سمعت هذا فقال إني حضرت محمداً صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى إليه به فكنت عنده وكان ذلك بحضور من فتعلمته ممن علمه إياه (١) ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكله وعلمه وعلى الجملة ماورد في فضل إحياء ما بين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين» (٣) وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيت ي صلى فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحي ما بينهما فقال أجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال أفطر وصل ما بينهما.

فضيلة قيام الليل

أما من الآيات فقوله تعالى - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل - الآية وقوله تعالى - إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلاً - وقوله سبحانه وتعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقوله تعالى - آمن هو قانت آتاء الليل - الآية وقوله عز وجل - والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً - وقوله تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس . ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويلاً فارقده فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان (٤) »

(١) حديث كرز بن وبرة أن الحضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه أن كرزاً سأل الحضر عن سمعت هذا قال إني حضرت محمداً صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء الحديث وهذا باطل لأصله (٢) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء رواه أحمد وفيه رجل لم يسم (٣) حديث من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين تقدم في الصلاة (٤) حديث يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة

العمل ولكن لعله يظهر شيئاً من حاله وعمله يعلم كامل عنده فيه لجذب مرید أو معاناة خلق من أخلاق النفس في إظهار الحال والعمل وللعارفين في ذلك علم دقيق لا يعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس برباء إنما هو صريح العلم لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه . قال رويم : الاخلاص أن لا يرضى صاحبه عليه عوضاً في الدارين ولا حظاً من الماكين . وقال بعضهم صدق الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق واللامتنى يرى الخلق فيخفى عمله وحاله وكل ما ذكرناه من قبل وصف إخلاص الصوفي ولهذا قال الزقاق لابد لكل مخلص من رؤية

وفي الخبر أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه (١) « وفي الخبر « إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فإذا أسقط العبد ساء خلقه وإذا ألحقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم (٣) » وفي الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفي رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة » وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تفتطرت قدماه فقبل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا (٤) ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب الزيادة قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا فم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أيها هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قر به إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطرده للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر « لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي أنت وأمي قال صم يوما شديد الحر - ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظام الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شرت سكنت عنها (٨) »

(١) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث إن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا الحديث طب من حديث أنس إن للشيطان لعوقا وكلا فإذا لعق الإنسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر وإذا حكه من حكه نامت عيناه عن الله كر ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف (٣) حديث ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم. آدم بن أبي إياس في الثواب ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلًا ووصله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٤) حديث المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفتطرت قدماه الحديث متفق عليه (٥) حديث يا أيها هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أيها هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لأصل له (٦) حديث عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طب وهق من حديث أبي أمامة بسند حسن وقالت إنه أصح (٧) حديث مامن امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه دن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سمان في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوى ورواه ن ه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله (٨) حديث إنه قال لأبي ذر - لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي وأمي قال صم يوما شديد الحر - ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن عجل مرسلًا والسري ضعفه الأزدي

إخلاصه وهو نقصان
عن كمال الاخلاص
والاخلاص هو الذي
يتولى الله حفظ صاحبه
حتى يأتي به على التمام.
قال جعفر الخلدی سألت
أبا القاسم الجنيد رحمه
الله قلت أئين الاخلاص
والصدق فرق؟ قال نعم
الصدق أصل وهو الأول
والاخلاص فرع وهو
تابع وقال بينهما فرق
لأن الاخلاص لا يكون
إلا بعد الدخول في
العمل ثم قال إنما هو
إخلاص ومخالصة
الاخلاص ومخالصة
كائنة في المخالصة فعلى
هذا الاخلاص حال
اللامق ومخالصة
الاخلاص حال الصوفي
والمخالصة الكائنة من
المخالصة ثمرة مخالصة
الاخلاص وهو فناء
العبد عن رسومه
برؤية قيامه بقيومه
من غيبته من رؤية

وروى «أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فاذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله أتى لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث إلا سيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجره من النار وأدخله الجنة» (١) وروى «أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل» (٢) قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول نعم فيقعده فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتي وجلالي يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلعة لنداب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلعة لنداب شحمك وليكيث الصديد بعد الدموع وليست الجلد بعد المسوح . «وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح في وجهها الماء» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبت نضحت في وجهه الماء» وقال صلى الله عليه وسلم «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من اللدا كرين الله كثيرا والذاكرات» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل» (٦) وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «من نام عن حربه قيام الليل» (٧) وأوعن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كاتما قرأه من الليل» (٨) . الآثار روى أن عمر رضى الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله شيع ليلة فقال إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح . وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتلقى عليه كما تتلقى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له ما بال المتجهدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خالوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فهدله فراش فنام عليه

(١) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فاذنوني الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٣) حديث قيل له إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما يقول ، ابن حبان من حديث أبي هريرة (٤) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت الحديث د حب من حديث أبي هريرة (٥) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من اللدا كرين الله كثيرا والذاكرات د ن من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح (٦) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبي هريرة (٧) حديث عمر من نام عن حربه أوعن شيء منه فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كاتما قرأه من الليل رواه م .

قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو فقد حال الصوفي والملاحق مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين الملاحق والصوفي ولم يزل في خرسان منهم طائفة ولهم مشايخ يمهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حلقهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم ولما يتداول ألسنة أهل العراق هذا الاسم . حكى أن بعض الملامية استدعى إلى سماع فامتنع فقبل له في ذلك فقال لأني إن حضرت يظهر عتي وجد ولا أوتر أن يعلم أحد حالي . وقيل إن أحمد بن أبي الحواري

حتى فاته ورده خلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جئ عليه الليل يأتي فراشه فيمتر يده عليه ويقول إنك للين والله إن في الجنة لألين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إنى لأستقبل الليل من أوله فيبولى طولة فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهيق وقال الحسن إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إنى لأضعف عن قيام الليل فقال له يا أخى لاتعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا المكتوبة قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي بعثني من قوم لا يصلون إلا المكتوبة ردني فردّها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رضى الله عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا وقال أبو الجوزية لقد صحبت أبا حنيفة رضى الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يحى نصف الليل فمرّ بقوم فقالوا إن هذا يحى الليل كله فقال إنى أستحي أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحى الليل كله ويروى أنه ما كان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار رضى الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح - أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات - الآية. وقال المغيرة بن حبيب رمت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فغتمته العبرة فجعل يقول اللهم حرّم شعبة مالك على النار إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك وأى الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها :

ألهتك اللذائذ والأمانى عن البيض الأوانس في الجنان
تميش غلدا لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا من النوم التهجد بالقران

وقيل حجّ مسروق فما بات ليلة إلا ساجدا ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت وما مهرك قالت طول التهجد . وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك برائه من لؤلؤ وصنّعه من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم التهجدون فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم المصلون فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم الثافلون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه الجاني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلى من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفرع إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت ربّ العزة في النوم فسمعتة يقول وعزّتي وجلالي لا أكرم من مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ويقال كان مذهبه

قال لأبي سليمان
الداراني إنى إذا كنت
في الخلوة أجدها بين
لذة لا أجدها بين
الناس فقال له إنك
إذا لضعيف فاللامق
وإن كان متمسكا
بعروة الاخلاص
مستفرشا بساط الصدق
ولكن بقى عليه بقية
رؤية الخلق وما أحسنها
من بقية تحقق
الاخلاص والصدق
والصوفي صفا من هذه
البقية في طرفي العمل
والترك للخلق وعزلهم
بالكية ورآهم بعين
الفناء والزوال ولاح
له ناصية التوحيد
وعاين سر قوله كل
شيء هالك إلا وجهه
كما قال بعضهم في بعض
غلباته ليس في الدارين
غير الله وقد يكون
إخفاء اللامق الحال على
وجهين أحد الوجهين
لتحقيق الاخلاص

أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال إن عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صباح الديكة .

بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه المبسرة له ظاهر أو باطنا . فأما الطاهرة فأربعة أمور . الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المرءين لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام . الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فان ذلك أيضا مجلبة للنوم . الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على قيام الليل (١) . الرابع : أن لا يحتجب الأوزار بالنهار فان ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن بأبوسعيد إنني أبيت معافي وأحب قيام الليل وأعدت لهم ولعموم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثوري الله إذا دخل السوق فسمع لفظهم ولعموم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مرء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت أتاك نبي بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلك قال أشد قلت فماذا قال باني مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزني البارحة وماذا لك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجزئ إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني لاتنوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجناية بعد وقال بعض العلماء إذا صمت بامسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فان العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتغني عن قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحرريكه إلى الخير مالا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهي عن الصلاة وسائر الحيرات وقال بعض السجانيين كنت سجنا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهي عن تعاطي الفحشاء والمنكر وأما المبشرات الباطنة فأربعة أمور

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق فيهم يتدبر الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال : يخبرني البسواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضا فنام

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فانه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذرهم كما قال طاوس إن ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال إن صهيبا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام ، وقال ذو النون المصري رحمه الله :

(١) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم

والصدق والوجه

الآخر وهو الأتم لستر

الحال عن غيره بنوع

غبرة فان من خلا

بمحبوبه يكره اطلاع

الغير عليه بل يبلغ

في صدق المحبة أن يكره

اطلاع أحد على حبه

لمحبوبه وهذا وإن

علا في طريق الصوفي

علة ونقص فعلى هذا

يتقدم اللامتنع على

المتصوف ويتأخر عن

الصوفي وقيل إن من

أصول الملامية أن

منع القرآن بوعده ووعيده
فهموا عن الملك الجليل كلامه
مقل العيون بليها أن تهجعا
فرقا بهم ذلت إليه تخضعا

وأنشدوا أيضا :

يا طويل الرقاد والنفلات
إن في القبر إن نزلت إليه
كثرة النوم تورث الحشرات
ومهادا مهادا لك فيه
لرقادا بطول بعد المات
بذنوب عملت أو حسنت
أأمنت البيات من ملك المو
ت وكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابدوه
أطار الخوف نومهم فقاموا
فيسفر عنهم وهم ركوع
وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الذكر على أربعة أقسام
ذكر باللسان وذكر
بالقلب وذكر بالسر
وذكر بالروح فإذ أصبح
ذكر الروح سكت السر
والقلب واللسان عن
الذكر وذلك ذكر
المشاهدة وإذا صح
ذكر السر سكت القلب
واللسان عن الذكر
وذلك ذكر الهيبة وإذا
صح ذكر القلب فتر
اللسان عن الذكر
وذلك ذكر الآلاء
والنعماء وإذا غفل

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه
فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته
فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا
ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنني كنت أفكر في حوراء من حور الجنة طول
الليل ففسيت الزوجة والمنزل فقامت طول ليلتي شوقا إليها . الرابع . وهو أشرف البواعث الحب لله
وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناجاة ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يحيط بقلبه
وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لأحالة الخالوة به وتلذذ بالمناجاة
فتحملة لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما
العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخالوة ومناجاته
حتى لا يأتية النوم طول ليله . فان قلت إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعالى لا يرى . فاعلم أنه لو كان
الجميل المحبوب وراء ستر أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع
في أمر آخر سواء وكان يتنعم بآثار حبه عليه وذكره بلسانه بسمع منه وإن كان ذلك أيضا معلوما عنده .
فان قلت إنه ينتظر جوابه فليتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه
ويستكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريره إليه وكيف والموقف يسمع من
الله تعالى كل ما يريد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخاطب بالملك ويعرض عليه حاجاته في
جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه والرجاء في حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما
عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخالوات . وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل في
تلذذهم بقيام الليل واستقصاءهم له كما يستقصرون المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت
والليل قال ما راعيته قط يرى وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد . وقال آخر أنا والليل فرسا رهان
مرة يسبقني إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر . وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين
حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بشجره إذا طلع ماتم فرحى به قط . وقال على بن بكار منذ أربعين
سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام
لخالوتي برني وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو
في لهوهم ولولا الليل ما أحيت البقاء في الدنيا وقال أيضا لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم

ما يجدونه من المدة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجدونه أهل التلق في قلوبهم بالليل من حلوة النجاة وقال لبعضهم لدة المتجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سوام ، وقال ابن النكدر : ما بقي من لدة الدنيا إلا ثلاث قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة في الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب التقيين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستبصر ثم تنتشر من قلوبهم العوافى إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عباداً من عبادي أحبه ويحبوني ويشاقون إليّ وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكرونهم وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حذوت طريقهم أحيتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وماعلامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كإيراعي الراعي غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافترضوا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتعلقوا إليّ بأنعمي فبين صارخ وبكى وبين متأوه وشاكي يعنى ما يتحماون من أجلي وبسماي ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم ، والثانية لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما في موازينهم لاستقلتها لهم ، والثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أعلم أحد ما أريد أن أعطيه ، وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا سرّ وتحقيق ستأتى الإشارة إليه في كتاب المحبة ، وفي الأخبار عن الله عز وجل « أى عبدي أنا الله الذى اقترمت من قلبك والغب رأيت نوري » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يابى إن الله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتحطى القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال ياسيدى تركنى لأنام بالليل ولا بالنهار .

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه (١) » وفي رواية أخرى « يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » ومطلوب القائلين تلك الساعة وهي مبهمه في جملة الليل كإيلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل : اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب : الأولى : إحياء كل الليل وهذا شأن الأفوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتغذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا إلى النوم إلى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء . حكى أبو طالب المكي أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واطب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وأبوسليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الحواص وأبو عاصم العبادي وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني الفارسيان (١) حديث جابر : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة ، رواه م .

القلب عن الله كرا قبل
اللسان على الذكر وذلك
ذكر العادة ولكل
واحد من هذه الأذكار
عندهم آفة فآفة ذكر
الروح اطلاع السر عليه
وآفة ذكر السر اطلاع
القلب عليه وآفة ذكر
القلب اطلاع النفس
عليه وآفة ذكر النفس
رؤية ذلك وتعظيمه
أو طلب ثوابه أو ظن أنه
يصل إلى شيء من
المقامات وأقل الناس
قيمة عندهم من يريد

ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمه ومالم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم . المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل . المرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحراً قلت صفة وجهه وقلّ نعاسه ، وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة (١) » وقالت أيضاً رضي الله عنها « ما ألفتيه بعد السحر إلا نائمًا (٢) » حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم أبو هريرة رضي الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سبباً للكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أورد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم . المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسة وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه . المرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إنما ييسر لشيء يوحى إليه أول من يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فاذا انتهت ثم عدت إلى النوم فلا تأم الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فاذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فاذا كان له حاجة ألم بأهله ، ولأبي داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلّي ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ : كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة ، وقال م إذا صلى ركعتي الفجر .

(٢) حديث عائشة ما ألفتيه السحر الأطل إلا نائمًا لم يقل خ الأطل وقال ه ما كنت ألقى أوالقي النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندي (٣) حديث قيامه أول الليل إلى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان دت وصححه وه من حديث أم سلمة كان يصلي وينام قدر ماضى ثم يصلي قدر مانام ثم ينام قدر ماضى حتى يصبح ، وللبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلّى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلّى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيظه الحديث .

إظهاره وإقبال الملق
عليه بذلك وسر هذا
الأصل الذي بنوا عليه
أن ذكر الروح ذكر
الذات وذكر السر
ذكر الصفات بزعمهم
وذكر القلب من الآلاء
والنعماء ذكر أثر
الصفات وذكر
النفس متعرض
للعلا ت فمعنى قولهم
اطلاع السر على الروح
يشيرون إلى التحقق
بالفناء عند ذكر
الذات وذكر الهيبة

يقوم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه أو سدسه (١) يختلف ذلك فى الياللى ودلّ عليه قوله تعالى فى الموضعين من سورة المزمل - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه - فأدنى من ثلثى الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والرابع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم إذا سمع الصارخ (٢) يعنى الديك وهذا يكون السدس فمادونه وروى غير واحد أنه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ليلا فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال : ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى بلغ إنك لا تخلف الميعاد ثم استلّ من فراشه سوا كما فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذى نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة (٣) . المرتبة السادسة : وهى الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشغولاً بالدكر والدعاء فيكتب فى جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء فى الأثر صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة (٤) فهذه طرق القسمة فليختار المرید لنفسه ما يراه أسير عليه وحيث يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذى بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفى الليل وهذه هى المرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما فى المرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيها إلى القدر فليس يجزى أمرها فى التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه فى السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

بيان الياللى والأيام الفاضلة

اعلم أن الياللى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الاحياء فى السنة خمس عشرة ليلة (١) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه ، الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ الحديث وفى رواية للبخارى فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء الحديث ولأبى داود قام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ الحديث لمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل (٢) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ متفق عليه (٣) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ليلا فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه حتى بلغ إنك لا تخلف الميعاد ثم استلّ من فراشه سوا كما فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن ابن عوف أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأرغبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث فى كتاب الصلاة من رواية اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة أن رجلاً قال لأمرقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضاً كان فى سفر (٤) حديث صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة أبو يعلى من حديث ابن عباس فى صلاة الليل مرفوعاً نصفه ثلثه ربه فواق حلب ناقه فواق حلب شاة ولأبى الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسل لا بد من صلاة الليل ولو حلبه ناقه أو حلبه شاة .

فى ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيبه وهو وجود الهيبه ووجود الهيبه يستدعى وجوداً وبقيه وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر السروج وهيبه وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذى هو ذكر الآلاء والتعماء مشعر ببعدهما لأنه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنم والاشتغال

لا ينبغي أن يغفل المرید عنها فاتها مواسم الحیرات ومظان التجارات ومق غفل التاجر عن اللوامس لم يربح ومق غفل المرید عن فضائل الأوقات لم ينجح فسته من هذه الليالي في شهر رمضان خمس في أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هي ليلة التسع الآخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم «للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة» (١) فمن صلى هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دينه وآخرته ويصبح صائماً فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في معصية ، وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وسلم «من أحيا ليلتي العيدين لم يموت قلبه يوم تموت القلوب» (٢) . وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً» (٣) وهو اليوم الذي أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين . والأيام المعلومات وهي عشر من ذى الحجة والأيام المعدودات وهي أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة» (٤) وقال بعض العلماء من أخذ مهنة في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنة في الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء . ومن فواضل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثني ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

(١) حديث الصلاة المأثورة في ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى المديني في كتاب فضائل الأيام والليالي أن أبا محمد الحباري رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبي أنس مرفوعاً ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جداً والحديث منكراً (٢) حديث من أحيا ليلتي العيدين لم يموت قلبه يوم تموت القلوب ه باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة (٣) حديث أبي هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم في الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بجملة ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

تم الربع الأول من : كتاب إحياء علوم الدين ، ويتلوه : الربع الثاني

برؤية العطاء عن
رؤية المعطي ضرب
من بعد المنزلة
وإطلاع النفس نظراً
إلى الأعواض اعتداد
بوجود العمل وذلك
عين الاعتدال حقيقة
وهذه أقسام هذه
الطائفة وبعضها أهلى
من بعض ، والله أعلم .

فهرس الجزء الأول

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالي

صفحة	صفحة
٤٨	٣ ترجمة الامام الغزالي
علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة	٦ ترجمة الامام العراقي
والجدل وشروط إباحتها	٧ ترجمة الامام السهروردي
٤٩ بيان التليس في تشبيه هذه المناظرات	٧ إفهام حقيقة
بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف	٨ خطبة الكتاب
رحمهم الله تعالى	١١ كتاب العلم وفيه سبعة أبواب
٥١ بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من	الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم
مهلكات الأخلاق	وشواهد من النقل والعقل
٥٥ الباب الخامس في آداب التعلم والمعلم	فضيلة العلم
أما للتعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة	١٥ فضيلة التعلم
ولكن تنظم تفاريقها عشر مجمل	١٦ فضيلة التعليم
٦١ بيان وظائف المرشد المعلم	١٩ في الشواهد العقلية
٦٤ الباب السادس في آفات العلم وبيان	٢٠ الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم
علامات علماء الآخرة والعلماء السوء	وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو
٨٨ الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته	فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن
وأقسامه	موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أي
بيان شرف العقل	حد هو وتفضيل علم الآخرة
٩٠ بيان حقيقة العقل وأقسامه	بيان العلم الذي هو فرض عين
٩٣ بيان تفاوت النفوس في العقل	٢٣ بيان العلم الذي هو فرض كفاية
٩٥ كتاب قواعد العقائد	٣٥ الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم
وفيه أربعة فصول	المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي
الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل	قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان
السنة في كلتي الشهادة الخ	تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد
٩٩ الفصل الثاني في وجه التدرج إلى	والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود
الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد	من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها
١١٠ الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد	بيان علة ذم العلم المذموم
في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها	٣٨ بيان ما يدل من ألفاظ العلوم
بالقدس وفيها أركان أربعة	٤٥ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

صحيفة	صحيفة
١١٠	فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول
١١٤	الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول
١١٦	الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول
١١٩	الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول
١٢١	الفصل الرابع في الإيمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل
١٢٥	مسئلة اختلفوا في أن الاسلام هو الإيمان أو غيره الخ
١٢٧	مسئلة فان قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص الخ
١٣٠	مسئلة فان قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله الخ
١٣٣	كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات
١٣٤	القسم الأول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة
١٣٥	الطرف الأول في المزال
١٣٦	الطرف الثاني في المزال به
١٣٧	الطرف الثالث في كيفية الازالة
١٣٨	القسم الثاني طهارة الأحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم و يتقدمها الاستنجاء
١٣٩	باب آداب قضاء الحاجة
١٤٠	كيفية الاستنجاء
١٤١	كيفية الوضوء
١٤٢	كيفية الغسل
١٤٣	كيفية التيمم
١٤٤	القسم الثالث في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان أوساخ وأجزاء
١٤٥	النوع الأول الأوساخ والوطوباء المترشحة وهي ثمانية
١٤٦	النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية
١٤٧	كتاب أسرار الصلاة ومهماتها وفيه سبعة أبواب
١٤٨	الباب الأول في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها
١٤٩	فضيلة الأذان
١٥٠	فضيلة المكتوبة
١٥١	فضيلة إتمام الأركان
١٥٢	فضيلة الجماعة
١٥٣	فضيلة السجود
١٥٤	فضيلة الحشوع
١٥٥	فضيلة المسجد وموضع الصلاة
١٥٦	الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله
١٥٧	القراءة
١٥٨	الركوع ولواحقه
١٥٩	السجود
١٦٠	التشهد
١٦١	التهنيت
١٦٢	تميز الفرائض والسنة
١٦٣	الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب الخ
١٦٤	بيان اشتراط الحشوع وحضور القلب

مصحفة	مصحفة
٢١٦ الفصل الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها	١٦٧ بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة
النوع الأول زكاة النعم	١٦٩ بيان الدواء النافع في حضور القلب
٢١٧ النوع الثاني زكاة المعشرات	١٧١ بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب
النوع الثالث زكاة التقدين	عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة
النوع الرابع زكاة التجارة	١٧٧ حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين رضي الله عنهم
٢١٨ النوع الخامس الركاك والمعدن	١٧٩ الباب الرابع في الإمامة والقعدة الخ
النوع السادس في صدقة الفطر	١٨٤ الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها
٢٢٠ الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة	وسننها وشروطها فضيلة الجمعة
بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة	١٨٥ بيان شروط الجمعة
الوظيفة الأولى أي من الوظائف التي على مر يد طريق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ	١٨٦ وأما السنن الخ
٢٢١ الوظيفة الثانية في وقت الأداء	بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جم
٢٢٢ الوظيفة الثالثة الأسرار	١٩١ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يم جميع النهار
الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيبا للناس الخ	وهي سبعة أمور
٢٢٣ الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالحق والأذى	١٩٥ الباب السادس في مسائل متفرقة نعم بها الباي ويحتاج المر يد إلى معرفتها
٢٢٤ الوظيفة السادسة أن يستصغر العطية	١٩٩ الباب السابع في النوافل من الصلوات وفيه أربعة أقسام
٢٢٥ الوظيفة السابعة أن يتسقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه	القسم الأول ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية
الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة الخ	٢٠٤ القسم الثاني ما يتكرر بتكرر الأسابيع
٢٢٧ الفصل الثالث في القايض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه	٢٠٧ القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين
بيان أسباب الاستحقاق	٢١٠ القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت
٢٢٩ بيان وظائف القايض	وهي تسعة
٢٣٢ الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها	٢١٥ كتاب أسرار الزكاة
بيان فضيلة الصدقة	وفيه أربعة فصول
٢٣٣ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها	
٢٣٦ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة	

مصحفة

٢٣٧ كتاب أسرار الصوم

وفيه ثلاثة فصول

٢٣٩ الفصل الأول في الواجبات والسنن

الظاهرة واللوازم بافساده

أما الواجبات الظاهرة فسته

٢٤٠ لوازم الإفطار أربعة

٢٤١ الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه

الباطنة

٢٤٣ الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب

الأوراد فيه

٢٤٦ كتاب أسرار الحج

وفيه ثلاثة أبواب

الباب الأول وفيه فصلان

الفصل الأول في فضائل الحج وفضيلة

البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى

وشد الرحال إلى المساجد

فضيلة الحج

٢٤٨ فضيلة البيت ومكة الشرفة

٢٥٠ فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد

٢٥٢ الفصل الثاني في شروط وجوب الحج

وحصة أركانه وواجباته ومحظوراته

٢٥٣ الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة

من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة جمل

الجملة الأولى في السير من أول الخروج

إلى الاحرام وهي ثمانية

٢٥٥ الجملة الثانية في آداب الاحرام من

الليقات إلى دخول مكة وهي خمسة

٢٥٦ الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى

الطواف وهي ستة

٢٥٧ الجملة الرابعة في الطواف الخ

٢٥٩ الجملة الخامسة في السي

٢٦٠ الجملة السادسة في الوقوف وما قبله

مصحفة

٢٦٢ الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد

الوقوف من المبيت والرمي والنحر

والحلق والطواف

٢٦٤ الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها

إلى طواف الوداع

٢٦٥ الجملة التاسعة في طواف الوداع

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها

٢٦٨ فصل في سنن الرجوع من السفر

٢٦٩ الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال

الباطنة

بيان دقائق الآداب وهي عشرة

٢٧٣ بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص

في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد

الشريفة وكيفية الافتسكار فيها والتذكر

لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره

٢٧٩ كتاب آداب تلاوة القرآن

وفيه أربعة أبواب

الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم

المقصرين في تلاوته

فضيلة القرآن

٢٨١ في ذم تلاوة الغافلين

٢٨٢ الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة

وهي عشرة

٢٨٧ الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة

وهي عشرة

٢٩٦ الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره

بالرأى من غير نقل

٣٠١ كتاب الأذكار والدعوات

وفيه خمسة أبواب

الباب الأول في فضيلة الذكر وفائدته

على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار

والتأثير

٣٠٣ فضيلة مجالس الذكر

مصحف	مصحف
٣٢٧ الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم محدوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب السكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله	٣٠٤ فضيلة التهليل
٣٣٠ أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٦ فضيلة التسميع والتحميد وبقية الأذكار
٣٣٢ الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث	٣١١ الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة الدعاء
٣٣٩ كتب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات . وفيه بلان	٣١٢ آداب الدعاء وهي عشرة
٣٤٠ الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها وأنسكها	٣١٧ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله
فضيلة الأوراد ويلى أن للواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى	٣١٩ فضيلة الاستغفار
٣٤١ بيان أعداد الأوراد وترتيبها	٣٢٢ الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أساليبها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها للكره صباحا ومساء وبقلب كل صلاة
٣٥١ بيان أوراد الليل وهي خمسة	٣٢٣ دعاء عائشة رضي الله عنها
٣٥٩ بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال	دعاء فاطمة رضي الله عنها
٣٦٣ الباب الثاني في الأسباب اليسيرة لقيام الليل وفي الليل التي يستحب إحيائها وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل	دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه
فضيلة إحياء ما بين العشائين	٣٢٤ دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه
٣٦٤ فضيلة قيام الليل	دعاء قبيصة بن الحارث
٣٦٨ بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل	دعاء أنس المرادي رضي الله عنه
٣٧٠ بيان طرق القسمة لأجزاء الليل	دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام
٣٧٣ بيان الليل والليل والليل والليل	دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم
	٣٧٥ دعاء الخضر عليه السلام
	دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه
	دعاء حبة التلام
	دعاء آدم عليه الصلاة والسلام
	دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه
	٣٧٦ دعاء ابن المعتز وهو سليمان التيمي
	وقسيحاه رضي الله عنه
	دعاء إبراهيم بن محمد رضي الله عنه

فهرس

ما بهامش الجزء الأول من إحياء علوم الدين

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
١١٧	بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرّد	٨	١ - كتاب
١٢٤	فصل في بيان أصناف أهل الاعتقاد		تعريف الأحياء بفضائل الإحياء
١٣٣	فصل لما كان الاعتقاد المجرّد عن العلم		خطبة الكتاب
	بصحته ضعيفا وتفرد عن المعرفة قريبا للحق	١٠	المقدمة في عنوان الكتاب
١٣٤	بيان أرباب المرتبة الثالثة وهو توحيد	١٤	المقصد في فضل الكتاب وبعض المدائح
	المقرّين		والثناء من الأكابر عليه والجواب عما
١٥٠	بيان المرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين		استشكل منه وطعن بسببه فيه
١٥٥	فصل في معنى إفشاء سرّ الربوبية كفر	٢٢	فصل فيمن أنفى على الأحياء من العلماء
	وغير ذلك		الأعلام
١٦٣	فصل في معنى قاطع الطريق	٣٦	فصل في بيان الواضع التي استشكل فيها
	فصل في معنى فاستمع لما يوحى		على الأحياء والجواب عنها
١٧٥	فصل في معنى ولا يتخطى رقاب الصديقين	٤٠	خاتمة في الإشارة إلى ترجمة الامام الغزالي
١٧٦	فصل في معنى انصراف السالك الناظر		وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية
	بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى		رضى الله عنهم
١٧٧	فصل في معنى ليس في الامكان أبدع من	٦١٠	٢ - كتاب
	صورة هذا العالم الخ		الاملاء في إشكالات الأحياء
١٨١	فصل في بيان أن خطاب العقلاء		خطبة الكتاب
	للجمادات غير مستنكر	٦٦	ذكر مراسم الأسئلة في المثل
١٩٠	فصل في الفرق بين العلم المحسوس في عالم	٧١	مقدمة في الألفاظ المستعملة
	الملك، وبين العلم الإلهي في عالم الملكوت	٨٥	وصية لطالب العلوم والناظر في التصانيف
١٩٣	فصل في حدّ عالم الملك		والمستشرق على كلام الناس وكتب
	فصل في معنى أن الله خلق آدم على صورته		الحكمة
١٩٩	سؤال في بيان معنى قول سهل رحمه الله	٩٢	ابتداء الأجوبة عن مراسم الأسئلة
	للإلهية سرّ لو انكشف لبطلت النبوت،	١٠٠	بيان مقام أهل النطق المجرّد وتمييز فرقهم
	وللنبوت سرّ لو انكشف لبطل العلم،	١٠٥	فصل في بيان اللفظ المنبئ عن التوحيد
	وللعلم سرّ لو انكشف بطلت الأحكام	١٠٦	فصل فإن قلت فما الذي صدّه هؤلاء
٢٠٣	فصل في حكم هذه العلوم المكتوبة في		الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن
	الطلب، وسلوك هذه المقامات، ورفق		النظر، والبحث حتى تعلموا، أو عن الاعتقاد
	هذه الدرجات، واستفهام هذه المخاطبات		حتى تخلصوا من عذاب الله الخ

محيطة	محيطة
٢٠٥ فصل لأي شيء ذكرت هذه العلوم بلاشعارات دون العبارات ، وبالرموز دون التصريحات، وبالمشابهة من الألفاظ دون المحكمات	٢٠٥ فصل لأي شيء ذكرت هذه العلوم بلاشعارات دون العبارات ، وبالرموز دون التصريحات، وبالمشابهة من الألفاظ دون المحكمات
٢٠٩ - كتاب عوارف المعارف خطبة الكتاب	٢٠٩ - كتاب عوارف المعارف خطبة الكتاب
٢٢١ الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية	٢٢١ الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية
٢٣٩ الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع	٢٣٩ الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع
٣٦٣ الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى آتمودج منها	٣٦٣ الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى آتمودج منها
٣٠٢ الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طرقهم	٣٠٢ الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طرقهم
٣١٧ الباب الخامس في ماهية التصوف	٣١٧ الباب الخامس في ماهية التصوف
٣٣١ الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم	٣٣١ الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم
٣٤٥ الباب السابع في ذكر التصوف والتشبه به	٣٤٥ الباب السابع في ذكر التصوف والتشبه به
٣٥٩ الباب الثامن في ذكر اللامتنق وشرح حاله	٣٥٩ الباب الثامن في ذكر اللامتنق وشرح حاله